

أحبني

بقلم

ش. د.

صبحي واصف عبد الملك

حقوق الطبع محفوظة ©

دار الكتاب الشريف

2013

ISBN 978-0-9794942-9-1

0-9794942-9-X

يُطلب من:

Pray4Ms@SharifBible.com

الآيات الكتابية مأخوذة من "الكتاب الشريف" طبعة 2013

ويمكنك تحميل الكتاب الشريف من الموقع:

www.SharifBible.com

فهرس

| | |
|-----|-----------------------------------|
| 1 | إهداء |
| 3 | تمهيد |
| 4 | مقدمة |
| 13 | أولاً: الصليب في تدبير الله |
| 18 | أ. عن طريق الوعد |
| 19 | ب. عن طريق الرمز |
| 22 | ت. عن طريق النبوة |
| 29 | ثانياً: الصليب كما حدث |
| 29 | أ. إلى الصليب |
| 29 | (1) أعلن أنه سيموت ويقوم |
| 42 | (2) احتفل بالفصح |
| 76 | (3) ذهب إلى البستان |
| 93 | (4) وقف أمام القضاة |
| 123 | (5) خرج إلى الجلجثة |
| 128 | ب. تنفيذ الصليب |
| 132 | (1) ماذا احتمل؟ |
| 134 | (2) ماذا سمع؟ |
| 140 | (3) ماذا قال؟ |
| 160 | ت. أحداث أخيرة |
| 160 | (1) متعلقة بموته |

| | |
|-----|--|
| 171 | (2) متعلقة بدفنه |
| 179 | ث. قام من الموت |
| 195 | ج. صعد إلى السماء |
| 198 | ثالثا: الصليب ونحن |
| 198 | أ - دين بلا صليب |
| 214 | ب - معنى موت المسيح بالنسبة لي |
| 282 | ت - معنى قيامة المسيح بالنسبة لي |
| 292 | ث - ماذا يطلب الله منك في ضوء الصليب والقيامة؟ |
| 333 | ختام |
| 337 | ملحق 1 رموز أسماء كتب الوحي |
| 338 | ملحق 2 محاولات قتل المسيح |
| 339 | ملحق 3 تسلسل أحداث أسبوع الصلب ثم القبر والقيامة |
| 340 | ملحق 4 كلمات المسيح على الصليب |
| 345 | ملحق 5 شعر وقصائد وأغاني |
| 349 | ملحق 6 المسلم والصليب |
| 370 | ملحق 7 دعاء |
| 372 | مذكرات |

إهداء

لذكرى

كل من حمل لواء الصليب

ودفع أغلى ثمن في سبيل المصلوب

وإلى

لطيفة، ليلى، عواطف، جلال، طارق،

مصطفى، حسن، هشام، فتحي، عبد اللطيف،

عبد الحافظ، اسماعيل

لَأَنَّ رِسَالَةَ الصَّلِيبِ بِالنِّسْبَةِ لِلْهَالِكِينَ هِيَ غَبَاءٌ،

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا نَحْنُ النَّاجِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ.

لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

"سَأَبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ، وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ."

فَأَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْفَقِيه؟ أَيْنَ فَيْلَسُوفُ هَذَا الزَّمَانِ؟

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ حِكْمَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا جَهَالَةً!

لَأَنَّ اللَّهَ فِي حِكْمَتِهِ،

قَصَدَ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ لَا عَنْ طَرِيقِ حِكْمَتِهِمْ،

بَلْ شَاءَ أَنْ يُنْقِذَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ عَنْ طَرِيقِ الْبِشَارَةِ الَّتِي يَعْتَبِرُ الْبَعْضُ أَنَّهَا غَبَاءٌ.

لَأَنَّ الْيَهُودَ يَطْلُبُونَ مُعْجَزَةً،

وَالْيُونَانِيِّينَ يُرِيدُونَ حِكْمَةً.

لَكِنَّا نَحْنُ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي ضَعَى بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ.

وَهَذَا مُشْكِلَةٌ كَبِيرَةٌ لِلْيَهُودِ، وَغَبَاءٌ لِلْآخَرِينَ.

أَمَّا لِلَّذِينَ دَعَاهُمُ اللَّهُ،

يَهُودًا كَانُوا أَوْ غَيْرَ يَهُودٍ،

فَهُوَ الْمَسِيحُ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ.

فَمَا يَبْدُو أَنَّهُ غَبَاءٌ مِنَ اللَّهِ،

هُوَ أَحْكَمُ مِنَ حِكْمَةِ النَّاسِ.

وَمَا يَبْدُو أَنَّهُ ضَعْفٌ مِنَ اللَّهِ، هُوَ أَقْوَى مِنْ قُوَّةِ النَّاسِ."

(1 كور 1: 18 - 25)

تمهيد

باسم الله الرحمان الرحيم¹

لا أقصد بهذا الكتاب أن يكون مقالا لاهوتيا عن الصليب، ولا دفاعا لإنجيليا عن فداء المسيح، ولا جمعا عشوائيا لآيات الصليب في كتاب الله... لا شيء من هذا إطلاقا، بل قصدي هو سرد أحداث الصليب كما جرت مع فادينا وسيدنا ومولانا، ثم تطبيق شخصي لما جرى. وهدفي من هذا هو أولا، تشجيع وتقوية القارئ المؤمن ليجعل الصليب رايته وفخره والنور الذي يسير على هداه وسبيل معيشته في كنف المسيح. وثانيا، جذب القارئ الذي لا يؤمن بالصليب، ليرى ضرورة الفداء وخطورته، فيتوكل على المسيح ويأتي إليه ويسلم نفسه له.

كم من المرات، وأنا أكتب هذه الصفحات، قلت في نفسي: "هذا موضوع أكبر وأعظم من أن يمكنني أن أكتب فيه! هذا موضوع كبير واسع وأنا محدود في إمكانياتي العقلية والروحية!" ولكن ظل الحُمل يكبر ويثقل، والرؤيا تتضح وتتبلور. ومع كل التردد كان هناك تقدم، ومع كل ضعفي جاءت قوة المسيح لتسندني وتساعدني.

وحسب فكري، عقيدة الفداء هي من أهم البراهين على وحي الكتاب الشريف. مَنْ مِنَ البشر يمكنه أن يُدَبَّرَ ويخطط أن يموت الحاكم العادل من أجل متمرّد مجرم؟ ليس هذا من اختراع خيال شاعر، ولا أسطورة من تأليف كاتب مبدع، ولا حلما يتصوره أحد. بالنسبة للبشر، هذه فكرة غير معقولة، وغير ممكنة، وغير ضرورية. ولكنها هي لب الكتاب، وقلب الإيمان المسيحي!

إن كل حديث عن الصليب يجب أن يأتي إلى القارئ والسماع مبلا بالدموع. فهذه الأحاديث تأتيك مرفقة بدموع كثيرة. لذلك فهذا الكتاب ليس للقراءة السريعة العابرة. إنما مع هذه الأفكار التأملية في كلمة الله، أنت تقترب من المقدس الداخلي، وكأنك في بيت الله ذاته. هنا أنت تقترب منه جل جلاله، حيث سيعلن نفسه لك ويحدثك بهمسات تدخل إلى أعماق قلبك وتروي روحك العطشانة. إذن من فضلك يا أخي، اقرأ ببطء وهدوء في محضرة تعالى.

مقدمة

لي صديق كان من أصحاب الأملاك والعقارات وله تجارة وإيراد ودخل كبير، فكان يعيش حياة هنيئة طيبة. لكن تغير كل هذا. فقد طلبت أخته وعائلتها أن يساعدهم لبدأوا هم أيضا مشروعا تجاريا يجلب لهم أرباحا طائلة. لم يكن مع صديقي في ذلك الوقت ما يحتاجون إليه من مال سائل، فقرّر أن يقترض لهم مبلغا كبيرا جدا ليساعدهم. كانت هذه خطوة طيبة من جانب صديقي، فإن قلبه يتصف بالحنان ومشاعره رقيقة للغاية.

ولكن القرض كان ضخما وللأسف فشل مشروع الأخت وأفلس. وهنا يأتي البنك الذي أعطى صديقي القرض ويطالب بالسداد الكامل. اضطر صديقي أن يبيع داره وكل أملاكه وكل ما عنده، ومع ذلك لم يكن هذا كافيا لسداد القرض. أصبح صديقي مفلسا تماما ومعدما، وما زال عليه دين كبير لا يقدر أن يدفعه للبنك.

تصور يا أخي حالة هذا الرجل الشهم الشجاع صاحب العواطف النبيلة والمشاعر السامية. تصور معي كم بلغ به اليأس والقنوط والإحباط. لقد أدرك أنه لا يقدر أن يعمل شيئا ليغير الأوضاع. أدرك أنه بلا حول ولا قوة ولا رجاء. الطريق أمامه مسدود. أظلمت الدنيا في وجهه.

لنفرض أنني رحت إلى صديقي في ذلك الوقت وقلت له: "أبشر يا عمر! كل شيء سيكون على ما يرام. ما عليك إلا أن تُخرج نفسك من هذا اليأس!" ولم أعمل شيئا أكثر من الكلام. هل الكلام يغير الأوضاع؟ طبعاً لا! إن ما يحتاج إليه هذا المديون هو أن يجد شخصا ثريا شهما يقدم له المساعدة المالية التي تخرجه من الورطة الفظيعة التي وقع فيها وينقذه من الإفلاس.

هذه القصة تبين لنا بطريقة بسيطة معنى صليب المسيح. نحن أصبحنا مديونين

لله تعالى، بدين الخطيئة وليس في مقدورنا أن نسدد هذا الدين. في هذه الحالة نحن نحتاج، لا إلى شخص يأتي ليقدم لنا كلاما طيبا أو بليغا ورنثا بل إلى شخص يسدد عنا الدين، لا إلى من يقدم لنا تحذيرات وإنذارات لكي لا نفترض في المستقبل، ولا من يسن لنا فروضا وشرائع لكي نعرف كيف نتصرف حين يكون علينا دين، لا، بل نحتاج إلى من يذهب إلى صاحب الدين ويدفع له ما يستحق علينا. وهذا هو ما عمله المسيح فعلا، فقد جاء ودفع هذا الدين، فداننا، أنقذنا من الورطة الفظيعة.

كان عيسى (منه وبه سلامنا) يجول في بلاده بطولها وعرضها يصنع الخير، ويدعو الناس ليؤمنوا بالله ويتوبوا إليه. كان يشفي المرضى من أمراضهم، ويعزي الحزاني في آلامهم، ويحرر الذين تسلط عليهم إبليس فيطلقهم أحرارا من قيوده وسلاسله. لم يكن في قلب عيسى كراهية ولا بغض، ولم يكن في ضميره حسد ولا حقد. لم يحمل سيفاً ولم ينتقم لنفسه من أحد ولم يقتل أحداً. إنما كان مملوءاً بالمحبة والعطف والمودة والحنان والشفقة. كان طاهرا زكيا نقيا. وفي حديثه كان جذابا، يأسر انتباه الناس بأمثاله وقصصه، وكلامه الحلو، ومواعظه القوية.

فلما حان الوقت لیتتم القصد الذي من أجله جاء إلى الأرض، ألا وهو فداء الإنسان، سار بنحطى راسخة وإصرار وعزم وشجاعة نحو الصليب. وهناك تم مشيئة الأب السمائى.

المسيحية الحقيقية هي أن نتبع المسيح. ولكي نفهم المسيح يجب أن نفهم الصليب. لقد أفرد الوحي الكريم المقدس لحداث الأسبوع الأخير من حياة سيدنا عيسى قدرا كبيرا من الإنجيل الشريف. تلك الحداث تحتل ثلث قصة المسيح الواردة في كتب متى ومرقس ولوقا ويوحنا. ولا عجب، لأن مركز عمل المسيح هو الصليب. إن سبب وأساس مجيء المسيح إلى الأرض هو الصليب لذلك يتحدث ثلث تاريخ المسيح الذي عاش حوالي 33 سنة، عن الأسبوع الأخير من حياته! لماذا؟ لأهمية موته

في مقاصد الله تعالى. هذا الموت لازم لنجاتنا من الهلاك في الجحيم. وكدليل على أهمية الصليب، اهتزت الدنيا عند موت المسيح، فتزلزلت الأرض، وتشققت الصخور، وأظلمت الشمس، واسودت السماء! إلى هذه الدرجة، كان موته خطيرا!

عيسى أعلن الله لنا في تعاليمه السامية وفي معجزاته القديرة، أي في كلامه وأعماله. ولكن أعظم إعلان عن الله جاء من عيسى في موته وقيامته!

هل تريد أن تفهم المسيح؟ إذن، افهم الصليب. كان الصليب هو الموضوع الذي يملأ فكر بولس ولهذا قال: "نَحْنُ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي صَبَّى بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ." كما قال: "قَرَرْتُ أَنْ أُنْسِيَ كُلَّ شَيْءٍ... إِلَّا عَيْسَى الْمَسِيحَ وَمَوْتَهُ عَلَى الصَّلِيبِ."

حين يذهب ملك أو رئيس لزيارة دولة أخرى، يحتفون به ويطبقون له الولايم. ولكن ملك العالمين جاء إلى هذه الأرض، فماذا عملوا له؟ قبضوا عليه وحاكموه محاكمة جائرة وصلبوه وقتلوه. هذه هي جريمة الكل. هذا هو ذنب وخطيئة كل الناس. نحن رفضناه. إنه جاء إلى العالم، العالم الذي صنعه بيده القديرة، العالم الذي هو خلقه، لكن العالم رفضه. جاء إلى أهله، ولم يقبله أهله. جاء إلى شعبه، لكن شعبه لم يقبله.^ب وسيستمر هذا الوضع سنة بعد سنة، وجيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن. ولكن ليس إلى ما لا نهاية! فالإنجيل الشريف يقول إنه سيأتي وقت فيه يسجد الكل لعيسى ويشهد الجميع أنه مولانا. ذلك لأن الله تعالى أنعم على السيد المسيح بالاسم الذي هو أعظم من كل اسم. أي بالملكة التي هي أسمى وأعلى وأعظم من كل مكانة، حتى "يَسْجُدَ الْكُلُّ عَلَى رُكْبِهِمْ لاسْمِ عَيْسَى، كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَشْهَدَ الْجَمِيعُ عَلَيْنَا وَيَقُولُوا: "عَيْسَى الْمَسِيحَ هُوَ مَوْلَانَا".^ت

كلمة الإنجيل تعني الخير المفرح، البشرى السارة. فالإنجيل هو الخير السار لأن

^أ 1 كور 1: 23

^ب يو 1: 10-11

^ت في 2: 10-11

الله تعالى يغفر لنا ذنوبنا عن طريق فداء المسيح. ولا يوجد إلا إنجيل واحد هو إنجيل السيد المسيح، لأنه هو الوحيد الذي مات فداء عن البشر، وقام منتصرا على الموت. هذا هو الخبر السار. ولأن المسيح قام وانتصر على الموت، أُلغيت اللعنة وأصبحت بركة، وصارت فضيحة الموت على الصليب هي الأخبار السارة بأن المغفرة والنجاة والحياة ممكنة لمن يؤمن به. هذا هو الإنجيل!

هذه هي البشرى التي تبعث الفرح والسلام في القلوب الحائرة والضامير المعذبة! إنجيل عيسى هو إعلان الفداء والراحة والأمان والسلام للنفوس التعبانة اليائسة. إنجيل المسيح هو الموسيقى الإلهية تعزف لتبعث الهدوء في قلبك الثائر الهائج، وتمنحه الإرشاد والاطمئنان والأمل والفرح والمحبة.

إن رسالة الإنجيل كلّها هي عن الصليب! الصليب هو لبُّ حديث الإنجيل! حقيقة الصليب هي قلب الإيمان بالمسيح. انزع الصليب من إنجيل المسيح، لا يبقى هناك إنجيل ولا بشرى طيبة، ولا رسالة مفرحة، بل تبقى البشرية في ضياعها وظلامها ومعصيتها بلا منقذ، بلا فاد، بلا أمل، بلا رجاء، بلا فرح. نعم، بلا صليب يصبح الإنجيل خدعة! يصبح لا بشارة ولا أخبارا طيبة.

قبل الصليب جاء الفداء في صورة رموز تشير إلى الصليب ذاته. وبعد الصليب، كل محاولة للفداء باطلة وغير مجدية، بل وخطيرة تؤدي إلى الهلاك عينه! الصليب ليس مشروعا بدأ بالنجاح وانتهى بالفشل، بل هو الحب بدأ عظيما وانتهى منتصرا. الصليب حطم عبادة الأصنام. حطم إذلال قوات الشيطان للبشر. حطم الفواصل العرقية والجنسية. وبقوة الصليب، اليوم تنقشع السحب القاتمة، وينهزم ظلام الضلال ويتقهقر. نور الشمس يسطع في كل مكان، ومُلك الله يمتد بطريقة لم يعرفها تاريخ البشر من قبل. اسم المسيح يتمجد، وعروسته تُعدُّ لمجيئه.

الصليب هو لغة الحب. هو لغة الفداء. هو الطريقة الوحيدة للحصول على الحياة. لا يمكن الإضافة إليه ولا الإنقاص منه. الصليب عيد. الصليب فرح. الصليب حقيقة. صالِحٌ مات من أجل الأشرار. طيب مات من أجل الأرياء. الصليب هو تعبير غير عادي عن حب غير عادي. ليس لدينا رسالة أخرى ننادي بها، ولا موضوع آخر نتحدث عنه. الصليب هو ضرورة خطيرة. الحب هو طبيعة الله. الله محبة. لذلك أظهر الله طبيعته الحقيقية على الصليب.

يقول يوحنا في بشارته: "الكَلِمَةُ صَارَ بَشَرًا، وَعَاشَ بَيْنَنَا. وَرَأَيْنَا جَلَالَهُ."^أ عن أي شيء يتحدث يوحنا؟ متى رأى جلال المسيح؟ وأين؟ وكيف؟ ربما يشير يوحنا هنا إلى موضوع ظهور جلال المسيح على الجبل لما جاء إليه موسى وإلياس وتحدثا معه عن الفداء الذي سيقوم به. لكن في رأيي، يتحدث يوحنا هنا عن الصليب! نعم، أعتقد أن الإشارة الأهم هي أن يوحنا وأصحابه رأوا في الصليب جلال الله الذي بذل أعز ما عنده لفدائنا.

الذي يقدر أن يرى جلال المسيح في الصليب، يجد نفسه منجذبا أن يتبع المسيح! من يرى جلال المسيح في عار موته، يسير بخطوات ثابتة نحوه وفي معيته!

لماذا الصليب؟ لأن الله يحبنا! إنه تعالى، دبر للإنسان النجاة عن طريق صليب المسيح وقيامته. لم تستلزم عملية الخلق إلا أن يتكلم الله ويقول كن فيكون. ولكن لكي يفدي، كان لا بد أن يتألم. لقد خلق الله الإنسان بنسمة من فمه، ولكنه فداه بإراقة دم المسيح. فالفداء كلف الله أكثر مما كلفه الخلق بما لا يُحَدُّ. لقد كلفه دم المسيح، الابن الحبيب الوحيد. قال عيسى: "أَحَبَّ اللَّهُ كُلَّ النَّاسِ لِذَرَجَةِ أَنَّهُ بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يَنَالُ حَيَاةَ الْخُلُودِ."^ب

^أ يو 1: 14

^ب يو 3: 16

فالصليب يبين أن الله طيب وصالح ومحِب. الصليب يبين أن الله يحول الشر لخيرنا ولصالحنا. عند الصليب كان الله مازال يسأل السؤال الذي سألَهُ لَأَيُّوب: "مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَدَّاني؟" ^أ ولا واحد يقدر أن يتحدى القدير عز وجل! بواسطة الصليب أخذ الله أفضع شر وحوله إلى أحسن خير. لا يوجد إنسان يمكنه أن يفهم فظاعة الموقف الذي اختبره عيسى فوق الصليب. كان الصليب هو أخطر محاولة من جانب الشيطان ضد الله. ولكن بالصليب انهزم الشيطان هزيمته النهائية. قام المسيح منتصرا وأعطى الشيطان ضربة لن يفيق منها. والآن يمكننا ان نعلن حقا أن "الله يَجْعَلُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ." ^ب ² إن هذه الصفحة من التاريخ، صفحة الصليب، تشع بنور وهاج. الصليب هو الذي يجعل لنا الماضي مستورا والحاضر منيرا والمستقبل باهرا، وذلك بحب المسيح وتضحيته، وصفحه وغفرانه، وعنايته ورعايته، وبالأمل والرجاء فيه.

رجل له بنت مُعَوَّقة جدا ومتخلفة عقليا، عيناها جاحظتان، وجهها مشوه، يسيل اللعاب من فمها لأنها لا تقدر أن تتحكم فيه. ومع ذلك يحضنها أبوها ويقول: "يا حبيبتي!" الله يحبنا بهذه الطريقة!

ربما تشعر أنك مثل تلك البنت المعوقة، لكن الحقيقة هي أن قيمتك غالية جدا في نظر الله. إن الله ينظر إليك بعين الاعتبار والتقدير. أنت لك كرامة كبيرة في نظر المولى تعالى. ربما يجرمك أهلك أو بلدك أو زملاؤك من هذه الكرامة. ربما يعتبرونك بلا قيمة. أو ربما أنت تعتبر نفسك قليل القيمة. مهما كان الوضع بهذا الشأن يا أخي، إعلم أن المسيح، تبارك وتعالى، يعتبرك نفيسا غاليا، لدرجة أنه مات من أجلك! أنت ثمين عنده لدرجة أنه بذل دمه من أجلك. هذا هو الثمن الغالي الذي

^أ أي 41: 10

^ب رو 8: 28

دفعه فيك! دمه! حياته! أنت لك قيمة كبيرة!

وربما في نشأتك منذ الصغر، تلقنت تعليما يفرض عليك أن تقبل ما يُقدّمونه لك دون بحث أو نقاش، وممنوع عليك أن تسأل أو تستفهم. ربما زرعوا في نفسك كراهية للآخرين وخوفا من كل ما هو غير مألوف أو معروف. ربما أجبروك أن تصدق ما يقولون وتدين بما يدينون. إن كان هذا هو وضعك دعني أسرد عليك قصة قرأتها، وأعتقد أنها تقرب لذهنك الفكرة التي أريد أن أسوقها إليك.

تقول القصة إن رجلا أصيب بهوس جعله يظن أنه مات. استدعت عائلته الطبيب الذي حاول بكل جهده أن يبين للرجل أنه حي لأن الميت لا يدرك ولا يشعر ولا يتكلم ولا يتحرك. ولكن عبثا حاول الطبيب! لم يكن بإمكانه أن يقنع الرجل أنه حي.

وأخيرا توصل الطبيب إلى فكرة ذكية. فأخذ الرجل إلى المستشفى، إلى المكان الذي يضعون فيه الموتى حتى يأتي أهلهم ليأخذوهم. قال الطبيب للرجل: "هؤلاء الموتى، إن وخزتهم بإبرة لا يسيل منهم الدم، لأنهم موتى. تعال نجرب." وأخذ الطبيب يوخز بالإبرة ميتا بعد آخر. ولا واحد سال منه الدم. وهنا سأله الطبيب: "هل اقتنعت الآن أن الموتى لا يسيل منهم الدم؟" قال الرجل: "نعم اقتنعت." فأخذ الطبيب إبرة ووخز بها الرجل، فسال منه الدم. وهنا صاح الرجل: "يا له من أمر غير عادي! أنا ميت ومع ذلك سال مني الدم!"

هذه القصة تبين قصدي. إن الاقتناع الذي أدخلوه في فكرك هو اقتناع فاسد. أنت تحتاج أن تتحرر من القهر الفكري الذي فرضوه عليك حتى صار من الصعب استخدام المنطق معك. أدعو الله القدير أن يحرك من هذا القهر، لتطرح عنك الحمل الذي ترزح تحته، لتستنشق نسيمات الحرية الحقيقية، فتفكر كما تشاء، وتتخذ القرار الذي يمليه عليك ضميرك، لا ما يفرضه الآخرون عليك.

مبدئياً، يرمز الصليب إلى الضعف والذل والعقاب والفشل والموت. ويا له من فكر عجيب غريب حقا أن الله الخالق الكريم، صاحب الجلال والعزة والقدرة، يربط نفسه بالآلام والمتاعب التي نجتاز فيها نحن البشر. الله الذي قَبِلَ الصليب يفهم تماما معنى الألم والعذاب. الله الذي هو في سعادة أبدية، يأتي ليختبر أحزاننا وأوجاعنا. الله الطاهر النقي يأتي إلى عالم البشر الذي نجسته الخطيئة. الله صار بشرا. عيسى المسيح حمل الصليب، صليب العار والهوان، بل سمره وعلقوه عليه. وهناك على الصليب مات.

إذن الله تعالى جاء ليختبر ما نختبره نحن. وبطريقة معنوية، سار في المكان الذي تسير فيه أنت الآن. وقف في الموقف الذي أنت فيه الآن. هل أنت تتألم؟ هو أيضا تألم، فهو يعرف حالك. هل يضطهدك الناس؟ هو أيضا اضطهده! هل أنت تعبان؟ هو أيضا تعب!

أو ربما تكون بائسا. ربما تكون غارقا في يأس شديد. ربما تشعر بأنك فاشل في الحياة، في هذه الحياة التي هي نعمة وإحسان من الله. لكن السبب الحقيقي في فشلك هو أنك بعيد عن المسيح، بعيد عن الحق، بعيد عن النور، بعيد عن مولاك عيسى الذي أحبك وضى بنفسه من أجلك. إن الله يقدم لك الحق اليوم! إنه يعلن لك الإنجيل اليوم. إنه يعلن لك الخبر السار المفرح لتؤمن به، وترتاح فيه. هو كلام الله، كلام الحق. هو الذي فيه نور وهداية للعالمين. هو الذي يرشدك إلى الطريق القويم، إلى الصراط المستقيم.

الصليب هو أبشع جريمة ارتكبتها الإنسان، وأسمى وأنبل تضحية قام بها الله. الصليب هو أعظم تعبير عن حب الله. الصليب أصلا كان عقاب الخطيئة، والمسيح حوله إلى شفاء من الخطيئة. الصليب أصلا كان يعبر عن الكراهية، والمسيح حوله إلى دليل الحب الكامل، حب الله للناس. الصليب أصلا كان يبين أسوأ ما في الإنسان؛

القتل. لكن المسيح حوله ليبين أعظم ما في الله؛ الفداء! أخذ المسيح كل ما هو رديء ومكره في الصليب، من ظلام وعذاب وانتقام، وحوله إلى نور وحب وطهارة. اليوم الصليب هو صيحة النصر التي نهتف بها! تم فداؤنا، جاءنا الفرج، جاءتنا النجاة في الصليب وبالصليب.

الصليب قصة. مصدرها ومنبعها هو الله. والذي قام بأهم دور فيها هو الله. أما البشر فكانوا نوعين: نوع له دور فرعي وثنائي في القصة مثل قادة الدين والأخبار ويهوذا وبيلاطس وغيرهم. ونوع استفاد من القصة وآمن بالمسيح وفدائه وعاش له. الصليب هو مبادرة إلهية، هو خطة ربانية تمت بنجاح منقطع النظير. مات المسيح على الصليب وتم الفداء، ثم قام من الموت وتم النصر. وكما قال شيخ جليل وقسيس تقي يصف تضحية المسيح: "هو الحق خرج من عند الحق ليقضي على الباطل في معركة حامية انتهى دورها الأول بصلب الحق. ثم سرعان ما خُذِل الباطل وظفر الحق وقام، وإلى الحق الذي اشتق منه عاد."³ ولهذا أصبح نشيدنا هو: "يَا مَوْتُ لَنْ تَغْلِبَنَا! يَا مَوْتُ لَنْ تَلْدَغَنَا!"

لذلك سنتناول في الصفحات التالية هذه القصة، قصة صلب وموت سيدنا وفادينا عيسى المسيح. ونحن نعرف أن حقائقها واقعية حدثت فعلاً. والذين قاموا بأدوار فيها هم أشخاص لهم تاريخ معروف ومسجل في صفحات الزمن. هذه أحداث ليست من نسج الخيال، ولا خرافة، إنما وقائع تمت مع المسيح أمام شهود كثيرين، في وجود الأحباء والأعداء، وأمام عدد من الأقرباء والغرباء.

أولا

الصليب في تدبير الله

إن حقيقة صلب المسيح تعود في الأصل إلى أزمنة وعصور ودهور قبل حدوث الصليب. بل في الحقيقة، كان الصليب في تدبير الله تعالى من قبل ما خلق العالمين. إن الله تعالى كلُّ المعرفة. أي يعرف كل شيء من الأول إلى الآخر. فهو كان يعرف أن آدم سيسقط في المعصية وعدم الطاعة ويأكل من الشجرة المحرمة. لذلك دبر القدير عز وجل أن يرسل من يفدي الإنسان المسكين الساقط. أي قبل ما خلق الله الإنسان، علم القدير أن آدم سيسقط في المعصية، وقبل ما دخلت الخطيئة إلى العالم، دبر الله لنا النجاة. هل يعني هذا أن الله دبر فداء الإنسان، حتى من قبل وقوع آدم في الذنب؟ نعم، قرر الله في الماضي السحيق الذي لا نعرفه نحن ولا ندركه، أن يرسل سيدنا عيسى المسيح ليموت ويفدينا من ذنوبنا. في ذلك الماضي البعيد كان الصليب في حسابان الله تعالى وتدبيره. لذلك يُطلق الكتاب الكريم على عيسى اسم "حَمَلِ الْفِدَاءِ الْمَذْبُوحِ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِينَ".^أ

ولهذا أيضا يقول الإنجيل الشريف: "أَنْتُمْ فِي الْمَاضِي كُنْتُمْ تَعِيشُونَ حَيَاةً تَافِهَةً عَلَّمَهَا لَكُمْ آبَاؤُكُمْ، لَكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ فَدَاكُمْ مِنْ هَذَا، لَا بِأَشْيَاءٍ فَانِيَةٍ مِثْلَ الْفِضَّةِ أَوْ الذَّهَبِ، بَلْ بِالْدَّمِ الْكَرِيمِ، دَمِ الْمَسِيحِ، حَمَلِ الْفِدَاءِ الَّذِي بِلا لَوْمٍ وَلَا عَيْبٍ. فَقَدِ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِهَذَا مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْعَالَمِينَ".^ب إن الله دبر لنا النجاة من ذنوبنا من الأزل، من قبل ما خلق العالمين. أي من قبل ما خلق الكون، وقبل ما خلق الملائكة، وقبل ما خلق البشر. هذا يعني أن الله دبر الدواء قبل إصابة الإنسان بالداء. دبر

^أ رؤ 13: 8

^ب 1بط 1: 18-20

العلاج قبل حدوث المرض. وهنا تظهر عظمته عز وجل.

ولهذا نحن أتباع عيسى نفرح ونبتهج لهذه المحبة التي لاتعرف حدودا، لأن الله دبر لنا هذه النجاة العظمى بواسطة فداء المسيح. ويُعبر الإنجيل عن مشاعرنا هذه بقول بولس: "تَبَارَكَ اللهُ أَبُو سَيِّدِنَا عَيْسَى الْمَسِيحِ، لِأَنَّهُ بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَهٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاءِ بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ قَبْلَ مَا خَلَقَ الْعَالَمِينَ، اخْتَارَنَا بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ لِنَكُونَ صَالِحِينَ وَبِلَا عَيْبٍ فِي نَظَرِهِ. وَفِي مَحَبَّتِهِ قَرَّرَ مُقَدِّمًا أَنْ يَجْعَلَنَا أَبْنَاءَهُ بِوَاسِطَةِ عَيْسَى الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ حَسَبَ مَشِيئَتِهِ الصَّالِحَةِ وَقَصْدِهِ".^أ

قال يحيى بن زكريا عن المسيح: "هَذَا هُوَ حَمَلُ الْفِدَاءِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ لِيَرْفَعَ خَطِيئَةَ النَّاسِ".^ب إن الله المحب القدير هو الذي دبر لنا الفداء. هو الذي رسم وقرر موت المسيح على الصليب. لم يكن ذلك عفوا. لم يكن ذلك عن طريق الخطأ، بل هو تدبير الله منذ قديم الزمان.

حقا مات المسيح لأن قادة اليهود ناصبوه العداء وقرروا القضاء عليه. حقاً مات المسيح لأن يهوذا القريوتي، أحد أتباعه المقربين، خانته. نعم، مات المسيح لأن الرومانيين، تحت ضغط اليهود، صلبوه وقتلوه. نعم، مات المسيح لأن حاكم البلاد خاف من صراخ اليهود الذين طالبوا بأن يصلبه. إن اتهامهم لعيسى بأنه يقاوم القيصر وينافسه شَوَّشَ على أفكار ذلك الحاكم! ولكن هذه كلها هي مجرد أسباب ثانوية فرعية وسطحية. أما السبب الأساسي والأعمق والأهم فهو أن المسيح مات لأن هذه كانت خطة الله تعالى. كان هذا هو تدبير الله منذ الأزل. "رَضِيَ اللهُ أَنْ يَسْحَقَهُ بِالْأَلَمِ".^ت صحيح، صُلِبَ المسيح بسبب عداوة اليهود، وضعف الحاكم الروماني. ولكن الكتاب الشريف يقول إن الصليب كان في فكر الله قبل ظهور الرومان، وقبل وجود

^أ أف 1: 3-5

^ب يو 1: 29

^ت إش 53: 10

اليهود أو غيرهم! لذلك قال بطرس لليهود في خطبته المشهورة في يوم الخميس: "(إن عيسى) سُلِّمَ لَكُمْ حَسَبَ خِطَّةِ اللَّهِ الْمَرْسُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، فَصَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ بِمُسَاعَدَةِ الْكُفَّارِ." "أ" موت المسيح على الصليب كان حسب خطة الله المرسومة! وقالت جماعة الرسل في مناسبة أخرى في دعائهم لله: "يَا رَبُّ، يَا صَانِعَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَكُلِّ مَا فِيهَا.. (لقد) اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ (الملك) هِيرُودُسُ (والحاكم) بِيلاطُسُ الْبُنْطِيُّ وَالْأَجَانِبُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ، ضِدَّ خَادِمِكَ الْقُدُّوسِ عِيسَى الَّذِي مَسَحْتَهُ. وَعَمِلُوا كُلَّ مَا سَبَقَ وَقَصَّيْتَ بِهِ بِحَسَبِ قُوَّتِكَ وَمَشِئَتِكَ." "ب" أي إن الله عز وجل سبق وقضى بموت المسيح على الصليب، وكان هذا حسب قوته ومشئته.

وقبل الصليب بمئات السنين، قال المولى: "إِسْتَيْقِظْ يَا سَيْفُ وَاهْجُمْ عَلَى رَاغِي، عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ صَاحِبِي! اضْرِبِ الرَّاعِي فَتَنْشَتَ الْحِرَافُ." "ت" فالمتكلم هنا هو الله عز وجل. والراعي هو مولانا عيسى. والسيف هو سيف الله. نعم، كان الصليب هو سيف الله لإنهاء مشكلة الذنب. لم يكن سيف قيافا ولا سيف بيلاطس، بل سيف الله. هذا هو تدبير الله.

إذن أساس الصليب هو في قلب الله، في محبة الله. فكرة الصليب هي جزء من خطة الله وتدبير الله. قادة اليهود الذين أضرموا للمسيح العداء وقبضوا عليه وقدموه للحاكم، وجماهير اليهود الذين تجمعوا في مظاهرة صاخبة يهتفون ويطالبون بإعدامه، والملك هيرودس الذي هزأ بعيسى، وبيلاطس الحاكم الذي أصدر القرار بصلبه، وجنود الرومانيين الذين نفذوا الصلب، كل هؤلاء لم يكن لهم دور أساسي في مجريات الأمور. الله تعالى هو الذي دبر الفداء وهو الذي قصد كل هذا وهو المحرك الأساسي لكل ما جرى. لم يكن متفرجا. لم يُفاجأ الله تعالى بتطور الأحداث لغير ما

أ أع 23:

ب أع 4: 24، 27-28

ت زك 13: 7

يريد، أو في غير صالح عيسى! بل كما ذكرنا من قبل كلام المسيح: "أَحَبَّ اللَّهُ كُلَّ النَّاسِ لِذَرَجَةٍ أَنَّهُ بَدَلَ ابْنِهِ الْوَحِيدِ."^أ

يجب أن نلاحظ أنه حتى في ذلك الأسبوع الأخير قبل موته، وفي تلك الساعات الصعبة والعصيبة، كان سيدنا ومولانا عيسى المسيح هو سيد الموقف! كان هو مُسَيِّر الأمور! كان هو رب التاريخ! كان يمكنه أن يتحاشى الصليب. لكنه جاء لهذا! جاء ليموت على الصليب.^ب

كان الصليب هدفه، لذلك ذهب إلى القدس في ذلك الوقت بالذات! لقد تأمر قادة الدين اليهود معا ودبروا أن يقبضوا على عيسى. ولكنهم في نفس الوقت قرروا ألا يكون ذلك في العيد لئلا يثور الشعب ضدهم ويعترض على ذلك. فاتفقوا أن ينتظروا إلى ما بعد العيد. فيقول كتاب الله الكريم: "وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْأَخْبَارِ وَشُبُهَاءُ الشَّعْبِ فِي قَصْرِ الْحَبْرِ الْأَعْلَى الَّذِي اسْمُهُ قَيْفَا. وَتَشَاوَرُوا مَعًا فِي حِيلَةٍ لِيَقْبِضُوا عَلَى عَيْسَى وَيَقْتُلُوهُ. إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: "لَا نَفْعَلُ هَذَا فِي الْعِيدِ، لِيَلَّا يَثُورَ الشَّعْبُ."^ج

ولكن قال عيسى لتلاميذه إنه بعد يومين سوف يُسَلَّمُونَهُ لِيُصَلَّبَ، أي في قمة الاحتفال بالعيد!^د وبينما كان يتناول طعام الفصح معهم، قال ليهودا القريوتي: "مَا نَوَيْتُ أَنْ تَعْمَلَهُ أَعْمَلُهُ بِسُرْعَةٍ."^{هـ} وعلى الرغم من قرار القادة بإرجاء القبض على عيسى إلى ما بعد العيد، تم القبض عليه في أيام العيد، لأنه هو قرر ذلك! هو صاحب السلطان. فعيسى لم يكن شخصا تتحكم فيه الظروف، بل هو ملك العالمين الذي

^أ يو 3: 16

^ب مت 26: 52-54

^ت مت 26: 3-5

^ث مت 26: 2

^ج يو 13: 27

يتحكم في الظروف. لم يكن شخصا هاربا تم القبض عليه بعدما طارده أعداؤه وأمسكوه، بل هو الذي أرغم أعداءه على إتمام خطته ومقاصده.

في ذلك البستان، في تلك الليلة، ارتكب يهوذا أسوأ خيانة في التاريخ البشري، تماما كما أنبأ المسيح بأن ذلك سيحدث! وسُلم عيسى إلى رؤساء الأحرار، تماما كما أعلن لأتباعه من قبل! وهرب التلاميذ وتركوه وحده، تماما كما قال لهم! وأنكر بطرس أنه يعرفه، تماما كما حذرته المسيح! وبعد ذلك سلموه إلى الأجانب ليحكموا عليه بالموت، تماما كما قال هو! وحكم الرومان عليه بالموت، تماما كما أعلن هو! وبعد ثلاثة أيام قام من الموت، تماما كما قال من قبل!

لا، لم يفاجأ المسيح بهذه الظروف. كان يعرف أنه جاء ليموت. كان هو المتسلط على الظروف والذي بيده تدبير كل هذا. لقد قال: "الْأَبُّ يُجَبِّنِي، لِأَنِّي أَصْحِي بِحَيَاتِي لِكَيْ أَتَأَلَّهَا ثَانِيَةً. لَا أَحَدَ يَأْخُذْهَا مِنِّي، بَلْ أَنَا أَصْحِي بِهَا بِرِضَايَ. عِنْدِي السُّلْطَةُ أَنْ أَصْحِيَ بِهَا، وَعِنْدِي السُّلْطَةُ أَنْ أَتَأَلَّهَا ثَانِيَةً." هو ضحى بحياته بنفسه، بإرادته، برضاه. لم يجبره أحد على ذلك. لم يؤخذ على حين غرة. بل كان يعرف أنه جاء لهذا القصد.

لا، لم يفاجأ المسيح بوقائع وأمر لم يكن يتوقعها! بل كان يعرف كل التفاصيل من البداية إلى النهاية. لم يكن الصليب سوء حظ أو صدفة تعيسة، ولا حادثة غير متوقعة أصابته. بل هو تاج التدبيرات الإلهية. هو قمة التعبير عن محبة الله، وهو أسمى عمل في كل التاريخ! هو أعظم تضحية على الإطلاق!

وقد بين الله لنا قصده وتدبيره بطرق متنوعة. فقد أعلن لنا أنه سيرسل الفادي عن طريق وعود مباركة مسجلة لنا في الكتاب الشريف، وعن طريق رموز متنوعة، وعن طريق نبوات كثيرة. وهنا أتحدث عن أمثلة فقط لهذه الطرق.

عن طريق الوعد

خلق الله آدم كاملاً طاهراً حراً بريئاً، وأعطاه حواء لتكون معينا له. لم يكن هناك ألم ولا مرض ولا شقاء ولا تعب. سارت الحياة بهما في سعادة وهناء. ولكن جاء الشيطان وأغوى حواء وأغراها، فكسرت وصية الله، وسقطت وسقط آدم معها في المعصية. حكم الله عليهما بالطرد من الجنة، وبالألم والتعب والجوع والعطش والشقاء والمرض والموت.

كما حكم الله أيضاً بأن تنشأ عداوة بين الشيطان والإنسان. قال الله تعالى يخاطب الحية، أي الشيطان: "وَأَجْعَلْ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا".^أ ومن ذلك الوقت أصبحنا نرى ونختبر نتائج تلك العداوة في عالمنا وفي حياتنا. ثم يتابع الله تعالى حديثه ويقول إن نسل المرأة سيسحق رأس الحية، والحية تلدغ كعب نسل المرأة "هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَلْدَغِينَ كَعْبَهُ".^ب من هو نسل المرأة هذا الذي سيتحدى ويغلب الشيطان؟ هو عيسى المسيح الذي ولدته عذراء، لذلك يُدعى نسل المرأة. فيقول عنه الكتاب: "وَلَمَّا حَانَ الْوَقْتُ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ، فَجَاءَ مِنَ امْرَأَةٍ".^ت إن المسيح سيسحق رأس الشيطان، والشيطان يلدغ كعب المسيح. هذا هو أول حديث عن الصليب، وأول وعد به، ولو عن طريق الإشارة والتلميح.

نعم، إنه من رحمة الله على آدم ونسله، دبر القدير للإنسان وسيلة النجاة. ففي حكمه على الحية، وعد الله تعالى الإنسان الأول بإرسال منقذ للبشر يخلصهم وينجيهم من اللعنة والخطيئة والموت. كان عيسى هو ذلك المنقذ الذي بموته كفر عن ذنوبنا. معنى التكفير عن الذنب هو أنه بموت المسيح على الصليب دفع ما كان علينا من

^أ تك 3: 15

^ب تك 3: 15

^ت غل 4: 4

دين، وبذلك أصبح ممكنا لنا أن نحصل على غفران ذنوبنا، وعلى شفاء عقولنا وأرواحنا وأجسامنا، كما نحصل أيضا على السلام التام مع الله. المسيح يسحق رأس الشيطان لأنه بتضحيته على الصليب يقهر الشيطان. والشيطان يلدغ كعب المسيح، أي أن موت المسيح على الصليب هو لدغة الشيطان لكعب المسيح. هذا هو كل ما أمكن للشيطان أن يعمل.

ولا شك أن هذا الكلام وَقَعَ كالصاعقة على الشيطان. هذه هي نهايته المحتومة، تأتي عن طريق نسل المرأة. كما أن هذا النبأ لا شك جلب الفرح لأبويننا آدم وحواء. هذا الإعلان هو نبوة ووعد وعهد، هذا كلام الله الذي يحفظهما من اليأس والقنوط والفشل. هناك أمل. هناك رجاء. نسل المرأة سيأتي. نسل المرأة سيسحق رأس الحية. لله العظمة! لله الحمد! لله العباد!

عن طريق الرمز

يتحدث الوحي الكريم كثيرا عن الصليب بطريقة الرمز. الحمل الذي قدمه إبراهيم بدل ابنه إسحاق هو أحد الرموز الكثيرة التي تشير إلى الصليب في كتاب الله⁴.

أين الحمل يا أبي؟

أمر الله تعالى إبراهيم بأن يقدم ابنه ضحية. يقول الكتاب الشريف: وَبَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ، اخْتَبَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فَنَادَاهُ: "يَا إِبْرَاهِيمُ". أَجَابَهُ: "لَبَّيْكَ!" فَقَالَ لَهُ: "خُذْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحَاقَ الَّذِي حُبُّهُ، وَادْهَبْ إِلَى مِنْطَقَةِ الْمُرْيَا، وَقَدِّمُهُ ضَحِيَّةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ عَنْهُ." فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَأَسْرَجَ حِمَارَهُ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ خُدَّامِهِ وَابْنَهُ إِسْحَاقَ. وَبَعْدَمَا قَطَعَ حَطْبًا لِإِحْرَاقِ الضَّحِيَّةِ، ذَهَبَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ عَنْهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، تَطَلَّعَ إِبْرَاهِيمُ فَرَأَى الْمَكَانَ

مِنْ بَعِيدٍ. فَقَالَ لِخَادِمَيْهِ: "انْتَظِرَا هُنَا مَعَ الْحِمَارِ، بَيْنَمَا أَذْهَبُ أَنَا وَالْوَلَدُ إِلَى هُنَاكَ لِتُعْبَدَ
 اللَّهُ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَيْكُمَا." وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ الْحُطْبَ لِلضَّحِيَّةِ وَوَضَعَهُ عَلَى كَتِفِ ابْنِهِ إِسْحَاقَ،
 أَمَّا هُوَ فَحَمَلَ النَّارَ وَالسَّكِينِ. وَبَيْنَمَا هُمَا ذَاهِبَانِ مَعًا، تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ وَقَالَ لِأَبِيهِ
 إِبْرَاهِيمَ: "يَا أَبِي!" فَأَجَابَهُ إِبْرَاهِيمُ: "نَعَمْ يَا ابْنِي!" قَالَ إِسْحَاقُ: "مَعَنَا النَّارُ وَالْحُطْبُ،
 وَلَكِنْ أَيْنَ الْحَمْلُ لِلضَّحِيَّةِ؟" أَجَابَهُ إِبْرَاهِيمُ: "اللَّهُ يُدَبِّرُ لِنَفْسِهِ الْحَمْلَ لِلضَّحِيَّةِ يَا ابْنِي."
 وَتَابَعَ الاثْنَانِ سَيْرَهُمَا مَعًا. وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ عَنْهُ، بَنَى إِبْرَاهِيمُ
 هُنَاكَ مَنَصَّةً لِتَقْدِيمِ الضَّحِيَّةِ، وَرَتَّبَ الْحُطْبَ ثُمَّ رَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَنَصَّةِ
 فَوْقَ الْحُطْبِ. وَمَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السَّكِينِ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلَائِكُ مِنَ السَّمَاءِ
 وَقَالَ: "إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!" فَأَجَابَ: "لَبَّيْكَ!" فَقَالَ: "لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْوَلَدِ، وَلَا تَفْعَلْ بِهِ
 شَيْئًا! الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَتَّقِي اللَّهَ، فَلَمْ تَمْنَعْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي." وَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فَرَأَى
 كَبْشًا اشْتَبَكَ بِقَرْنَيْهِ فِي شَجَرِ الْعَابَةِ. فَذَهَبَ وَأَخَذَهُ وَقَدَّمَهُ ضَحِيَّةً بَدَلَ ابْنِهِ. فَدَعَا
 إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ: اللَّهُ يُدَبِّرُ.^أ

هذه هي قصة فداء ابن إبراهيم، وهي بطريقة رمزية قوية تشير إلى فداء المسيح
 لنا. فكما أن الله تعالى قدم لإبراهيم كبشاً ليذبحه عوضاً عن ابنه، كذلك قدم لنا حمل
 الفداء عيسى المسيح حتى يكفر بموته عن ذنوبنا ومعاصينا.

تعال معي يا أخي نلاحظ بعض الأمور الهامة في هذه الحادثة:

تقديم الضحية كان يتطلب أن إبراهيم يذبح ابنه ثم يحرقه تماماً. ولهذا يقول
 الكتاب أن إبراهيم قطع حطبا "لإحراق الضحية." إلى هذا الحد كان امتحان إبراهيم
 صعباً. كان اختباراً قاسياً. كانت تجربة أليمة.

ذهب الأب وابنه وحدهما إلى نهاية الطريق. بقي الخادمان مع الحمار، ولم يعرفا
 شيئاً، ولم يريا شيئاً بشأن الفداء. ربما يُذكرنا هذا برجال الدين الذين قاوموا المسيح

ودبروا قتله. هل أدرك رؤساء الدين، ورجال السياسة ما كان يجري وراء الأحداث التي كانوا يظنون أنهم يتحكمون فيها؟ هل أدركوا أن الأب وابنه كانا يقومان بفداء البشرية بينما هم، القادة، كالخادمين والحمار لا يفهمون ولا يعرفون ما يحدث؟ وهنا يتجه تفكيرنا إلى أمر آخر. لو قام رؤساء الدين اليهود بإعدام عيسى، لنفذوا الإعدام وفقا لشريعتهم. وشريعتهم كانت تقضي بأن يتم الإعدام بالرجم. وهذا ما فعله الذين أعدموا اصطفان فيما بعد.^ب لكن عيسى تنبأ بأنه سيموت مصلوبا.^ت إن رؤساء الدين لم يدركوا في ذلك الوقت أنهم كانوا ينفذون نبوة عيسى على الرغم منهم ودون علم بما كانوا يعملونه، تماما كالخادمين والحمار في قصة فداء إسحاق. لقد رفضوا أن يقوموا بإعدامه وأخذوه إلى الحاكم الروماني، والإعدام عند الرومان كان بالصلب لا بالرجم!

قال إبراهيم للخادمين: "أذهب أنا والولد... لعبد الله ثم نرجع إليكما." أي كان عنده ثقة في الله أنه سيقم ابنه! ولهذا يقول الكتاب: "بِالْإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ، لَمَّا اخْتَبَرَهُ اللَّهُ، قَدَّمَ إِسْحَاقَ كَصَحِيَّةٍ. فَالَّذِي نَالَ الْوَعْدَ كَادَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ. مَعَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ قَدْ قَالَ لَهُ: 'عَنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ يَأْتِي نَسْلُكَ الَّذِي يَحْمِلُ اسْمَكَ.' فَاتَّكَلَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ الْمَيِّتَ. وَبِطَرِيقَةٍ رَمْزِيَّةٍ، فَعَمَلًا رَجَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ مِنَ الْمَوْتِ."^ث

الله هو الذي قدم الكبش لإبراهيم. وهو الذي، بعد ذلك بعدة قرون، قدم لنا الحمل لفدائنا. سأل إسحاق أباه: "مَعَنَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْحَمْلُ لِلصَّحِيَّةِ؟" أَجَابَهُ إِبْرَاهِيمُ: "اللَّهُ يَدَبِّرُ لِنَفْسِهِ الْحَمْلَ لِلصَّحِيَّةِ يَا ابْنِي."

سؤال إسحاق كان عن حمل: "أَيْنَ الْحَمْلُ لِلصَّحِيَّةِ؟" وجواب أبيه كان أيضا بشأن

^أ لا 24: 10-16

^ب أع 7: 57-58

^ت مت 20: 18-19؛ 26: 2

^ث عب 11: 17-19

حمل: "اللَّهُ يُدَبِّرُ لِنَفْسِهِ الْحَمْلَ لِلصَّحِيَّةِ يَا ابْنِي." ولكن ابراهيم وجد كبشا! والكبش ليس كالحمل، لكنه يؤدي الغرض الآن، لتقديم الضحية مؤقتا لفداء إسحاق. أما الحمل الحقيقي فلا بد أن ننتظر وصوله ما يقرب من 2000 سنة أخرى. الحمل الذي قدمه الله لفدائنا جميعا هو عيسى المسيح القدوس الصالح.

عن طريق النبوة

توجد في الوحي الكريم نبوات عديدة تتحدث عن موت المسيح. إن حاولنا أن نغطيها كلها، فإننا نملاً عدة مجلدات، لذلك نورد هنا مثالين فقط، واحدا من إشعيا النبي والآخر من يحيى بن زكريا⁵.

بسبب معاصينا... بسبب آثامنا

تحدث النبي إشعيا عن سيدنا المبارك عيسى المسيح فادينا ومنقذنا له الجلال والعبادة. وفي وصفه لصلبه وموته بالذات قال:

مَنْ آمَنَ بِرِسَالَتِنَا، وَلِمَنْ ظَهَرَتْ قُوَّةُ ذِرَاعِ اللَّهِ؟ نَمَّا (عيسى الفادي) قُدَّامَ اللَّهِ كَغُصْنٍ، وَكَجَذْرِ فِي أَرْضٍ يَابِسَةٍ. لَا جَمَالَ لَهُ وَلَا جَلَالَ يَلْفِتُ انْتِبَاهَنَا، لَا شَيْءَ فِي مَنَظَرِهِ يَجْذِبُنَا إِلَيْهِ. مُحْتَقَرٌ وَمَنْبُودٌ مِنَ النَّاسِ، حَزَنٌ كَثِيرٌ وَعَرَفَ الْأَلَمَ، احْتَقَرْنَاهُ وَلَمْ نَعْمَلْ لَهُ حِسَابًا، وَعَظَمْنَا عُيُونَنَا لِكَيْ لَا نَرَاهُ.

لَكِنَّهُ حَمَلَ أَمْرَاضَنَا وَتَحَمَّلَ أَحْزَانَنَا. وَنَحْنُ كُنَّا نَنْظُرُ أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَهُ وَأَذَلَّهُ عِقَابًا لَهُ. لَكِنَّهُ جَرَحَ بِسَبَبِ مَعَاصِينَا، سُحِقَ بِسَبَبِ آثَامِنَا، نَزَلَ عَلَيْهِ التَّأْدِيبُ لِتَحْصُلَ نَحْنُ عَلَى السَّلَامِ، وَبِجُرُوحِهِ شُفِينَا. كُنَّا ضَلَلْنَا كَغَنَمٍ، انْخَرَفْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَاللَّهُ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَنَا كُلَّنَا. ضَرَبُوهُ وَأَذَلُّوهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ. كَانَ كَحَمَلٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَشَاةٍ

صَامِتَةً بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ يَجْزُهَا، فَلَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ. حَكَمُوا عَلَيْهِ ظُلْمًا وَأَخَذُوهُ. وَمَنْ يَصِفُ مَا جَرَى لَهُ؟ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوهُ! نَالَ عِقَابَ مَعْصِيَةِ شَعْبِي. وَضَعَ فِي قَبْرِ مَعَ الْأَشْرَارِ، وَمَعَ الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ مَوْتِهِ. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ شَرًّا، وَلَمْ يَكْذِبْ أَبَدًا.

وَمَعَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ أَنْ يَسَحِّقَهُ بِالْأَلَمِ، فَجَعَلَ حَيَاتُهُ صَحِيَّةً لِلتَّكْفِيرِ عَنِ الذَّنْبِ. لِذَلِكَ يَرَى أَوْلَادَهُ، وَتَطُولُ أَيَّامُهُ، وَيَحَقِّقُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ مِنْهُ. وَبَعْدَ هَذَا الْعَذَابِ الَّذِي احْتَمَلَهُ، يَرَى نُورَ الْحَيَاةِ وَيَفْرَحُ. وَعَبْدِي الصَّالِحُ بِمَعْرِفَتِهِ يَجْعَلُ الْكَثِيرِينَ صَالِحِينَ، لِأَنَّهُ يَحْمِلُ آثَامَهُمْ. لِذَلِكَ أُعْطِيَهِ نَصِيبًا بَيْنَ الْعُظَمَاءِ، فَيَقْسِمُ غَنِيمَةً مَعَ الْأَقْوِيَاءِ، لِأَنَّهُ بَدَلَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ، وَحَسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ. حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ، وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ. أ

قال إشعيا هذا الكلام بوحى الله قبل مجيء المسيح بـ 700 سنة، وكأنه يرى الأحداث أمام عينيه! هل يمكن لإنسان أن يتنبأ بمثل هذه المعلومات المفصلة الدقيقة الصحيحة عن موت شخص سيأتي بعده بـ 700 سنة، إلا بروح الله القدير؟ مما يلفت انتباهنا هنا هو الاحتقار والذل الذي اختبره المسيح. إن الكلمات التي يصف بها النبي حالة المسيح يوم صلبه تُذيب القلب: لا جمال له ولا جلال، محتقر، منبوذ، حزن كثير، عرف الألم، احتقرناه، لم نعمل حسابا له، غطينا عيوننا لكي لا نراه، الله ضربه وأذله، جُرح، سُحق، نزل عليه التأديب، ضربوه، أذلوه، قتلوه... لماذا كل هذا الاحتقار والذل؟ الجواب ببساطة هو أنهم احتقروه لأنه جاء بطريقة لم يتوقعوها. كان من عائلة فقيرة. لم يكن على درجة عظيمة من التعليم العالي كالفلاسفة العظماء. لم يكن لديه جيش يقهر به العدو كما كان الناس يتوقعون. وأيضا احتقروه بسبب تعاليمه. ماذا قال لنا في تعاليمه؟ قال: هنيئا للمساكين في الروح، بينما العالم يقول: هنيئا لأصحاب المراكز العليا! قال: هنيئا للحزاني، والعالم يقول: هنيئا للفرحانين! قال: هنيئا للودعاء، والعالم يقول: هنيئا للعظماء! قال: أحبوا أعداءكم، وادعوا

بالخير للذين يضطهدونكم، بينما العالم يقول: اكره عدوك وحطمه وتخلص منه! أ
هذا هو الفادي الذي جُرح بسبب معاصينا نحن، لا معاصيه هو. فهو غير مذنب،
بل طاهر ومعصوم. هو الفادي الذي سُحق بسبب آثامنا نحن، لا آثامه هو. فهو غير
خاطئ. إنما "نَزَلَ عَلَيْهِ التَّائِدُ لِتَحْصُلَ نَحْنُ عَلَى السَّلَامِ، وَبِجُرُوحِهِ شُفِينَا."^ب
كما يقول إشعيا أيضا إن المسيح في أثناء محاكمته أمام القادة لم يفتح فمه، أي
لم يحتاج على الطريقة التي عاملوه بها ولم يدافع عن نفسه بسبب الظلم الذي أوقعوه
به.⁷ لماذا رضي الله أن يسحقه بالألم؟ لأن هذه هي الطريقة الوحيدة لفدائنا، لذلك بذل
للموت نفسه. أما البديل الآخر، فهو أننا كلنا نهلك في الجحيم إلى أبد الآبدين، كلنا
بلا استثناء. بسبب الخطيئة صار كل البشر كغنم ضالة، كخراف ضائعة تائهة، وبلا
راع. "كُنَّا ضَلَلْنَا كَغَنَمٍ، انْحَرَفْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَاللَّهُ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَنَا كُلًّا."^ت

حمل الفداء الذي أرسله الله⁸

بعد إبراهيم وإسحاق بقرون عديدة قال يحيى المغطس (يحيى بن زكريا) متحدثا
إلى بعض أتباعه ومشيرا إلى سيدنا عيسى المسيح: "انْظُرُوا! هَذَا هُوَ حَمَلُ الْفِدَاءِ الَّذِي
أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيَرْفَعَ خَطِيئَةَ النَّاسِ."^ث وكأن يحيى هنا يرد على سؤال إسحاق الرد الكامل
الشافى والنهائى. قال إسحاق لأبيه: "أين الحمل للضحية." ويحيى هنا يشير إلى عيسى
ويقول: "هذا هو الحمل!" هنا نجد أن الأب هو العاطي، والابن هو العطية.
يحيى وصف المسيح بأنه حمل الفداء. وفي كتاب الرؤيا الذي هو آخر جزء من
الإنجيل الشريف أشار الوحي الكريم إلى عيسى أيضا بأنه حمل الفداء 33 مرة. لماذا؟

^أ مت 5: 12-1

^ب إش 53: 5

^ت إش 53: 6

^ث يو 1: 29

لماذا يوصف عيسى في الكتاب الشريف بأنه حمل الفداء؟ ربما لم نكن نتوقع أن يُدعى عيسى حملاً. ربما يدهشنا هذا أو ربما لا نحب هذه التسمية. لو تُرك الأمر لنا كبشر لنختار كائناً ليكون رمزاً للمسيح، ربما كنا نختار كائناً يتميز بالقوة والسلطان. بريطانيا مثلاً اختارت الأسد ليكون رمزها، وروسيا اختارت الدب، وفرنسا النمر، والولايات المتحدة النسر. كل هذه كائنات مفترسة تتميز بالقوة. أما مملكة الله فاختارت لنفسها الحمل لوداعته وبرأته ولطفه وصبره!

أين وكيف ولد عيسى؟ يقول الإنجيل إن الملك في ذلك الوقت أصدر أمراً بعمل إحصاء في جميع أنحاء البلاد. وكان على كل واحد أن يذهب إلى بلده الأصلية ليُسجَل هناك. كانت مريم حبلت بعيسى وهي عذراء لم تتزوج بعد من يوسف خطيبها. كانت حبلت من الروح القدس أي روح الله تعالى.

حسب العادة في ذلك الوقت، كان الناس يسافرون في مجموعات ليحموا بعضهم بعضاً من قطاع الطرق ومن مخاطر السفر. أخذ يوسف خطيبته مريم في جمع وسافرا إلى قرية بيت لحم ليسجلا هناك في الإحصاء. وبينما هما في بيت لحم، جاء وقتها لتلد. فولدت عيسى ولفته في قطعة من القماش، وأنامته في معلف للبهائم، لأنه لم يكن لهما مكان في الفندق.

إذن ولد عيسى كحمل، ووضع في معلف للبهائم. اختار الله تعالى معلف للبهائم لولادة هذا الزائر الملكي العظيم، هذا الرسول الإلهي الكريم، عيسى المسيح ابن الله بالحق والمحبة! لو كنت أنا أعمل وقتها مديراً لهيئة فنادق بيت لحم (لو كان هناك شيء من هذا القبيل في ذلك الوقت)، لكنت اخترت أحسن غرفة في أعظم وأرقى فنادق المدينة لاستقبال عيسى وميلاده. لو كنت أعمل وقتها كرئيس تشريفات مجلس المدينة، لكنت اخترت أفخر قاعة في أفخم قصر موجود فيها لولادة عيسى، ولكن اتصلت بمجموعة من أحسن وأشهر أطباء الولادة ليكونوا تحت أمر هذه العائلة

لولادة صاحب الجلالة الذي جاء لينقذ الناس. ولو أعلموني مقدما عن ولادة عيسى، لكنت جهزت له هناك غرفة أطفال بها سريرٌ لهذا الوليد وفرشٌ وثير وأغطية دافئة مزينة، ولعب في الغرفة مع كل وسائل الراحة!

ولكن الله تعالى، جل جلاله، وعلا شأنه، وسمت قدرته وحكمته، هو الذي اختار وقرر سير الأمور والأحداث، وحدد الأماكن والأشخاص، لكي يولد هذا الملك العظيم. فالقدير الذي هو أعظم مني حكمة بما لا يقاس، وأعجب مني تدبيرا بما لا يقارن، اختار أكثر الأماكن تواضعا، لولادة ابنه القدير الجليل: معلفا للبهائم! فإن سألنا، لماذا؟ لماذا يولد ابن ملك الملوك، الغني المبارك في معلف للبهائم؟ كان الجواب هو، لأنه حمل الفداء، والحمل يولد في الحظيرة، وليس في قصر كما لو كان الأمر قد ترك لي! ولهذا أيضا، ظهر الملاك للرعاة في تلك الليلة، وأنبأهم بالخبر السعيد، بولادة المنقذ والمخلص المسيح ربنا. فذهب الرعاة بسرعة إلى بيت لحم، ووجدوا مريم ويوسف والطفل نائما في المعلف. أ عيسى ولد كحمل.

كما أن عيسى أيضا عاش كحمل. وعلى الرغم من قوته الإلهية المعجزية، وقدرته السماوية، تصرف وتكلم وعلم بوداعة وتواضع. ^ب لم يستل السيف ضد أحد. لم يسلب أحدا، ولم ينهب أملاك أحد، ولم يغتصب مال أحد. لم يعتد على أحد، ولم يتسبب في ضرر أحد. لم يمسح أعداءه إلى كلاب وقردة. لم يقتل عدوا. عاش كحمل وديع. ثم إن عيسى أيضا مات كحمل. كان علماء الدين اليهود يكرهونه وفي نفس الوقت يخافونه، بسبب أعماله العظيمة وأقواله الجريئة. وأخيرا قبضوا عليه وأخذوه للمحاكمة. ومع أنه لم يرتكب جريمة ولم يفعل إثما ولا شرا، لكنهم لفقوا له شهود زور يقولون إنه على وشك أن يهدم بيت الله أو يقوم بثورة ضد قيصر. رأى رئيس

^أ لو 2: 8-18

^ب مت 11: 29

المحكمة وهو نائب قيصر روما وحاكم البلاد، رأى بثاقب نظره وبخبرته في الحكم والقضاء، أن الشهادة مزورة فقال: "أَنَا لَا أَجِدُ فِي هَذَا الرَّجُلِ أَيَّ أَسَاسٍ لِلشَّكْوَى ضِدَّهُ." وطوال فترة المحاكمة، رفض عيسى أن يدافع عن نفسه، لأنه حمل الفداء. ولما كان معلقا على الصليب في عذاب وكانوا يشتمونه، لم يرد على شتائمهم، كحمل. وكما يقول الكتاب: "سَتَمُّهُ فَلَمْ يَرُدَّ بِالشَّتِيمَةِ، عَذَّبُوهُ فَلَمْ يَهْدُدْهُمْ، بَلْ سَلَّمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ."^ب

هذا هو الحمل الذي قدمه الله تعالى في حنانه ومحبته ورحمته، هذا هو حمل الله الذي يرفع خطيئة الناس! عيسى هو الأمل، هو الرجاء، هو يرفع عنك ذنبك ويملا قلبك بالسلام. آمن به وأسلم له، فترى ما يحدث لك من تغيير وتجديد وفرح وهدوء وطمانينة!

الحمل الذي هو الأسد!

يقول الوحي الكريم في كتاب الرؤيا إن يوحنا رأى واحدا جالسا على العرش في السماء وفي يده كتاب. وهنا قال أحد الملائكة: "مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَفُكَّ خُتُومَ الْكِتَابِ وَيَفْتَحَهُ؟" فلم يقدر أي واحد أن يفعل ذلك. فأخذ يوحنا يبكي بكاء شديدا. فقال له واحد من الشيوخ الذين رأهم في الرؤيا: "لَا تَبْكُ. لَأنَّ الْأَسَدَ الَّذِي مِنْ قَبِيلَةِ يَهُوذَا، سَلِيلَ دَاوُدَ، قَدْ غَلَبَ وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْتَحَ الْكِتَابَ وَخُتُومَهُ السَّبْعَةَ."

فلما التفت يوحنا لينظر إلى الأسد إذا به يجده حملا، فقال: "رَأَيْتُ حَمَلَ الْفِدَاءِ وَاقِفًا فِي وَسْطِ الْعَرْشِ... وَشَكْلُهُ كَأَنَّهُ دُبٌّ... فَتَقَدَّمَ وَأَخَذَ الْكِتَابَ... فَلَمَّا أَخَذَهُ، رَكَعَتْ الْكَائِنَاتُ الْأَرْبَعَةُ، وَرَكَعَ الشُّيُخُ الْأَرْبَعَةُ وَالْعَشْرُونَ قُدَّامَ حَمَلِ الْفِدَاءِ. وَكَانَ مَعَ كُلِّ

^أ لو 23: 4، 14

^ب 1 بط 2: 23

وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِيَارَةً... وَعَتْنَا أَعْنِيَّةً جَدِيدَةً." وبعد ذلك سمع يوحنا ترتيل الملايين من الملائكة تقول بصوت عال: "حَمَلِ الْفِدَاءِ الَّذِي دُبِحَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَنَالَ الْقُوَّةَ وَالثَّرْوَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْجَلَالَ وَالْحَمْدَ." فردت كل المخلوقات التي في السماء وعلى الأرض وفي البحر؛ كل المخلوقات في الكون كله وهتفت: "الْحَمْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالْجَلَالُ وَالْقُدْرَةُ لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، وَلِحَمَلِ الْفِدَاءِ، إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ."^أ

فهذا الحمل هو أيضا أسد! لماذا يدعوه الوحي أسدا؟ لأنه سيُنزل غضبه القاسي وعقابه الشديد على الأشرار والظالمين وعلى الكفار والآثمين وعلى كل من لم يؤمن به. هذا الأسد سيفترس ولا من ينقذ منه، سينتقم ولا من يخلص من يده. لذلك يقول كتاب الله أيضا في رؤيا يوحنا إنه بسبب رفض الناس إياه وتمردهم عليه، ستحل بهم مجاعات وأوبئة، وتنزل بهم مصائب وبلايا، وضيقات وشدائد، وعذاب وألم، وقتل وموت، وحروب وقلاقل واضطرابات وثورات لا مثيل لها من قبل:

تَزَلَزَلَتِ الْأَرْضُ، وَاسْوَدَّتِ الشَّمْسُ مِثْلَ الْحَبَشِ، وَاحْمَرَّتِ الْقَمَرُ كُلُّهُ مِثْلَ الدَّمِ. وَسَقَطَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا يَسْقُطُ التِّينُ عِنْدَمَا تَهْزُ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ شَجَرَةَ التِّينِ. وَطُوبِتِ السَّمَاءُ مِثْلَ لُقَافَةٍ وَانْفَلَعَتْ كُلُّ الْجِبَالِ وَالْجُزُرِ مِنْ مَوَاضِعِهَا. وَمَلُوكُ الْأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ، وَالْقَادَةُ وَالْأَغْنِيَاءُ وَالرُّعَمَاءُ، وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، اخْتَبَأُوا فِي الْمَعَارَاتِ وَبَيْنَ صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ، "أَسْقِطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ." لِأَنَّ يَوْمَ غَضَبِهِ الْعَظِيمِ قَدْ جَاءَ، وَمَنْ يَبْقَى أَمَامَهُ؟^ب

إذن هو اليوم حمل الفداء الوديع، الذي ينتظر بصبر لكي يرجع إليه التائب ويؤمن به ويتوكل عليه. أما فيما بعد، سيكون أسدا شديدا البأس وغضبه مخيفا مرعبا لا يُحتمل!

^أ رؤ 5: 2-13

^ب رؤ 6: 12-17

ثانيا

الصليب كما حدث

إلى الصليب

نحن الآن وصلنا إلى أخطر أسبوع في حياة المسيح على الأرض. هذا هو الوقت الذي من أجله ترك عرش السماء. هذا هو الهدف الذي من أجله جاء إلينا.

أعلن أنه سيموت ويقوم

أعلن المسيح في مناسبات عديدة أنه سيموت ثم يقوم. سنتحدث هنا عن مرتين من هذه.¹⁰

في بيت عنيا

وَقَبْلَ الْفُصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ، جَاءَ عِيسَى إِلَى بَيْتِ عَنِّيَا، حَيْثُ كَانَ يَسْكُنُ لِعَازَرُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْمَوْتِ. فَعَمِلُوا لَهُ عَشَاءً هُنَاكَ. وَكَانَتْ مَرْنًا تَحْدِثُ، وَكَانَ لِعَازَرُ أَحَدَ الْجَالِسِينَ مَعَهُ إِلَى الْمَائِدَةِ. فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ قَارُورَةَ عِطْرِ غَالِي الثَّمَنِ مِنَ التَّارِدِينَ النَّقِيِّ، وَذَهَنْتْ قَدَيْ عِيسَى، ثُمَّ مَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِهَا. فَامْتَلَأَتِ الدَّارُ مِنْ رَائِحَةِ الْعِطْرِ. فَقَالَ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ وَهُوَ يَهُوذَا الْقَرْبُوتِيُّ، الَّذِي خَانَهُ فِيمَا بَعْدُ: "لِمَذَا؟ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا الْعِطْرُ بِمَبْلَغٍ يُعَادِلُ مِائَتَيْ سَنَةٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ!" قَالَ هَذَا، لِأَنَّهُ كَانَ يَهْمُهُ الْفُقَرَاءُ، بَلْ لِأَنَّهُ لَصٌّ، وَكَانَ صُنْدُوقُ التَّقْوَدِ مَعَهُ فَكَانَ يَسْرِقُ مِمَّا يُوضَعُ فِيهِ. فَقَالَ عِيسَى: "اتْرُكُهَا، إِنَّهَا حَفِظْتُ هَذَا الْعِطْرَ لِلْيَوْمِ، يَوْمَ إِعْدَادِي لِلدَّفْنِ. الْفُقَرَاءُ عِنْدَكُمْ

دَائِمًا، أَمَّا أَنَا فَلَا أَبْقَى عِنْدَكُمْ دَائِمًا.^أ

رأت مريم أنه من المناسب أن تدهن المسيح بعطر ثمنه يعادل مرتب سنة، أما يهوذا الخائن فرأى أن ثلث هذا المبلغ، أي 30 عملة من الفضة كان يكفي لبيع به حياة سيده!

في متى ومرقس يقول الوحي الكريم إن مريم دهنت رأس المسيح بالعطر. ولكن في يوحنا دهنت قدميه. من هذا نفهم أنها بدأت برأسه، ثم أيضا دهنت قدميه. كان المؤلف هو أن يدهنوا قديمي الضيف الذي جاء من سفر. لكنها هنا دهنت رأسه أيضا. لماذا؟ حسب الكتاب، كانوا يدهنون رأس الحبر والنبي والملك بالزيت. وعيسى هو كل هؤلاء الثلاثة معا، فهو حبر ونبي وملك، بل رئيس الأخبار، وعظيم الأنبياء، وملك الملوك! بعد هذه الحادثة بأيام قليلة وقف عيسى أمام قيافا رئيس الأخبار، فسأله قيافا إن كان هو المسيح (الملك) ابن الله. ^ب أجابه عيسى: نعم. وهنا كان من واجب قيافا أن يعلن لبني إسرائيل أن هذا هو المسيح ابن الله، وأن يقوم بواجبه ويدهن رأس عيسى بالزيت. ولكن قيافا شق ثيابه بسبب رد عيسى واعتبره كافرا. لقد فشل رئيس الأخبار في القيام بواجبه ولم يدهن رأس المسيح.

ولما أخذوا عيسى إلى بيلاطس الحاكم، سأله بيلاطس إن كان هو الملك، فأجابه عيسى أيضا: نعم. ومرة أخرى فشل رئيس الأخبار بالقيام بواجبه ولم يدهنه. فمن قام بدهنه؟ امرأة! ومن أعلن لبني إسرائيل أن عيسى هو المسيح الملك؟ الحاكم الروماني حين قال: هذا هو ملككم! ومن أعلن أنه هو ابن الله؟ قائد الحرس الروماني حين قال: حقا كان هذا ابن الله. إذن امرأة ورجلان وثنيان قاموا بالعمل الذي كان من واجب رئيس الأخبار أن يقوم به!

^أ يو 12: 8-1 وكذلك مت 26: 6-13 ومر 14: 3-9

^ب مت 26: 63-64

كيف عرفت مريم أنه حان الوقت أن ينفذ المسيح كلامه الذي قاله من قبل في مناسبات عديدة؟ كيف عرفت أنه سيموت؟ كيف أحست في نفسها بذلك؟ كيف جاءها النور الساطع بهذه المعرفة بينما التلاميذ الاثنا عشر، وهم رجال أقوياء، وقادة، ونادوا بالبشرى، وعملوا المعجزات، لم يقبلوا هذه الفكرة، بل ورفضوا مجرد الانتباه إليها! هذا مع أن المسيح نفسه أعلن لهم مرارا وتكرارا أنه سيموت ويدفن وفي اليوم الثالث يقوم حيا.

والجواب هو: بروحها الحساسة، ونفسها القريبة من قلب المسيح، وقلبها الذي فيه نور إلهي من السماء. كانت تحب أن تجلس عند قدمي المسيح وتصغي إلى أقواله، وتحصل على لمسة من نفسه الطاهرة النقية. سمعت كلامه. انتهت إلى تعليمه. كانت نفسها تتشرب ما يقول. كانت أسرع من غيرها لقبول كلامه. فأحست في داخل نفسها بأمور لم يحس بها غيرها. أدركت أن عيسى سيموت. أدركت في أعماقها ما قاله في أكثر من مناسبة. صدّقت أنه سيموت لأنه قال إنه سيموت. فهمت ما لم يفهمه الآخرون. آمنت بما لم يؤمن به التلاميذ. شعرت بما لم يشعروا هم به، وتأكدت من أمور لم يعرفوها، فأعلنت ما آمنت به... دهنته بالعطر لكي تكفنه! كان عملها هذا الذي قامت به يدل على مزيج من الإيمان والحزن والولاء. لقد أظهرت إيمانها وحزنها وولاءها بعمل كريم بالغ السخاء. ويبدو أنها فهمت أنه ربما تكون هذه آخر فرصة لها لتقوم نحوه بهذا الواجب، لتكرمه وتظهر عرفانها بالجميل نحوه.

قلنا إن عيسى هو حبر ونبي وملك. ولكن مريم دهنته لسبب أهم من كل هذه الأسباب، إنها أدركت أنه سيموت. إنها مسحته بالزيت من أجل أخطر مهمة في تاريخ البشر ألا وهي موته لفدائنا.

لقد قامت بعمل جليل كريم، وفي الوقت المناسب. ربما كان يبدو للآخرين أن الوقت غير مناسب، لأن التكفين يكون بعد الموت. لكن من مجرى الأمور ظهر أن

توقيتها كان فعلا أنسب وأفضل من توقيت غيرها. لأنه لما جاءت 4 نساء فيما بعد ومعهن عطور التكفين كانت الفرصة قد راحت، والسيد غير موجود في القبر، لأنه قام! كان القبر فارغا والميت قد خرج منه!

إن عملا بسيطا أقدمه لأخي وهو حي، أفضل من خطبة رائعة أقدمها في جنازته. وإن وردة واحدة أقدمها لأختي وهي حية، أحسن بكثير من باقات من زهور كثيرة أضعها على قبرها!

ومع أن عيسى في حديثه كان يُدافع عن مريم وعما قامت به من عمل جليل، لكنه في نفس الوقت أعلن عن موته حين قال:

1. اليوم هو يوم إعدادي للدفن.

2. أنا لا أبقى عندكم دائما.

في الطريق إلى القدس

في يوم الأحد السابق للصلب، اتجه المسيح وتلاميذه من بيت عنيا إلى القدس. وفي الطريق، قال لهم: "انْتَبَهُوا! نَحْنُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْقُدُسِ، وَسَيَتَحَقَّقُ كُلُّ مَا كَتَبَهُ الْأَنْبِيَاءُ عَنِ الَّذِي صَارَ بَشَرًا، أَنَّهُ سَيُسَلَّمُ إِلَى الْأَجَانِبِ، فَيَهْرَأُونَ بِهِ وَيَسْتَمُونَهُ وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ، وَلَكِنَّهُ يَقُومُ حَيًّا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. أَمَّا التَّلَامِيذُ فَلَمْ يَفْهَمُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ غَامِضًا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَاهُ".

ويقول الوحي أيضا إنهم في أثناء سيرهم كان: "التَّلَامِيذُ مُتَحَيِّرِينَ، وَالنَّاسُ الَّذِينَ تَبِعُوهُ كَانُوا خَائِفِينَ".^ب

نَحْنُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْقُدُسِ. هنا تصميم أكيد وعزم ثابت. إنه جاء لهذه المهمة.

لهذا القصد، ولهذه الساعة، كما أشار الإنجيل إلى ذلك من قبل حين قال: "لَمَّا حَانَ وَقْتُهِ لِيُرْفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، خَرَجَ مُصَمِّمًا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْقُدُسِ".^أ

سَيَتَحَقَّقُ كُلُّ مَا كَتَبَهُ الْأَنْبِيَاءُ. هذا يؤكد صدق كلام الله. كل الكلام الذي أوحى به الله إلى الأنبياء الصالحين سوف يتحقق. لن تقع كلمة واحدة على الأرض. سَيُسَلَّمُ إِلَى الْأَجَانِبِ، فَيَهْرَأُونَ بِهِ وَيَشْتُمُونَهُ وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ. عرف عيسى هذا، ومع ذلك ذهب بإرادته إلى مدينة القدس. كان يعرف أنهم سيقبضون عليه ويصلبونه هناك.

يَقْتُلُونَهُ: كان يعرف كل التفاصيل. مَنْ مِنَ الْبَشَرِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْرِفَ مَوْعِدَ وَتَفَاصِيلَ مَوْتِهِ؟ هل تعرف أنت متى ستموت؟ هل يمكنك أن تعرف كيف ستموت؟ وبأي وسيلة وفي أي ظروف؟ أما المسيح فعرف كل هذه التفاصيل. كيف؟ بقدرة الإلهية ولأنه جاء لهذا القصد.

أَمَّا التَّلَامِيذُ فَلَمْ يَفْهَمُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ غَامِضًا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَاهُ. إن قلنا هذا الكلام لطفل صغير، فإني لا أشك أنه سيفهم معناه. أما هؤلاء الرجال، فلم يعرفوا معنى هذا الكلام. أعتقد لأنهم لم يريدوا أن يفهموه. لم يريدوا أن يصدقوا أن سيدهم سيموت. عيسى نبي طيب صالح، فكيف يموت من أجل ذنوب لم يرتكبها؟ هل أنت مثل هؤلاء التلاميذ؟ هل مهما تحدثت معك تظل لا تفهم معنى الصليب؟ هل تظل ترفض حقيقة الصليب؟ للأسف هناك كثيرون لا يفهمون حقيقة الصليب لأنهم لا يريدون أن يفهموا. لذلك أدعوك أن تفتح قلبك يا أخي. كفاك عنادا! كفاك قساوة قلب وعقلية مغلقة لا تقبل إلا ما ورثته من الآخرين. افتح قلبك. افتح ذهنك. فيملاً حياتك النور والدفء والحب والسلام والفرح.

كان "التَّلَامِيذُ مُتَحَيِّرِينَ، وَالتَّاسُ... خَائِفِينَ." بما أنه أعلن لهم أنه سيموت في

القدس، فلماذا هو ذاهب إليها؟ هذا أمر محير ومخيف! وإن كان حقا سيُصلب، فهذا شيء خطير. وباعتبار من هو الذي سيُصلب، عيسى ابن الله العزيز، فهذا حقا أمر محير ومزعج ومخيف!

دخول القدس

وَلَمَّا افْتَرَبَ مِنْ بَيْتِ فَجَّ وَبَيَّتْ عَنِيَا عِنْدَ الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِ جَبَلِ الزَيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمَا: "إِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، وَعِنْدَمَا تَدْخُلَانِيهَا، تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَرْكَبْهُ أَحَدٌ أَبَدًا، جَلَاهُ وَأَحْضَرَاهُ إِلَى هُنَا. فَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَحِلَّانِيهِ؟ فَقُولَا لَهُ: السَّيِّدُ مُحْتَاجٌ لَهُ." فَذَهَبَ الْمُرْسَلَانِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا تَمَامًا. وَبَيْنَمَا هُمَا يَحِلَّانِ الْجَحْشَ، قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ: "لِمَاذَا تَحِلَّانِ الْجَحْشَ؟" فَقَالَا: "السَّيِّدُ مُحْتَاجٌ لَهُ." فَأَحْضَرَاهُ إِلَى عَيْسَى، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَيْهِ، وَأَرْكَبَا عَيْسَى عَلَيْهِ. وَفَرَشَ جُمُهورٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَكَانَ النَّاسُ الَّذِينَ أَمَامَهُ وَالَّذِينَ وَرَاءَهُ يَهْتَفُونَ: "الْجَلَالُ لَابْنِ دَاوُدَ! تَبَارَكَ الْآتِي بِاسْمِ اللَّهِ. الْجَلَالُ فِي الْأَعَالِي!" وَلَمَّا دَخَلَ الْقُدْسُ، هَاجَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا وَقَالَتْ: "مَنْ هَذَا؟" فَأَجَابَتِ الْجُمَاهِيرُ: "هَذَا هُوَ النَّبِيُّ عَيْسَى الَّذِي مِنَ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ بِالْجَلِيلِ." ^ب

الجحش. من كان صاحب الجحش؟ لا نعلم. ولا نعرف اسمه. ولماذا سمح للتلميذين بأن يأخذه لمجرد قولهما: "السيد محتاج له؟" لا نعلم. يبدو أن ذلك الرجل كان يعرف عيسى. وربما كان هذا باتفاق بين المسيح وصاحب الجحش. ربما كان من أتباع عيسى وكان يعتبر أن كل ما يملكه هو في الحقيقة في خدمة المسيح. عيسى هو

^أ لو 19: 29-35

^ب مت 21: 8-11

صاحب الكل بما في ذلك صاحب الجحش نفسه. وبمجرد أن قال التلميذان: "السيد محتاج له"، انتهى الأمر. لا تردد، ولا أسئلة أخرى مثل: "متى سيرجعه؟" أو: "هل سترجعانه إلى هنا؟" أو: "أي رهن تتركان لي لأضمن أن الجحش سيرجع إليّ؟" لا شيء من هذا.

هذا ليس أمرا تافها أو بلا قيمة. كان المسيح يحتاج إلى الجحش في ذلك الوقت بالذات. والرجل قدم ما عنده لخدمة المسيح. وأنت يا ترى ماذا أعطيت لخدمة المسيح سيدك وفاديك وربك؟ أم أنك تبذل الهدايا والمواهب التي أعطاه لك؟ ما هو الجحش الذي عندك والذي يجب أن تقدمه لخدمة المسيح؟ لقد أعطاك الله الكثير، فهل تستخدم ما أعطاه الله لك في خدمته؟ وما هو موقفك ومشاعرك وأفكارك بشأن خدمته؟

لقد استعار المسيح أشياء كثيرة من الناس. أكثر من مرة استعار قاربا، وهنا استعار حمارا، ولما مات دفنوه في قبر يملكه واحد آخر. حتى الصليب الذي مات عليه، لم يكن له هو أصلا، بل كان صليبي أنا وصليبي أنت. وتاج الشوك الذي غرسوه في جبينه، كان حقا أجرتي أنا وأجرتك أنت لشربنا وفسادنا. ولكنه لبسه عنا وبدلا منا. ثم لاحظ القيمة الثمينة التي وصل إليها هذا الجحش. لقد كان أداة مهمة لحمل المسيح في سفره إلى القدس ليقوم بأخطر مأمورية: فداء البشر. وبذلك أيضا أصبح جزءا مهما في تحقيق النبوة التي جاءت قبل ذلك بمئات السنين. لقد أوحى الله تعالى للنبي زكريا بقوله: "افْرَحُوا جَدًّا يَا أَهْلَ الْقُدُسِ، اِهْتَفُوا يَا شَعْبَ الْقُدُسِ! هَذَا مَلِكُكُمْ يَأْتِي إِلَيْكُمْ صَالِحًا وَمَنْصُورًا، وَدَيْعًا وَرَاكِبًا عَلَى حِمَارَةٍ وَجَحْشٍ ابْنِ دَابَّةٍ."^ب الآن تحققت هذه النبوة. لقد جاء ملك العالمين الغني القدير متواضعا يركب، لا في

مركبة مذهبة تجرها أحسن الحيايد، ولا حتى على حصان، بل على حمارة. يا له من تواضع وتنازل! يا لها من وداعة!

لما اقترب من المدينة التف حوله الناس وساروا في موكب غفير. تُرى ماذا كان يجول بخاطرهم؟ هل يمكنك أن تتخيل أو تتصور ما كان في قلب هذا الفادي المحب من مشاعر وعواطف وهو في طريقه إلى الصليب ليموت عن البشر؟

فرش كثير من الناس ثيابهم في الطريق، وآخرون فرشوا أغصان شجر، وذلك للترحيب به وإكرامه. وأخذوا يلوحون بأغصان الزيتون وسعف النخيل في أيديهم، والهتاف يتصاعد من أفواههم وحناجرهم: "الْجَلالُ لَابِنْ دَاوُدَ! تَبَارَكَ الْآتِي بِاسْمِ اللَّهِ. الْجَلالُ فِي الْأَعَالِي!" وهنا لأول مرة يقبل عيسى أن يحتفي به أتباعه والمعجبون به بهذه الطريقة. في الماضي كان يرفض. ولكن خدمته الآن وصلت إلى نهايتها، والصليب اقترب ولاح، ولذلك فهو على استعداد لأن يعلن أنه الملك الآتي باسم المولى القدير، ويسمح لهم بأن يعلنوا ذلك جهاراً، وأيضاً يقبل هذا التكريم منهم!

لاحظ معي أن أتباع عيسى لم يفرضوا على هؤلاء الناس أن يحضروا جماعات تملأ السيارات والحافلات والشاحنات كما يفعل بعض القادة اليوم، لكي يهتف الناس لهم. لا! بل جاء هؤلاء طوعاً بإرادتهم الحرة. سمعوا أنه قادم إلى القدس فقرروا أن يستقبلوه بحفاوة ويرحبوا به بإكرام.

لكن كل هذه الشعبية التي كان يتمتع بها، والمعجزات التي كان يعملها، والتعاليم التي كان يلقاها، جعلت فئة معينة من أهل بلاده يضمرّون له العدا والكراهية. نعم، إن شعبيته الجارفة، وقوته التي كانت بلا سيف ولا حرب، جعلت رؤساء الدين يكرهون عيسى كراهية مطلقة، فأخذوا يدبرون طريقة ليقضوا بها عليه ويتخلصوا منه. ومع أنه كان يعرف أنهم يدبرون ذلك ضده، جاء إلى القدس لا

سرا تحت ستار الليل، بل علنا وفي وضح النهار!

هنا تغيرت علاقة عيسى بمدينة القدس. في الماضي كان يأتي إليها كعابد، ولكن هذه المرة يدخلها باعتبار أنه هو مركز العبادة وهدفها! سابقا كان يأتي إليها كواحد من الرعية، أما هذه المرة فهو يدخل كملك، بل وكمملك منتصر. الملك الآن يدخل إلى عاصمته. هذا هو الوارث الشرعي لعرش داود، وهناك سيضعونه على عرشه! فماذا كان عرشه؟ الصليب!

أعلن الأنبياء أن المولى سيعود إلى القدس.^أ كان قد تركها لفسادها وبُعدها عن عبادة القدير ومحافته.^ب ولذلك حلت بها اللعنة وملأها العار. والآن جاء المسيح، لا ليعلن ما أعلنه الأنبياء من لعنة، بل ليتمم النبوة عن رجوع القدير إلى مدينته. الآن المولى يأتي إلى القدس، ليفديها، ليطهرها، لا كمدينة ومبانٍ، بل كشعب ونفوس خالدة. وعد الله بواسطة عبيده الأنبياء، والآن ينفذ وعده بواسطة عيسى ابنه.

لما اقتربوا من القدس ورآها، بكى حسرة عليها لأنها لم تعلم ولم تفهم أن الله نفسه جاءها في عيسى لمعونتها وعزائها. لقد رفضوه. ونتيجة لهذا الرفض، سيلاقي أهلها الخراب والعذاب والهلاك. ترى ماذا ظن الجمهور حين رأوه يبكي؟ إن شر أهلها أحزنه حزنا شديدا، ولأنه يعلم بالعقاب الذي سيحل بهم على هذا الشر، تأثر قلبه الرقيق فبكى¹¹.

يطرد التجار من بيت الله

ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى الْقُدْسِ، وَذَهَبَ عَيْسَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَأَخَذَ يَطْرُدُ الَّذِينَ يَبِيعُونَ وَكَشْتَرُونَ هُنَاكَ. وَقَلَبَ مَنَاضِدَ الصَّيَارِفِ وَمَقَاعِدَ تُجَّارِ الْحَمَامِ، وَلَمْ يَسْمَحْ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَمُرَّ فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَحْمِلُ مَتَاعًا. وَعَلَّمَهُمْ وَقَالَ: "يَقُولُ كِتَابُ اللَّهِ: بَيْتِي يُدْعَى

^أ إش 52: 8؛ 59: 20

^ب إش 59: 13

^ت لو 19: 41-44

بَيَّتَ الصَّلَاةَ لِكُلِّ الشُّعُوبِ، لَكِنْ أَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَعَارَةً لُّصُوصٍ.^أ

يتحدث الوحي بالنبوة في كتب الأولين عن دخول المسيح إلى القدس يوم الأحد الذي سبق صلبه، ويقول للناس: "إِبْدَأُوا الْمُوكِبَ وَالْأَغْصَانُ فِي أَيْدِيكُمْ، حَتَّى تَصِلُوا إِلَى مَنْصَةِ الْقُرْبَانِ".^ب فأين هي منصة القربان التي انتهت عندها موكب المسيح؟ الصليب!¹² صحيح، في يوم الأحد وصل الموكب إلى بيت الله، ولكن كانت هذه "محطة" قصيرة لأن الموكب أكمل مسيرته يوم الجمعة حتى انتهت عند الصليب. الصليب هو منصة القربان، وابن الله الطاهر كان الضحية التي قدمت على تلك المنصة!

هنا يجب أن نفهم أمرين:

أولاً، قام عيسى بطرد التجار من بيت الله مرتين، المرة الأولى في بدء خدمته^ت وهذه هي المرة الثانية وذلك قبل موته بأيام قليلة.

ثانياً، عمل عيسى هذا في مكان معين في بيت الله اسمه "دار الأمم" أو "دار الشعوب". كانت هذه الدار مخصصة لأي شخص من غير بني إسرائيل، لكي يعبد الله فيها. كانت مكاناً كبيراً متسعاً. وكان لها نظام معين وقواعد لدخولها واستعمالها، فمثلاً أي واحد بأقدام قدرة متربة كان يُمنع من دخولها. وكذلك ممنوع استعمالها كطريق عمومي للمرور، أو كمكان يرقد فيه المرضى. كان المقصود منها أن تكون جزءاً من بيت الله خاصاً بالأمم غير اليهود. لكن اعتاد اليهود من تجار وصيارف وغيرهم أن يحتلوا ذلك المكان قبل عيد الفصح بثلاثة أسابيع، للتجارة والمعاملات المالية، وذلك تحت حماية رؤساء الأخبار، حيث كان يعود ذلك عليهم بدخل كبير. فكانوا هناك يبيعون البقر والغنم والحمام، ويصرفون العملات وكأنه سوق!

^أ مر 11: 15-17

^ب مز 118: 27

^ت يو 2: 14-16

أي كانت دار الأمم هي المكان الوحيد في بيت الله الذي يُسمح لغير اليهود أن يدخلوه، ليعبدوا الله فيه، ولكن حتى هذا المكان احتله التجار. لم يقبل عيسى هذا الوضع فطرد التجار من بيت الله مع غنمهم وبقرهم، وبعثر نقود الصيارف وقلب مناضدهم. وبذلك أعاد دار الأمم لتكون مكانا للعبادة بأن طرد منها اليهود الذين حولوها إلى سوق!

كان بيت الله هو عاصمة ملك العالمين، مكان عبادته. لذلك لما جاء عيسى إلى القدس، لم يتجه الموكب الملكي إلى قصر هيرودس، أو إلى الدار الإمبراطورية التي كان يحتلها بيلاطس الحاكم، بل سار حتى وصل إلى بيت الله. لقد جاء المولى إلى بيته. وأول شيء عمله هو أنه نظف ذلك البيت ونقاه من اغتصاب اليهود وغشاوتهم وظلمهم للأمم. كانت جريمتهم هي أنهم لم يعملوا حساب الآخرين، فاحتلوا المكان الذي كان غير اليهود يعبدون الله فيه. اليهود جعلوا بيت الله مغارة لصوص.

بعدما طرد عيسى الناس الذين حرموا غيرهم من العبادة في بيت الله، علّم الناس وقال لهم: "يَقُولُ كِتَابُ اللَّهِ: 'بَيْتِي يُدْعَى بَيْتَ الصَّلَاةِ لِكُلِّ الشُّعُوبِ، لَكِنْ أَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ'."^أ

لكل الشعوب! إذن ما عمله عيسى هنا، لم يكن في الحقيقة تحسينا للعبادة الروحية في بيت الله، ولا تغييرا في نظام تقديم القرابين والضحايا، بل كان الهدف منه هو إرجاع المكان الذي كان مخصصا لغير اليهود ليتحقق القصد منه، أي لكي يأتي إليه الذين ينتمون للشعوب الأخرى ويعبدوا الله فيه.

بعد هذه الحادثة بسنين قليلة، وفي إجتماع عُقِد في القدس بشأن إيمان هذه الشعوب بالمسيح، اقتبس يعقوب من كتاب النبي عاموس كلام الله الذي قال: "سَأَرْجِعُ وَأَبْنِي خِيَمَةَ دَاوُدَ الْمُنْهَدِمَةَ، أَبْنِي أَنْقَاصَهَا وَأُقِيمُهَا. فَيَطْلُبُ بَاقِي الْبَشَرِ الْمَوْلَى، وَأَيْضًا

كُلُّ الشُّعُوبِ الَّتِي تَنْتَمِي لِي.^أ فالفكرة هنا هي أن الله قصد أن يأتي إليه آخرون من غير بني إسرائيل ليؤمنوا به ويتمتعوا بنعمته وفدائه ورحبه.

لقد تراخى بنو إسرائيل في تحقيق هدف الله من وجودهم، وهذا يدعو للحزن عليهم والأسى لأنهم لم يُنفذوا مشيئة الله في اختيارهم ودعوتهم. لقد نسوا أن الله دعاهم ليكونوا نورا للأمم، ليكونوا حبرا للشعوب. لقد أهملوا مسئوليتهم وفشلوا فشلا ذريعا في توصيل معرفة الله لمن لم يعرفوه. لا شك، كان هذا سببا هاما لتفاعل المسيح بمجده وقسوة تجاه المتدينين الغارقين في تحسين مظهرهم الخارجي بينما قلوبهم عديمة الرحمة نحو الآخرين الذين في طريق الهلاك بلا معرفة الله.

ثم إن ما عمله المسيح كان يعتمد على سلطانه باعتبار أنه الله جاء كبشر. لأنه بأي حق يطرد الباعة والتجار؟ باعتبار أنه صاحب البيت. وهذا أيضا يبين أن عهد الله لكل البشر يفوق كل الحواجز البشرية والجنسية بين مختلف الناس، وعيسى بعمله هذا يؤكد للجميع أن الكل في نظره سواء.

والآن، وقد أرجع عيسى للشعوب مكانهم لعبادة الله، حان الوقت أن يحطم الحائط الذي يفصل بين اليهود وغير اليهود. فالإيمان بالمسيح يعني الحياة الجديدة، والوحدة والرابطة والشركة والسلام.^ب كان اليهود الذين التفوا حول المسيح ليستمعوا إليه يتوقعون أن ينادي بأن إسرائيل ستنتصر على أمم العالم، ولكن المسيح لم يقل هذا الكلام أبدا! بل نادى بمجيء مملكة الله في حياة الناس وإلى كل الشعوب. وفي نفس الوقت حاول أن يفهم بني إسرائيل أن الله لا يتحيز مع شعب ضد شعب فشهد سيدنا المسيح شهادة عظيمة لرجل روماني آمن به حين قال: "أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ، لَمْ أَجِدْ وَاحِدًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَهُ مِثْلُ هَذَا الْإِيمَانِ. أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِن"

^أ أع 15: 16-17؛ عا 9: 11

^ب أف 2: 14

الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَيَجْلِسُونَ إِلَى الْمَائِدَةِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ. أَمَّا مَنْ لَهُمُ الْمَمْلَكَةُ فَيُطْرَحُونَ خَارِجًا فِي الظَّلَامِ، هُنَاكَ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْتَانَ.^أ كما شهد عيسى لامرأة ليست من بني إسرائيل بأن إيمانها عظيم.^ب ثم اهتم بامرأة سامرية تعيسة ليقدم لها رسالة الأمل والحياة.^ث كما أنه ذات مرة شفى 10 رجال من البرص، تسعة منهم كانوا يهودا والعاشر سامريا. فرجع السامري ليشكر عيسى لأنه شفاه. وهنا مدح عيسى هذا الأجنبي وتعجب من أن التسعة اليهود لم يكن لديهم ما عند هذا الغريب من عرفان بالجميل.^ث

إن المسيح ليس لشعب دون آخر، ولا لأمة دون أخرى. بل عن طريق فدائه، الذين كانوا بعيدين أصبحوا قريبين، وأيضا "بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ نَحْنُ جَمِيعًا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَى أَبِي بِرُوحٍ وَاحِدٍ".^ج

لذلك لا غرابة في رد المسيح على اندراوس وفيليب عندما جاء بعض الأجانب وعبروا عن شوقهم ورغبتهم أن يروا عيسى ويتحدثوا إليه. قال المسيح في رده إن طلبهم دليل واضح على أن إرساليته في الأرض قد بلغت هدفا ساميا، لأنه حتى الغرباء قد جاءوا يطلبونه! ولذلك فقد حان الوقت لجذبهم إلى الله بعملية الفداء على الصليب: "جَاءَتِ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا يَتَمَجَّدُ الَّذِي صَارَ بَشَرًا... إِنْ كَانَتْ حَبَّةُ الْقَمْحِ لَا تَقَعُ فِي الْأَرْضِ وَتَمُوتُ، فَإِنَّهَا تَبْقَى حَبَّةً وَاحِدَةً، أَمَّا إِنْ مَاتَتْ فَإِنَّهَا تُنْتِجُ حَبًّا كَثِيرًا".^د هذا إذن هو السبب أن عيسى طرد التجار من بيت الله، ليكون بيت الصلاة

لكل الشعوب!

^أ مت 8: 10-12

^ب مت 15: 28

^ث يو 4

^ث لو 17: 11-19

^ج أف 2: 13، 18

^د يو 12: 23-24

تحذير خطير

في يوم الاثنين بعد دخوله الانتصاري إلى القدس، خرج عيسى من بيت عنيا. وفي الطريق أحس بالجوع.

فَرَأَى مِنْ بَعِيدٍ شَجَرَةً تَيْنٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا بَعْضَ التَّيْنِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ فِيهَا إِلَّا الْوَرَقَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْسَمُ التَّيْنِ. فَقَالَ لَهَا: "لَنْ يَأْكُلَ أَحَدٌ ثَمَرًا مِنْكَ أَبَدًا." وَسَمِعَ تَلَامِيذُهُ هَذَا الْكَلَامَ.

أليس من الغريب أن عيسى ذهب إلى الشجرة ليجد فيها بعض الثمر، مع أنه لم يكن موسم التين؟ لماذا ذهب؟ ما القصد من القصة؟ نحن نعرف وداعة المسيح وهدوؤه وتواضعه، فهو ليس الشخص المتغطرس الذي يُصْرُّ على ما يوفر راحته. لا! فلماذا إذن يتوقع التين في غير موسمه؟ يبدو أنه بهذا التوبيخ كان يتحدث إلى واحد من تلاميذه على وشك الوقوع في هوة سحيقة خطيرة وينحدر إلى الهلاك الأبدي! نعم، يبدو أن عيسى في حديثه إلى شجرة التين كان حقا يتحدث إلى يهوذا. إن عيسى أعطى يهوذا عدة فرص لكي يتوب ويشمر ثمار التوبة، ولكن يهوذا ضيع فرصة بعد فرصة. اختار يهوذا لنفسه الهلاك، وأنهى حياته بالانتحار!

احتفل بالفصح

وَلَمَّا حَانَتِ السَّاعَةُ، جَلَسَ عِيسَى وَرُسُلُهُ إِلَى الْمَائِدَةِ. وَقَالَ لَهُمْ: "اِسْتَقْتُمْ مِنْ قَلْبِي أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ. لَأَنِّي أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنِّي لَنْ أَكُلَ مِنْهُ مَرَّةً أُخْرَى، حَتَّى يَتَحَقَّقَ مَعْنَاهُ الْمَقْصُودُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ..." وَأَخَذَ... خُبْزًا وَشَكَرَ اللَّهَ وَقَسَّمَ

أمر 11: 13-14 وأيضاً مت 21: 18-20

ب مت 21: 18-20؛ 26: 24؛ مر 11: 13-14؛ 14: 21؛ لو 22: 22

ت يو 17: 12

وَأَعْطَاهُمْ، وَقَالَ: "هَذَا هُوَ جِسْمِي الَّذِي يُعْطَى مِنْ أَجْلِكُمْ. اِعْمَلُوا هَذَا تَذْكَارًا لِي".
وَبِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، أَخَذَ الْكَأْسَ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَقَالَ: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ،
يَعْمَلُهُ اللَّهُ مَعَكُمْ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِكُمْ".^أ

في الليلة السابقة للصلب، تناول المسيح مع أصحابه عشاء عيد الفصح. كان ذلك يتكون من حمل الفصح المشوي مع فطير وشراب. وبعد ذلك قدم لهم خبزا وقال: "هَذَا هُوَ جِسْمِي". ثم قدم لهم كأس شراب وقال: "هَذَا هُوَ دَمِي". كان الوقت قد حان ليموت الفادي الكريم نيابة عن البشر. لذلك قصد أن يؤسس فريضة مباركة للاحتفال بموته، هي فريضة عشاء السيد المسيح. إذن أكلوا عشاء الفصح أولا، ثم بعد ذلك عشاء السيد المسيح. نتأمل الآن في هذين العشاءين.

جمع عيسى أتباعه الأقربين ليتناولوا عشاء الفصح معا لآخر مرة. هذا العيد هو للاحتفال بذكرى خروج بني إسرائيل من مصر، ونجاتهم من سيطرة فرعون، وتحريرهم من الذل والعبودية. هنا يتذكرون أن الله هو فادي شعبه، وهو الغالب المنتصر على فرعون وجيوشه، فهو الملك الحق والسيد الوحيد. وفي نفس الوقت كان الفصح رمزا لحقيقة أشمل وأكمل. كان رمزا لفداء الله للناس من الخطيئة، وليس من مصر؛ من عبودية الشيطان لا من عبودية فرعون؛ لفداء كل الناس من كل أمة وشعب، من كل دين وطائفة! إذن كان الفصح يرمز إلى الصليب.

تمّ احتفال تلك الليلة لأن الساعة حانت ليموت الفادي المبارك على الصليب. الظلال القائمة تسود الجو. جاءت اللحظة التي فيها هذا الطاهر القدوس يحمل ذنوب البشر. أي الذي بلا ذنب، يُعتبرُ مذنبًا. حان الوقت الذي فيه، وبسبب حمل ذنوبنا، ينفصل عن الأب. لا شك أنه كان وقتا مخيفا رهيبا! كانت ساعات مشحونة بالمشاعر والتوقعات التي تقبض النفس! كانوا يحتفلون بالعيد، عيد الفصح، وهذا

ما يدعو للسرور والفرح والبهجة. ولكن في داخل نفسه كان قلبه يعتصر بالألم. قال أحد الكتّاب: "من الواضح أنهم يُعَيِّدون معا وهو سيعاني الحزن في البستان وحده. هم يأكلون ويشربون كأس الفرح معا، وهو بعد ساعات قليلة سيشرّب وحده كأس العقاب والموت من أجلهم. هم الآن في فرح معا، وهو بعد فترة وجيزة سيكون في ألم وحده. لا أحد يقدر أن يحمل ذنوبهم غيره. لا أحد يقدر أن يكفر عن معصيتهم غيره. وليس عن ذنوبهم ومعاصيهم هم فقط بل عن كل الناس، عن كل العالم. هم يُعَيِّدون وهو في الداخل يتألم. هم يفرحون وهو في الداخل يحزن. هم سيحيون لأنه سيموت من أجلهم!"¹⁴ ومن الواضح أيضا أنهم في ذلك الوقت لم يعرفوا ولم يفهموا كل هذا. يا له من أمر غريب يثير الدهشة والعجب! إنها محبة بلا حدود، إنها رحمة لا توصف!

تخيل معي جماعة تحتفل بعيد. لا شك أنهم يستحمون ويتنظفون ويتعطرون ويلبسون أجمل ما عندهم من ملابس. ولكن تأمل في هذه الجماعة الجالسة حول المسيح. ربما كانوا فعلا قد استعدوا للعيد بأن ذهبوا إلى الحَمَّام العام ولبسوا ملابس جديدة أو نظيفة. لكن دقق النظر معي في داخل قلوب هذه الجماعة. يبدو أن كل واحد منهم فيه عيب ما وكأنه بناء متهدم! يبدو أنهم كلهم مرضى بهم إصابات وتشويه. كلهم سيتخلون عن سيدهم ويهربون ويتركونه وحيدا حين يُحْدَق به الخطر! بطرس يمكن وصفه بأنه متسرع. ثم إنه في أخطر اللحظات، بعد ساعات قليلة من هذا الاحتفال الجميل، سينكر أية علاقة بينه وبين المسيح. يعقوب ويوحنا، قبل ذلك بفترة، يرغبان في إزالة قرية من الوجود لأنها لم تقبل السيد. سمعان الغيور ومتى جابي الضرائب يختلفان الواحد عن الآخر تماما في البيئة والفكر، يهوذا خلال ساعة أو ساعتين سيخون المسيح. وبعد قيامة المسيح من الموت، توما يشك أنه قام حقا ولا يصدق كلام زملائه! هذه هي نوعية الجماعة. الوحيد الذي بلا عيب هو عيسى!

هل كنت تظن أن جماعة المؤمنين بالمسيح اليوم ستكون أفضل حالا من تلك الجماعة التي التفت حول المسيح في تلك الليلة؟ إن ذلك الوصف ليس فقط لأولئك التلاميذ في ذلك الوقت، بل هو وصف لحالي أنا وحالتك أنت اليوم! نحن أيضا فينا عيوب وشوائب. فينا تجاعيد في الوجه ولدينا مشاكل. نحن أيضا غير كاملين، لأن الله مازال في مرحلة إعدادنا. لم ينته من العملية بعد! وهذا هو العجيب في الأمر أن المسيح الطاهر القدوس يرضى أن يتعامل معنا، أن يجذبنا إليه، ويعتبرنا أصحابه، ويعلمنا ويدربنا ويُقوِّمنا ويُطْلِق اسمه علينا! وهذا يشجعي ويعطيني الأمل والرجاء، لأنني أنا مسكين، قليل في إمكانياتي وقدراتي، محدود في معرفتي، وعيسى اختار جماعته من ناس عاديين مثلي، وليس من كبار القوم وعظماء القادة والرؤساء! هذه هي الجماعة التي اختارها عيسى لتنوب عنه في غيابه وتنشر رسالته وترعى أمته. جماعة، حتى ذلك الوقت، بلا اسم ولا تاريخ في سجلات الإمبراطورية. جماعة بلا سيف ولا رمح، بلا حصان ولا مركبة ملوكية. بلا خبرة في أمور السياسة والحكومة. بلا مهارة في معاملاتهم مع السلطة، بلا ملك، بلا أراضٍ شاسعة وممتلكات!

يقول الوحي على لسان الرسول بولس: تَذَكَّرُوا يَا إِخْوَتِي كَيْفَ كُنْتُمْ لَمَّا دَعَاكُمُ اللَّهُ. فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ حِكْمَةِ الْبَشَرِ، وَلَا كَثِيرُونَ عُظَمَاءَ أَوْ مِنْ أَصْلِ شَرِيفٍ. بَلِ اخْتَارَ اللَّهُ الَّذِينَ يَعْتَبِرُهُمُ الْعَالَمُ جُهَلَاءَ لِيُخْجَلَ الْحُكَمَاءُ، وَالَّذِينَ يَعْتَبِرُهُمُ الْعَالَمُ ضَعَفَاءَ لِيُخْجَلَ الْأَقْوِيَاءُ. وَاخْتَارَ اللَّهُ الْوَضِيعِينَ وَالْمُخْتَطَرِينَ وَمَنْ هُمْ لَا شَيْءَ فِي نَظَرِ الْعَالَمِ، لِيُبَيِّدَ مَنْ يَعْتَبِرُهُمُ الْعَالَمُ أَنَّهُمْ شَيْءٌ، لِكَيْ لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ أَمَامَ اللَّهِ.^أ

ومع ذلك فهذه هي أمة المسيح، عروسة حمل الفداء، وحين تتم عملية إعدادنا للعرش، يقدمنا المسيح ربنا وسيدنا وفادينا وملكننا لنفسه "أُمَّةً رَائِعَةً الْجَمَالِ، وَلَيْسَ

فِيهَا عُيُوبٌ أَوْ تَجَاعِيدٌ أَوْ أَيُّ نَقْصٍ، بَلْ صَالِحَةٌ وَبَلَا خَطَأٍ." ^أ هذا بقوة مفعول الصليب الذي يطهر حياتنا، ويقدس قلوبنا، ويسمو بآمالنا، ويصلحنا ويَجْمَلُنَا.

ومن ناحية أخرى، ربما تظن أنك بلا قيمة كبيرة لأنك تفتقر للمواهب العظيمة والإمكانات التي يتميز بها غيرك. لكن هذا خطأ فالكتاب يقول: "اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ، لَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَظْهَرِ، أَمَّا اللَّهُ فَيَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ." ^ب أنت لك أهمية كبيرة في نظر المسيح. أنت غالي الثمن عنده. أنت عزيز عليه. وللأسف كثيرون أصابوا قدرا كبيرا من النجاح لكنهم في قعر البؤس واليأس. فمن يعتبره العالم عظيما قد يكون حقيرا في نظر الله. ومن تصفق له الجماهير، قد يشعر في داخل نفسه بالضياع! ومن هو ذائع الصيت وله اسم وشهرة وثروة، قد يكون فاقد السعادة! فالشهرة لا تعني الراحة، والمركز لا يعني الحكمة، والغنى لا يعني كرامة النفس، والمال لا يعني السلام والأمان والسعادة. أما هذه الجماعة التي التفت حول المسيح تلك الليلة، الجماعة التي فيها عيوب ونقص، هي التي بقوة الروح القدس ملأت البلاد برسالة الإنجيل وأشاعت الأمل والراحة والسلام والسعادة الحقيقية في قلوب عشرات الألوف، فانتشر الإنجيل وانهارت الإمبراطورية الرومانية بغير سلاح! وهي الجماعة التي تسير اليوم إلى الأمام بنشاط وهمة ونجاح وتقدم طول هذه الـ 20 قرنا من تاريخها.

"إِشْتَقْتُ مِنْ قَلْبِي أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفُصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ."

أراد أن يُعَيِّدَ هذا العيد معهم. أراد أن يحتفل به وهم معه. لماذا؟

1. ليعلم لهم أن الوقت حان لتتم الحقيقة التي كان يرمز إليها الفصح.
2. لكي يقضي آخر ليلة له قبل الفداء مع أقرب أتباعه.

3. ليوصيهم أن يمارسوا فريضة عشاء المسيح تذكارا لموته وقيامته.
إذن معنى هذا العشاء هو الصليب.

كانت العادة هي أن رب العائلة يجلس على رأس المائدة وحوله أفراد عائلته، فيقودهم في الصلاة والبركة. ونحن نعلم أن أم عيسى وإخوته كانوا موجودين في القدس في ذلك الوقت. فأين كانوا وقت هذا الاحتفال؟ أين كانت زوجة بطرس؟ أين عائلاتهم كلهم؟ هل احتفلوا بالفصح في مكان آخر؟ يبدو أن مولانا عيسى قرر أن يحتفل بهذا الفصح مع تلاميذه وحدهم. ربما لأنه أراد أن يبين المكانة العليا التي وهبها لرسله، وأنه رغب في أن ينفرد بهم وحدهم في هذا الاحتفال الأخير في حياته على الأرض وقبل صلبه بساعات قليلة.

"لَنْ أَكُلَ مِنْهُ مَرَّةً أُخْرَى، حَتَّى يَتَحَقَّقَ مَعْنَاهُ الْمَقْصُودُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ." ^ب أُوَكِّدُ لَكُمْ أَنِّي لَنْ أَشْرَبَ مِنْ عَصِيرِ الْكُرْمَةِ هَذَا مَرَّةً أُخْرَى، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَشْرَبُهُ جَدِيدًا مَعَكُمْ فِي مَمْلَكَةِ أَبِي." ^ت

كيف ومتى يتحقق معناه؟ في اليوم التالي، يوم الجمعة، حين يتم الصليب ويموت من أجل الجميع، وبعدهما يقوم في اليوم الثالث، يأكل من هذا العشاء معهم مرة أخرى. ثم هناك أيضا معنى آخر محتمل ومعقول لهذه الآية وهو أن عصير الكرمة، أي الخمر، يشير إلى الفرح والسرور والبهجة. وهنا يقول عيسى إننا في مملكة الله سنتناول معه من هذا العصير الجديد بمعنى روحي سمائي لا بمعنى حرفي مادي. سيكون هناك نوع جديد من الفرح الذي يغمر القلب والكيان في مملكة الله حين نلتقي نحن أتباعه مع فاديننا وحببيننا الذي ضحى بنفسه من أجلنا. وبإله من يوم سعيد، يوم مجيد!

^أ يو 19:25؛ أع 1:14

^ب لو 22:16

^ت مت 26:29

أَخَذَ... خُبْزًا وَشَكَرَ اللَّهُ... أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ.

لماذا شكر؟ أراد أن يُذَكِّرَ أتباعه أنه عندما نتناول من خير الأرض، يجب أن نشكر رب السماء الذي هو المعطي الكريم. كان بنو إسرائيل قبل تناول هذه الوجبة يشكرون الله بهذا الدعاء: "مبارك أنت يا الله ملك العالم، الذي تخرج لنا من الأرض خُبْزًا والذي تعطينا ثمر الكرمة."

وشكر لأن الله في رحمته صمم أن ينقذ المذنبين الهالكين عن طريق الصليب. الله من فضله ونعمته دَبَّرَ أن يُجِيبَ الميتين عن طريق الصليب. "أشكر يا أبي لأنك تعطي الناس حياة عن طريق موتي."

ولأنه قد حان الوقت ليسدد الفادي القدير الضربة القاضية للشيطان. "أشكر يا أبي لأن الوقت جاء لأعطي العدو الضربة القاضية."

ولأن النصر المجيد قد حل ميعاده. "أحمدك يا أبي لأن ساعة النصر قد حانت." ومع أن هذه لحظات صعبة، لكن المسيح لم يحتج ولم يتذمر. لا يوجد تذمر هنا، بل شكر. هل تشكر الله في كل حال وعلى كل حال؟ كثيرون يجلبون على أنفسهم البؤس والحزن والكآبة لأنهم لا يشكرون ولا يعترفون بالجميل.

قَسَمَ الخبز

لماذا قسم الخبز؟ إشارة إلى جسده الذي يُمَزَّقُ ويُكسر على الصليب. هنا يصور تلاميذه موضوع موته على الصليب.

الكأس

كان ما في هذه الكأس هو نتيجة عصر العنب. مَرَّ العنب في معصرة قاسية لتُخْرِجَ منه العصير. هذا رمز لما مر فيه المسيح. معصرة الصليب المريرة. لقد شرب

كأس الغضب ليقدم لنا كأس البركة، وعن طيب خاطر سلّم نفسه في أيدي أعدائه، لينقذنا نحن من أخطر أعدائنا: الشيطان والخطيئة والدنيا والذات.

"خُذُوا وَكُلُوا... اِشْرَبُوا".

هنا أفعال أمر: خذوا، كلوا، اشربوا. لقد أمرنا الفادي الكريم بأن نحتفل بذكره. نشأت وسط جماعة من المؤمنين بعيسى، بعضهم من المتعلمين، وبعضهم من غير المتعلمين، ولكنهم كلهم كانوا يحبون المولى من قلوبهم ويعيشون له. إنما من الغريب أنهم لم يكونوا يمارسون هذا الاحتفال بطريقة منتظمة. كنا نحن الشباب صغار السن والأقل خبرة ومعرفة منهم، نحاول كثيرا أن نلفت انتباههم إلى ضرورة ممارسة الفريضة ذات المعنى العميق والأهمية الكبرى!

ليس من حقنا أن نحرم أنفسنا وإخوتنا من الالتفاف حول مائدة المسيح لنحتفل بعيد موته. هذا عيد، وهو يريدنا أن نفرح بما عمله من أجلنا. أنا أدرك أن ذلك ليس من السهل للمؤمن الوحيد الذي يعيش في مدينة أو قرية ولا يعرف إن كان هناك مؤمنون آخرون بالمسيح أم لا. ماذا تعمل إن كنت في هذا الوضع؟

أقترح أن تقوم بهذا لوحده حتى تجد من تشاركه هذا العيد السعيد والاحتفال المبارك. ولكي تعمل هذا أعد لنفسك كسرة من الخبز وقليلًا من عصير العنب. ثم اقرأ فصلا مناسبًا من كلمة الله مثل لوقا 22 أو 1 كورنتوس 11، وافحص قلبك في محضر سيدنا ومولانا الفادي الكريم. وإن كنت ارتكبت ما يُحزن قلب المسيح، عليك أن تتوب في الحال وتطلب منه الصفح. ثم تناول كسرة الخبز رمز جسم المسيح الذي كُسر من أجلك، ثم تناول عصير العنب رمز دم المسيح الذي أراقه من أجلك. وبعد ذلك سبح الله وعظمه واشكره لأنه اختارك لتكون ابنا له، وتابعًا أمينًا لعيسى.

"هَذَا هُوَ جِسْمِي... هَذَا هُوَ دَمِي."

فكرة أن يأكل شخص لحم إنسان كانت وما زالت تعتبر عملا فظا بشعا، لا بالنسبة لليهود فقط بل لكل الناس. أضف إلى ذلك أنه كان محرما على اليهود أن يأكلوا لحم حيوان بدمه. لا بد أن السامعين صدموا من كلام المسيح. ربما اقشعروا من الفكرة. عيسى يقول لهم أن يأكلوا جسمه ويشربوا دمه. ولكن عيسى يقصد هنا، لا أكلًا حرفيا من جسمه البشري، ولا شربا حرفيا من دمه الذي يجري في عروقه، إنما يُشَبَّه جسمه بالخبز ودمه بالشراب، ويتحدث عن أكل رُوحِي وشرب رُوحِي بالإيمان. أن يتغذى المؤمن رُوحيا على منافع موت المسيح من أجلنا على الصليب (جسمه ودمه). بمعنى آخر، هذا الخبز يشير إلى جسمه، وهذا الشراب يشير إلى دمه.^أ

الدم هو موضوع له أهمية كبيرة في كتاب الله الشريف. نرى هذا بدءا من قربان هابيل الذي قبله الله مع أنه رفض قربان أخيه الذي لم يكن يحتوي على دم. وبعد ذلك نرى ضحايا أخرى قدمها كثيرون، حتى نصل إلى موسى ونظام القرايين الذي كان يعتمد إلى درجة كبيرة على ضحايا يُسْفَك دمه كرمز للدم الثمين، دم حمل الفداء الذي بلا لوم ولا عيب الذي هو جالس الآن مع أصحابه ويكلمهم.

الدم هو الذي يحمل الغذاء والأكسجين إلى جميع أعضاء الجسم المختلفة، كما يأخذ الفضلات ليطردها من الجسم. الدم هو سر الحياة. إذا فقد واحد دمه يفقد حياته. والناس يتبرعون بالدم لينقذوا حياة من هم في خطر. وفي حالات كثيرة كان نقل الدم إلى مريض سبب نجاته من موت محقق. قرأت عن رجل أعطى 90 لترا من دمه في أوقات متفرقة، فأنقذ كثيرين. غير أن المسيح قدم دمه لينقذنا من الموت الأبدي.

^أ راجع أيضا يو 6: 35، 54

^ب 1 بط 1: 19

ويقول الكتاب إنه "لا عُفْرَانٌ يَدُونِ إِرَاقَةَ دَمٍ".^أ

المسيح هنا يحتفل معهم بفصح جديد.^ب الملاك المهلك سيأتي في الليل، ولكنه لن يقتل من عليهم علامة الدم. ذات مرة أخذ عيسى 3 من تلاميذه إلى جبل، وهناك تغير منظر وجهه وصارت ثيابه بيضاء لامعة، وظهر موسى وإلياس في جلال وكانا يتكلمان معه.^ت كان موضوع حديثهم هو "رحيله" الذي سيتممه في القدس. الكلمة اليونانية المترجمة "رحيله" تعني أيضا "خروجه" وهي تشير إلى آلام المسيح وموته على الصليب. ويستعمل الوحي كلمة "رحيل أو خروج" ليجذب انتباهنا إلى رحيل بني إسرائيل من مصر وتحررهم من العبودية والذل. فعن طريق موت المسيح الفدائي يتم رحيل جديد؛ خروج جديد، هو خروجنا نحن من العبودية والذل تحت سلطان الشيطان والخطيئة. إذن هنا، في هذا الفصح الجديد، يحتفل السيد المسيح مع أتباعه بخروج جديد، بعبور جديد للبحر الأحمر. في هذه المرة ليس بحراً من ماء، يفصل بين مصر وسيناء، بل عبور إلى أرض الموعد الحقيقية وكنعان السمائية. ومن هنا يسير عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا لقيادتهم. المسيح نفسه هو عمود السحاب وعمود النار الذي يرشدنا ويقودنا إلى الحرية الحقيقية، الحرية التي يتمتع بها حقا أبناء الله.^ث لقد سمع الله صراخ الشعب في ذلهم وعبوديتهم، وجاء لينقذهم ويحررهم. وبموت ابنه الوحيد على الصليب، تتم النجاة وتأتي الحرية.

معنى وجودنا عند مائدة المسيح

عند مائدة المسيح نكون في محضر الله القدوس الجليل. هذا هو الإله العظيم

^أ عب 9: 22

^ب اقرأ خر 12

^ت مر 4: 9

^ث رو 8: 15-21

العجيب الذي يقبل أن خاطئا مذنباً مثلي يأتي إلى محضره المبارك. يا لها من معاملة كريمة أنا لا أستحقها.

وهنا نحن نتعبد للإله الذي ضحى بأغلى ما عنده من أجلنا، نحتفل بذكرى هذه التضحية، ونقدم له السجود والعبادة والشكر والعرفان بالجميل على معرفته معنا وإحسانه علينا.

ونحن هنا نتناول من مائدة ملك الملوك ورب الأرباب، لأن لنا رابطة معه. علاقة قوية. أتينا إلى مائدته لنشاركه. يا له من إكرام لا نستحقه! يا لها من بركة نحن غير جديرين بها!

أيضا عند مائدة المسيح، لنا رابطة بعضنا مع بعض. هنا نحن كلنا على قدم المساواة. غير المتعلم كالمتعلم. الفقير كالغني. الصغير كالكبير. الرجل كالمرأة. نأتي بيد فارغة وهو يملأها، بيد مفتوحة لنأخذ من وافر نعمته. لنأخذ بركة منه.

هدف وجودنا عند مائدة المسيح

لَأَنِّي تَسَلَّمْتُ هَذَا مِنْ مَوْلَانَا، وَقَدْ سَلَّمْتُهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قَبَضُوا عَلَيْهِ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ اللَّهَ وَقَسَمَ وَقَالَ: "هَذَا هُوَ جِسْمِي مِنْ أَجْلِكُمْ، إَعْمَلُوا هَذَا تَذْكَارًا لِي." وَبَنَفَسِ الطَّرِيقَةَ، أَخَذَ الْكَأْسَ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَقَالَ: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مَعَكُمْ بِدَمِي. فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَشْرَبُونَ مِنْهَا إَعْمَلُوا هَذَا تَذْكَارًا لِي." إِذْنِ إِلَى أَنْ يَجِيءَ الْمَسِيحُ، كُلِّ مَرَّةٍ تَأْكُلُونَ فِيهَا هَذَا الْخُبْزَ وَتَشْرَبُونَ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِهِ.^أ

1) نذكر حبه (24-25)

نتذكر تضحيته من أجلنا. نتذكر موت المسيح وقيامته. قال: "اعملوا هذا لذكري"، لأنه يريد أن نتذكر تضحيته العظمى وانتصاره المجيد. أي إنه احتفل بموته قبل موته! وكأنه يقول لنا هنا: "يقيم الناس معاهد ومؤسسات وتماثيل ليخلدوا أسماء ملوكهم وعظمائهم وقادتهم لِمَا حققوه من أعمال عظيمة في حياتهم، أما أنا فإن الطريقة التي تتذكروني بها هي أن تحتفلوا بهذا العشاء، لا ليذكركم بعمل عملته في حياتي بل ليذكركم بموتي من أجلكم!" وبذلك أعطانا السيد معنى جديدا للموت. موته لا يفصله عنا، فهو يقول إننا سنحتفل بهذا الموت معه في مملكته لنتذكر أمانة الله نحونا وقدرته الفائقة لفدائنا. هنا، عند مائدة المسيح نتذكر قوة وفاعلية الصليب الذي بواسطته تم فداؤنا.^أ

في سنة 1919، أصيبت زوجة جراح مشهور¹⁵ في حادث سيارة. لم يكن الطب متقدما كالليوم. ومع أنها نجت من الموت إلا أن الجرح في ساقها كان كبيرا وتلوث بعد فترة من الوقت فأصيبت بتسمم في ساقها. اضطر الأطباء إلى إزالة جزء كبير من عضلة الساق، ثم رأوا أنهم يحتاجون إلى قطعة من اللحم الآدي لكي يضعوها مكان الجزء التالف. تطوع الزوج الطبيب أن يأخذوا عضلته ليضعوها في رجل زوجته، ولكن لم يوافقهم زملاؤه الأطباء على رأيه على أساس أن احتمالات نجاح العملية كانت ضعيفة جدا، ولذلك قرروا ألا يفعلوا ذلك.

ولكن الزوج الجراح، بمنتهى الشجاعة والتضحية والحب، أمسك بمشرطه وأخذ يقطع من ساقه قطعة من اللحم ليضعها في ساق زوجته الحبيبة. وهكذا أجرى العملية بدون مخدر وهو يكتّم كل أنّة وكل آهة حتى لا يُظهِرَ ألمه، واستطاع بذلك أن يقدم جزءا من جسمه لزوجته.

نحن نتعجب من هذه المحبة القوية ونقدرها في هذا الزوج المحب الشهم، ولكن محبة عيسى لنا وتضحيته من أجلنا، كم كانت أعظم وأمجداً! بكل تأكيد كانت هناك أسباب دعت هذا الزوج أن يضحي بجزء من لحم رجله من أجل زوجته لأنه ببساطة يحبها، وهي زوجته التي تحبه وتقدره وتخدمه. لكن في حالتنا نحن، حين مات المسيح من أجلنا لم يكن هناك مثل هذه الدواعي والأسباب التي تجعله يُضحي من أجلنا. بل مات لأنه أحبنا ونحن لا نُحِبُّ. أحبنا حين كنا عصاة متمردين. إن عيسى بموته على الصليب أظهر أسمى درجات الحب.

وحين نتذكر موت المسيح، نشكر الله. هذه مائدة نشارك فيها لنشكر الله على صنيعه معنا. لقد فداننا، حررنا، أنقذنا، غيّرنا، جعلنا له. نحن نحيا لأن جسم الفادي المحب كسر ودمه سَفِكَ من أجلنا.

مرة كنت أخطب سيدنا عيسى المسيح في تأملاتي ودعائي. كنت أتعجب من محبته وتضحيته فسألته: "يا سيدي عيسى الحبيب، أنا أظهرت لك العداء بأعمالي وذنوبي وشري. لم أكن أهتمُّ بوصاياك وشريعتك وكلامك الصالح، فلماذا ضحيت من أجلي؟" فهمس في قلبي بكلمات لا تسمعها الأذن إنما رن صداها في فؤادي وقال بحنان: "أَحِبُّكَ مَحَبَّةً تَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ، لِذَلِكَ سَأَسْتَمِرُّ أَرْحَمُكَ."^أ

قلت: "أنا كنت عاصيا ومتمردا. ومع أني في ذلك الوقت، لم أكن قد وُلدت بعد، لكنني برفضي إياك طول هذه السنين أرى نفسي وكأني اشتركت فعلا مع الرعاع الأشرار الذين ضربوك ولطموك، وأيضا وافقتُ على أعمالهم المشينة. فهل تغفر لي يا ربي؟" قال: "مَحْوُوتٌ دُنُوبُكَ كَغَيْمَةٍ، وَخَطَايَاكَ كَسَحَابَةٍ. ارْجِعْ إِلَيَّ لَأَتِيَّ فَدَيْتُكَ."^ب

قلت: "رأيت نفسي أيضا بين الذين وضعوا تاج الشوك على رأسك فانغرز في

جبينك الطاهر وجعل الدم يسيل من رأسك القدوس. فهل تنسى لي كل هذا؟" قال:
 "كُنْ أَمِينًا حَتَّى الْمَوْتِ، وَأَنَا أُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" إكليل جمال ومجد وجلالاً.^أ

وهنا لم أحتمل كل هذا، فرميت نفسي عند قدميه والدموع تجري من عيني
 وأنا أصرخ: "يا سيدي، فماذا عن الصليب والمسامير التي سمرتك بها والخلل والمز
 الذي قدمته لك؟" ولم أكمل سؤالي إلا وقادني الروح القدوس إلى كلمات واحد من
 صحابة عيسى كان يستند على صدره الحبيب ويسمع نبضات الحب في دقات قلبه. قال
 ذلك الحواريُّ بَوْحِي الله: "هُوَ أَحَبُّ الَّذِينَ يَنْتُمُونَ لَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى أَقْصَى
 الْخُدُودِ." ^ب

قال رجل شجاع من أتباع المسيح: "الله الذي في يده مُلْكُ كل العالمين، في قلبه
 حب لكل الناس." ¹⁶

في لحظة قاتمة في حياة خادم المسيح جورج ماثسون، أخبره الطبيب أن المرض
 الذي في عينيه سيقود إلى فقدان بصره تماماً. ولما أعلم جورج خطيبته بهذا، أرجعت
 له خاتم الخطوبة وقالت إنها لا تريد أن ترتبط برجل أعمى بقية حياتها. وحين قارن
 جورج حب خطيبته الضعيف الذواي غير المضحي مع حب المسيح الذي ضحى بحياته
 من أجلنا أخذ القلم وكتب:

يا أيها الحب الذي من بابه لا أبرح
 لأن نفسي في سوى مرعاه ليست تسرح
 وفيه تستريح
 إليك أرجع حياتي التي وهبت لي

^أ 1 تم 8: 4؛ يع 12: 1؛ أم 4: 9؛ رؤ 2: 10؛ 1 بط 5: 4

^ب يو 13: 1

فتستقي من بحرك الطامي وفيه تمتلي
من نعمة المسيح¹⁷

عند مائدة المسيح نذكر حبه وتضحيته وموته من أجلنا.

(2) نخبّر بموته (آ26)

لسنا فقط نتذكر موته، بل أيضا نخبّر بموته، أي نتحدث وننادي للآخرين عن موت الفادي الكريم من أجلنا. هذا هو قلب الإنجيل. هذا هو أساس العمل المرسل، أن القدير العزيز ضحى بأعلى ما عنده لينقذ البشر الضالين المساكين. لا توجد طريقة أخرى لنجاة الناس. لا توجد وسيلة أخرى لفدائهم من الذنب والشر. ونحن نعلن هذا ليس فقط للناس بل أيضا لقوات الظلام ولشياطين الجحيم ونقول نفس الشيء: المسيح مات من أجلنا وفدانا وقام منتصرا وأحيانا وحررنا من سلطان إبليس ومن قيود الخطيئة.

(3) ننظر مجيئه (آ26)

هذا هو رجاء أمة المسيح، هذا هو أملنا الغالي من يوم إلى يوم: عيسى سيأتي ثانية عن قريب. قد تنشق السماء في أي يوم، في أي لحظة، ويظهر الفادي آتيا بجلال. بغير استحقاق (آ27) هذا التعبير يعني بـ "طريقة لا تليق." وهذا واضح من توبيخ بولس لهم في الآيات السابقة بسبب الطريقة غير اللائقة التي كانوا يتقدمون بها إلى عشاء السيد المسيح. إذن "بغير استحقاق" لا تشير إلى استحقاقنا الشخصي أو مؤهلاتنا البشرية. فالواقع هو أنه لا أحد منا يستحق في شخصه أن يتقدم إلى هذه

المائدة المقدسة. لا أحد منا يستحق أن يكون من أتباع المسيح. لا أحد منا يستحق أن ينال حياة الخلود.

بل المقصود هنا هو الطريقة التي نتقدم بها. فنحن يجب أن يكون لدينا دائما شعور عميق بأننا خطاة عصاة نجونا بنعمته المجانية، وأن ندرك دائما حاجتنا إلى هذا الفادي المنقذ، والمحِب الغفور. لا يقول الكتاب هنا إذا كنت تتناول من مائدة المسيح بدون استحقاق فإنك تموت لأنك بطريقة ما تحتاج إلى الغفران والكمال قبل ما تتقدم، لا، الكتاب لا يقول هذا. بل يقول إنك إن كنت تتقدم إلى هذه المائدة المباركة بطريقة لا تليق، لتتناول من فيض هذه البركة وعظيم هذه النعمة التي يقدمها المسيح لك، فإنك تجلب على نفسك الضعف والمرض وربما الموت! نحن يجب أن نتقدم لأننا محتاجون، وتتناول معترفين بفضله وقوته. وهو يمدنا بالقوة والاستحقاق والشفاء عند هذه المائدة؛ مائدته. إنه عن طريق مائدة المسيح دبر الله القدير لنا شفاء لأجسادنا المريضة، وإصلاحا لنفوسنا المكسورة، وعزاء لقلوبنا الكئيبة. يجب أن ندرك كل هذا ونسمح لمولانا وسيدنا المسيح أن يلمسنا ويقوينا عند مائدته المباركة.

سيخونه واحد منهم

وَلَمَّا كَانُوا جَالِسِينَ إِلَى الْمَائِدَةِ يَأْكُلُونَ، قَالَ عِيسَى: "أَقُولُ لَكُمْ الْحَقُّ: وَاحِدٌ مِنْكُمْ سَيَخُونُنِي، وَهُوَ يَأْكُلُ مَعِيَ الْآنَ." فَحَزَنُوا وَأَخَذَ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْآخَرِ يَسْأَلُهُ: "هَلْ أَنَا؟" فَقَالَ لَهُمْ: "هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْاثْنَيْ عَشَرَ وَهُوَ يَغْمِسُ مَعِيَ فِي الصَّخَنِ. الَّذِي صَارَ بَشَرًا سَيَمُوتُ كَمَا قَالَ عَنْهُ الْكِتَابُ، لَكِنَّ الْوَيْلَ لِدَلِيكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَخُونُهُ! كَانَ خَيْرًا لَهُ لَوْ لَمْ يُولَدْ!"^أ

وَكَانَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ عِيسَى يُحِبُّهُ، جَالِسًا إِلَى جِوَارِ عِيسَى. فَأَشَارَ

إِلَيْهِ سَمْعَانُ بُطْرُسُ أَنْ يَسْأَلَهُ مَنْ هُوَ الْمُقْصُودُ. فَمَالَ لِلْوَرَاءِ عَلَى صَدْرِ عَيْسَى وَقَالَ لَهُ: "يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ؟" أَجَابَ عَيْسَى: "هُوَ الَّذِي أُعْطِيَهُ هَذِهِ اللَّقْمَةَ بَعْدَمَا أَغْمِسُهَا." فَحَمَسَ اللَّقْمَةَ وَرَفَعَهَا وَأَعْطَاهَا لِيَهُودَا بْنِ سَمْعَانَ الْقُرْيُوتِيِّ. فَلَمَّا أَخَذَهَا، دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: "مَا تَوَيْتَ أَنْ تَعْمَلَهُ إِعْمَلَهُ بِسُرْعَةٍ." فَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْجُودِينَ فِي الْعَشَاءِ لِمَاذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ.^أ

كان يهوذا الخائن واحداً من أتباع عيسى. كان واحداً من التلاميذ الاثني عشر. في مظهره كان يشبه الآخرين. وقد سمع تعاليم المسيح ومواعظه وخطبه مثل الآخرين. رأى معجزاته. سافر معه في رحلاته. أكل وشرب معه. ولكن كان يهوذا غير مخلص. امتلاً قلبه بالخيانة. يقول الكتاب إن الشيطان دخله. هذا أمر مخيف ومرعب. كيف دخله الشيطان؟ نحن لا نعلم، إنما نعلم أن يهوذا كان سارقاً ولصاً. كان هو أمين صندوق الجماعة، وكان يسرق من مال الجماعة. ربما بهذا فتح يهوذا باب حياته وقلبه للشيطان ليدخل ويتملك منه ويسيطر عليه. وهنا أصبح هذا التلميذ عبداً للشيطان، يأتمر بأوامره، ويعمل كما يقول له. ولهذا كان يبحث عن طريقة ليخون عيسى ويسلمه إلى الأعداء. هل يمكننا أن نتخيل هذا؟ هل يمكننا أن نفهم هذا العمل الخسيس؟ حين دخل الشيطان يهوذا، طرد من حياته كل خوف لله، وكل محبة للمسيح، وكل نور رباني كان فيه، وكل شعور بالحشمة والخلجل.

احذر أيها الرجل! احذر من أن تسمح للشيطان أن يدخلك ويسيطر على حياتك. ربما تبدو أنت من الخارج كالآخرين، ولكنك من الداخل خائن وغادر. ربما يعرف الناس عنك أنك تقي تتحلّى بالورع وتقوم بالصلاة وتصوم وتزكي، ولكن في حقيقتك أنت وحش كاسر في الداخل. هل أنت مثل يهوذا، سارق ولص وخائن وتظاهر بأشياء ليست هي الحقيقة؟ ربما قرأت كلام المسيح. ربما سمعت أشياء كثيرة عن المسيح.

ولكن قلبك مملوء بالقساوة والشر والمعصية. أخاف عليك. تعال إلى سيدنا عيسى
تائباً نادماً على شرك وهو يغفر لك.

ثم يقول الكتاب إن يهوذا ترك محضر المسيح "وَحَرَجَ بِسُرْعَةٍ، وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ
أَظْلَمَ."^أ هذه العبارة الأخيرة: كان الليل قد أظلم، لها مدلول روحي أبعد من المعنى
الحرفي. صحيح، كان الظلام قد حل، لأن الشمس غربت وجاء الليل، ولكنها تعني
أيضاً أن الظلام كان قد ملأ نفس يهوذا وضميره. غابت الشمس عن قلبه وحياته وعالمه.
لأنه "فِي الظَّلَامِ، وَفِي الظَّلَامِ يَتَخَبَّطُ، وَلَا يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ هُوَ ذَاهِبٌ لِأَنَّ الظَّلَامَ أَعْمَى
عَيْنَيْهِ."^ب أظلم الليل وبدأ التلميذ الضال ينزلق إلى آخرة أكثر ظلاماً وتعاسة وعذاباً.
لقد "سقط إلى عمق الحسرة والدناءة والخبث والقسوة والكفر والرياء والقباحة
والعار... سقط من النعيم إلى الجحيم... لأنه استسلم للطمع والرياء والأنانية."¹⁸

ذهب يهوذا إلى قادة الدين ليتساوم معهم بشأن المبلغ الذي يمكن أن يحصل
عليه منهم.^ت إلى هذه الدرجة انحط يهوذا لبيع سيده بثمان زهيد هو ثمن عبد في تلك
الأيام.

مع أن يهوذا باع عيسى بـ 30 عملة من الفضة، لكن الحقيقة هي أن يهوذا،
بهذا المبلغ، باع نفسه الخالدة إلى الهلاك في الجحيم إلى أبد الآبدين، كما يقول الإنجيل
إنه "اخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْهَلَاكَ."^ث لاحظ الفرق بين يهوذا وبطرس. بطرس أنكر المسيح،
ويهوذا باع المسيح. لكن بطرس تاب وندم وبكى ورجع، فقبله المسيح ورده إلى
مكانته كتلميذ له. أما يهوذا فأصابه اليأس والقنوط والفشل ولم يتب، بل شق نفسه
وراح إلى الجحيم. هذا التلميذ، اختاره عيسى كما اختار بقية التلاميذ، بعد الصلاة.

^أ يو 13: 30

^ب 1 يو 2: 11

^ت مت 26: 14-16؛ مر 14: 10-11؛ لو 22: 3-6

^ث يو 17: 12

لا شك أن المسيح كان يرشده وينصحه ويحذره كما كان يفعل مع الآخرين. ثم إن المسيح عامله بالمحبة كصديق وتلميذ وتابع، كما عامل الآخرين. لقد وضع ثقته فيه واختاره أميناً لصندوق الجماعة. ولكن يهوذا سار في طريق الخيانة، ولما استيقظ ضميره وصحا، كان الوقت قد ضاع والفرصة أفلتت. فذهب وشنق نفسه!

غسل أرجل تلاميذه

وَاقْتَرَبَ عِيدُ الْفِصْحِ. وَكَانَ عِيسَى يَعْلَمُ أَنَّ وَفْتَهُ حَانَ لِيَرْحَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْآبِ. فَهُوَ أَحَبَّ الَّذِينَ يَنْتُمُونَ لَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى أَقْصَى الْحُدُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَعَشَوْنَ مَعًا، كَانَ الشَّيْطَانُ قَدْ وَضَعَ فِي قَلْبِ يَهُوذَا بْنِ سَمْعَانَ الْقَرِيوِيِّ أَنْ يَخُونَ عِيسَى. وَكَانَ عِيسَى يَعْلَمُ أَنَّ الْآبَ وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ سُلْطَتِهِ هُوَ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ. فَقَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ عِبَائَتَهُ، وَأَخَذَ مِئْشَقَةً وَرَبَطَهَا حَوْلَ وَسْطِهِ. وَصَبَّ مَاءً فِي مَغْسَلٍ، وَبَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِئْشَقَةِ الَّتِي عَلَى وَسْطِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى سَمْعَانَ بُطْرُسَ قَالَ سَمْعَانُ لَهُ: "يَا سَيِّدِي، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلِي؟" أَجَابَهُ عِيسَى: "أَنْتَ الْآنَ لَا تَفْهَمُ مَا أَعْمَلُهُ، لَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ." قَالَ بُطْرُسُ: "لَنْ تَغْسِلَ رِجْلِي أَبَدًا." أَجَابَهُ عِيسَى: "إِنْ لَمْ أَغْسِلْكَ، فَلَنْ يَكُونَ لَكَ نَصِيبٌ مَعِي." قَالَ لَهُ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: "يَا سَيِّدِي، لَا رِجْلِي فَقَطْ، بَلْ يَدَيَّ وَرَأْسِي أَيْضًا." قَالَ لَهُ عِيسَى: "مَنْ اسْتَحَمَّ صَارَ نَقِيًّا جُمْلَتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ. وَأَنْتُمْ أَنْقِيَاءُ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيكُمْ." فَإِنَّ عِيسَى كَانَ يَعْرِفُ مِنَ الَّذِي سَيَخُونُهُ، لِهَذَا قَالَ: "لَسْتُمُ كُلُّكُمْ أَنْقِيَاءُ."

فَلَمَّا غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ لَيْسَ عِبَائَتُهُ وَجَلَسَ وَقَالَ لَهُمْ: "هَلْ تَفْهَمُونَ مَا عَمِلْتُهُ لَكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونِي الْمَعْلَمَ وَالسَّيِّدَ، وَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ لَا بِيْ فِعْلًا كَذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ، وَأَنَا سَيِّدُكُمْ وَمُعَلِّمُكُمْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَغْسِلُوا بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ

بَعْضٍ. لَأَنِّي جَعَلْتُ مِنْ نَفْسِي قُدُورَةً لَكُمْ، لِتَعْمَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا كَمَا عَمِلْتُ مَعَكُمْ. أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: لَيْسَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا الرَّسُولُ أَعْظَمَ مِنَ الَّذِي أَرْسَلَهُ. فَإِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا، هَنِيئًا لَكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ."

يقول الكتاب: "وَأَقْتَرَبَ عِيدُ الْفِصْحِ. وَكَانَ عَيْسَى يَعْلَمُ أَنَّ وَقْتَهُ حَانَ لِيَرْحَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْأَبِ. فَهُوَ أَحَبَّ الَّذِينَ يَنْتُمُونَ لَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى أَقْصَى الْحُدُودِ."

توجد 3 مواضيع بارزة في هذه الآية: عيد، رحيل، حب! مع أن المناسبة هنا هي الاحتفال بالعيد، لكن يتجه الحديث فوراً إلى الآلام التي سيعانيها هذا المنقذ الفريد. يتحدث الوحي عن رحيله من هذا العالم، ورجوعه إلى الأب السماوي. والسبب هو حبه الذي لا يعرف نهاية ولا حداً، حبه للذين ينتمون له. إنه أحبهم إلى أقصى الحدود.

ماذا يعني هذا: إلى أقصى الحدود؟ يعني لدرجة أنه بذل نفسه من أجلهم. تروي قصة أنه ذات يوم، شبت النار في شجرة وأخذت تلتهمها. رأى الناس في الأغصان عشا فيه طيور صغيرة لا تقدر أن تطير بعد. حاولوا إسقاط العش من الأغصان المشتعلة فلم يمكنهم. وهنا ظهرت الأم تطير وتحلق حول الأغصان وتصرخ بلهفة. ويبدو أنها كانت تفكر في طريقة لإنقاذ صغارها. ولكن لما اقتربت النيران أكثر من العش، نزلت الأم محاولة أن تنقذ صغارها على جناحيها، ولكن للأسف التهمت النيران مع صغارها! هذه هي المحبة إلى أقصى الحدود. المحبة المضحية. نيران التضحية التهمت المسيح من أجلنا.

سلطة المسيح

وَكَانَ عِيسَى يَعْلَمُ أَنَّ الْآبَ وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ سُلْطَتِهِ هُوَ. كان عيسى يعلم أن كل شيء خاضع له، فهو الملك صاحب السلطان. وبين لنا الإنجيل أن سيدنا عيسى تنبأ عدة مرات أنه سيموت ويقوم. فهو، كما قلنا من قبل أكثر من مرة، لم يؤخذ على حين غرة. لم يفاجأ بتطور الموقف على غير ما كان يتوقع. لا. بل كان يعرف ما سيحدث، وكان يتوقعه لأنه جاء لهذا القصد. كان هو سيد الموقف. كان يُسَيِّرُ الأمور كما يريد هو. كان المتسلط على سير الأحداث. لم يُرغمه أحد على شيء.

جَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ يَرْجِعُ

كان يعلم هذه الحقيقة. لا شك عنده فيها. "لَأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ، يَسْكُنُ اللَّهُ بِكَامِلِ أُلُوهِيَّتِهِ فِي جِسْمٍ بَشَرِيٍّ." أ "هُوَ ضِيَاءُ جَلَالِ اللَّهِ، وَالتَّعْبِيرُ الصَّادِقُ عَنْ جَوْهَرِهِ." ب الله هو أبوه. والمسيح "هُوَ التَّعْبِيرُ الصَّادِقُ عَنْ طَبِيعَةِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُرَى." ت عيسى هنا في مهمة خطيرة، فمضى أتمها يرجع إلى الله الذي جاء منه!

تواضع المسيح

"فَقَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ عِبَائَتَهُ، وَأَخَذَ مِئْشَفَةً وَرَبَطَهَا حَوْلَ وَسْطِهِ. وَصَبَّ مَاءً فِي مَغْسَلٍ، وَبَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِئْشَفَةِ الَّتِي عَلَى وَسْطِهِ." قام عيسى عن العشاء بينما التلاميذ ما زالوا جالسين. خلع عبايته. أخذ منشفة وربطها حول وسطه. صب ماء في مغسل. أخذ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها

أ كو 2: 9

ب عب 1: 3

ت كو 1: 15

بالمنشفة. وهنا نرى عن طريق الرمز ما عمله المسيح حين تنازل وجاء إلى أرضنا. فهو قام عن العشاء، عن العيد، عن عرشه. ثم خلع العباية، تشير العباية هنا إلى مجده وجلاله باعتبار أنه الله. لقد خلع عنه جلاله الإلهي. ثم تشير المنشفة إلى طبيعته البشرية. إنه صار إنسانا، صار عبدا. فقد خلع العباية أولا، لكي يربط المنشفة ويخدم. خلع عباية المجد والجلال والعظمة، ليربط منشفة الاتضاع والعبودية. الله تواضع وجاء إلى أرضنا! لكن يجب أن ندرك أنه كان دائما، حتى وهو يغسل أرجل التلاميذ، هو بعينه الله الأزلي، إله كل الكائنات، صانع كل المخلوقات، ورب السماء وما فيها والأرض وما عليها.

في المعتاد كان صاحب الدار يطلب من الخادم أن يقوم بهذا العمل. لكن هذا لم يحدث هنا. ربما لأن عيسى نفسه طلب من صاحب الدار مقدما أن لا يرسل الخادم ليغسل أرجل الضيوف، لأن المسيح قصد أن يقوم بذلك هو بنفسه، أي يقوم بعمل الخادم.

كيف كان يغسل ويحفف؟ لا بد وهو راكع على ركبتيه! إنه قام بواجبات العبد، بواجبات الخادم. يا له من أمر غريب! ضيف الشرف يقوم عن العشاء ويغسل أرجل الذين معه على المائدة! صاحب السلطان وسيد الكل يقوم بعمل العبد! وهذا يذكرنا بما قاله من قبل: "الَّذِي صَارَ بَشَرًا، جَاءَ لَا لِيَكُونَ سَيِّدًا بَلْ خَادِمًا، وَلِيَبْدُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنِ الْكَثِيرِينَ".^ب

نحن أتباع المسيح، لا نرفع مكانة إنسان، بشر، زائل، ونجعلها إلهًا ومعبودا. معاذ الله، بل كلا وألف كلا! إنما الحقيقة هي أن الله تعالى الواحد القدير، الخالق الحكيم، تنازل وجاء كبشر. نحن نعبد الله ولا إله إلا الله.¹⁹ هو في حكمته وصلاحه وحبه

وتضحيته، قرر أن يفدي الإنسان المسكين الضائع، فمن أنت حتى تقف في طريق الله، أو تتهمه بعدم الحكمة، لأنه عمل شيئاً لا يتفق مع تفكيرك ولا يناسب توقعاتك؟ إذن من هو عيسى؟ هو أعظم شخص سارت قدماء على الأرض. هو محور التاريخ البشري. هو أكثر شخص أثر في الناس وفي مصيرهم. جاء إلى العالم بطريقة لم تحدث أبداً، لا من قبله ولا من بعده: وُلد من عذراء! وترك العالم بطريقة غير معهودة ولم تحدث مع غيره: قام من الموت وصعد إلى السماء! هو منقذ العالم. هو فادي البشر. هو غافر الذنوب. هو واهب الحياة. هو نبع الفرح والسلام. هو رب العالمين. هو ليس إنساناً أظهر الله ذاته فيه، لا! بل هو الله جاء إلينا كإنسان. الله صار بشراً. نحن لا نعبد غير الله. نعم، هو في واسع رحمته، وعظيم فضله، وعميق محبته، وكبير جميله، جاء ليفدنا. هذا هو الإله المحب، المضحى. الإله الذي يفدي. الإله الذي تواضع وجاء إلينا.

الله تواضع وجاء إلى أرضنا. يمكن أن نفهم هذه الفكرة إذا تصورنا تواضع ملك من الملوك العظماء. لنأخذ مثلاً ملكة بريطانيا. دعونا نتصور أن ملكة بريطانيا تركت عرشها وقصورها وراحت إلى بلدك لتعيش في أفقر قرية عندكم، وتسكن في أفقر دار في تلك القرية! ربما هي غرفة واحدة من الصفيح. لا يوجد فيها شيء يذكر، لا أثاث ولا حتى كرسي. لا يوجد فيها الماء الجاري. الأرض من طين وتراب. لا يوجد مطبخ ولا مرحاض!

حتى ولو تم هذا فعلاً وعملت ملكة بريطانيا كل هذا، تكون الصورة ناقصة وغير كاملة، لأن تواضع الله يفوق بكثير تنازل الملكة بهذه الطريقة! يحى المغطس قال إنه لا يستحق أن ينحني ويحل رباط حذاء المسيح. لكن المسيح بيّن لنا هنا تواضعاً لا مثيل له، فهو قد انحنى وحل رباط حذاء تلاميذه، وأكثر من ذلك غسل أرجلهم!

نتعلم درسين من غسل أرجل التلاميذ

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى سَمْعَانَ بُطْرُسَ قَالَ سَمْعَانُ لَهُ: "يَا سَيِّدِي، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ؟"
 أَجَابَهُ عَيْسَى: "أَنْتَ الْآنَ لَا تَفْهَمُ مَا أَعْمَلُهُ، لَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ." قَالَ بُطْرُسُ:
 "لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا." أَجَابَهُ عَيْسَى: "إِنْ لَمْ أَغْسِلْكَ، فَلَنْ يَكُونَ لَكَ نَصِيبٌ مَعِيَ."
 قَالَ لَهُ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: "يَا سَيِّدِي، لَا رِجْلَيَّ فَقَطْ، بَلْ يَدَيَّ وَرَأْسِي أَيْضًا." قَالَ لَهُ عَيْسَى:
 "مَنْ اسْتَحَمَّ صَارَ نَقِيًّا جُمْلَتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ. وَأَنْتُمْ أَنْقِيَاءُ، لَكِنْ
 لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيكُمْ." فَإِنَّ عَيْسَى كَانَ يَعْرِفُ مِنَ الَّذِي سَيَخُونُهُ، لَهَذَا قَالَ: "لَسْتُ
 كُلُّكُمْ أَنْقِيَاءَ."

الدرس الأول: تنقية سلوكنا في الحياة من يوم إلى يوم

في القديم كان الناس يستخدمون الحمامات العامة.²⁰ لم يكن عندهم حمام في
 الدار كما هو الحال اليوم في أماكن كثيرة. فكان الواحد يذهب إلى الحمام العام حيث
 يغتسل ويتنظف ويلبس ملابسه النظيفة ويضع نعليه في رجليه ثم يرجع إلى الدار.
 ولكن الطرق لم تكن مُعبَّدة، بل كانت الشوارع متربة وغير نظيفة مما يجعل الرجلين
 تتسخان في الطريق. لذلك حين يصل الشخص إلى الدار، يأتي الخادم بوعاء من الماء ويغسل
 رجلي سيده. هذا هو الذي عمله عيسى هنا، كعبد غسل أرجل تلاميذه.

ويستخدم المسيح هذه الحقيقة هنا ليشرح هذا الدرس الهام لبطرس. من استحم
 لا يحتاج إلا إلى غسل رجليه. أنت من أتباع المسيح لأنك آمنت به. هو غسلك من
 الشر بدمه الطاهر. هو نظف قلبك، فصرت نظيفا كواحد راجع من الحمام. هو جعلك
 خليفة جديدة، فصرت طاهرا. كتب اسمك في كتاب الحياة، والآن بدأت تسير معه.

لكن الطريق في هذه الحياة فيها تراب وأشياء غير نظيفة تعلق بك. أنا لا أقصد بهذا ممارسة الخطيئة كشيء طبيعي. لأن من يمارس الخطيئة هو عبد للخطيئة. ومن هو عبد للخطيئة فليس ابنا لله. "أَبْنَاءُ اللَّهِ لَا يُمَارِسُونَ الْخَطِيئَةَ، لِأَنَّ فِيهِمْ طَبِيعَةَ اللَّهِ. بَلْ إِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُذْنِبُوا، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ آبُوهُمْ." أ بل أتكلم هنا عن الوقوع في الخطيئة عن غير قصد. عمل الأشياء التي لا تسر الله والتي تعلق بنا لمجرد سيرنا في هذه الحياة. يقول بولس بوجي الله: "أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، بِمَا أَنَّ هَذِهِ الْوُعُودَ هِيَ لَنَا، إِذَنْ يَجِبُ أَنْ نُظَهَّرَ أَنْفُسَنَا مِنْ كُلِّ مَا يُنَجِّسُ الْجِسْمَ وَالرُّوحَ، وَنَحْيَا حَيَاةً صَالِحَةً فِي مَخَافَةِ اللَّهِ." ب ويقول يعقوب: "نَحْنُ كُلُّنَا نَعْمَلُ أَخْطَاءً كَثِيرَةً." ت ويقول يوحنا: "إِنْ قُلْنَا إِنَّنَا بِلَا ذَنْبٍ، فَنَحْنُ نَخْدَعُ أَنْفُسَنَا... إِنْ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا، فَهُوَ أَمِينٌ وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَتَّكِلَ عَلَيْهِ لِيَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَيُظَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ." ث هذا الغفران ليس للحصول على النجاة من الهلاك الأبدي، بل لرد العلاقة المتينة والرابطة المباركة مع ربنا وسيدنا.

نحن نحتاج أن نتطهر ونتنقى ونتنظف يوميا في هذه الحياة. نعم، لأننا نتعرض لقاذورات الطريق التي نسير فيها. تراب الطريق يعلق بأقدامنا. العالم مملوء بأشياء غير نظيفة.

فأنت تحتاج أن تنظف سلوكك. وبطريقة رمزية، أنت تحتاج أن تغسل قدميك من يوم إلى يوم. كن متيقظا. كن ساهرا لكي لا تعلق القاذورات بسلوكك. ولكن إن حدث ذلك، فيجب أن تغسلهما حالا! هل تَوسَّخَ ضميرك بصور قبيحة؟ هل تنجس قلبك بأفكار رديئة قذرة؟ هل تعلق بيدك تراب رشوة أو مال حرام؟ هل قلت لشخص كلمات لا تصح؟ أنت تحتاج أن تغسل "رجليك."

أ 1يو:3

ب 2كور:7

ت يع:3

ث 1يو:1-8

كيف ذلك؟

* اعترف لله بأنك أخطأت واطلب منه الصفح.

* تب حالا عن الخطيئة التي ارتكبتها! التوبة تساعدك وتقويك لكي لا تقع في الخطيئة مرة أخرى.

* ثق أن الله سمع دعاءك وغفر لك ذنبك. ^ب هو أمين في مواعيده، وصادق فيما يقول.

* إن كان ما ارتكبته هو في حق شخص آخر، فيجب أن تعتذر لذلك الشخص وتطلب منه أن يسامحك.

* اكل على دم المسيح ليظهرك. بتضحية المسيح وموته على الصليب من أجلنا، نحصل على النقاء والطهارة في القلب والضمير والفكر. "دَمُ عَيْسَى ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ." ^ت

* خَلَّ كلمة الله تنظفك. اقرأ كلمة الله. تأمل فيها. افهم معناها. استمع لما يقوله الله لك كل يوم عن طريق كتابه الكريم المعصوم. كَلِمَةُ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَالَةٌ، وَهِيَ حَادَّةٌ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ سَيْفٍ مُحَدِّثٍ، وَتَنْفُذُ إِلَى الْعُمَقِ، إِلَى مَا بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ، وَمَا بَيْنَ الْمَفَاصِلِ وَالتُّخَاجِ، وَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَفْحَصَ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ فِي الْخَلْقَةِ كُلِّهَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ. بَلْ كُلُّ شَيْءٍ غُرْبَانٌ وَمَكْشُوفٌ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، هُوَ الَّذِي سَوَّدِي لَهُ حِسَابَ أَنْفُسِنَا. ^ث كلمة الله تنقي النفس وتسمو بالفكر والعواطف. قال المسيح لتلاميذه: "أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ بِفَضْلِ الْكَلَامِ الَّذِي قُلْتُمْ لَكُمْ." ^ج إن كلمة الله

^أ مر 5: 1-3؛ لو 15: 21

^ب إش 44: 22؛ يو 2: 12؛ أف 4: 32

^ت 1 يو: 1: 7

^ث عب 4: 12-13

^ج يو 15: 3

تنقيك وتنظفك من القذارة والنجاسة والدنس.

* ثم أيضا الجأ إلى روح الله لينقيك. حين يملأ الروح القدوس قلبك يطرد الخطيئة والقاذورات التي تعلق بك.

في الحقيقة هذا موضوع مهم، تطهير السلوك والحياة باستمرار. كان هذا قصد المسيح من غسل أرجل تلاميذه ومن حديثه مع بطرس بهذا الشأن. إنه أراد أن يبين لهم خطورة الأمر.²¹

مَنْ يَحْقُ لَهْ أَنْ يَصْعَدَ جَبَلَ اللَّهِ، وَيَقِفَ فِي بَيْتِهِ الْمُقَدَّسِ؟ الَّذِي هُوَ ظَاهِرُ الْيَدَيْنِ وَنَقِي الْقَلْبِ، لَا يَعْبُدُ إِلَهًا بَاطِلًا وَلَا يَحْلِفُ كِذْبًا!

يوجد فارق كبير بين الشخص المؤمن بوعيسى الذي يقع في الذنب، وبين الشخص غير المؤمن بوعيسى الذي يعيش في الذنب والخطيئة والشر والفساد. شَبَّهَ أَحَدُهُمْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ بَوْلَدَيْنِ. الأول، عَوَّدَتْهُ أُمُّهُ عَلَى النِّظَافَةِ. مَلَابِسُهُ نَظِيفَةٌ، وَالدَّارُ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا نَظِيفَةٌ. لَكِنَّهُ لَا يَزَالُ وَلَدًا، يَتَعَرَّضُ فِي لَعْبِهِ وَنَشَاطِهِ وَجَرِيهِ وَمَرْحِهِ أَنْ يَقَعَ فِي الطِّينِ أَوْ أَنْ يُوَسِّخَ مَلَابِسَهُ بِطَرَقٍ أُخْرَى. لَكِنْ مَتَى حَدَثَ هَذَا لَهُ، لَا يَطِيقُ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، فَيَجْرِي إِلَى أُمِّهِ، وَأُمُّهُ تَنْظِفُهُ. هَذَا الْوَلَدُ رُبَّمَا يُوَسِّخُ مَلَابِسَهُ كُلَّ يَوْمٍ، لِأَنَّهُ وَلَدٌ. وَأُمُّهُ تَفْرَحُ بِتَنْظِيفِهِ كُلَّ يَوْمٍ، لِأَنَّهُ أُمُّهُ! هَذَا الْوَلَدُ يُمَثِّلُ الشَّخْصَ الْمُؤْمِنَ بَعِيسَى. فَهُوَ مُعْرَضٌ لِلْوُقُوعِ فِي الْخَطِيئَةِ لِأَنَّهُ إِنْسَانٌ. لَكِنَّهُ آمَنَ بَعِيسَى، فَأَصْبَحَ عَضْوًا فِي عَائِلَةٍ نَظِيفَةٍ مُقَدَّسَةٍ تَتَصَفَّ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَخَافَتِهِ. إِنَّهُ تَطَهَّرَ بِفِعْلِ فِدَاءِ الْمَسِيحِ، وَتَقَدَّسَ بِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ فِي قَلْبِهِ، فَهُوَ لَا يَطِيقُ الْخَطِيئَةَ. يَقَعَ فِي الذَّنْبِ وَلَا يَطِيقُهُ، فَيَجْرِي لِلَّهِ تَعَالَى وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَنْظِفَهُ وَيَطْهَرَهُ مِنَ الذَّنْبِ وَأَنْ يَصْفَحَ عَنْهُ وَيَغْفِرَ لَهُ. أَمَّا الْوَلَدُ الثَّانِي، فَهُوَ يَعِيشُ فِي عَائِلَةٍ لَا تَهْمُهَا النِّظَافَةُ. الدَّارُ قَذَرَةٌ، وَالْمَلَابِسُ قَذَرَةٌ، وَالْوَسْطُ كُلُّهُ قَذَرٌ، وَالْأُمُّ لَا تَبَالِي بِالْقَذَرَةِ. هَذَا الْوَلَدُ أَيْضًا مُعْرَضٌ لِلْوُقُوعِ فِي

الطين، وأن يوسخ ملابسه ، لأنه ولد. ولكن في هذه الحالة تتراكم عليه القذارة دون أن يحس بها. والأم لا يهتمها. والذين حوله يظنون أن هذا أمر عادي. والولد نفسه لا يدرك أنه يحتاج أن يكون نظيفا. هذا الولد يمثل الشخص غير المؤمن بعبسى. في أي وقت ننظر إليه نجد قذرا يعيش في القذارة، قذارة الخطيئة والنجاسة والفساد. في مناسبة قبل ذلك قال بطرس للمسيح: "لا سَمَحَ اللهُ يَا سَيِّدُ! هَذَا لَنْ يَجْرِيَ لَكَ!" أي: يا سيدي عيسى، لا يصح أن تموت على صليب! وهنا قال بطرس: لن تغسل رجلي أبدا! مع أنه في كلتا الحالتين، بغير ما عمله المسيح (الفداء وتطهير السلوك)، لا توجد نجاة ولا حياة!

الدرس الثاني: التواضع تجاه بعضنا البعض

فَلَمَّا غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ لَيْسَ عِبَايَتُهُ وَجَلَسَ وَقَالَ لَهُمْ: "هَلْ تَفْهَمُونَ مَا عَمِلْتُهُ لَكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونِي الْمُعَلِّمَ وَالسَّيِّدَ، وَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ لِأَنِّي فِعْلًا كَذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ، وَأَنَا سَيِّدُكُمْ وَمُعَلِّمُكُمْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَغْسِلُوا بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ. لِأَنِّي جَعَلْتُ مِنْ نَفْسِي قُدُورَةً لَكُمْ، لِتَعْمَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا كَمَا عَمِلْتُ مَعَكُمْ. أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: لَيْسَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا الرَّسُولُ أَعْظَمَ مِنَ الَّذِي أَرْسَلَهُ. فَإِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا، هَنِيئًا لَكُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ."

تحدث المسيح مع تلاميذه في موضوع التواضع عدة مرات قبل ذلك، فقال لهم ألا يعتبروا أنفسهم سادة أو عظماء، بل أن يتواضعوا ليكونوا كالأطفال، ويكون الواحد خادما للآخر. ^ب والآن هو على وشك أن يتركهم ويرجع إلى الأب في السماء، وفي فكره، يحتل التواضع مكانا كبيرا مُهِمًا. فأراد أن يصور لهم بطريقة عملية الدرس الذي

قدمه لهم مرار وتكرارا من قبل. فقرر أن يغسل أرجلهم!

خادم المسيح الذي يتمثل بسيدته لا يسعى إلى الارتفاع في هذه الدنيا، بل إلى الانخفاض. لا إلى الطموح نحو العظمة بل إلى السير في طريق الصليب. نعم، خادم المسيح الأمين هو الذي يستخدم الضعف لا القوة، والتواضع لا القهر، والخضوع لا السيطرة. هذا هو الطريق الذي سار فيه القدير الذي صار بشرا، الخالق الذي صار عبدا، صاحب الكون الذي تعرى!

ذات مرة جاء الذين يأخذون ضريبة بيت الله إلى بطرس وسأله إن كان عيسى سيدفع الدرهمين أم لا. في الأصل، كان المقصود أن المال الذي يُجمع لهذه الضريبة يكون لتجديد بيت الله وتحسينه. ولكن يبدو أن الرومان قرروا أن يستولوا على هذا المال. كان الأحبار، بحكم مركزهم وعملهم، غير مطالبين بدفع هذه الضريبة. فلما سأل رجال الضريبة بطرس، لم ينتظر حتى يستشير عيسى في الأمر، بل قال إن عيسى سيدفع الدرهمين. وبمجرد أن دخل بطرس إلى الدار، فاجأه عيسى بالسؤال: من يدفع الضريبة، الابن أم العبد؟ كان جواب بطرس هو: العبد. معنى هذا الكلام هو أن عيسى يقول هنا: أنا الحبر الأعلى وأنا ابن الله، فأنا مَعْفِي من دفع الضريبة، لكنني سأدفعها. ولكن يبدو أن صندوق الجماعة كان فارغا، وإلا كان عيسى يوجه بطرس ليطلب من يهوذا أن يدفع الضريبة. فما الحل؟ وجه عيسى بطرس أن يأخذ صنارته للصيد. وكان كما قال عيسى أن أول سمكة طلعت كان في فيها قطعة نقد قيمتها 4 دراهم. ترى من الذي فقد هذه العملة؟ وكيف وصلت إلى فم السمكة؟ أربعة دراهم كانت أجرة العامل مدة أسبوع. ثم كانت العملة في فم السمكة أي إن السمكة لم تبلعها إلى المعدة!

هذه المعجزة تشير بوضوح إلى تواضع المسيح. يقول عيسى: مع أي غير مجبر أن أدفع الضريبة، مع أي حر لا يصح أن أدفعها، لكنني سأدفع.

التواضع هو أني أضع احتياج الآخرين وراحتهم قبل راحتي أنا واحتياجي أنا. ليس أن أطلب بحقوقى وبما يجب على الآخر أن يقوم به نحوي، بل أضحى بهذا وأبحث عن طريقة لأساعد بها الآخر، وأُسعده، وأُباركه. التواضع هو أن نقبل المسؤولية لخير الآخرين ومنفعتهم. التواضع هو انكسار القلب. التواضع هو بحر هادئ يملأ القلب. العمل البسيط الصغير الذي نعمله هو أحيانا في نظر الله أهم من الأشياء الكبيرة التي نقوم بها. إن الطريق إلى القوة هو أن أدرك أني ضعيف. والطريق إلى الاستقلال هو أن أتوكل على الله. الطريق إلى الحرية هو أن أستسلم للمسيح. الطريق إلى البركة التي لا يمكن للعالم أن يأخذها مني هو أن أدرك أن يدي فارغة.²²

التواضع هو الفضيلة الكتابية التي تجعل الواحد لا يظن في نفسه أكثر من حقيقته. بهذا نرى أنفسنا بغير استحقاق أمام الله، ونعامل الآخرين كأنهم أفضل منا! ولكن هذا لا يعني تحقير الذات أو أن أتبنى أفكارا سلبية عن نفسي تحطم شخصيتي. لا! بل أن أتححر من الكبرياء والعجرفة والخيلاء وأتذكر دائما أن كل ما حصلت عليه وتوصلت إليه إنما هو نعمة من الله.²³

إذن ليس التواضع ضعفا ولا خنوعا ولا مذلة، بل قُوة في الأخلاق، وشدة في العصب الروحي تجعلني أعتبر الآخر أفضل مني. هل من الصعب عليك أن تصل إلى هذا المستوى الروحي والأخلاقي؟ هذا صعب على أي إنسان. لكن عيسى قادر أن يعينك ويساعدك لتكون متواضعا بحق.

لبس عبايته

بعدما أكمل عيسى عمله كخادم، بعدما أنجز مهمته كعبد، حل المنشفة ولبس عبايته مرة أخرى. وهنا إشارة إلى أنه لما أتم الفداء على الصليب وقام في اليوم الثالث

منتصرا، صعد إلى السماء وجلس على عرشه مرة أخرى. فقد حل المنشقة وخلعها عنه ولبس العباية. خلع بشريته ولبس ألوهيته. رجع إلى السماء لابسا ثياب البهاء والجلال والخلود والمجد. إنه سيد الكل ورب العالمين.

خطبة الوداع

لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبُكُمْ. آمِنُوا بِاللَّهِ وَآمِنُوا بِي. فِي دَارِ أَبِي مَسَاكِينُ كَثِيرَةٌ.^أ
 انتهت الجماعة من الاحتفال بالعشاء. والآن لا يوجد غير كلمات الوداع الأخيرة، وصلاة التشفع فيهم، قبل أن يتجه السيد المبارك إلى الصليب ليموت من أجلهم ومن أجلنا جميعا. في هذه الكلمات الأخيرة، وبينما يعتصر قلبه من الألم وهو في حاجة إلى معونة، يحاول المسيح أن يطمئن تلاميذه ويعددهم بمكان في الجنة.^ب ثم يقول لهم إنه هو الطريق الوحيد إلى الأب.^ث وإنه هو التعبير الصادق عن جوهر الله، فإن كنا نريد أن نرى الله، ننظر إلى عيسى، وإن كنا نريد أن نسمع ما يقوله الله لنا، فلنصنع إلى كلمات المسيح. فالابن هو الله صار بشرا.^ج

وبعد هذا الكلام يعددهم بإرسال المعين؛ الروح القدس.^د²⁴
 ثم بعد ذلك يحدثهم عن أهمية أن يثبتوا فيه، فهو الكرمة وهم الأغصان، ومن يثبت فيه يُثمر ثمرا كثيرا.^{هـ} ثم يحذرهم من أنهم سيقابلون مصاعب كثيرة في هذا العالم؛ فسوف يضطهدهم الناس ويكرهونهم ويعذبونهم، حتى إن كل من يقتلهم

^أ يو 14-16

^ب يو 14: 1-2

^ث 14: 1-4

^ث 14: 5-7

^ج 14: 8-14؛ عب 1: 3

^د 14: 15-31

^{هـ} 15: 1-17

يظن أنه يقدم خدمة لله^أ. وأخيرا يبين لهم أهمية وجود الروح القدس في حياتهم. ثم يختم خطابه لهم بنفس الفكرة التي بدأ بها، لكي يبعث في قلوبهم السلام لأنه هو الغالب المنتصر.^ب

لاحظ أنه في بداية هذه الخطبة^ت يشجعهم أن يؤمنوا بالله ويؤمنوا به. وفي نهاية الخطبة أعلنوا أنهم يؤمنون أنه حقا جاء من الله^ث. عند هذا أنهى الخطبة وصلى صلاته الشفاعية في ف 17 وبعدها مباشرة راح إلى البستان حيث قبض عليه. ومن هناك أخذه إلى المحاكمة ثم إلى الصليب.

الصلاة الشفاعية من أجل أتباعه^ج

بعد كلمات الوداع، رفع عيسى دعاء لله، فيه تشفع لأجل أتباعه. هنا يقول السيد: "أنا مجدُّكَ عَلَى الأرض، بِأَيِّ أَنْجَزْتُ الْعَمَلَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي بِهِ." ثم يقدم تفاصيل عمله على الأرض:

1. أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلَّذِينَ أُعْطِيْتَهُمْ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْعَالَمِ (آ6).
2. أَنَا بَلَّغْتُهُمُ الرِّسَالَةَ الَّتِي أُعْطِيْتَهَا لِي... أَنَا بَلَّغْتُهُمْ كَلِمَتَكَ (آ8، 14).
3. لَمَّا كُنْتُ مَعَهُمْ، حَافِظْتُ عَلَيْهِمْ وَحَرَسْتُهُمْ بِقُوَّةِ اسْمِكَ الَّذِي أُعْطِيْتَهُ لِي (آ12).
4. وَكَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ، أَنَا أَيْضًا أَرْسَلْتُهُمْ إِلَى الْعَالَمِ (آ18).
5. أَنَا أَكْرَمْتُهُمْ بِنَفْسِ إِكْرَامِكَ لِي، لِكَيْ يَكُونُوا وَاحِدًا، كَمَا أَنَّنَا أَنْتَ وَأَنَا وَاحِدٌ (آ22).

^أ 4:16-18:15

^ب يو 16:5-33

^ت يو 14:1-2

^ث يو 16:30

^ج يو 17

6. أَنَا عَرَفْتُهُمْ بِشَخْصِكَ، وَسَأُعَرِّفُهُمْ بِهِ (آ26).

لعلنا نلاحظ هنا أن الفادي الكريم لم يذكر في قائمة أعماله المعجزات التي قام بها وكيف أنه أحيا الميت وأبرأ الأبرص، وشفى الأعمى والأخرس والأطرش والأعرج والمشلول والمحموم، وطرد الشياطين من الملبوسين! ولا ذكر العظّات والتعاليم التي قدمها وكيف أن الآلاف كانت تأتي لتسمعه. إنما هنا يتحدث عن أصحابه، تلاميذه، أتباعه الذين أحبهم ورعاهم وعلمهم وتلمذهم. إذن عمله كان، لا المعجزات ولا العظّات، بل تلاميذه! إنه جاء من أجلهم، وعاش من أجلهم، ومات من أجلهم. أنت عمل المسيح، أنت صناعته.

الأغنية

"ثُمَّ عَنَّا أَغْنِيَّةً وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ".^أ

لا شك كان الجو مشحوناً بالخوف والحيرة. ظلال قاتمة وغموض وتوقّع. وعلى الرغم من هذا غنوا! عيسى وحده يعرف تفاصيل الساعات القادمة ومع ذلك هنا أغنية تسنده وتشجعه. فالمسيح غنّى في هذا الظرف الصعب. تعلم بولس وسيلا هذا الدرس، فكانا يغنيان ويسبحان الله في السجن بعد ليلة قاسية من الضرب المبرح الذي عاناه الرسولان.^ب

هل أنت حزين؟ هل تتألم بسبب مرض أو بسبب موقف صعب؟ هل يضطهدونك ويحتقرونك ويضربونك؟ إن كنت في ضيق، حدثه عن ذلك بأغنية! توجد موسيقى عذبة في قلبك، والمسيح مشتاق أن يسمعها تنبع من داخلك وتخرج من شفّتك. أنا عارف أن هذا ليس سهلاً، لكن مولانا وسيدنا أعطانا المثال. نعم، حياتك يمكنها

^أ مت 26:30؛ مر 14:26

^ب أع 16

أن تنتج أعذب الموسيقى لمجد اسم المسيح.^أ

الله خلق لنا الأحاسيس والمشاعر والصوت لنعبر عما يدور في قلوبنا من حب
لإلهنا وإعجاب بصنيعه. والكتاب يوصينا بأن نغني لله مولانا،^ب ويقول كذلك أن
نغني لله ليس فقط حين تكون الأحوال طيبة وقلوبنا فرحانة، ولكن أيضا حين
نقابل المتاعب والألم وظلام الليل.^ت

عبر عن محبتك للمسيح بأن تغني وتنشد له بكلمات طاهرة وموسيقى نقية،
وليكن هدفك هو إجلال عيسى وتسيحه وتعظيمه! لما قاد موسى شعبه إلى النصر
والخروج من العبودية في مصر، توقفوا في الطريق وسبحوا الله بالغناء.^ث وغنت دبورة
بعدها منح الله شعبه النصر العظيم على الأعداء.^ج وكان النبي داود دائما يغني، وأغانيه
هو وغيره التي نجدها في كتاب المزامير والتي هي من وحي الله تعالى، كانت وما زالت
سبب بهجة وعزاء للنفس في كل ظروف الحياة لملايين المؤمنين على مر العصور
والأجيال.

يحتوي الكتاب الشريف على كتابين بأكملهما هما عبارة عن أغاني وأناشيد
وتسايب وترانيم (المزامير ونشيد الأناشيد). ويطلب منا الوحي الكريم أن نسبح الله
ونغني له.^د ويقول الوحي: "هَلْ فِيكُمْ وَاحِدٌ فَرَحَانٌ؟ فَيَجِبُ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ."^{هـ} ويقول
أيضا: "يَا جَمِيعَ الْأُمَمِ صَفَّقُوا بِالْأَيْدِي. اهْتَفُوا لِلَّهِ هَتَافَ الْفَرَحِ... ارْتَفَعَ اللَّهُ وَسَطَ
الْهَتَافِ، ارْتَفَعَ رَبُّنَا وَسَطَ دَوِيِّ الْبُوقِ. غَنُّوا لِلَّهِ، غَنُّوا. غَنُّوا لِمَلِكِنَا، غَنُّوا. هُوَ مَالِكُ

^أ كو 3: 16؛ يع 5: 14

^ب خر 15: 21؛ قض 5: 3؛ 1أخ 16: 23؛ مز 7: 17؛ 9: 11؛ 92: 1؛ 95: 1؛ 96: 2؛ 104: 33؛ إش 42: 10

^ت يع 5: 14؛ أي 35: 10

^ث خر 15: 1-18

^ج قض 5

^د أف 5: 18؛ كو 3: 16

^{هـ} يع 5: 14

الْمَلِكِ، عَنَّا لَهُ قَصِيدَةٌ حَمِيدَةٌ. اَعْنُوا لِلّٰهِ اُغْنِيَةً جَدِيدَةً، لِأَنَّهُ صَنَعَ عَجَائِبَ. أَحْرَزَ النَّصْرَ بِيَمِينِهِ، بِذِرَاعِهِ الْمُقَدَّسَةِ.^ب كَمَا أَنَا لَا شَكَّ طُولَ الْخُلُودِ سَنَغْنِي وَنُنْشِدُ لِلّٰهِ الْقَدِيرِ بِاسْمِ الْمَسِيحِ الْفَادِي. ت. "وَقَدْ وَقَفَ ... الَّذِينَ غَلَبُوا الْوَحْشَ وَتَمَثَّلَهُ وَرَقَمَ اسْمَهُ، وَهُمْ مَاسِكُونَ قِيَارَاتٍ أَعْطَاهَا لَهُمُ اللَّهُ، وَيُعَنُّونَ أُغْنِيَةَ مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ، وَأُغْنِيَةَ حَمَلِ الْفِدَاءِ. فَيَقُولُونَ: "عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْإِلَٰهُ الْقَدِيرُ، عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرْفُكَ يَا مَلِكَ الدُّهُورِ. مَنْ لَا يَخَافُكَ يَا رَبُّ؟ مَنْ لَا يُسَبِّحُ اسْمَكَ؟ لِأَنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ قُدُّوسٌ. كُلُّ الْأُمَمِ تَأْتِي وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ، لِأَنَّ أَعْمَالَكَ الصَّالِحَةَ ظَهَرَتْ."^ث

ماذا كانت الأغنية التي ترنم بها سيدنا المسيح وتلاميذه في تلك الليلة التاريخية العصبية؟ ربما غنوا معاً مزموراً 118. أشجعك يا أخي أن تقرأ هذا المزمور الآن.

في الطريق إلى البستان

بعد العشاء والأغنية، نزلوا من الغرفة وتركوا الدار واتجهوا إلى البستان. وفي الطريق حدثهم عيسى عن عدة أمور خطيرة. قال لهم: "هَذِهِ اللَّيْلَةُ كُلُّكُمْ تَتَرَجَّعُونَ عَنِّي، فَالْكِتَابُ يَقُولُ، 'أَضْرِبُ الرَّاعِي فَتَنْشَتُّ خِرَافُ الْقَطِيعِ.' لَكِنْ بَعْدَ مَا أَقُومُ مِنَ الْمَوْتِ، أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ." فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "حَتَّى وَلَوْ تَرَجَّعَ عَنْكَ الْكُلُّ فَأَنَا لَنْ أَتَرَجَّعَ." أَجَابَهُ عَيْسَى: "أَقُولُ لَكَ الْحَقَّ: هَذِهِ اللَّيْلَةُ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكَ، تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ." فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "وَلَوْ لَزِمَ الْأَمْرُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ، فَلَا أُنْكِرُكَ أَبَدًا." وَقَالَ الْتَّلَامِيذُ كُلُّهُمْ نَفْسَ هَذَا الْكَلَامِ.^ج

^أ مز 47: 1، 5-7

^ب مز 98: 1

^ت رؤ 5: 9

^ث رؤ 15: 2-4

^ج مت 26: 31-35؛ مر 14: 27-31

وَحَدَّثَ جِدَالَ أَيْضًا بَيْنَهُمْ بِشَأْنِ مَنْ فِيهِمْ هُوَ أَعْظَمُ وَاحِدٍ. فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى:
 "مُلُوكُ الشُّعُوبِ يَتَسَيَّدُونَ عَلَيْهِمْ، وَأَصْحَابُ السُّلْطَةِ عِنْدَهُمْ يُعْطَوْنَهُمْ لَقَبَ "الْمُحْسِنِ"
 أَمَّا أَنْتُمْ فَلَا يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا مَعَكُمْ. بَلْ أَعْظَمُ وَاحِدٍ فِيكُمْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
 كَأَصْغَرٍ وَاحِدٍ، وَالرَّئِيسُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كَالْخَادِمِ. لِأَنَّ مَنْ أَعْظَمُ، هَلِ الَّذِي يَجْلِسُ إِلَى
 الْمَائِدَةِ أَمْ الَّذِي يَخْدُمُ؟ طَبْعًا الَّذِي يَجْلِسُ إِلَى الْمَائِدَةِ! وَلَكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ!
 "وَأَنْتُمْ الَّذِينَ وَقَفْتُمْ مَعِي فِي مَحْنِي، سَأُعْطِيكُمْ السُّلْطَةَ لِتَمْلِكُوا كَمَا أَعْطَانِي أَبِي
 السُّلْطَةَ لِأَمْلِكُ، لِكَيْ تَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَمْلَكَتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى عُرُوشٍ
 لِتَحَاسِبُوا قَبَائِلَ إِسْرَائِيلَ الْاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

"يَا سَمْعَانُ، يَا سَمْعَانُ، طَلَبَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَمْتَحِنَكُمْ كَمَا يُغْرِبُ الْفَلَاحُ
 الْقَمْحَ. لَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِكَ يَا سَمْعَانُ، لِكَيْ لَا يَفْشَلَ إِيمَانُكَ. فَمَتَى رَجَعْتَ
 إِلَيَّ يَجِبُ أَنْ تُقَوِّي إِخْوَتَكَ". فَقَالَ: "يَا سَيِّدِي، أَنَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى السَّجَنِ
 وَإِلَى الْمَوْتِ".

وَقَالَ لَهُمْ: "لَمَّا أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ مَحْفَظَةٍ وَلَا مِزْوَدٍ وَلَا جِذَاءٍ هَلِ احْتَجْتُمْ إِلَى
 شَيْءٍ؟" قَالُوا: "لا". فَقَالَ لَهُمْ: "أَمَّا الْآنَ فَمَنْ عِنْدَهُ مَحْفَظَةٌ فَلْيَأْخُذْهَا، وَمَنْ عِنْدَهُ مِزْوَدٌ
 فَلْيَأْخُذْهُ. وَمَنْ لَيْسَ مَعَهُ سَيْفٌ، فَيَجِبُ أَنْ يَبِيعَ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِيَ سَيْفًا. أَوْكُذْ لَكُمْ، يَجِبُ
 أَنْ يَتِمَّ فِي قَوْلِ الْكِتَابِ: حُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ، لِأَنَّ مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ عَنِّي سَيَتِمُّ". فَقَالَ
 التَّلَامِيذُ: "انْظُرْ يَا سَيِّدُ هُنَا سَيْفَانِ". فَقَالَ لَهُمْ: "كَفَاكُمْ!"^ب

هنا نجد المسيح ومعه 11 فقط من تلاميذه، يسرون نحو البستان. هل فكر
 هؤلاء التلاميذ في أنفسهم أو سألوا بعضهم بعضا لماذا يهوذا ليس معهم؟ ربما اعتبروا
 أن ما قاله السيد ليهوذا: ما نويت أن تعمله اعمله بسرعة^ت هو سر بين الاثنين، وأنه

^أ سمعان وبطرس اسمان لنفس الشخص.

^ب لو 22: 38-24

^ت يو 13: 27

ليس من حقهم أن يسألوا.

وفي الطريق أخبر المسيح تلاميذه بالخطئة التي دبرها الشيطان والتي كان العدو على وشك أن يستخدمها ضدهم. رأى المعلم أنه لا بد من أن يحذرهم. أرادهم أن يكونوا على علم بما سيواجهونه خلال الساعات القليلة القادمة. لم يرغب في أن يكون هذا الأمر مخفياً عنهم لئلا يُهزموا بالهجوم المفاجئ. ففي الطريق إلى البستان:

أنبأهم بأنهم سيتراجعون عنه.

وبأنه سيقوم من الموت.

ويسبقهم إلى الجليل.

أصر بطرس أنه لن يتراجع عنه ولن يتنكر له أبداً حتى ولو فعل ذلك باقي

التلاميذ.

أجابه عيسى بأنه في تلك الليلة هو (بطرس) سينكره 3 مرات.

قام جدال بينهم بشأن من هو أعظم واحد فيهم.

ردا على ذلك أوصاهم عيسى بأن يتواضعوا، الواحد تجاه الآخر، لا أن يتعظموا

بعضهم فوق بعض.

أنبأهم بأنه سيعطيهم السلطة ليملكوا، وبأنهم سيكونون على مائدته،

وسيجلسون على عروش ليحاسبوا قبائل بني إسرائيل.

حدث جدال بينهم بشأن من فيهم هو أعظم واحد! هل تضطرب مثلي حين تقرأ

أن التلاميذ بعد أقل من ساعة من الدرس الذي قدمه عيسى عن التواضع، يحدث هذا

بينهم؟ ما السبب؟ ببساطة، الطبيعة البشرية التي تغذي الأنانية وحب الذات. لكن

الصليب غيّر حياتهم بعد ذلك.

في البستان

وَذَهَبُوا إِلَى مَكَانٍ اسْمُهُ جَسِيمَانِي.^أ

عبر المسيح والذين معه وادي قدرون وهو شرق المدينة، ويقع بين سورها الشرقي وجبل الزيتون. وفي البستان ذهبوا إلى مكان اسمه جَسِيمَانِي.^ب معنى كلمة جسيماني هو "معصرة".²⁵ يبدو أنه كانت هناك معصرة لعمل الزيت من الزيتون. هنا في هذا المكان بعد لحظات قليلة سيعتصر قلب المسيح حزنا على خطيئة الناس.

في بستان آخر، هو جنة عدن، حيث عاش آدم الأول، جرى صراع بين الشيطان وآدم. في تلك المرة انتصر الشيطان، وهُزم آدم ونحن معه! أما الآن، في هذه الليلة، فمع أن الصراع أقسى وأخطر، لكن ابن الله، آدم الأخير انتصر، وضمن النصر لنا.

الصلاة

فَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: "إِنْتَظِرُوا هُنَا بَيْنَمَا أُصَلِّي." وَأَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِالْخَوْفِ وَالْحُزْنِ الشَّدِيدِ. وَقَالَ لَهُمْ: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا إِلَى دَرَجَةِ الْمَوْتِ. إِنْتَظِرُوا هُنَا، وَاسْهَرُوا." ثُمَّ ابْتَعَدَ قَلِيلًا، وَرَمَى نَفْسَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ تِلْكَ السَّاعَةُ إِنْ أُمِكنَ. وَقَالَ: "يَا أَبَا! يَا أَبِي! أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَبْعِدْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. لَكِنْ لِتَكُنْ إِرَادَتُكَ أَنْتَ لَا إِرَادَتِي أَنَا." ثُمَّ رَجَعَ إِلَى التَّلَامِيذِ فَوَجَدَهُمْ نَائِمِينَ، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: "يَا سَمْعَانُ! أَنْتَ نَائِمٌ؟ أَلَمْ تُقَدِّرْ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِيَلَّا تَقْعُوا فِي مِجَنَّةٍ، تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا الصَّوَابَ، لَكِنَّ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ ضَعِيفَةٌ!" وَذَهَبَ وَصَلَّى مَرَّةً أُخْرَى نَفْسَ هَذِهِ الصَّلَاةِ. وَرَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى، فَوَجَدَهُمْ

^أ مر 14: 32

^ب مت 26: 36

^ت 1 كور 15: 45

نَائِمِينَ لَأَنَّ عُيُونَهُمْ كَانَتْ ثَقِيلَةً، فَلَمْ يَعْرِفُوا مَاذَا يَقُولُونَ لَهُ. ثُمَّ رَجَعَ مَرَّةً ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ: "نَامُوا وَاسْتَرِيحُوا! كَفَى! جَاءَتِ السَّاعَةُ! أَنْظَرُوا! الَّذِي صَارَ بَشَرًا يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي الْأَشْرَارِ. قُومُوا لِنَذْهَبَ. أَنْظَرُوا! جَاءَ الَّذِي خَاتَنِي."^أ

كانت الشمس قد غابت وحل الظلام. فلما وصلوا إلى البستان، ترك ثمانية من تلاميذه في بقعة ما وأخذ الثلاثة الباقين ليكونوا بالقرب منه. أخذ هؤلاء الثلاثة معه، ربما لأنه أراد أن يكون هناك شهود عيان لجهاده وصراعه في الصلاة لخير أمته في المستقبل، ليتمثل به أتباعه في الصلاة. وربما أيضا لأنه شعر أنه كان يحتاج إلى من يشجعه. كان يحتاج إلى رفقتهم وتشجيعهم في هذا الوقت العصيب. كان يرغب في أن يسهروا ويصلوا. نحن عندما نصلي معا نشجع بعضنا البعض. هذه درجة كبيرة من التواصل. خالق البشر يحتاج إلى البشر ليساعده. وتقدم قليلا ورمى نفسه على الأرض يتضرع لله ليعينه في هذه الساعة الصعبة.

ماذا جرى معه وما هي المشاعر والأحاسيس التي اختبرها السيد المبارك في ذلك الوقت؟ يقول الوحي إنه:

بَدَأَ يَشْعُرُ بِالْكَآبَةِ وَالْخَوْفِ وَالْحُزْنِ الشَّدِيدِ.^ب
قَالَ لَهُمْ: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا إِلَى دَرَجَةِ الْمَوْتِ."^ت

وَكَانَ فِي صَرَاعٍ شَدِيدٍ.^ث
فَأَخَذَ يُصَلِّي بِحَرَارَةٍ أَكْثَرَ.^ج
وَصَارَ عَرْفُهُ مِثْلَ نُقْطِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ.^ح

^أ مر 14: 32-42

^ب مت 26: 37؛ مر 14: 33

^ت مت 26: 38؛ مر 14: 34

^ث لو 22: 44

^ج لو 22: 44

^ح لو 22: 44

ما السبب في كل هذا؟ ما سبب الخوف والكآبة والحزن الشديد والصراع والعرق الذي تصيب مثل نقط دم؟

1. فَنَزَعَ من الخطيئة. كان المسيح يعرف أنه خلال ساعات قليلة سيحمل كل ذنوب البشر على الصليب. هنا يتصور في ذهنه بشاعة هذا الموقف وهوله وفظاعته. فهو القدوس الطاهر النقي ونفسه ترتعب لمجرد هذا الفكر.

2. حَزِنَ لأن الله سيحجب وجهه عنه. كان يعرف أنه سيموت كبديل عن العصاة الأشرار. ولا بد أن الأب القدوس يحتجب عن نائب الخطاة المذنبين بسبب بشاعة الخطيئة. كانت فكرة الانفصال عن الأب وعن حضوره واحتمال مرارة الهجر، ثم أيضا الوقوع تحت أهوال غضب العدل الإلهي، كل هذه كانت مخيفة، محزنة، ومروعة بحق. حين قال: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا إِلَى دَرَجَةِ الْمَوْتِ". لم تكن هذه كلمات فيها مبالغة، بل كان حزنه الشديد يكاد أن يقتله فعلا.

3. صارع قوات الشر. أشار المسيح إلى ذلك أثناء احتفاله بالفصح حين قال إن: "سَيِّدَ هَذِهِ الدُّنْيَا قَادِمٌ، وَلَيْسَ لَهُ أَيُّ سُلْطَانٍ عَلَيَّ".^أ كما أن تحذيره المتكرر للتلاميذ الذين غلبهم النوم في البستان هو: "اسْهَرُوا وَصَلُّوا لئَلَّا تَقْعُوا فِي مِحْنَةٍ".^ب انطلقت قوات الشر الروحية لتهاجم ابن الله بلا هوادة. لقد جاء المنقذ لهذه الساعة، فلا بد أن العدو يركز كل مجهوده ليمنع الفادي من القيام بأعظم عمل في التاريخ. أدرك عيسى خطورة هذه الساعة، وسهر وجاهد وصارع وانتصر.

أما هم فنعسوا وناموا! طلب منهم أن يسهروا معه. لكنهم ناموا. في مناسبة سابقة أخذ عيسى هؤلاء الثلاثة ليكونوا معه لما ظهر له موسى وإلياس، ولكنهم في تلك المرة ناموا، وفي هذه المرة أيضا ناموا! يبدو أنه من الصعب علينا نحن البشر أن

ندرك وأن تستوعب عقولنا وقلوبنا أمرين في غاية الأهمية: جلال المسيح، وآلام المسيح.

من هم هؤلاء الثلاثة؟ هناك بطرس الذي أكد للمسيح أنه على استعداد لأن يموت معه. فمنذ ساعة أو ساعتين فقط كان بطرس قد قال للمسيح: "يَا سَيِّدُ، أَنَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى السَّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ".^أ ولكنه الآن نائم! وهناك يعقوب ويوحنا اللذان في مناسبة سابقة قالوا إنهما على استعداد لأن يتحملا معه كل ألم وعذاب. سألهما عيسى: "هَلْ تَقْدِرَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا، أَوْ تَتَزَلَّأَا إِلَى أَعْمَاقِ الْأَلَمِ الَّذِي سَأَقَاسِيهِ أَنَا؟"^ب فَقَالَا لَهُ: "نَعَمْ، نَقْدِرُ".^ب ولكن لما جاءت الكأس المرة، لما جاء الألم القاسي، نام يعقوب ويوحنا! كلهم ناموا لأنهم لم يفهموا خطورة الموقف والأحداث التي ستلاحق بسرعة.

فسهر المسيح وحده، في صراع روحي عنيف وهو يصلي ويتضرع لله ويطلب منه أن يُبعد عنه هذه الكأس إن أمكن. كيف يسأل هذا؟ وما معنى سؤاله؟ إن المقصود بهذا الدعاء هو: "لو كانت توجد طريقة أخرى لفداء الناس وإنقاذهم من مصيرهم الرهيب، إذن لبتك تعفيني من هذه العملية المريرة القاسية. لو أمكن فداء البشر دون أن أنفصل عنك يا أبي خلال هذه الساعات المظلمة القادمة، فليتك تأخذ عني بعيدا هذا العذاب المر." لكن الحقيقة هي أنه لم توجد طريقة أخرى. نعم لا يمكن إنقاذ الناس بغير فداء، والفادي الوحيد هو ابن الله الكريم. قبل ذلك قال عيسى للتلاميذ: "قَلْبِي الْآنَ مُضْطَرِبٌّ. فَهَلْ أَقُولُ: أَنْقِذْنِي يَا أَبِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ؟ لا، فَأَنَا جِئْتُ لِهَذِهِ السَّاعَةِ."^ت لقد كان ذلك قصده الذي جاء من أجله.

^أ لو 22: 33

^ب مر 10: 38-39

^ت يو 12: 27

في هذه الصلاة علمنا درساً مهماً، ثم تقدم إلى الصليب ونقِّذ الدرس. عمل بما علم! في الصلاة قال الله: "لتكن إرادتك." وفي الصليب نفذ إرادة الله بأسمى طريقة، بأعظم تضحية.

وَوَظَّهَرَ لَهُ مَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه. وَكَانَ فِي صِرَاحٍ شَدِيدٍ، فَأَخَذَ يُصَلِّي بِحَرَارَةٍ أَكْثَرَ، وَصَارَ عَرَفُهُ مِثْلَ نُقْطِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ.^أ

ظهر له ملاك من السماء يقويه! هذه درجة أخرى من التواضع! رب السماء والأرض، خالق العالمين، سيد الناس والملائكة، أصبح في حاجة إلى ملاك ليساعده. وصلت به الحالة، بسبب الصراع الشديد في الصلاة، والخوف والرغبة مما هو قادم عليه، إلى ضعف جسماني شديد لدرجة أن يأتي إليه ملاك ليقويه، ليُعينه، ليشدده! هو رب الملائكة أجمعين، ولكنه هنا يحتاج لمساعدة ملاك! نام البشر فجاء الملاك ليقويه.

يقول الوحي المبارك عن ذلك الدعاء في تلك الليلة: "وَالْمَسِيحُ، فِي أَثْنَاءِ وُجُودِهِ كَانُشَانٍ هُنَا عَلَى الْأَرْضِ، قَدَّمَ صَلَوَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ بِصَرَاحٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ، إِلَى اللَّهِ الْقَادِرِ أَنْ يُنْقِذَهُ مِنَ الْمَوْتِ فَاسْتَجَابَ لَهُ لِتَقْوَاهُ."^ب

والمقصود بهذا هو أنه أثناء تلك الصلاة وذلك الصراع الروحي والنفسي الشديد، كاد عيسى أن يموت من شدة الحزن. فطلب من الله أن ينقذه من موت يداهه قبل الصليب. لأنه جاء وقصده أن يموت على الصليب ليفدي البشرية، لا ليموت قبل الصليب كمجرد شهيد مات حزناً على البشرية. استجاب الله له فمات على الصليب، فداءً لنا جميعاً. وأيضاً استجاب الله له وأنقذه من الموت بمعنى أنه بعدما صُلب عيسى ومات ودفن، أقامه الله حياً في اليوم الثالث.

^أ لو 22: 43-44

^ب عب 5: 7

قبلة الخائن

وَكَانَ الَّذِي خَانَهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ عَلَامَةً وَقَالَ: "الَّذِي أُقْبِلُهُ هُوَ الْمَطْلُوبُ، إِقْبِضُوا عَلَيْهِ." فَذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى عَيْسَى وَقَالَ لَهُ: "السَّلَامُ يَا مُعَلِّمُ." وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: "يَا صَاحِبِي لِمَاذَا أَنْتَ هُنَا؟" فَتَقَدَّمُوا وَالْقَوَا الْقَبْضَ عَلَى عَيْسَى وَأَمْسَكُوهُ. وَاقْتَرَبَ (يَهُودًا) مِنْ عَيْسَى لِيَقْبَلَهُ. فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: "يَا يَهُودًا، هَلْ يَقْبَلُهُ تَحُونُ الَّذِي صَارَ بَشَرًا؟" ^ب

لكي يرتكب هذا الخائن فعلته القبيحة، اختار أقدس ليلة: ليلة عيد الفصح، وأقدس مكان: حيث كان المسيح يصلي ويناجي الله، وأقدس رمز: القبلة! وأجس وأقذر ثمن؛ ثمن عبد (30 عملة من الفضة)!

كان عيسى يعلم ما سيحدث، وأن يهوذا سيخونه، لذلك قال بروح النبوة على فم داود قبل ذلك بمئات السنين: "حَتَّى صَدِيقِي الْحَمِيمِ، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، الَّذِي أَكَلَ مِنْ خُبْزِي، انْقَلَبَ ضِدِّي." ^ت

كما تحدث النبي داود أيضا عن يهوذا وقال:

لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً، وَلِيَأْخُذْ وَظِيفَتُهُ وَاحِدٌ آخَرُ. لِيَكُنْ بَنُوهُ يَتَامَى، وَرَزَوَجَتُهُ أَرْمَلَةً. لِيَتَشَرَّدَ بَنُوهُ وَيَتَسَوَّلُوا، مَطْرُودِينَ عَنْ دِيَارِهِمُ الْخَرِبَةِ. لِيَأْخُذِ الْمُدَايِنُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ، وَيَنْهَبِ الْغُرَبَاءُ تَعْبَهُ. لَا يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَرْحَمُهُ، وَلَا مَنْ يَتَحَنَّنُ عَلَى أَيَّتَامِهِ. لِيَنْقَرِضَ نَسْلُهُ، وَيُمْسَحَ اسْمُهُمْ مِنَ الْجِيلِ الْقَادِمِ. لِيَذْكُرِ الْمَوْلَى شَرَّ آتَائِهِ، وَلَا يَغْفِرَ خَطِيئَةَ أُمِّهِ، بَلْ تَبْقَى ذُنُوبُهُمْ دَائِمًا أَمَامَ الْمَوْلَى. لِيَقْطَعَ مِنَ الْأَرْضِ ذِكْرَهُمْ. لِأَنَّهُ لَمْ يَحْظَرْ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا، بَلِ اصْطَهَدَ الْمُسْكِينِ وَالْفَقِيرَ وَكَسِيرَ الْقَلْبِ حَتَّى

^أ مت 26: 48-50

^ب لو 22: 47-48

^ت مر 41: 9

الْمَوْتِ. أَحَبُّ أَنْ يَلْعَنَ فَحَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، وَكَرِهَ أَنْ يُبَارِكَ فَأَبْتَعَدَتْ عَنْهُ الْبَرَكَةُ. لَيْسَ
اللَّعْنَةُ كَرِدَاءٍ، فَدَخَلَتْ إِلَى جِسْمِهِ كَالْمَاءِ، وَإِلَى عِظَامِهِ كَالزَّيْتِ.^أ

أخي احذر من أن تقع في شرك الشيطان كما وقع يهوذا. احذر من أن تحون
المسيح كما خانته يهوذا. نعم، أحذرك أيها الإنسان، من أن تحون عيسى ربك وسيدك
وفاديك. ربما هناك اغراءات يُقدمونها لك. ربما يعرضون عليك أشياء جذابة، لكي
تُندَسَ في جماعة المؤمنين بعيسى الذين يلتقون سرا خوفا من السلطات التي تلاحقهم
ولا تعطيهم الحرية الدينية. ربما قدموا لك عروضاً مغرية؛ ربما وظيفة أو زوجة أو
داراً أو مالا! دعني أقول لك إنك إن كنت تدخل وتُندَسُ في جماعة المؤمنين لكي
تحطمهم وتخربهم وتضرهم، سيكون مصيرك كمصير يهوذا الخائن!^ب لذلك أنصحك أن
ترفض إغراءاتهم وعروضهم. أو ربما هناك تهديدات يتوعدونك بها. لا تخف منهم.
اتق الله. كن أميناً لسيدك عيسى المسيح الذي أحبك وضحى بنفسه من أجلك. هل
كثير عليك أن تضحي بنفسك من أجله؟

وهنا لي كلمة إلى جماعات المؤمنين بالمسيح الذين، على الرغم من ضغط السلطات
الظالمة، يلتقون معاً لعبادة الله الحق، في الخفاء وفي أماكن نائية ومعزولة: لا تخافوا!
إن المسيح القدير معكم. هو الذي أحبكم وضحى بنفسه من أجلكم وسيكون
معكم إلى النهاية. لذلك يقول لكم: "أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ خِرَافٍ وَسَطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا
حَذِيرِينَ كَالْحَيَّاتِ، وَلُطَفَاءَ كَالْحَمَامِ."^ت

كانت جماعة المؤمنين في إحدى العواصم في شمال إفريقيا تجتمع في دارنا في
ظروف صعبة. كنا دائماً نحاول أن نكون بعيدين عن عيون السلطات. وفي البداية،
كان لا بد أن نتخذ قراراً هاماً يهتم سلامة أفراد الجماعة باعتبار أي خادهم والراعي

^أ مز 109: 8-18

^ب أع 1: 15-20

^ت مت 10: 16

الروحي لهم. هذا القرار هو بشأن الأشخاص الذين يأتون إلينا ويقولون إنهم يرغبون في دراسة الإنجيل معنا. هل نقبلهم أو لا نقبلهم؟ هل نثق فيهم أم لا؟

والقرار الذي توصلنا إليه هو هذا: إنه من الأفضل أن نعمل خطأ ضد أنفسنا لا ضد الشخص الذي يريد الالتحاق بنا. ما معنى هذا؟ أقصد أنه إن جاءنا شخص وطلب أن يدرس كلمة الله معنا، ونحن بدورنا سألنا التقدير الإرشاد، لكن لم يكن الجواب واضحاً لنا، فمن الأفضل أن نقبل هذا الشخص لا أن نرفضه. أي أن نقبل شخصاً حتى ولو كان غير أمين معنا، لدرجة أنه يعرضنا للخطر. هذا أفضل من أن نرفضه بينما هو أمين ويبحث عن الحق، لئلا نعرضه هو لخطر الهلاك في الجحيم!

وذات مرة، وكنا نعبد المسيح معاً، طرق الباب زائر غريب لا نعرفه. قال الرجل: "أنا اسمي المولدي نوري، أصلاً مسلم، ولكني آمنت بالمسيح بينما كنت أزور فرنسا منذ أسابيع قليلة. وهناك أعطاني زميل لك اسمك وعنوانك وقال لي لا بد أن أزورك." هنا كان عليّ أن أتخذ قراراً سريعاً وخطيراً. إما أن أرفض الرجل لأني غير متأكد من صحة كلامه، أو أن أقبله في داري وفي اجتماع المؤمنين معاً ونحن لا نعرفه، وبذلك قد نعرض أنفسنا جميعاً للخطر، لأننا قد اجتمعنا معاً لنعبد المسيح في بلد لا يسمح بذلك. ووفقاً للسياسة التي نتبعها، رفعنا صلاة سريعة للتقدير أن يهبنا الإرشاد والهداية ويمنحنا القرار السريع السليم. وفعلاً قبلنا الرجل لينضم معنا إلى اجتماعنا في تلك اللحظة! ويا له من قرار حكيم بروح الله القدوس، فقد تقدم المولدي جدا في ولائه للمسيح وصار فيما بعد من خدام الجماعة ومن القادة الأمناء الأوفياء في خدمة المسيح على مدى سنين طويلة إلى آخر يوم في حياته.

ومن الناحية الأخرى، ذات مرة جاءت فاطمة، وبدأت تحضر اجتماعنا. ولكنها فجأة انقطعت. ولما سألنا عن السبب، قالت لنا فتاة أخرى تعرفها: "لماذا تقبلون فاطمة معكم؟ ألا تعلمون أنها تعمل في المخابرات في الأمن الوطني، وربما أرسلوها

لتنجس عليكم؟ ولكن لا تخافوا، فقد كانت فاطمة على علاقة بشاب، واكتشفت مؤخرا أنها حبلت منه في الحرام، فخافت من أهلها لئلا يقتلوها، وهربت إلى أوروبا!"
ما أعظم الفادي الكريم الذي يحرسنا ويحفظنا ويرعانا في كل خطوة من أمثال
يهوذا الخائن!

بطرس يحاول أن يحميه

وَهُنَا مَدَّ وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ عِيسَى يَدَهُ وَأَخْرَجَ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَبِّيسِ
الْأَخْبَارِ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: "أَرْجِعْ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ، فَكُلُّ مَنْ يَسْتَعْمِلُ
السَّيْفَ، بِالسَّيْفِ يَهْلِكُ. هَلْ تَنْظُرُ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَطْلُبَ مِنْ أَبِي، فَيُرْسِلُ لِي فِي الْحَالِ
أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا لِيَتِمَّ مَا وَرَدَ فِي
الْكِتَابِ."^أ

فَلَمَّا رَأَى أَتْبَاعُ عِيسَى مَا سَيَحْدُثُ، قَالُوا: "هَلْ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ يَا سَيِّدُ؟"
وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَبِّيسِ الْأَخْبَارِ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى. فَقَالَ عِيسَى: "كُفَّ عَن
هَذَا!" وَلَمَسَ أُذُنَ الرَّجُلِ وَشَفَاهُ. ثُمَّ قَالَ عِيسَى لِرُؤَسَاءِ الْأَخْبَارِ وَقَادَةِ حَرَسِ بَيْتِ اللَّهِ
وَالشُّيُوخِ الَّذِينَ جَاءُوا عَلَيْهِ: "هَلْ أَنَا لَصٌّ، حَتَّى خَرَجْتُمْ عَلَيَّ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ؟ كُنْتُ
مَعَكُمْ فِي بَيْتِ اللَّهِ كُلِّ يَوْمٍ، فَلَمْ تَقْبِضُوا عَلَيَّ. هَذِهِ هِيَ سَاعَتُكُمْ، حَيْثُ يَتَسَلَّطُ
الظَّلَامُ."^ب

...

وَكَانَ مَعَ سَمْعَانَ بُطْرُسَ سَيْفٍ، فَأَخْرَجَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ الْخَبَرِ الْأَعْلَى، وَقَطَعَ أُذُنَهُ
الْيُمْنَى. وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْحُسَ. فَقَالَ عِيسَى لِبُطْرُسَ: "صَغْ سَيْفَكَ فِي غِمْدِهِ. الْكَأْسُ

^أ مت 26: 51-54

^ب لو 22: 49-53

الَّتِي أَعْظَانِي الْأَبُ إِلَّا أَشْرَبُهَا؟^أ

ظن بطرس أن بإمكانه أن يحمي المسيح بالسيف. لم يكن حتى ذلك الوقت يدرك أو يفهم أن المسيح لا يجارب أعداءه بسلاح أو سيف. لم يعرف بطرس حتى ذلك الوقت أن عيسى يقف بقامة طويلة أعلى وأسمى وأنبل من أن يستخدم سفل الدم ليقهر أعداءه.

لم يسمح عيسى لأتباعه بأن يستخدموا العنف. لما ضرب بطرس عبد رئيس الأحرار، أمره المسيح بأن يتوقف عن هذا. ولمس الجريح وشفاه بمعجزة.

القبض عليه

وَكَانَ يَهُودَا الَّذِي خَانَهُ، يَعْرِفُ ذَلِكَ الْمَكَانَ، لِأَنَّ عِيسَى اجْتَمَعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ هُنَاكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ. فَأَخَذَ يَهُودَا فِرْقَةً مِنَ الْعَسْكَرِ وَجَمَاعَةً مِنَ الْحَرَسِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْقَرِيْسِيِّونَ، وَرَاحَ إِلَى الْبُسْتَانِ. وَكَانَ مَعَهُمْ مَصَابِيحُ وَمَشَاعِلُ وَسِلَاحٌ. وَكَانَ عِيسَى يَعْلَمُ كُلَّ مَا سَيَحْدُثُ لَهُ، فَخَرَجَ وَقَالَ لَهُمْ: "مَنْ تَطْلُبُونَ؟" فَأَجَابُوا: "عِيسَى النَّاصِرِيِّ." قَالَ لَهُمْ: "أَنَا هُوَ." وَكَانَ يَهُودَا الَّذِي خَانَهُ وَاقِفًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ عِيسَى لَهُمْ: "أَنَا هُوَ،" رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَوَقَعُوا عَلَى الْأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ عِيسَى ثَانِيَةً: "مَنْ تَطْلُبُونَ؟" قَالُوا: "عِيسَى النَّاصِرِيِّ." أَجَابَ عِيسَى: "قُلْتُ لَكُمْ أَنَا هُوَ، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونِي أَنَا، خَلُّوا هَؤُلَاءِ يَذْهَبُونَ." وَبِهَذَا تَمَّتِ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا: "لَمْ أَفْقِدْ أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ أَعْظَيْتُهُمْ لِي."^ب

أرسل قادة الدين عصابة إلى البستان ليقبضوا على عيسى. من كان في هذه العصابة؟ قائدها: يهوذا القريوتي. أعضاؤها: رؤساء الأحرار، وفرقة من العسكر

^أ يو 18: 10-11

^ب يو 18: 2-9

الروماني، وقادة حرس بيت الله، وشيوخ الشعب. ماذا كان معهم؟ مصاييح ومشاعل وسلاح.^ب وكان السلاح هو سيوف وعصي.^ت عجباً، خرجوا ليفتشوا ويبحثوا عن نور العالم بمصاييح ومشاعل! خرجوا بسيوف وعصي ليقبضوا على ملك السلام ويُخضعوه! لما سأل السيد المسيح الذين جاءوا للقبض عليه: "من تطلبون؟" أجابوا: "عيسى الناصري." فقال لهم بشجاعة: "أنا هو." فرجعوا إلى الوراء ووقعوا على الأرض. إذن في الحقيقة، قبلة يهوذا لم تكن لازمة! هنا يُعرف عيسى بنفسه، ويعلن لمن جاءوا ليقبضوا عليه أنه هو الشخص المطلوب.

لماذا رجعوا إلى الوراء ووقعوا على الأرض؟ إن جوابه لهم كان صدمة كبيرة. لقد استخدم المسيح عبارة "أنا هو" التي عرّف بها الله القدير نفسه لموسى عند العليقة المشتعلة حيث قال له: "أَنَا اللَّهُ الَّذِي اسْمِي: أَنَا هُوَ."^ث إذن هذا التعبير يعني أكثر من القول: أنا عيسى. أكثر من: أنا المعلم وصانع المعجزات. المعنى هو: أنا هو الكائن، أنا هو الدائم، الذي أظهرت نفسي لموسى في العليقة. أنا هو الحي القدير صاحب السلطان فوق الناس والكون. ومهما دبر الإنسان من خطط ومؤامرات، فالكل يظل تحت نفوذي وسلطاني. إذن لم يكن المسيح ضعيفاً أمام أعدائه، بل قوياً قديراً يتحكم في الظروف والأحوال وفي سير التاريخ والأحداث!

لعل هذا يذكرنا بمجاعة جرت في أيام النبي صموئيل. فقد هزم الفلسطينيون بني إسرائيل، واستولوا على صندوق العهد المغشى بالذهب، وأخذوه ووضعوه في معبد إلههم في أشدود. لكنهم في الصباح وجدوا تمثال إلههم ساقطاً على وجهه على الأرض أمام

^أ لو 22: 52، يو 18: 3

^ب يو 18: 3

^ت مت 26: 47؛ لو 22: 52

^ث خر 3: 14

صندوق عهد المولى. ولما تكرر هذا في اليوم التالي، أدرك أهل أشدود أن المولى
القدير رب بني إسرائيل هو الذي أسقط التمثال وكسّره وحطمه.^ب

لكن هؤلاء الذين جاءوا ليقبضوا على عيسى وسقطوا أمامه، لم يتذكروا هذه
الحادثة في تاريخهم القديم، ولم يتعظوا كما اتعظ أهل أشدود!^ت

وهنا يجب أن نفهم أنه في الليلة التي قبضوا فيها على عيسى في البستان، كان
أمام سيدنا المسيح اختياران آخران غير تسليم نفسه لمن قبضوا عليه، وكان له مطلق
الحرية أن يختار أي واحد منهما.

أولاً، كان في إمكانه أن يطلب من الله تعالى فيرسل له اثني عشر جيشاً من
الملائكة لتنقذه مما كان ينتظره تلك الليلة واليوم الذي بعدها.^ث وفي هذه الحالة كان
يمكن أن يلتف حول عيسى الآلاف من الذين جاءوا إلى القدس ليحتفلوا بالعيد،
وكان من الممكن أن يستخدموا سيوفهم وخناجرهم لبدء ثورة جارفة ليرموا بالرومان
في عرض البحر ويجرروا البلاد منهم ويؤسسوا مملكة حرة. في الحقيقة كان هذا هو
توقع الشعب. كان هذا مفهوم الشعب لمعنى التعبير: المسيح الملك. فمن ناحية كانت
هناك إمكانية مساعدة الملائكة له، ومن الناحية الأخرى إمكانية انضمام الشعب
إليه.

ولكن تعال أخي نسأل هذا السؤال الخطير: على أي شيء كانت تقوم هذه
المملكة؟ هل على محبة الأعداء التي نادى بها عيسى؟ طبعاً لا! هل على الدعاء من
أجل الذين يضطهدوننا، والإحسان إلى الذين يسيئون إلينا كما أمرنا هو؟ طبعاً لا!
لو حدث ذلك فعلاً وقامت مملكة المسيح على الثورة والسيف، لكانت مثل أي مملكة

^أ 1 صم 5: 1-4

^ب 1 صم 5: 1-12

^ت 1 صم 6

^ث مت 26: 53

أخرى، وحكومتها مثل حكومات الأرض، وتستند على الحرب والعنف وسفك الدم، ويشوبها الفساد والظلم.

وثانياً، أي الاختيار الثاني الذي كان أمام عيسى، هو أن ينسحب من البستان قبل ما جاءوا ليقبضوا عليه. كان يمكنه أن يهرب من ذلك المكان تحت ستار الظلام. أو حتى لما جاءوا ليقبضوا عليه وسقطوا على الأرض أمامه. كان يمكنه أن يتركهم ساقطين ويهرب منهم. أي كان من الممكن له أن يستغل هذا الموقف ويهرب.

كان فعلاً بإمكان عيسى أن يهرب في تلك الليلة من البستان ومعه تلاميذه، ويصعد جبل الزيتون، ثم يعبر قرية بيت عنيا، ومنها يتجه إلى نهر الأردن ويعبره إلى الضفة الأخرى. الملك داود قبل ذلك بألف سنة عمل هذا في ليلة واحدة ومعه مئاة وربما آلاف من معاونيه، وبذلك هرب من أبشولم الذي ثار ضده.^أ

لو كان المسيح قد فعل ذلك، لكان قد ابتعد عن الخطر تماماً. ثم هناك في الصحراء كان يمكنه أن يقيم مملكته ويؤسسها على قواعد وقوانين وشرائع دينية ومبادئ اجتماعية، ويأمر جماعته بالقيام بفرائض وصوم وصلاة. وبذلك يكونون كلهم في أمان، وينتظرون حتى يعمل الله شيئاً!

لكن لا. لم يكن هذا هو الطريق الذي اختاره المسيح. إنه جاء ليفدي، جاء لينقذ. ولكي يتم هذا كان لا بد أن يموت. لذلك اختار أن يبقى في البستان وينتظر حتى يأتي أعداؤه ويقبضوا عليه ويأخذوه لمحاكمة شكلية جائرة باطلة، ويصلبوه ويقتلوه.

للأسف أن بعض المسيحيين الذين يُطلق عليهم اسم عيسى المسيح الطاهر، اختاروا في بعض الأوقات الاختيار الأول، بعكس المسيح سيدهم. فحولوا سيف الإنجيل الكريم إلى سيف من حديد يقطع الرقاب ويطعن القلوب ويسفك الدماء.

^أ 2 صم 15: 23، 30، 32؛ 16: 5، 14

والصليب الذي هو رمز المحبة والتضحية والفداء، حولوه إلى رمز الجهاد المسلح والحرب والقتال. إن المسيح من هؤلاء براء! إنهم لا ينتمون إليه. هذه ليست أمة عيسى الحقيقية. هذه ليست جماعة الأتقياء المؤمنين بالمسيح.

ثم في أوقات أخرى، انسحبت أمة المسيح من المجتمع، وظنت أن الدين هو أمر بين الفرد وبين الله تعالى وفقط، وأن أمة عيسى لا يجب أن تتدخل في شئون المجتمع أو الدولة أو العالم. الذين يحبذون هذا الموقف يتبنون سياسة الفصل بين الدين والدولة. مثل هؤلاء تركوا الحبل على الغارب للشر لينتشر ويستشري دون مانع أو رادع. تركوا إدارة دفة أمور الناس في يد قادة لا يعرفون التقوى ولا يخافون الله، وفي يد ساسة لا يدركون في أي اتجاه يسرون.

والذي نحتاج إليه اليوم هو أن تسلك أمة عيسى الطريق الذي سلكه سيدنا نفسه. نحتاج أن نكون هناك في وسط العالم المحتاج ونقدم أنفسنا بمحبة وتضحية وتقوى.

هرب التلاميذ

فَقَبَضَ الْعَسْكَرُ وَالْقَائِدُ وَحَرَسُ الْيَهُودِ عَلَى عِيسَى وَقَيَّدُوهُ وَسَاقُوهُ... ثُمَّ تَرَكَهُ
التَّلَامِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا!

هنا الذي أرسله الله ليطلق المظلومين أحرارا نراه مقيدا، والذي سيحاكم كل البشر بالعدل، نراه واقفا أمام ظالمين يُحاكمونه، ومانح الحياة حكموا عليه بالموت!

تبعه شاب

وَتَبِعَهُ شَابٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَأِسِ عَيْرُ عَبَايَةٍ مِنَ الْكُتَّانِ. فَأَمْسَكُوهُ لَكِنَّهُ تَرَكَ الْعَبَايَةَ وَهَرَبَ عُرْيَانًا.

لا نعرف من هو هذا الشاب، لكن يقول بعض المفسرين ربما هو مرقس الذي أوحى الله إليه فيما بعد بالبشارة التي تحمل اسمه. فهو هنا يتحدث عن نفسه ولذلك لم يذكر اسمه اتضاعا وتأدبا. المهم هو أنه أراد أن يتبع المسيح بعد القبض عليه. يبدو أن ذلك الشاب كان لابسا ثوب الليل المعتاد في داره، وأنه سمع أصوات العسكر والضجة. فخرج من الدار وأخذ يتبع المسيح إما حبا له أو لحب الاستطلاع لأنه أراد أن يشاهد ما يحدث. لكن لما رأى أن حياته في خطر، هرب عريانا تاركا ثوبه الوحيد الذي كان يغطي به عريه.

وقف أمام القضاة

بعدما قبضوا عليه، ساقوه إلى سلسلة من المحاكمات. أولا أمام قادة الدين اليهود، حيث حاكموه على 3 مراحل. وثانيا أمام الحكام الرومان، حيث حاكموه أيضا على 3 مراحل.

أمام قادة الدين²⁶

أحضر قادة الدين عيسى ليمثل أمامهم كمتهم. لم يُدركوا في ذلك الوقت أنهم سيقفون أمامه في يوم الدين ليحاكمهم.

أمام حنا

فَقَبَضَ الْعَسْكَرُ وَالْقَائِدُ وَحَرَسَ الْيَهُودَ عَلَى عَيْسَى وَقَيَّدُوهُ وَسَاقُوهُ أَوَّلًا إِلَى حَنَّا، وَهُوَ حَمُو قَيَافَا الْحَبِيرِ الْأَعْلَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ... فَسَأَلَ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ عَيْسَى عَنْ تَلَامِيذِهِ وَعَنِ التَّعْلِيمِ الَّذِي يُنَادِي بِهِ. فَأَجَابَهُ عَيْسَى: "أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَنًا، وَدَائِمًا عَلَّمْتُ فِي بُيُوتِ الْعِبَادَةِ وَفِي بَيْتِ اللَّهِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ كُلُّ الْيَهُودِ، وَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا فِي السَّرِّ. إِذَنْ لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ إِسْأَلِ الَّذِينَ سَمِعُوا، عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَلَّمْتُهُمْ بِهَا، فَهُمْ يَعْرِفُونَ مَا قُلْتُ." فَلَمَّا قَالَ عَيْسَى هَذَا، لَطَمَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْحَرَسِ كَانَ بِجَانِبِهِ وَقَالَ لَهُ: "أَبْهَذِ الطَّرِيقَةَ تَرُدُّ عَلَى رَئِيسِ الْأَحْبَارِ؟" أَجَابَهُ عَيْسَى: "إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِي كَلَامِي، فَبَيِّنِ الْخَطَأَ. وَإِنْ كُنْتُ تَكَلَّمْتُ بِالصَّوَابِ، فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟" فَأَرْسَلَهُ حَنَّا مُقَيَّدًا إِلَى قَيَافَا الْحَبِيرِ الْأَعْلَى.^أ

كان حنا كبير السن، وقد عزله الرومان من أن يكون رئيس الأحبار وأعطوا المركز بالتناوب لخمسة من أولاده وزوج بنته قيافا. ومع ذلك بقي حنا القوة المحركة وصاحب النفوذ.

لاحظ هنا أن هذا الرجل سأل عيسى عن أمرين: عن تلاميذه، وعن التعليم الذي ينادي به. لكن عيسى رد على السؤال بشأن تعليمه، ورفض أن يرد على السؤال بشأن تلاميذه. لماذا؟ لأن الكلام هنا يعني أن رئيس الأحبار كان يريد أن يعرف: من هم، وما أسمائهم، وما هو عددهم، وما هي عناوينهم، وما هي وظائفهم. أراد المسيح أن يحميهم من خطر السلطات.

في هذا الوقت الذي كان عيسى فيه يحمي تلاميذه، أنكره بطرس! فإنه بعد لحظات قليلة من هذا، سأل الناس بطرس إن كان من تلاميذ عيسى، لكن بطرس كذب وقال إنه لا يعرفه! لاحظ أن هناك فرقا كبيرا بين طريقة عيسى في الرد، وطريقة

بطرس. عيسى لم يرد، أما بطرس فاستعمل القسم والشتائم، لأنه كان ينكر حقائق ثابتة ومعروفة!

في محاكمة بولس أمام المجلس ذاته، ولكن بعد هذا بعدة سنين أمر رئيس الأخبار خدامه بأن يضربوا بولس على فمه. فقال له بولس: "يَضْرِبُكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْخَائِطُ الْمُبَيِّضُ!"^أ هل تشعر في بعض الأوقات بأن تعمل مثل بولس، أم مثل المسيح الذي يقول عنه الوحي: "سَتَمُوهُ فَلَمْ يَرُدَّ بِالشَّتِيمَةِ، عَذَّبُوهُ فَلَمْ يَهْدُدْهُمْ، بَلْ سَلَّمَ أَمْرُهُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ."^ب

كان قانونهم ينص على أن أية محاكمة يجب أن تتم في النهار، وفي ساحة المحكمة التي هي جزء من بيت الله. إذن كانت هذه محاكمة غير شرعية وغير عادلة، لأنها تمت في منتصف الليل، وفي دار حنا. ثم إنه لم يكن هناك شهود! ولذلك لما لم يمكن لِحَنَّا أن يلصق تهمة بالمسيح، قرر أن يرسله مقيدا إلى قيافا، لعله يقدر أن يدينه.

أمام قيافا

فَالَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى عِيسَى سَاقُوهُ إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْأَخْبَارِ حَيْثُ كَانَ الْفُقَهَاءُ وَالشُّيُوخُ مُجْتَمِعِينَ عِنْدَهُ.^ت

هذا يعني أن قادة الدين كانوا مجتمعين فعلا ويبدو أنهم كانوا يتوقعون وصول عيسى للمثول أمامهم. وهنا أيضا نرى أنها محاكمة غير قانونية وغير عادلة، لنفس الأسباب التي ذكرناها في محاكمته أمام حنا.

^أ أع 23: 1-5

^ب 1 بط 2: 23

^ت مت 26: 57

أمام المجلس

وَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ، اجْتَمَعَ مَجْلِسُ شَيْوُخِ الشَّعْبِ، وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْفُقَهَاءِ،
وَسَاقُوا عِيسَى إِلَى مَجْلِسِهِمِ الْأَعْلَى. وَقَالُوا: "إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ، فَقُلْ لَنَا."
أَجَابَهُمْ: "إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لَا تُصَدِّقُونَ، وَإِنْ سَأَلْتُكُمْ لَا تُجِيبُونَ. لَكِنْ مِنَ الْآنَ يَجْلِسُ
الَّذِي صَارَ بَشَرًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الْقَدِيرِ. فَقَالُوا كُلُّهُمْ: "هَلْ أَنْتَ إِذَنْ ابْنُ اللَّهِ؟" أَجَابَ:
"قُلْتُمُ الصَّوَابَ." فَقَالُوا: "لِمَاذَا نَحْتَاجُ إِلَى شَهَادَةٍ أَكْثَرَ؟ نَحْنُ سَمِعْنَاهَا مِنْ فَمِهِ هُوَ!"^أ

يبدو أن رؤساء الأحرار دعوا لهذا الاجتماع سرا وعلى وجه السرعة واختاروا أن يحضره فقط الأشخاص الذين كانوا يعارضون عيسى ولا يتعاطفون مع رسالته. أقول هذا لأن الكتاب يقول إن أعضاء المحكمة كلهم حاولوا أن يجدوا شهادة زور ضد عيسى.^ب ثم إنهم اتخذوا القرار بقتله بالإجماع.^ت

لذلك من المعقول أن نقول إن يوسف الذي من الرامة والذي كان من تلاميذ عيسى^ث لم يكن موجودا في ذلك الاجتماع مع أنه كان عضوا في المجلس.^ج كذلك نقول إن نقديموس لم يكن موجودا. وقد كان هو أيضا عضوا في المجلس.^ح وفي مناسبة سابقة أصر أن الشريعة لا تحكم على أحد قبل أن يسمع القضية منه.^خ لماذا نقول إن يوسف ونقديموس لم يكونا موجودين في الاجتماع؟ لأنه من غير المعقول أن يحكما بصلب عيسى. كما أن الكتاب يقول إن يوسف "لَمْ يُوَافِقْ عَلَى قَرَارِهِمْ وَلَا

^أ لو 22: 66-71

^ب مت 26: 59؛ مر 14: 55

^ت مت 27: 1؛ مر 14: 64

^ث مت 27: 57

^ج لو 23: 50-51

^ح يو 7: 50

^خ يو 7: 51

عَلَى تَصَرُّفِهِمْ.^أ لقد قصد رؤساء الدين أن يعقدوا هذه الجلسة غير العادية للمحكمة على وجه السرعة ودون إخطار المتعاطفين مع عيسى، لأنهم أرادوا أن يصدروا ضده حكما سريعا لإزالته فورا.

سكت عيسى ورفض أن يدافع عن نفسه، مع أنه كان في إمكانه أن يفعل ذلك. فيقول الإنجيل إن رؤساء الدين والقادة كانوا يقدمون التهم ضده، فلا يرد.^ب كما أنه رفض أن يرد فيما بعد على بعض أسئلة بيلاطس وعلى هيرودس!

نعم، كان في إمكانه أن يرد عليهم، ويفحمهم ويظهر للجماهير جهلهم وكذبهم. فهو الذي في سنّ الثانية عشرة كان يطرح الأسئلة على علماء الدين فيحيرهم، وكانوا يتعجبون من فهمه وإدراكه.^ج وبعد ذلك أثناء خدمته وسط الجماهير، كلما كانوا يأتون إليه بسؤال أو بموضوع ما وقصدهم أن يوقعوه في الكلام، كان يفحمهم ويذهلهم برده، ويرسلهم على أعقابهم خائبين خاسرين! فعيسى لم تكن تعوزه الكلمات لكي يُسكت معارضيهِ ويسد أفواههم. كانت مهارته في الحديث لا مثيل لها. كانت له مقدرة عجيبة لإقناع المستمع والوصول إلى قلبه ولبه.

ولكن ماذا حدث حتى نراه هنا أثناء محاكمته ساكتا صامتا، لا يتكلم ولا يدافع عن نفسه؟ لماذا لم يحتج على الظلم؟ لماذا لم يقاوم أعداءه؟ لماذا لم يحاربهم ويهزمهم؟ كان بإمكانه أن يزيلهم من الوجود بكلمة أو بنفخة. كان يمكن لعيسى أن يدافع عن نفسه. لكنه لم يقل شيئا. ثم أيضا كان يمكن أن يرفع دعواه إلى قيصر كما عمل بولس فيما بعد وكما عمل غيره. لكن ابن الله القدير لم يفتح فمه. لماذا؟ أولا، لأنه كان يعلم أنه يجب أن ينال قصاص ذنوبنا. أو بمعنى آخر أن يصبح مذنبا مكاننا! أي يصبح مذنبا بذنوبنا نحن وليس بذنوبه هو.

^أ لو 23: 51

^ب مت 27: 12

^ج لو 2: 46-47

وثانيا، كان يعرف أن الحكم عليه قد صدر قبل أن يأتي أمام المحكمة! فمهما قدم من دفاع، لن يؤخذ كلامه في الاعتبار. ثم إنهم أحضروا شهود زور. أي إنهم قرروا إزالته قبل أن يسمعو منه!

وثالثا، لم يرد عليهم لأنه هو الحمل الذي أرسله الله ليرفع خطيئة الناس. هو حملٌ والحمل وديع. ولهذا قال النبي إشعيا عن عيسى بروح الله: "صَرَبُوهُ وَأَذَلُّوهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ. كَانَ كَحَمَلٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَشَاقِ صَامِتَةٍ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ يُجْرُهَا، فَلَمْ يَفْتَحْ فَمَهُ."^أ

وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْمَجْلِسِ الْأَعْلَى كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً ضِدَّ عَيْسَى لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا ضِدَّهُ بِالزُّورِ، لَكِنْ لَمْ تَتَّفَقْ شَهَادَاتُهُمْ. ثُمَّ قَامَ بَعْضُهُمْ، وَشَهِدُوا ضِدَّهُ بِالزُّورِ وَقَالُوا: "نَحْنُ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: 'سَأْهَدُ بَيْتَ اللَّهِ هَذَا الَّذِي صَنَعَهُ النَّاسُ، وَفِي 3 أَيَّامٍ أَبْنِي غَيْرَهُ لَمْ يَصْنَعْهُ النَّاسُ.'" وَحَتَّى فِي هَذَا لَمْ تَتَّفَقْ شَهَادَاتُهُمْ. فَوَقَفَ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ فِي وَسْطِ الْمَجْلِسِ وَسَأَلَ عَيْسَى: "هَلْ عِنْدَكَ رَدٌّ عَلَى التَّهْمِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا ضِدَّكَ هَؤُلَاءِ الشُّهُودُ؟" لَكِنَّهُ سَكَتَ وَلَمْ يَرُدَّ.^ب

"سَأْهَدُ بَيْتَ اللَّهِ." هذه تهمة باطلة، لأنه لم يحدث أبدا أن عيسى قال هذا الكلام. "وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِي غَيْرَهُ لَمْ يَصْنَعْهُ النَّاسُ." أي أحسن منه. هذا تحريف فاضح للكلام الذي قاله المسيح. فهو قد قال: "إِهْدِمُوا هَذَا الْبَيْتَ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ." فَقَالُوا: "هَذَا الْبَيْتُ بُنِيَ فِي سِتِّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَكَيْفَ تُقِيمُهُ أَنْتَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟" لَكِنَّهُ كَانَ يَعْنِي بِالْبَيْتِ، جِسْمَهُ هُوَ.

هل صدقوا فعلا أنه سيهدم بيت الله؟ هذه تهمة مزورة وقد قتلوه على أساسها. ولكن الغريب في الأمر هنا هو أنه بسبب موته، هُدم بيت الله في القدس بعد

^أ إش 53: 7

^ب مر 14: 55-61

^ت يو 2: 19-21

حوالي 40 سنة من هذا التاريخ. إسرائيل رفضت ملكها، ولذلك رفضها الله. إسرائيل حكمت على أقدم من داست قدماء الأرض، لذلك حكم الله عليها بإزالة أقدم مكان تعز به وتفخر به - البيت الذي كانوا يعبدون فيه!

كانوا يخافون جدا على بيت الله. في اجتماع لقادة الدين بسبب المعجزة التي أجراها عيسى بإقامة لعازر من الموت، عقد رؤساء الأبرار والفريسيون اجتماعا، فيه عبروا عن هذا الخوف، فقالوا: "هَذَا الرَّجُلُ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً، فَمَاذَا نَعْمَلُ؟ إِنْ تَرَكْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يُوْمِنُ بِهِ الْجَمِيعُ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيُدْمِرُونَ بَيْتَ اللَّهِ وَيَأْخُذُونَ أُمَّتَنَا." لذلك قرروا أن يقتلوه. ومرة أخرى أقول، ومع أنهم قتلوه، جاء الرومان ودمروا البيت الذي كان اليهود على استعداد لأن يحرسوه بدمائهم، وحطموا الأمة وداسوها في التراب!

في وقت سابق حدثهم عيسى بمثل، هو في نفس الوقت نبوة عن هذا. المثل هو عن واحد صاحب أملاك أجر بستانه إلى فلاحين. ولكنه لما أرسل ليحصل على نصيبه منهم، ضربوا عبيده وأهانوهم وجرحوهم وقتلوا بعضهم. وأخيرا قرر أن يرسل ابنه لأنه قال إنهم سيخافون ابنه. ولكنهم قتلوا الابن ورموه خارج البستان. وهنا يسأل عيسى المستمعين ويقول: ماذا يعمل صاحب البستان؟ ويرد عيسى بنفسه على سؤاله ويقول: يأتي ويقتل الفلاحين ويعطي البستان لغيرهم.^٦

وهنا أدرك اليهود أنه كان يتحدث عنهم ويقول، لأنهم رفضوه هو ابن الله، فلذلك رفضهم الله. ولا شك أن هذا المثل زاد من كراهيتهم الشديدة له.

فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْأَخْبَارِ: "هَلْ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟" أَجَابَ عَيْسَى: "نَعَمْ، أَنَا هُوَ، وَسَتَرَوْنَ الَّذِي صَارَ بَشَرًا جَالِسًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الْقَدِيرِ، وَآتِيًا عَلَى

سَحَابِ السَّمَاءِ!" فَشَقَّ رَئِيسُ الْأَحْبَارِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: "لِمَاذَا نَحْتَاجُ إِلَى شُهُودٍ؟ أَنْتُمْ سَمِعْتُمْ الْكُفْرَ! فَمَا رَأَيْتُمْ؟" فَحَكَمَ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ. فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يَبْصُقُ عَلَيْهِ، وَغَطَّوْا وَجْهَهُ وَلَكَمُوهُ، وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ: "تَنَبَّأُ." وَأَخَذَ الْحَرَسُ يَلْطُمُونَهُ.

مع أن عيسى سكت ولم يرد على بعض الأسئلة السابقة، نراه هنا لا يسكت أمام هذا السؤال الخطير. فهو إن سكت، ربما يظن الموجودون أنه تراجع عن تصريحاته التي أعلنها من قبل، أو خاف من هؤلاء القادة أصحاب المراكز العالية.

لما كنت صغيرا وكنت أقرأ قصة صلب المسيح، كنت دائما أتضيق حين أصل إلى هذا الجزء الذي فيه يستجوب رئيس الأحبار سيدنا عيسى، كنت كصبي أقول في نفسي: "ليت سيدنا عيسى لم يَقُلْ كل هذا، بل ليتَه أجاب بطريقة أخرى لكي لا يصلبوه!" كنت صغيرا أجهل معنى الصليب! لأنه ماذا يكون حالي الآن لو لم يمت المسيح من أجلي؟ يا تعاسي لو لم يقدم المسيح نفسه ضحية من أجلي! بل إني اليوم أفخر بالصليب.

سأل قيافا سيدنا عيسى: "هَلْ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟" هذا سؤال يدل على مكر شديد. هنا نجد مؤامرة من جانب رئيس الأحبار لقتل عيسى! لماذا؟ لأن هذا السؤال يعني: هل أنت هو الملك؟ فإن أجاب عيسى بنعم، يجعل نفسه مغتصبا لمركز القيصر، وهنا لا بد للرومان أن يتدخلوا ويقوموا بمحاكمته وصلبه. أما إن قال: "لا" فإنه بذلك يُسدّد للشعب لطمة، لأنه يُخَيِّب آمالهم، وهم الذين ظنوا أنه هو المسيح الذي سيحررهم ويمنحهم الرخاء والسلام. وبذلك يصبح عيسى في أعين الناس مسيحا كاذبا، لا يمكن أن يُرجى منه خير. وهذا يسبب ثورة الشعب ضده والمطالبة بإعدامه.

جواب المسيح على هذا السؤال يدل على حكمة وصدق وقلب محب. فهو يقول

نعم إنه المسيح، ولكن بمعنى يختلف عما يظنه قيافا وعما يظنه الشعب. فهو المسيح بالمعنى الكتابي، جاء لا ليحمل سيفاً ويقتل، بل ليموت ويفدي. لا ليأخذ، بل ليعطي، وعطيته هي حياة الخلود.

ربما كان قيافا يعني بهذا السؤال: كيف تتجرأ وتقول إنك المسيح الملك بينما نحن قبضنا عليك، وأنت الآن تحت رحمتنا؟ هل قبضنا على الملك؟ هل ابن الله واقف أمامنا الآن مهانا مذلولاً ونحن نحاكمه؟ كان رئيس الأحرار المعظم، صاحب أعلى مركز ديني في البلاد، يحترق هذا النجار الجليلي. لم يكن قيافا قد سمع الملاك يهتف للرعاة بشأنه من قبل ويقول: "لا تَخَافُوا، فَإِنَّا أَبْشَرُكُمْ بِخَيْرٍ يُفْرَحُ كُلُّ النَّاسِ جِدًّا. الْيَوْمَ وُلِدَ لَكُمْ مُنْقَذٌ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ هُوَ الْمَسِيحُ سَيِّدُ الْكُلِّ".^أ لم يكن قيافا قد سمع الأب يقول: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي يُفْرَحُنِي".^ب لم يسمع قيافا إقرار نثنيل وشهادته لعيسى حين قال: "يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ، أَنْتَ الْمَلِكُ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ هَذَا الشَّعْبُ".^ج ولا اعتراف أتباع المسيح بعدما هَذَا العاصفة حين قالوا: "حَقًّا أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ".^د ولا شهادة بطرس له حين قال: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ".^{هـ} ولا شهادة مرثا له: "أَنَا أُوْمِنُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الَّذِي نَتَوَقَّعُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْعَالَمِ".^و قيافا لا يقدر أن يسمع هتاف الملائكة، ولا صوت الله، ولا شهادة تلاميذ المسيح.

كان قيافا، باعتبار أنه الحبر الأعلى، يدخل مرة واحدة في السنة إلى القدس الداخلي في بيت الله ليقدم دم ضحية ليُكْفَرَ عن ذنوبه وعن ذنوب شعبه. هناك كان يرى غطاء الكفارة رمز حضور الله. لكن حين وقف عيسى أمامه في تلك اللحظة،

^أ لو 2: 10-11

^ب مت 3: 17؛ 17: 5؛ مر 9: 7؛ لو 9: 35؛ 2 بط 1: 17

^ج يو 1: 49

^د مت 14: 33

^{هـ} مت 16: 16

^و يو 11: 27

لم يدرك قيافا أن هذا الشخص هو الذي كان يرمز غطاء الكفارة له. نعم، لم يدرك قيافا في عماه الروحي أن ما كان يعملُه سنويا هو الرمز، أما الآن فهذه هي الحقيقة ذاتها. صحيح، كان هو رئيس الأبحار أما الآن فهو أمام رئيس الأبحار الأعظم. الآن هو في محضر الله ذاته. وهذا يعني أن قيافا هو مجرد خادم أمام سيده!

لم يكن قيافا يتوقع أن يرد عليه المسيح بالإيجاب. ربما كان رئيس الأبحار يظن أن عيسى سيقول: "لا سمح الله! أنا لا أدعي لنفسني هذه النسبة العالية ولا هذه المكانة السامية!" لكن المسيح فاجأه برد أكمل وأشمل من السؤال ذاته. قال عيسى: "قُلْتُ الصَّوَابَ، وَأُوَكِّدُ لَكُمْ جَمِيعًا، أَنَّهُ مِنَ الْآنَ سَتَرَوْنَ الَّذِي صَارَ بَشَرًا جَالِسًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الْقَدِيرِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ."^أ

كانت الأوضاع مقلوبة في هذه المحكمة. فهنا الخبر الأعلى الحقيقي واقف مُقيد البيدين، يحاكمه رئيس أبحار مزيف حصل على منصبه لأن الرومان عينوه في ذلك المركز. فإن حنا وزوج بنته قيافا عينهما الرومان. أما عيسى فقد اختاره الله، ويصفه الكتاب بأنه حبرنا الأعلى العظيم، وهو رحيم وأمين ويخدم الله، لم يخطئ أبداً، ويُكفّر عن ذنوب الناس، وهو قادر أن يفهم ضعفنا ويعين من هم في محنة.^ب

جواب المسيح عليه يعني: أنت يا قيافا تحاكمني وتظن أن سعادتي ومصيري وحياتي هي في يدك. لكنك على خطأ كبير، فأنا الديان، وأنت ستقف أمامي يا قيافا في يوم الدين!

وكلام المسيح بشأن جلوسه عن يمين القدير ومجيئه على سحاب السماء يشبه إلى حد كبير ما قاله النبي دانيال قبل ذلك بـ 400 سنة. في تلك المناسبة قال دانيال: "وَنَظَرْتُ فِي الرُّؤْيَا فِي اللَّيْلِ، فَرَأَيْتُ وَاحِدًا يُشَبِّهُ الْبَشَرَ قَادِمًا مَعَ سَحَابِ السَّمَاءِ."

^أ مت 26: 64

^ب عب 2: 17؛ 3: 1؛ 4: 14-15

وَجَاءَ إِلَى الْأَرْزِيِّ، فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَةً وَجَلَالًا وَقُوَّةً مَلَكِيَّةً، لِيَعْبُدَهُ كُلُّ النَّاسِ مِنْ مُخْتَلِفِ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَاللُّغَاتِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ لَا يَزُولُ، وَمَمْلَكَتُهُ لَا تَقْفَى.¹²⁷

وكأن سيدنا المسيح العظيم يقول هنا: "يا قيافا أنت تسألني هنا إن كنتُ المسيح ابنَ الله، وجوابي هو نعم. أنت تحاكمني هنا أمام محكمة أرضية بشرية ملتوية في منطقها، وجائرة في حكمها. أنت يا قيافا، في الحقيقة، حكمت عليّ بالموت منذ أيام، وقبل أن آتي إلى محكمتك. قبل أن أظهر أمام قضاتك، أنت أصدرت حكمك عليّ. أنت بنفسك قلت إنه يجب أن أموت أنا بدلا من أن تهلك الأمة كلها. ب

"لكن المهم ليس ما تقوله هذه المحكمة البشرية الظالمة، بل محكمة السماء، محكمة الله العادلة. في محكمة السماء، أعلن الله براءتي يا قيافا. أعلن الله أنني أعمل كل هذا حسب خطته الصالحة ومشورته الحسنى. لذلك فإني قريبا سأكون عن يمين جلالته. سيكون لي مكان في عرشه تعالى. سيكون لي الجلال الذي لله وحده، والعظمة والمكانة التي لله وحده. ليس ذلك فقط، بل سأتي أيضا على السحاب، لأكون الديان العادل لكل نسمة عاشت على هذه الأرض، بما في ذلك أنت. أنت ستقف أمامي للمحاكمة، أنت ستقف أمام كرسي القضاء وأنا سأكون القاضي العادل!"

رد عيسى على قيافا بالإيجاب: "نعم، أنا المسيح ابن الله تبارك وتعالى، ولكن بمعنى يختلف كثيرا عن المعنى الذي يفهمه قيافا وأمثاله. بالنسبة إلى قيافا، وفي فهم جيله ومعاصريه، كما قلنا من قبل إن التعبير: "المسيح ابن الله تبارك وتعالى" يعني أنه ملك يظهر بعظمة وأبهة، والجيوش تتبعه وتحارب وراءه، فيحارب الأعداء وينتصر عليهم، ويرمي بهم في عرض البحر، ويحرر البلاد من سطوتهم.

أما بالنسبة لعيسى، فهذه العبارة: "المسيح ابن الله تبارك وتعالى" تعني أنه جاء خادما للناس. جاء لكي يضحي بنفسه من أجلهم لينقذهم من عبودية الشيطان والذنوب. جاء ليموت على الصليب، في عار وهزء وسخرية، ليفديهم. ثم يقوم منتصرا ليمنحهم الحرية الحقيقية، والنجاة والسلام والأمان والنور والأمل إلى أبد الأبد.

أنكر بطرس أنه يعرفه

وَلَمَّا كَانَ بُطْرُسُ تَحْتَ فِي سَاحَةِ الدَّارِ، جَاءَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ خَادِمَاتِ رَئِيسِ الْأَحْبَارِ. وَرَأَتْ بُطْرُسَ يَتَدَفَّأُ، فَتَطَلَّعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ: "أَنْتَ أَيْضًا كُنْتَ مَعَ عِيسَى النَّاصِرِيِّ." لَكِنَّهُ أَنْكَرَ وَقَالَ: "أَنَا لَا أَعْرِفُ وَلَا أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ!" ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَدْخَلِ الدَّارِ، وَصَاحَ الدَّيْكَ. فَرَأَتْهُ الْخَادِمَةُ هُنَاكَ، وَأَخَذَتْ تَقُولُ لِلْمَوْجُودِينَ: "هَذَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ!" لَكِنَّ بُطْرُسَ أَنْكَرَ مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ، قَالَ بَعْضُ الْوَاقِفِينَ أَيْضًا لَهُ: "بِالتَّأَكِيدِ أَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، لِأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ فِعْلًا." فَأَخَذَ يَلْعَنُ نَفْسَهُ وَيُخْلِفُ لَهُمْ وَيَقُولُ: "أَنَا لَا أَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ."

وَبَيْنَمَا هُوَ مَازَالَ يَتَكَلَّمُ، صَاحَ الدَّيْكَ. فَالْتَفَتَ عِيسَى وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسَ كَلَامَ عِيسَى وَكَيْفَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: "قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكَ الْيَوْمَ، تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ." فَخَرَجَ وَبَكَى بِخُرْقَةٍ.^أ

هنا جاءت إلى بطرس فرصة عظيمة ليشهد للمسيح ويدافع عنه. ولكنه للأسف أنكر سيده، وأقسم أنه لا يعرفه!

^أ 14: 66-71؛ لو 22: 60-62. رج أيضا مت 26: 69-75؛ لو 22: 55-62؛ يو 18: 15-18، 25-

ما هي الدروس التي نتعلمها من إنكار بطرس للمسيح؟

أول كل شيء يجب أن نفهم أن بطرس راح إلى دار رئيس الأخبار ليتتبع أخبار المعلم وليكون بالقرب منه. ومع أن بطرس منذ دقائق تهجم بالسيف على عبد الحبر الأعلى وقطع أذنه، لكنه تجرأ ودخل مع أن في ذلك خطراً عليه. هذا يبين حبه الشديد لعيسى، كما يبين شجاعته ورجولته. ومن هنا نلاحظ الآتي:

1. صاحب المركز العالي والمرتفع هو أيضا معرض للسقوط مثل أقل واحد فينا. مركز بطرس كتلميذ للمسيح، ومقرب للفادي الكريم، لم يكن سببا لإغفائه من المحنة. إذن مهما كانت مكانتك الروحية ومركزك القيادي، احذر لأنك قد تواجه محنة صعبة!

2. لا تتكل على ذاتك. ربما أنت تعتقد أنك صاحب إيمان عميق، وأنت قوي الإرادة. هنا كلمة تحذير لك من الرسول بولس الذي قال: "مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ ثَابِتٌ، فَيَجِبُ أَنْ يَنْتَبِهَ لِئَلَّا يَسْقُطَ."^أ يجب أن يكون اتكالك على المسيح لا على قوتك أنت. سيدنا وفادينا هو الذي يعطينا المقدرة لتغلب على المحن والاختبارات الصعبة التي تقابلنا في الحياة.

3. بطرس أنكر المسيح 3 مرات. حين يسقط الإنسان في الخطيئة مرة، يكون من السهل بعد ذلك السقوط مرة ثانية وثالثة ورابعة. بدأ بطرس بأن تظاهر بالجهل. قال للخادمة: "أنا لا أعرف ما تقولين." وبعد ذلك انحدر إلى القَسَم والكذب والإنكار، فقال: "أنا لا أعرف الرجل." وفي المرة الثالثة، هبط إلى اللعن والقَسَم وقال مرة أخرى: "أنا لا أعرف الرجل." إحذر أخي من أن تجلب العار على اسم المسيح الكريم. هو فاديك، لا تنكره.

4. المسيح نظر إلى بطرس. هذا يعني أن عيسى حوّل عينيه عن الذين يحاكمونه لينظر إلى بطرس، فلاحظ بطرس ذلك. ماذا كان في تلك النظرة؟ ماذا رأى بطرس في عيني عيسى؟ هل الغضب والكراهية والحقد لأن هذا التلميذ أنكره؟ لا. بل من معرفتي بعيسى، أنا متأكد أن نظره كانت نظرة الشفقة والحنان والمحبة. لا شك كان فيها ألم وعتاب وتأنيب: كيف تعمل هذا يا بطرس؟ كيف تنكرني؟ لماذا تقول إنك لا تعرفني؟ لقد أكلنا وشربنا معا أكثر من 3 سنين. أنت سمعت تعليمي ورأيت معجزاتي واختبرت محبتي لك ولأصحابك! من الذي شفى حماتك لما كانت مريضة في دارك يا بطرس؟ من الذي مد يده وأنقذك من الغرق لما كنت تمشي معي على ماء البحيرة يا بطرس؟ عمن شهدت وقلت: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" يا بطرس؟

كانت نظرة مقترنة بالحزن، نظرة جعلت بطرس يندم ويبكي. وهنا يظهر حنان المسيح مرة أخرى. بنظرة فقط يعاتب صاحبه. يا له من منقذ رقيق القلب وحنون وشفوق! غيره استخدم السيف ليطعن به من تنكروا له وارتدوا عنه. غيره استخدم العنف. أما عيسى فسلحه الحب والرحمة.

5. بطرس تاب توبة حقيقية. كان من علامات توبته أنه تذكر كلام عيسى، وأنه بكى بحرقة. كانت هذه الخطوة مهمة ليرجع بطرس إلى مكانه كنائب للمسيح، كتلميذ لعيسى. كان عيسى قد قال له من قبل: "يَا سَمْعَانُ، يَا سَمْعَانُ، طَلَبَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَمْتَحِنَكَ كَمَا يُغْرِيلُ الْفَلَاحُ الْقَمْحَ. لَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِكَ يَا سَمْعَانُ، لِكَيْ لَا يَفْشَلَ إِيمَانُكَ."^٦ هنا ندرك أن الله تعالى استجاب لدعاء المسيح، ولم يفشل إيمان بطرس!

^٦ لوقا ٢٢: ٦١

^٦ لوقا ٢٢: ٣١-٣٢

6. كان بطرس قد رأى جلال المسيح على الجبل قبل هذه الأحداث بفترة. كان ذلك اختبارا مجيدا أثر في بطرس تأثيرا كبيرا لدرجة أنه رغب في أن يقيم هناك بعض الوقت ليتمتع بروعة جلال معلمه وسيده، وأيضا بفرصة ملاقاته موسى وإلياس. ومع ذلك نجد بطرس هنا ينكر أنه يعرف عيسى. ربما أنت تقول: إن ظهر المسيح لي في حلم أو رؤيا أو بصوت أسمعه، فإني سأتبعه! لا شك أن الله في رحمته وإحسانه قادر أن يعطيك هذا الحلم أو هذه الرؤيا. لكن أهم من الحلم والرؤيا عندك كلمة الله المعصومة، الإنجيل الشريف الذي يهديك ويقودك في نور المسيح.

7. لم يكن بطرس يعلم وقتها أنه بعد 50 يوما سينزل الروح القدس من السماء في يوم الخمسين ويملاً أتباع عيسى، وبطرس من ضمنهم. فماذا لو كان اليأس قد حطمه كما حطم يهوذا؟

وكذلك لم يكن بطرس يعلم أنه بعد 50 يوما سيقف أمام جمهور غفير من الناس في مدينة القدس ويخطب فيهم بشجاعة وجراءة وبقوة الروح القدس يعلن لهم كلام الله، فيقبل 3000 منهم عيسى المسيح سيدا وفاديا ومنقذا وملكا على حياتهم. فماذا لو كان بطرس قد ذهب في طريق يهوذا تلك الليلة ولم يرجع إلى المسيح ولم يندم ولم يتب؟

أخي، ربما أنت أيضا غارق في حالة تعيسة من اليأس، بسبب مشاكل الحياة، أو بسبب ذنوبك، أو بسبب تصرفات غبية حمقاء. واليوم أمامك الاختيار بين طريق يهوذا وطريق بطرس! أن ترفض المسيح أو أن تتوب وتقبله! أن تقتل نفسك أو أن تؤمن بعيسى مانح الرجاء والحياة. ربما بعد أيام قليلة أو أسابيع قليلة سينفتح لك باب الفرج، باب الفرح والبهجة والأمل! احذر من أن تعمل ما عمله يهوذا! بل تب وتعال إلى المسيح المحب الصفوح الغفور.

يهودا شنق نفسه

فَلَمَّا رَأَى يَهُودَا الْحَائِنُ أَنَّ عِيسَى قَدْ حُكِمَ عَلَيْهِ، نِدِمَ وَأَرْجَعَ الثَّلَاثِينَ عُمْلَةً مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْأَحْبَارِ وَالشُّيُوعِ، وَقَالَ: "أَخْطَأْتُ لَأَنِّي خُنْتُ إِنْسَانًا بَرِيئًا". فَقَالُوا لَهُ: "مَاذَا يَهُمُّنَا! دَبَّرَ أَنْتَ شَأْنَكَ!" فَرَمَى الْفِضَّةَ فِي بَيْتِ اللَّهِ وَخَرَجَ. ثُمَّ ذَهَبَ وَشَقَّقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: "لَا يَحِلُّ أَنْ نَضَعَهَا مَعَ أَمْوَالِ بَيْتِ اللَّهِ لِأَنَّهَا تَمَنُّ دَمَ إِنْسَانٍ". فَتَشَاوَرُوا مَعًا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ، لِيَكُونَ مَقْبَرَةً لِلْأَجَانِبِ. لِهَذَا فَإِنَّ هَذَا الْحَقْلَ إِلَى الْيَوْمِ اسْمُهُ حَقْلُ الدَّمِ. فَتَمَّ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ إِرْمِيَا: "وَأَخَذُوا الثَّلَاثِينَ عُمْلَةً مِنَ الْفِضَّةِ، الْمُبْلَغَ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ بُنُو إِسْرَائِيلَ لِيَكُونَ تَمَنَّهُ، وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ كَمَا أَمَرَنِي اللَّهُ".^أ

نحن لا نعلم في أي وقت ذهب يهوذا وشنق نفسه، هل في نفس تلك الليلة أم بعد ذلك بعدة ساعات. ليس هذا هو المهم في الأمر، بل المهم هو أن نتأمل قليلا في ما أصاب هذا التلميذ. لقد تسلط عليه إبليس، ونمت وترعرت الخيانة في قلبه، وأظلمت نفسه، فباع سيده ومعلمه!

قبل هذا بحوالي سنة، أنبأ المسيح تلاميذه بهذا لما قال لهم: "أَنَا اخْتَرْتُكُمْ أَنْتُمْ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، وَمَعَ ذَلِكَ وَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!" قَالَ هَذَا عَنْ يَهُودَا بْنِ سَمْعَانَ الْقَرِيوتِيِّ، فَمَعَ أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، لَكِنَّهُ خَانَهُ فِيمَا بَعْدُ.^ب

ثم قبل الصليب بساعات، وفي أثناء احتفال العشاء الأخير أشار إلى خيانة يهوذا عدة مرات فمثلا، لما كان يغسل أقدامهم أشار إلى هذا حين قال: "أَنْتُمْ أَتَقِيَاءُ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيكُمْ".^ت وأيضا لما قال: "الَّذِي أَكَلَ مِنْ خُبْزِي انْقَلَبَ ضِدِّي".^ث وحين

^أ مت 27: 3-10

^ب يو 6: 70-71

^ت يو 13: 10

^ث يو 13: 18

أعلن وهو مضطرب جدا وقال لهم: "أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ، وَاجِدْ مِنْكُمْ سَيِّحُونِي."^أ
 وأيضاً حين بيّن لهم أنه سيغمس اللقمة ويعطيها للشخص الذي سيخونه.^ب وحين قال
 ليهوذا: "مَا تَوَيْتَ أَنْ تَعْمَلَهُ إِعْمَلْهُ بِسُرْعَةٍ."^ت

كل هذه كانت إشارات لخيانة يهوذا، وكنا نتوقع أن هذا التلميذ يتوقف قليلاً
 ليفكر في نفسه أنه على وشك أن يرتكب عملاً فظيعاً. لكنه مضى في طريقه وأتم ما
 أراد، وباع سيده، وحصل على المال. والآن السيد في يد قادة ظالمين قساة، والمال في يد
 يهوذا فماذا يعمل به؟

وهنا استيقظ ضميره على حين غفلة. نعم، هذا الضمير الذي نعس ونام بل
 ومات، الآن ينتفض. ولكن ضاعت الفرصة، وراح يهوذا وشنق نفسه. هنا تتعقد
 المشكلة أكثر وينتحر المجرم ويختتم حياته التعيسة بمأساة أليمة.

لما راح إلى قادة الدين وأقر لهم بأنه أخطأ لأنه خان رجلاً بريئاً، كان ردهم هو
 أن هذا لا يهمهم. لاحظ هنا أن هدفهم كان إزالة عيسى سواء كان بريئاً أو مجرماً،
 سواء كان على حق أو مخطئاً. هدفهم هو القضاء على عيسى. فكان اعتراف يهوذا لهم
 بأنه أخطأ اعترافاً فارغاً لا ينفع. ترى ماذا لو اعترف يهوذا أمام الله وقال: "يا رب،
 أخطأت لأني خنت إنساناً بريئاً. سامحني يا رب. أنا مجرم في حق المسيح، فاغفر لي يا
 رب." أعتقد لو كان يهوذا تصرف بهذه الطريقة، لكان الله غفر له في رحمته، ونجّاه من
 النهاية التعيسة.

ثم هناك أمر آخر يلفت انتباهنا، وهو عُقم تدين رؤساء الأحرار! أقول هذا
 بشيء من السخرية. بعدما رمى يهوذا الفضة لهم، فكروا فيما هو حلال وحرام. فقرروا
 أنه ليس حلالاً أن يضعوا الفضة في خزانة بيت الله! هذا حرام! فهل حلال أن يدبروا

^أ يو 13: 21

^ب يو 13: 22-27

^ت يو 13: 27

قتل أنبل وأسمى شخص في الدنيا وفي التاريخ؟ هل حلال أنك تصوم وتصلي وفي نفس الوقت تدبر الأذى لشخص آخر لأنه لا يتفق معك؟

أمام الحاكم

وَسَاقُوا عِيسَى مِنْ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى قَصْرِ الْوَلَايَةِ. وَكَانَ الصُّبْحُ قَدْ طَلَعَ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْيَهُودُ إِلَى الْقَصْرِ، لِئَلَّا يَتَنَجَّسُوا فَلَا يَأْكُلُوا مِنَ الْفِصْحِ. لِذَلِكَ خَرَجَ بِيلاطُسُ إِلَيْهِمْ.^أ

انتقلت المحاكمة إلى دار الحاكم الروماني. ويسخر يوحنا، في بشارته، من قادة الدين ومن اليهود عموماً، لأنهم رفضوا أن يدخلوا قصر الحاكم لئلا يتنجسوا. إنهم على وشك ارتكاب أفظع جريمة عرفها التاريخ، وفي نفس الوقت يحرصون على تنفيذ شرائع الدين!

أمام بيلاطس

(و) خَرَجَ بِيلاطُسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: "بِمَاذَا تَتَّهِمُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟" أَجَابُوهُ: "لَوْ لَمْ يَكُنْ مُجْرِمًا لَمَا كُنَّا سَلَمْنَاهُ لَكَ." فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: "خُذُوهُ أَنْتُمْ وَحَاكِمُوهُ حَسَبَ شَرِيعَتِكُمْ." فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: "نَحْنُ غَيْرُ مَسْمُوحٍ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا." وَبِذَلِكَ تَمَّ مَا قَالَهُ عِيسَى عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَيَمُوتُ بِهَا.

هنا نرى أنهم قصدوا فعلاً قتله، إعدامه. حين قالوا: "نحن غير مسموح لنا أن نقتل أحداً" أفصحوا عن نيتهم أن يزيلوه من الوجود، وأيضاً على أنه ليس من حقهم ولا في سلطتهم الحكم بالإعدام على أحد. لماذا؟ لأنهم فقدوا حقهم في إعدام أي

شخص لأنهم ليسوا سادة أنفسهم. صار الإعدام من حق الرومان فقط. وهنا يشرح لنا يوحنا بالوحي أن هذا إتمام ما قاله عيسى أنه سيموت مصلوبا. ولقد أشرنا إلى ذلك من قبل. فلو كان اليهود هم الذين أعدموه لكان ذلك يتم بالرجم حسب شريعتهم. أما الصלב فهو طريقة الرومان في الإعدام.

فَدَخَلَ بِيَلَاطُسُ إِلَى الْقَصْرِ، وَدَعَا عِيسَى وَقَالَ لَهُ: "هَلْ أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟" أَجَابَهُ عِيسَى: "هَلْ تَقُولُ هَذَا بِحَسَبِ تَفْكِيرِكَ أَنْتَ، أَمْ بِحَسَبِ كَلَامِ الْآخَرِينَ عَنِّي؟" أَجَابَ بِيَلَاطُسُ: "هَلْ أَنَا يَهُودِيٌّ؟ شَعْبُكَ وَرُؤَسَاءُ الْأَخْبَارِ سَلَّمُوكَ لِي. مَاذَا عَمِلْتَ؟" أَجَابَ عِيسَى: "مُلْكِي لَا يَنْتَهِي إِلَى هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَ مُلْكِي يَنْتَهِي إِلَى هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَايَ يُحَارِبُونَ عَنِّي لِكَيْ لَا يَقْبِضَ الْيَهُودُ عَلَيَّ، وَلَكِنَّ مُلْكِي لَا يَنْتَهِي إِلَى هُنَا." قَالَ لَهُ بِيَلَاطُسُ: "إِذَنْ فَأَنْتَ مَلِكٌ؟" أَجَابَ عِيسَى: "قُلْتَ الصَّوَابَ، أَنَا مَلِكٌ. وَقَدْ وُلِدْتُ وَجِئْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِهَذَا: لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. فَكُلُّ مَنْ يَنْتَهِي إِلَى الْحَقِّ يَسْمَعُ لِي." قَالَ لَهُ بِيَلَاطُسُ: "مَا هُوَ الْحَقُّ؟" وَلَمَّا قَالَ هَذَا خَرَجَ ثَانِيَةً إِلَى الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ: "لَا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ ذَنْبٍ. لَكِنْ تَعَوَّذْتُمْ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ وَاحِدًا فِي الْفِصْحِ، فَهَلْ تَرَعَّبُونَ فِي أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟" فَأَجَابُوهُ بِالصُّرَاحِ وَقَالُوا: "لَا تُطْلِقْ هَذَا! بَلِ ابْنُ عَبَّاسٍ." وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِيصًّا.

كان بيلاطس هو الحاكم الروماني على منطقة السامرة ومنطقة يهوذا. وكان يخضع لقيصر روما ولمجلس الشيوخ الروماني. ومن المعروف عنه أنه كان عنيدا متكبرا وقاسيا بلا رحمة. وهناك قصة في التاريخ، شبه أكيدة تقول إنه بعد فترة وجيزة من حكمه على المسيح بالصليب، هجم على أهل السامرة وقتل كثيرين منهم. فاشتكوا ضده، فأمره رئيسه في سوريا بأن يرجع إلى روما ليستجوبه القيصر في ذلك. ولكن بينما بيلاطس في الطريق، مات القيصر. ولما وصل بيلاطس إلى روما أمره مجلس

الشيخ بأن يقتل نفسه!²⁸

طلب اليهود من بيلاطس أن يحكم على المسيح بالإعدام. سألهم بيلاطس عن جريمته، فكان ردهم: لو لم يكن مجرماً لما كنا أحضرناه لك. أي: أنت لا تحتاج أن تسألنا عن جريمته. نحن قررنا أنه يستحق الإعدام، وما عليك إلا أن تصدر الحكم باعتبار أنك السلطة الحاكمة هنا.

وهنا رفض بيلاطس أن يمنحهم طلبهم وقال لهم: خذوه أنتم وحاكموه بحسب شريعتكم. قصد بيلاطس بهذا عقاباً عادياً، مثل الضرب أو الجلد أو الحبس. ولكن اليهود أصرّوا أنهم لن يقبلوا أقل من إعدام عيسى.

وهنا أدرك اليهود أيضاً أنهم لكي يبلغوا قصدهم، يجب أن يقدموا اتهامات سياسية رسمية ضد المسيح. لذلك من المهم أن نلاحظ أنه أمام محكمة الدين اتهمه القادة بالكفر، ولكن لما أخذوه إلى الحاكم الروماني الذي لم يكن يُعبر اهتماماً كبيراً للدين، غيّر القادة سياستهم واستراتيجيتهم واتهموا عيسى بثلاثة أشياء:

أولاً، قالوا إنه يحرض الشعب على الثورة. هو الذي كان ينادي بالسلام والمحبة، ويشفي المرضى، ويعزي الحزاني، وقيم الموتى، ويعطي الرجاء لليائسين، والفرح للبائسين، والحياة الجديدة للتعساء، اتهموه بأنه يحرض الناس على الثورة!

ثانياً، قالوا إنه يعارض دفع الضريبة لقيصر.^ب في مواجهة سابقة بين القادة وبين عيسى، حاولوا أن يوقعوه في فخ. فسألوه إن كان يجب دفع الضريبة للملك أم لا. رفض عيسى فكرة التمرد والتهرب من دفع الجزية للحكومة الأرضية وقال: "أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ، وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ."^ت ومع ذلك هم هنا يتهمونه بأنه يحرض الشعب ألا يدفعوا الضريبة لقيصر! اتهام كاذب!

^أ لو 2:23

^ب لو 2:23

^ت لو 20:20-26

ثالثاً، قالوا إنه يزعم أنه هو نفسه ملك. أ لم يحدث أبداً أن عيسى نادى في الناس وقال إنه ملك. بل قال إنه جاء خادماً للناس لا زعيماً.^ب

لم يكن من السهل أن يخذعوا بيلاطس بهذه التهم. فمثلاً، هل من المعقول أن الحاكم الروماني يصدقهم حين يقولون إن يهوديا منهم قام يحرضهم ألا يدفعوا الجزية للملك، فيعترضون ضد هذا الثائر ولا يتجاوبون معه؟ بل كان بيلاطس يعلم أنه إن قام واحد منهم بهذا، لكانوا يلتفون حوله ويهتفون بحياته! أدرك بيلاطس أنهم جاءوا بعيسى عن حسد وعن غيرة.^ت

مَا هُوَ الْحَقُّ؟ الرد الشافي الكامل على سؤال بيلاطس هذا هو قول المسيح من قبل: "أَنَا هُوَ الْحَقُّ."^ث

"لا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ ذَنْبٍ." هنا تحول بيلاطس من كونه القاضي الذي يُحاكم المتهم إلى المحامي الذي يُدافع عنه! ولكنه للأسف كان ضعيفاً أمام ضغط الجمهور عليه.

أمام هيرودس

فَلَمَّا سَمِعَ بِيَلَاطُسَ ذِكْرَ الْجَلِيلِ، سَأَلَ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا أَدْرَكَ أَنَّ عِيسَى تَابِعٌ لِقَضَاءِ هِيرُودَسَ، أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودَسَ الَّذِي كَانَ هُوَ أَيْضًا فِي الْقُدْسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. فَلَمَّا رَأَى هِيرُودَسُ عِيسَى، فَرِحَ جِدًّا فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ مِنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ لِأَنَّهُ سَمِعَ عَنْهُ، وَكَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَعْمَلَ عِيسَى مُعْجِزَةً قُدَّامَهُ. فَأَلْقَى عَلَيْهِ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً، لَكِنَّ عِيسَى لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. فَتَقَدَّمَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْفَقَهَاءُ وَأَخَذُوا يَشْتَكُونَ ضِدَّهُ بِشِدَّةٍ. فَاحْتَقَرَهُ هِيرُودَسُ وَجُنُودُهُ وَهَزَأُوا بِهِ. ثُمَّ أَلْبَسَهُ رِدَاءً فَاخِرًا وَأَرْجَعَهُ إِلَى

ألو 23: 2

ب مر 10: 44؛ يو 6: 15

ت مت 27: 18

ث يو 14: 6

بِيلاطس. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَ هِيرُودُسُ وَبِيلاطسُ صَدِيقَيْنِ، لَأَنَّهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ كَانَا عَدُوَّيْنِ.^أ

لم يرغب بيلاطس في أن يُصدر حكماً ضد المسيح. أدرك أن المتهم بريء، ولكنه في نفس الوقت خاف ثورة الجمهور الذي تجمع وطالب بقتل عيسى. فلما عرف بيلاطس أن عيسى من الجليل، ظن أن فرصة عظيمة جاءت ليتخلص من المشكلة، وذلك بأن يُرسل عيسى إلى هيرودس.

كان هيرودس هو حاكم الجليل في ذلك الوقت، وكان قد جاء إلى القدس بمناسبة العيد. لما مات هيرودس الكبير في سنة 4 ق.م. عين الرومان ابنه هذا، أي هيرودس انتيباس، حاكماً على منطقة الجليل وعلى منطقة بيرية. ولكن ذات مرة، في أثناء زيارة لأخيه فيليب، وقع هيرودس في حب هيروديا زوجة أخيه! فتآمر الاثنان سرا وهرب هيروديا من فيليب وجاءت مع هيرودس إلى بلاده. كان يحيى بن زكريا المغطس يوبخ هيرودس على هذا الفعل القبيح، لأنه سرق زوجة أخيه. ولكن بدلاً من أن يتعظ هيرودس ويتوب، أَمَرَ بقتل يحيى. بعد ذلك لما سمع هيرودس عن معجزات المسيح قال لا بد أنه هو يحيى قام من الموت، وكان يرغب في أن يرى المسيح. وفي أواخر خدمة سيدنا عيسى جاء البعض إليه وحذروه من أن هيرودس كان يدبر أن يقتله. تقول القصة:

وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ، جَاءَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَرِيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ: "أَخْرُجْ مِنْ هُنَا وَاهْرُبْ، لَأَنَّ هِيرُودَسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ." فَأَجَابَهُمْ: "إِذْهَبُوا وَقُولُوا لِهَذَا الثَّعْلَبِ، 'إِنِّي أَظْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَأَشْفِي النَّاسَ الْيَوْمَ وَعَدًّا، ثُمَّ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَنْتَهِيَ مِنْ عَمَلِي.' لَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَوَاصِلَ سَفَرِي الْيَوْمَ وَعَدًّا وَمَا بَعْدَهُمَا، لِأَنَّهُ لَا يُقْتَلُ نَبِيٌّ إِلَّا فِي الْقُدْسِ."^ب

^أ لو 23: 6-12

^ب لو 13: 31-33

ترى لماذا كان الملك هيرودس يريد أن يقتل المسيح؟ نحن لا نعلم لماذا. ولكننا هنا نجد أن الملك قد فرح لما رأى عيسى. ماذا سأله هيرودس؟ هذه أول مرة يتقابل فيها الاثنان. ماذا قال هيرودس لعيسى؟ هل سأل عيسى لماذا تجرأت أن تدعوني ثعلباً؟ لكن المسيح لم يجاب على هيرودس. كانت الفرصة متوفرة لهيرودس من قبل ليتوب عن شره ويصلح أحواله لكنه رفض في ذلك الوقت، والآن ضاعت الفرصة. لا بد أن سيدنا عيسى عرف أن الكلام لن ينفع مع الملك، الكلام لن ينفع مع هيرودس. إذن لماذا يَرُدُّ المسيح عليه؟ النقاش لن يؤدي إلى فائدة مع هذا الرجل، فلماذا يَرُدُّ عليه؟

ثم إن هيرودس كان يتمنى أن يعمل المسيح معجزة قدامه. وكأن المسيح هو لاعب يُسلي المشاهدين بألعابه السحرية! لكن المسيح رفض أن يتصرف وكأنه يعمل المعجزات لتسلية الناس. رفض أن يستخدم قوته المعجزية، لإرضاء الملك المستهتر. لو عمل المسيح حتى معجزة واحدة أمام الملك، لكان يفرح الملك جداً، وربما كان يطلق سراح المسيح. لكن عيسى رفض أن يَرُدَّ على الملك ولو بكلمة واحدة! غضب الملك من هذا. رأى أن المسيح يحتقره ولا يَرُدُّ على أسئلته. لذلك قرر هيرودس ألا يطلق المسيح، بل أراد أن يعبر عن احتقاره الشديد لعيسى بأن ألبسه رداء فاخراً.

ثم أرجع الملك عيسى إلى بيلاطس. لهذا صار هيرودس وبيلاطس صديقين! كانا عدوين، والآن تحولت العداوة إلى صداقة. بيلاطس أكرم هيرودس بأن أرسل له عيسى ليحاكمه، وهيرودس أكرم بيلاطس بأن أرجع إليه عيسى. تصالح الاثنان. تكونت بينهما صداقة مبنية على قرار شرير، وعلى أساس الظلم والمعاملة السيئة لعيسى.²⁹

هذان الحاكمان جاءتهما فرصة عظيمة للوقوف في صف العدالة والصلاح، والحكم ببراءة عيسى. ولكنهما للأسف ضيعا الفرصة. احذر يا أخي من الوقوع في هذا الخطأ الفاحش. أنت أمامك الآن فرصة عظيمة لا يتمتع بها كثيرون غيرك لأنها غير متوفرة لهم. أنت تقرأ كلام الله الحق. أنت تقرأ رسالة المسيح معطي الأمل والحياة. لديك فرصة ثمينة عظيمة لتتخذ قرارا إيجابيا بشأن عيسى. لا تضيعها.

أمام بيلاطس للمرة الثانية

وَلَمَّا كَانَ بِيلاطُس جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ الْقَضَاءِ، أَرْسَلَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ تَقُولُ: "إِيَّاكَ وَهَذَا الرَّجُلَ الصَّالِحَ، لِأَنِّي الْيَوْمَ تَأَلَّمْتُ جِدًّا بِسَبَبِهِ فِي حُلْمٍ".
فَأَخَذَ بِيلاطُسُ عِيسَى وَأَمَرَ بِأَنْ يُجْلَدَ. وَصَفَرَ الْجُنُودُ تَاجًا مِنْ الشَّوْكِ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَالْبَسُوهُ رِدَاءً لَوْنُهُ أُرْجَوَانِيٌّ. وَأَخَذُوا يَتَقَدَّمُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ: "أَهْلًا بِكَ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!" وَهُمْ يَلْطِمُونَهُ عَلَى وَجْهِهِ. وَخَرَجَ بِيلاطُسُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ لِلْيَهُودِ: "انْظُرُوا، سَأُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْرِفُوا أَتِي لَا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ ذَنْبٍ". فَخَرَجَ عِيسَى، وَعَلَيْهِ تَاجُ الشَّوْكِ وَالرِّدَاءُ الْأُرْجَوَانِيٌّ. فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: "هَذَا هُوَ الرَّجُلُ". فَلَمَّا رَأَاهُ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْحَرْسُ صَرَحُوا: "إِصْلِبْهُ، إِصْلِبْهُ". فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: "خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ لِأَنِّي لَا أَجِدُ فِيهِ أَيَّ ذَنْبٍ". أَجَابَهُ الْيَهُودُ: "لَنَا شَرِيعَةٌ، وَحَسَبَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ لِأَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ". فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاطُسُ هَذَا الْكَلَامَ، خَافَ جِدًّا. فَرَجَعَ إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ وَسَأَلَ عِيسَى: "مِنْ أَيَّنَ أَنْتَ؟" فَلَمْ يَرُدَّ عِيسَى عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ بِيلاطُسُ: "هَلْ تَرَفُضُ أَنْ تُكَلِّمَنِي؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ لِي السُّلْطَةَ أَنْ أُطْلِقَكَ وَالسُّلْطَةَ أَنْ أَصْلِبَكَ؟" أَجَابَهُ عِيسَى: "لَيْسَ لَكَ سُلْطَةٌ عَلَيَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَاهَا اللَّهُ لَكَ. لِذَلِكَ فَالَّذِي سَلَّمَنِي

إِلَيْكَ ذَنْبُهُ أَعْظَمُ".^أ

فَدَعَا بِيْلَاطُسُ رُؤَسَاءَ الْأَحْبَارِ وَالشَّعْبِ مَعًا. وَقَالَ لَهُمْ: "أَنْتُمْ أَحْضَرْتُمْ لِي هَذَا الشَّخْصَ وَقُلْتُمْ إِنَّهُ يُجَرِّضُ الشَّعْبَ عَلَى الثَّوْرَةِ، وَأَنَا حَقَّقْتُ مَعَهُ قُدَّامَكُمْ فَلَمْ أَجِدْ أَيَّ أَسَاسٍ لِلشَّكْوَى الَّتِي تُقَدِّمُونَهَا ضِدَّهُ. وَلَا هِيرُودُسُ وَجَدَ أَيَّ شَيْءٍ، لَأَنَّهُ أَرْجَعَهُ إِلَيْنَا. فَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ. إِذَنْ سَأَجْلِدُهُ وَأُطْلِقُ سَرَّاحَهُ." وَكَانَ عَلَى بِيْلَاطُسَ أَنْ يُطْلِقَ لَهُمْ سَجِينًا وَاحِدًا فِي الْعِيدِ. فَصَرَخَ الْجُمْهُورُ كُلُّهُ مَعًا: "أُقْتُلْهُ وَأُطْلِقْ لَنَا ابْنَ عَبَّاسٍ." وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا، قَدْ أُلْقِيَ فِي السَّجْنِ بِسَبَبِ ثَوْرَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَالْجَرِيمَةِ قَتْلٍ. لَكِنَّ بِيْلَاطُسَ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِقَ سَرَّاحَ عِيسَى، فَخَاطَبَ الْجُمْهُورَ مَرَّةً أُخْرَى، لَكِنَّهُمْ رَدُّوا عَلَيْهِ بِالصُّرَاحِ: "إِصْلِبْهُ! إِصْلِبْهُ!" فَكَلَّمَهُمْ مَرَّةً ثَالِثَةً وَقَالَ: "لِمَاذَا؟ مَا هُوَ الذَّنْبُ الَّذِي ارْتَكَبَهُ؟ أَنَا لَا أَجِدُ فِيهِ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ، لِدَلِكِ سَأَجْلِدُهُ وَأُطْلِقُ سَرَّاحَهُ." لَكِنَّهُمْ أَصْرُوا عَلَى طَلِبِهِمْ، وَصَرَخُوا بِأَعْلَى صَوْتِهِمْ أَنْ يَصْلِبَهُ. وَغَلَبَ صُرَاحُهُمْ. فَفَرَّرَ بِيْلَاطُسُ أَنْ يَمْنَحَهُمْ طَلِبَهُمْ. أَطْلَقَ سَرَّاحَ الرَّجُلِ الَّذِي طَلَبُوهُ، أَيِّ الَّذِي كَانَ فِي السَّجْنِ بِسَبَبِ الثَّوْرَةِ وَالْقَتْلِ، وَأَعْطَاهُمْ عِيسَى لِيَعْمَلُوا بِهِ مَا شَاءُوا.^ب صرَخ الغوغاء والعامة بأنه يستحق أن يموت، وطلبوا الحاكم بأن يصلبه. لكن كان الحاكم يدرك جيدا أن عيسى بريء وأن رؤساء الدين أحضروه إليه بسبب الحسد.

كان من عادة الحاكم في العيد أن يطلق للشعب واحدا من المسجونين. وكان هناك مسجون اسمه ابن عباس يؤدي عقوبة قتل وثورة، وربما كان سيلاقي الإعدام بالصلب فيما بعد لجرائمه. اقترح بيلاطس على الجمهور أن يطلق لهم عيسى. ربما ظن بيلاطس أنه إن هددهم بإطلاق ابن عباس سيخافون، أي سيخافون من إطلاق

^أ يو 19: 1-11

^ب لو 23: 13-25

مجرم خطير. ربما كان يظن أنهم سيختارون إطلاق عيسى.

لكن رؤساء الدين حرضوا الشعب ليطلبوا بإطلاق ابن عباس وقتل عيسى. طلبوا إطلاق سراح ابن عباس بدلا من عيسى! يا للعجب! اتهموا عيسى بالتمرد وأنه يحرض الناس على الثورة، ومع ذلك هم هنا يطلبون إطلاق سراح سجين محكوم عليه بسبب التمرد والثورة. وهنا نسأل: أي منطق هذا؟

قال اليهود لبيلاطس: "لَنَا شَرِيعَةٌ، وَحَسَبَ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ لِأَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ". فَلَمَّا سَمَعَ بِيَلَاطُسَ هَذَا الْكَلَامَ، خَافَ جِدًّا. فَرَجَعَ إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ وَسَأَلَ عَيْسَى: "مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟" فَلَمْ يَرُدَّ عَيْسَى عَلَيْهِ. ب

إذن إحدى التهم التي قدمها اليهود ضد عيسى هي أنه "يدعي أنه ابن الله". لما سمع بيلاطس هذا، خاف. لماذا؟ لأنه باعتبار أنه روماني كان يعتقد أن الآلهة تأتي أحيانا إلى الأرض، وتسكن مع البشر. ربما قال في نفسه: "لعل هذا الشخص هو إله، فكيف أحكم بإعدامه؟" ولهذا سأل بيلاطس عيسى: "من أين أنت؟" لم يكن الحاكم يعني بهذا السؤال: "من أي بلدة أنت؟ أين تقيم وفي أي مدينة أو قرية؟" لا. لأننا رأينا أن بيلاطس أدرك أن عيسى من الجليل، ولذلك أرسله منذ ساعة تقريبا إلى هيرودس ملك الجليل. بل كان الحاكم يعني: "هل أنت من هنا؟ من الأرض، أم من السماء؟" ولهذا لم يرد عيسى عليه. الرد هنا لا ينفذ ولا يجدي ولا يغير شيئا.

فأعلن بيلاطس أن المتهم بريء. ولكنه قال إنه سيعاقبه ويطلقه! كيف يا هذا! يا له من منطق أعوج! كيف تعاقب البريء؟ أنت أعلنت أن عيسى لم يرتكب شيئا يستحق العقاب، فكيف تعاقبه، وعلى أي جرم تعاقبه؟ وبناء على هذا المنطق الملتوي الغريب، منحهم الحاكم مرادهم وحكم بأن يقتل عيسى مصلوبا، وأطلق

ابن عباس حرا. الثوري الذي حاول قلب نظام الحكم أصبح حرا، والبريء الوديع صاحب السلام، أُعِدِمَ مكان المجرم.

وبذلك صدر الحكم تحت ضغط رؤساء الدين وصراخ الناس. لقد تعاونت قوة الاحتلال الروماني مع القيادة الدينية اليهودية ضد شخص واحد أعزل لتصفيته! كان هو الإنسان الوحيد الكامل الذي عاش في أرضنا، وقرروا إزالته.

وكما طالب الجمهور بصلبه وإطلاق سراح ابن عباس القاتل، نحن أيضا، بحياتنا غير القويمة وسلوكنا غير الصالح، بطريقة معنوية طالبنا بصلب عيسى وإعطاء الحرية والحياة لمن لا يستحقون! فهل نتعجب اليوم في مجتمعنا حين نواجه أو نسمع عن أنظمة قضائية غير عادلة وعن اتهامات ظالمة ومنطق أعوج ملتوٍ في الدفاع؟

وهنا حاول بيلاطس بطريقة أخرى أن يعلن للجماهير أنه برئ من قتل هذا الرجل الصالح، لذلك: "أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ النَّاسِ وَقَالَ: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الرَّجُلِ، دَبَّرُوا أَنْتُمْ شَأْنَكُمْ!"^ب لقد أظهر الحاكم ضعفا لا يليق بقائد روماني، ولا ندري كيف أمكنه أن يعيش مع نفسه بعد هذا التصرف المخجل الذي يدل على جبن فظيع! ولكن الشعب رد على هذا بأن أعلن بجهل وغباء: "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا." ^ت أي: نحن مسئولون عن قتله، نحن وأولادنا! هذه كلمات خطيرة. إنهم يرفضون النور ويحتضنون الظلام، يرفضون الصلاح ويفضلون الظلم. ويحكمون على أنفسهم بهذه اللعنة الفظيعة، وليس على أنفسهم فقط بل أيضا على أولادهم. ترى هل تخلصوا من هذا الحكم الذي قضاوا به على أنفسهم وأولادهم؟ بعد فترة من هذه الحادثة وبعد قيامة المسيح من الموت وصعوده إلى السماء، وبينما كان رئيس الأخبار يستجوب الرسل بسبب معجزاتهم التي كانوا يعملونها باسم المسيح، قال هذا القائد الديني

^أ أع 3: 14-15

^ب مت 27: 24

^ت مت 27: 25

لِلرَّسْلِ: " (أنتم) مَلَأْتُمْ الْقُدْسَ بِتَعْلِيمِكُمْ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تُلْقُوا عَلَيْنَا مَسْئُولِيَّةَ قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ! " لقد بدأ تأنيب الضمير!

ثم حين قالوا ذلك الكلام، هل كانوا يُدركون نتائج وعواقب هذا الحكم الذي قضوا به على أنفسهم وعلى أولادهم؟ يحدثنا التاريخ بأن عقابا شديدا حل بأهل القدس قبل انقضاء ذلك الجيل. فيقول المؤرخ يوسيفوس إنه لما تمرد اليهود في القدس في عام 70 م، انتقم الرومان منهم انتقاما رهيبا لدرجة أنه لكثرة عدد اليهود الذين صلبهم الرومان، لم يعد يوجد خشب في مدينة القدس لعمل صلبان أخرى!

ثم أخرج بيلاطس عيسى إلى اليهود وقال: "هذا هو الرجل!"^ب نحن اليوم نفهم معنى أعمق مما قصده بيلاطس. هذا هو الرجل، الكلمة صار رجلا، وهذا هو! الله صار بشرا، وهذا هو! هذا هو الرجل، آدم الأخير، الذي هو التعبير الصادق عن جوهر الله.^ث

ضربه ولطمه وهزأوا به

وَالرَّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا يَحْرُسُونَ عَيْسَى، كَانُوا يَهْزَأُونَ بِهِ وَيَضْرِبُونَهُ، وَيَعْطُونَ وَجْهَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ: "تَنْبَأْ، مَنْ صَرَبِكَ؟" وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ شَتَائِمَ أُخْرَى كَثِيرَةً.^ج

أخذ الجنود والرعاع يهزأون بعيسى، فبعضهم يبصق عليه، وبعضهم يهزأ به ويسخر منه، وبعضهم يضربه بعضا على ظهره ورأسه وبعضهم يلطمه على وجهه، وبعضهم ينتف شعر لحيته فيمزق جلده ولحمه. ثم بعد ذلك جلده. كان الجلد من أقسى العقوبات في القانون الروماني. وكان كل من يُجلد في ذلك الوقت، ينزعون عنه

أع 5: 28

ب يو 19: 5

ث 1 كور 15: 45

ش عب 1: 3

ج لو 22: 63-65

ثيابه ما عدا السروال، ثم يربطون يديه مع رجليه، ويطرحونه على الأرض. وكان السوط يُصنع من الجلد المتين وله يد تتفرع منها عدة أطراف وفي نهاية كل طرف قطعة من الحديد أو العظم. كان السوط حين ينزل على الجسم يمزق اللحم ويفجر الدم. وكثيرا ما كان الإنسان يفقد عينيه وأسنانه في عملية الجلد.

بهذا السوط نزلوا على جسم المسيح الطاهر بلا شفقة، وبلا رحمة، وبلا إنسانية. تمزق ظهره وسال دمه. قال المسيح على لسان النبي إشعيا: "أَعْطِيتُ لَهُمْ ظَهْرِي لِيَضْرِبُونِي، وَخَدَّيْ لِيَنْتِفُوا ذَقْنِي، وَلَمْ أَحْجِبْ وَجْهِي عَنِ الْإِهَائَةِ وَالْبَصْقِ." أليس من الغريب أنهم يضربون ويمجدون ابن الله الأزلي ويلطمونه ويلكمونه؟ الإله الأزلي السرمدى! الله نفسه، يتفلون على وجهه ويهزأون به بهذه الطريقة! كل هذا بسبب ذنوبنا؛ ذنبي أنا وذنبك أنت! نعم، ذنوبنا جاءت به من عرش السماء إلى معلف البقر ثم إلى الصليب!

الذي "هُوَ ضِيَاءُ جَلَالِ اللَّهِ، وَالتَّعْيِيرُ الصَّادِقُ عَنْ جَوْهَرِهِ، وَالَّذِي يَحْفَظُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ بِكَلِمَتِهِ الْقَدِيرَةِ"^أ جلدوه وأهانوه واحتقروه وهزأوا به كما شاءوا. المسيح الكريم القدير الذي تسبح باسمه الملائكة وتسجد له كائنات السماء، تفلوا على وجهه ولطموه وضربوه!

تاج الشوك³⁰

وَضَمَّرُوا تَاجًا مِنْ الشَّوْكِ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ.^ب

لم يكتفوا بكل هذا العذاب والسخرية، فضفروا تاجا من الشوك وغرزوه في

^أ إش 6:50

^ب عب 1:3

^ت مت 27:29؛ يو 19:2

جبينه. كان الملوك يلبسون ثوبا لونه بنفسجي أو أرجواني. وضع العسكر هذا الثوب على عيسى ليبالغوا في احتقارهم له واستهزائهم به. والملك يلبس تاجًا على رأسه، لذلك وضع العسكر تاجًا من الشوك على رأس المسيح، أيضا ليسخروا منه ويهزأوا به. ولكن هذه الرأس التي توجوها بالشوك، والتي تفجّر الدم منها، من أجلنا، سيأتي اليوم الذي فيه تتوج بإكليل الجلال الذي يتلأأ بأروع من نجوم السماء وسط تسبيح الملايين من ملائكة وصالحين.³¹ نعم، في يوم من الأيام، سيكون عيسى هو قاضي العالمين فيقف أمامه جميع الخلق لكي يحاكمهم. لقد سمح لنفسه أن يحكم الناس عليه بالموت. لماذا؟ لكي يكون هو الفداء بدلاً عنا، ويمنحنا الحرية والسلام إذا آمنّا به. ربّ الكون، صاحب الجلال والعظمة والجبروت والقوة، هزأ به العسكر، وضربوه بعضا على رأسه، وبصقوا عليه وسخروا منه. لماذا؟ لكي يكرمنا نحن ويعطينا الجلال والبركة في حياة الخلود إذا آمنّا به. خالق العالمين الذي يكسو الطيور والنباتات بأبهى لباس وَيَمُنُّ على الانسان بما يكسو به عريه، المسيح عيسى نفسه، نزعوا عنه ثيابه وصلبوه عريانًا. مع أنه هو الذي يُلبسنا نحن العرايا الآثمين ثوب الصلاح والتقوى والطهارة، وذلك إذا آمنّا به. ملك الملوك وسيد الأسياد، المسيح عيسى، رفضه الناس وقالوا إنهم لم يريدوا أن يملك عليهم. لقد سمح هو بأن يجري هذا معه! لماذا؟ لكي يقبلنا هو في ملكه الأبدي، ويجلسنا على عروش معه، ويضع على رؤوسنا تيجانًا من البهاء والجلال لنملك معه، إذا آمنّا به. عيسى المسيح، المُعلم الرقيق المسالم، والفادي المحب الرحيم، والهادي الحنون العطوف، والملك الوديع اللطيف، مات أشنع وأحقر ميتة. لماذا؟ لكي يهزم الموت لنا وينير لنا الحياة والخلود، إذا آمنّا به.

خرج إلى الجلجثة

وَخَرَجَ عَيْسَى وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي اسْمُهُ الْجُمُجْمَةُ، وَبِالْعِبْرِيَّةِ الْجُلْجُثَةُ.^أ

وَلَمَّا كَانُوا خَارِجِينَ، قَابَلُوا رَجُلًا مِنَ الْقَيِْرَوَانِ اسْمُهُ سَمْعَانُ، فَأَجْبَرُوهُ أَنْ يَحْمِلَ صَلِيبَ عَيْسَى.^ب

كان مكان الإعدام خارج المدينة،^ت وكان الشخص المحكوم عليه بالصلب مطالباً بأن يحمل صليبه إلى مكان الإعدام.^ث هذا للإمعان في إذلاله واحتقاره. كان حمل الصليب فضيحة وعارا وعبثاً. كان تجربة قاسية للمشاعر الإنسانية. كان إضافة صعبة وزيادة رهيبة فوق العقاب نفسه. حمل عيسى الصليب وسار به. وقادوه إلى مكان اسمه الجلجثة أو الجمجمة. ربما دعي بهذا الاسم بسبب هاجم القتل الذين كانوا يُعدمون هناك.

لكن بعد فترة من حمل الصليب، يبدو أن المسيح سقط تحت الحمل الثقيل.³² غَلَبَهُ التعب والإجهاذ والإعياء الشديد. أحداث الساعات الأخيرة كانت صعبة للغاية. تأمل الألم الذي عاناه منذ العشاء في الليلة السابقة: لم يكن عشاء سهلاً، بل كانت الغرفة مشحونة بجو ثقيل مُتَوَتِّر. ثم جهاده وعراكه في الصلاة في البستان، وشعوره بالضعف الشديد لدرجة أن ملاكا جاء ليساعده، ثم خيانة يهوذا، وهجوم الحرس للقبض عليه، وهَجَرَ التلاميذ له وهربهم من حوله في أصعب ظرف يواجهه، والمحاكمة الجائرة علي يد أعضاء مجلس الدين المنافقين المرائين، والسخرية منه والاستهزاء به في قصر قيافا، وإنكار أبرز أتباعه أنه يمت له بصلة أو حتى يعرفه

^أ يو 19: 17

^ب مت 27: 32

^ت خر 29: 14، لا 4: 12، 21: 9؛ 11: 16؛ 27: 15؛ 35: 19؛ 3: 19؛ يو 19: 20؛ عب 13: 12-13

^ث يو 19: 16-17

مجرد معرفة سطحية، والمحاكمة أمام حاكم ظالم، وأمام ملك فاجر، ثم إلى الحاكم الظالم مرة أخرى، وإصدار الحكم ضده بالصلب، ثم الجلد والضرب وتاج الشوك، وما جاء مع كل هذا من عذاب جسماني رهيب وآلام نفسية وعاطفية فظيعة، ومعاملة العسكر له...

كل هذا كان له تأثير شديد في المسيح. أنا لا أدري كيف أمكنه أن يحمل الصليب ويسير به ولو بضع خطوات. لم يمكنه أن يستمر في سيره تحت ذلك الحِمل الثقيل. فسَخَرُوا رجلاً آخر ليحمل صليبه.

وَكَانَ سَمْعَانُ الْقَيْرَوَانِيُّ، أَبُو إِسْكَنْدَرَ وَرُوفًا، فِي الطَّرِيقِ رَاجِعًا مِنَ الرَّيفِ، فَاجْتَبَرُوهُ أَنْ يَحْمِلَ صَلِيبَ عِيسَى.^أ
فَلَمَّا أَخَذُوهُ، أَمْسَكُوا سَمْعَانَ الْقَيْرَوَانِيَّ وَهُوَ رَاجِعٌ مِنَ الرَّيفِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ وَرَاءَ عِيسَى.^ب

سمعان القيرواني. ماذا يقول عنه الكتاب؟

1. القيرواني. أي من القيروان، يقول البعض إنها مدينة القيروان الموجودة حالياً في تونس.

2. أمسكوه. ربما لأنهم رأوا أنه قوي البنية. هل أدرك سمعان ما كان يحدث؟ هل كان يعرف تفصيلات القصة التي أصبح لاعبا مهما فيها لدرجة أن يذكر الوحي الكريم اسمه وقصته فتبقى معنا هذه القرون الطويلة والأجيال العديدة؟
3. أجبروه. أي بغير رغبته.

4. كان راجعا من الريف. ربما كان فلاحا وهو الآن راجع من حقله، أو كانت لديه مهمة في الريف.

5. وضعوا عليه الصليب ليحمله. ولفترة وجيزة مختصرة، حمل سمعان صليب عيسى. وبذلك عمل ما لم يعمله أحد في التاريخ كله. فقد أصبح بديلا عن عيسى، يحمل صليبه! ويا له من شرف كبير حصل عليه هذا الرجل، لم يحصل عليه ملوك وعظماء. سمعان حمل حمل حامل الأحمال!

6. وراء عيسى. سار سمعان وراء عيسى. أي حظ! أي بركة! ماذا قال عيسى لسمعان الذي كان يسير وراءه؟ هل تظن أنه فات على عيسى أن يشكره على مساعدته؟ لست أشك أن سمعان تقابل في ذلك الوقت مع عيسى بطريقة أعمق وأهم من مجرد حمل صليب الفادي. لست أشك أن هذا الرجل تقابل مع الفادي بطريقة أبدية فتحت للإفريقي أبواب السماء والخلود. وبالنسبة لعيسى، مع الألم الذي كان يُقَطِّع نفسه البريئة، وجسمه المجروح، ورأسه الدامية، يحصد حياة الخلود نفسا أخرى ثمينة، جوهرة غالية في تاج الفادي المبارك.

7. أبو اسكندر وروفا. اسكندر: ربما هو المذكور في أع 19: 33؛ روبا: ربما هو المذكور في رو 16: 13.

وَتَبِعَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ ضَمْنِهِمْ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَلْطُمْنَ وَيُؤَلِّقْنَ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتَ عِيسَى إِلَيْهِنَّ وَقَالَ: "يَا بَنَاتِ الْقُدُسِ، لَا تَبْكِينَ عَلَيَّ، بَلْ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلَادِكُنَّ. لِأَنَّهُ سَيَأْتِي وَقْتُ حِينَ يَقُولُ النَّاسُ، 'هَنِيئًا لِلْعَوَاقِرِ، وَلِلنِّسَاءِ اللَّالِي لَمْ يَحْبِلْنَ وَلَمْ يُرْضَعْنَ.' فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ، 'اسْقُطِي عَلَيْنَا.' وَلِلتَّلَالِ، 'عَظِّتْنَا.' لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّاسُ يَعْمَلُونَ هَذَا بِالشَّجَرَةِ الْخَضِرَاءِ، فَمَاذَا يَحْدُثُ عِنْدَمَا تَيْبَسُ؟"

كانت النساء تبكي عليه وتلطم وتصرخ لأنه كان يتألم. في يوم الأحد السابق

لهذا، بكى هو على القدس لأنها رفضت أن تدرك وتفهم أن الله جاءها فيه لمعونتها. واليوم، يوم الجمعة، تبكي النساء عليه فيحذرهن من أيام شديدة وصعبة وقاسية ستأتي على القدس. وكأنه يقول لهن: "ليس المهم هو البكاء عليّ، بل التوبة والإيمان برسالتي. صحيح أنا في عذاب الآن، وعذاب الصليب الذي سأعانيه خلال الساعات القادمة سيكون أشد مما أنا فيه الآن، لكنني أتحمّل كل هذا من أجلكم. فالمهم هو أن تؤمنوا بي وتتكلموا على فدائي لكم وعلى نعمة الله الغنية." في الحقيقة أرى هنا درسا خطيرا لنا. من المهم جدا أننا نلجأ إلى المسيح بالتوبة الصادقة والإيمان الحق.

لكن كيف يمدح المسيح المرأة العاقرة؟ كيف يهنئها بينما المجتمع يعتبر أن عدم المقدرة على إنجاب الأطفال هو لعنة؟ كان هذا هو آخر إنذار منه لأهل مدينة القدس بما سيحدث لهم لرفضهم "الَّذِي يَجْلُبُ (لَهُم) السَّلَامُ!"^ب والذي حدث هو أنه بعد أقل من 40 سنة تحقق هذا الكلام فعلا. اختار أهل القدس، لا طريق السلام بقبول عيسى المسيح الفادي، بل طريق الحرب بمواجهة روما، فخسر أهل القدس الحرب شَرَّ خسارة. رفضوه هو الملك الحق، ورفضوا رسالته التي هي رسالة السلام والأمان. إذن المعنى هو، هنيئا للنساء اللاتي لم ينجبن أطفالا يذبحهم الرومان ويحطمون جماجمهم ويعذبونهم أشدَّ عذاب.³³

ولما وصلوا إلى مكان الإعدام، عروه من ثيابه. تَعَرَّوه وهو الذي كان أصلا يلبس الجلال والبهاء. سائر عيوبنا عروه! فوقف بينهم لا يغطيه سوى دمه الذي كان يسيل من جروحه!

نحن لا نحب أن يرانا الناس عرايا. في العري إهدار للكرامة. ارتكب حام بن نوح حماقة حين دخل خيمة أبيه نوح ووجده عريانا، فرأى غري أبيه وخرج وأخبر

^أ لو 19: 41-44

^ب لو 19: 42

^ت يو 19: 23-24

أخويه. هذا التصرف كان السبب في أن تحل اللعنة على نسل حام. أكان جنود هتلر يسوقون المساجين من رجال ونساء عرايا إلى غرف الغاز. حدثت ضجة عالمية حين أصدر المسئولون في أحد سجون العراق أمرا للمساجين بأن يتراكموا في غرفة السجن عرايا.

وهنا المسيح ابن الله، الكريم، الشريف، الطاهر، الذي خلقني وخلقك، عريان بلا ثياب، أمام الكل من رجال ونساء، ومن أقارب وأتباع وأصحاب ومعارف وعسكر ورعا! يا له من موقف شديد الصعوبة! ويا لها من إهانة لا توصف، وتحقير بلا حدود! يقول الإنجيل الشريف: "تَأَلَّمَ عَيْسَى خَارِجَ بَوَّابَةِ الْمَدِينَةِ، لِكَيْ يُطَهَّرَ الشَّعْبَ بِدَمِهِ. لِنُخْرُجَ إِذْنًا إِلَيْهِ خَارِجَ الْمُخَيَّمِ، وَنَحْمِلَ الْعَارَ مَعَهُ." ^ب قلنا من قبل إنهم أخذوا المسيح خارج مدينة القدس وصلبوه هناك. والوحي هنا يعمل مقارنة بين المكان الذي صلب فيه المسيح، والمنطقة التي كانت خارج مخيم شعب موسى أثناء سفرهم في صحراء سيناء.

كان المخيم نفسه منظما، تحل القبائل المختلفة بترتيب حول خيمة العبادة المقدسة. ولكن خارج هذا المخيم التنظيف المنظم المرتب كان يوجد كل شيء كرية. فهناك، في الخارج، تجد المرضى بالبرص. بما أن هذا المرض الجلدي خطير ومُعْدٍ، كان لا بد من عزل المصابين به خارج مخيم الشعب لكي لا تنتشر العدوى به بين الأصحاء. ثم أيضا خارج المخيم كان مكان إعدام المجرمين من زناة، ومن يكسرون شريعة يوم السبت، ومن يعبدون الأصنام، والقتلة، وغيرهم. ^ت أي كان خارج المخيم مكانا قدرا نجسا كريها.

والوحي هنا يقول إنه بطريقة رمزية، مات المسيح على الصليب خارج المخيم.

^أ تك 9: 22-25

^ب عب 13: 12-13

^ت لا 24: 14؛ عد 15: 35-36؛ 19: 3؛ 1 مل 13: 21؛ 13 قارن يو 19: 20

نعم أخذوه إلى الجلجثة، مكان الجمجمة، المكان النجس الكريه، وهناك مات على الصليب من أجلنا. أخذ مكاننا هناك، مكان العار واللعنة والمرض والقتل. لم يكن ذلك مكانه، لأن مكانه هو حيث الطهارة والقداسة والصلاح والجلال والمجد والبهاء. مكانه هو حيث تعبد الملائكة في السماء. بل كان ذلك المكان غريبا عليه، وهو نفسه كان غريبا في ذلك المكان! ولكنه هناك دفع الثمن، ثمن فداءنا بأن مات من أجلنا. لما كان معلقا على الصليب خارج المخيم، كان نائبا عنا، وكأنه مرفوض ومنبوذ وأبرص ومطروود ومجرم محكوم عليه بالإعدام. كان هذا هو حكمنا نحن. كان هذا هو مكاننا نحن.

والدرس لنا هنا هو أن عيسى احتمل كل هذا من أجلنا، لذلك يجب أن نكون على استعداد لأن نخرج إليه خارج المخيم أيضا لنحمل العار معه.

ثُمَّ قَدَّمُوا لَهُ خَمْرًا مَخْلُوطَةً بِمُرٍّ، فَرَقَضَ أَنْ يَشْرَبَ. أ هذا عقار مخدر ومسكن للألم. رفض المسيح أن يشربه. أراد أن يعاني الألم بكل قسوته وبلا تخفيف.

تنفيذ الصلب

وَصَلَبُوهُ هُنَاكَ.^ب

وصلبوه. من الذي صلبه؟ اليهود والرومان! اليهود أصحاب أسمى وأرفع دين حتى ذلك الوقت! والرومان أصحاب أحسن حكومة حتى ذلك الوقت! فالذين صلبوا عيسى وقتلوه لم يكونوا اللصوص والمجرمين ولا حثالة المجتمع والتافهين. بل كانوا من القادة والحكام، والقضاة والمحامين، والأساتذة والسياسيين، والفقهاء ورجال الدين، من أعلى طبقات المجتمع وأكثرهم احتراماً في نظر الناس!

^أ مت 27: 34؛ مر 15: 23

^ب يو 19: 18

ويا للعجب، الوحيد الذي يحق له أن يحيا، مَوْتَهُ على صليب. الوحيد الذي لم يرتكب معصية ولا جرما عاقبوه وقتلوه كمجرم. لقد قرر الناس أن يقتلوا أفضل رجل عرفه التاريخ، وأطهر من داست قدماه الأرض، بأكثر وسائل الإعدام قسوة وشراسة، وأفظعها وحشية.

كان الصليب هو طريقة الإعدام الرومانية. فكانوا يسمرون يدي المجرم ورجليه إلى لوحين من الخشب مثبتين معا على شكل صليب، ثم يُرْفَع الصليبُ ويُثَبَّتُ في الأرض، ويتركُ الشخصُ معلقا حتى يموت. كانت هذه أبشع طريقة للإعدام في ذلك الوقت وفي تلك البلاد. كانت هي طريقة إعدام المجرمين والمارقين والمتمردين. كانت طريقة وحشية للقتل بالتعذيب البطيء.

ألقوا عيسى أرضا وشدوا إحدى يديه بعنف وسمروها من عند المعصم إلى ناحية من الخشبة الأفقية، وشدوا يده الأخرى إلى الناحية الأخرى وسمروها كذلك، ثم سمروا رجله إلى الخشبة العمودية. وضعوا المسامير في يديه وفي قدميه ونزلوا عليها بالمطرقة. انهالت ضربات المطرقة الثقيلة على المسامير فأخذت المسامير تغوص في جسده الطاهر تمزقُ عضلاته وتفجر دمه الطاهر من عروقه.

وبعد ذلك رفعوا الصليب وأنزلوه في حفرة ضيقة وثبتوه فيها. كان عيسى هناك معلقا والدم ينزف منه وعضلاته تتمزق تحت ثقل جسمه، وعطشه يزداد. يده الآن مسمرتان ليس فيهما القدرة على القيام بأعمال الرحمة والإحسان كما كان يفعل من قبل. رجلاه أيضا مسمرتان فلا يقدر أن يسير من مكان إلى مكان ليشفي ويرثي ويعين ويساعد ويرفع ويعزي كما كان يعمل من قبل.

الصالحُ الطاهر رفعوه على صليب بين لصين! رَبُّ الخليفة وسيدها، مُسَمَّر على صليب! الذي خلق الماء والأمطار والأنهار، عطشان. حَمَلَ الفداء القدوس، حَمَلَ ذنوبنا! والذي يشفي المضروبين، ضربه! والذي يضمّد الجروح، جرحوه!

لو كان قد مات كشهيد، لكان اليهود قد احتراموه. لو كان قد مات لأنه كان يعمل بالشرعية، ويحترم القواعد التي سنّها شيوخهم، ويُخلص إلى التوراة، لكانوا قد جعلوا منه نبيا لهم! ولكن الذي حدث هو أنهم اتهموه ظلما بعكس ذلك. في محاكمته اتهموه بالكفر، أي بأنه كسر بنود الشريعة ووصايا التوراة! وهنا هو معلق على خشبة، عريان أمام الجميع وفي عار وهوان، تحت لعنة الله وتحت لعنة الجميع! إنه مطرود من جماعة الله لأنه مذب. ويا لها من فضيحة!

كان هذا هو الموت الذي رضي به عيسى. ولكن في الحقيقة وقف صليبه ينتصب نحو السماء وكأنه سُلِّمَ نضعد عليها لتتقرب لله تعالى. نعم، عيسى على الصليب يصلحنا مع الله جل جلاله ويقربنا إليه.

أخي يا من تؤمن بعيسى، أخي يا من أسلمت نفسك وقلبك لهذا المنقذ الإلهي، نحن اليوم ننعم بالراحة والأمان على فراش سلام الله ومحبتة، لأن عيسى وُضِعَ على ذلك الصليب الرهيب. أخي وأختي، نحن عندما نجتمع معا في رابطة المؤمنين ونغني أناشيد الرجاء، ليتنا لا ننسى أن سر هذا الفرج هو أن عيسى المسيح مُدِّد على ذلك الصليب. عيسى المسيح مات من أجلي ومن أجلك! حَمَلَ ذنوبنا على الصليب لأنه أحبنا، ولهذا ضحى بنفسه من أجلنا.

احتمل عيسى الصليب، لا كعبد مهزوم، بل كضحية طاهرة من أجلنا. ولم تكن نهاية القصة على الصليب، ولا في القبر الذي وضعوه فيه! لأن عيسى قام في فجر يوم الأحد، أي في اليوم الثالث، قام منتصرا ظافرا.

وَصَلُّوا مَعَهُ لَصَيْنٍ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ.
سيأتي الحديث عن اللصين فيما بعد.

ملك اليهود

وَوَضَعُوا قَوْفَهُ لَافِتَةً تَقُولُ: "هَذَا مَلِكُ الْيَهُودِ".^أ

وَكَتَبَ بِيلاطُسُ لَافِتَةً تَقُولُ: "عِيسَى النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ!" وَوَضَعُوهَا عَلَى الصَّلِيبِ. فَقَرَأَ اللَّافِتَةَ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ، لِأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ عِيسَى كَانَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتِ الْكِتَابَةُ بِاللُّغَاتِ الْعِبْرِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ. فَقَالَ رُؤَسَاءُ الْأَخْبَارِ لِبِيلاطُسَ: "لَا تَكْتُبُ: مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلِ اكْتُبْ: هَذَا الرَّجُلُ قَالَ أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ." فَأَجَابَ بِيلاطُسُ: "مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ."^ب

يبدو أن الحاكم الروماني هنا كان يحاول أن ينتقم من اليهود الذين ضغطوا عليه واضطروه أن يُصدر حكمه بقتل عيسى وهو بريء. فكأن بيلاطس يقول لليهود باحتقار وأيضاً بتهديد: هذا هو ملككم! هذا هو ملككم مصلوب! هذا هو أحسن واحد فيكم، يموت بأفزع طريقة. ونفس المصير ينتظر أي واحد فيكم يحاول أن يتمرّد ضدنا. أي واحد يحاول الثورة ضد القوات الرومانية يكون مصيره كمصير ملك اليهود!

لكن بيلاطس لم يكن يدرك عمق معنى تصرفه. لقد كتب اللافتة بـ3 لغات: أولاً بالعبرية، وهي لغة الدين. فهنا المسيح ابن داود وابن الله. وثانياً باليونانية، وهي لغة المعرفة والعلم والفلسفة، وهنا المسيح نور العالم، المسيح الحق الإلهي، المسيح حكمة الله. وثالثاً باللاتينية، وهي لغة السياسة والحُكْم، وهنا المسيح الحاكم الأعلى فوق كل ملك وسلطان، وصاحب النفوذ فوق كل سيد وحاكم ورئيس وعظيم.

احتج قادة اليهود على هذه اللافتة، ولكن بيلاطس قال لهم: ما كتبت قد كتبت. ونحن أيضاً نحتج، لا لنفس السبب الذي جعل اليهود يعترضون، بل لأن عيسى

^أ لو 23: 38

^ب يو 19: 19-22

هو أعظم من أن يكون ملك اليهود فقط. هو أعظم من أن يكون ملك شعب واحد أو أمة واحدة. هو ملك العالمين! هو ملك كل الملوك ورب كل الأرباب!

ماذا احتمل؟

ما هي الأشياء التي احتملها عيسى لما صُلب؟

1. العذاب الجسدي. تحدثنا عن هذا من قبل بشيء من التفصيل، لذلك نورد هنا ما يذكره إشعيا عن العذاب الذي ذاقه الفادي القدوس على الصليب. يقول إشعيا بوحى الله: "كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَرَعُوا مِنْهُ، فَقَدْ تَشَوَّهَ مَنْظَرُهُ وَلَمْ يَعُدْ مَنْظَرُ إِنْسَانٍ، وَتَشَوَّهَ شَكْلُهُ وَلَمْ يَعُدْ شَكْلَ بَشَرٍ... لَا جَمَالَ لَهُ وَلَا جَلَالَ يَلْفُتْ انْتِبَاهَنَا، لَا شَيْءَ فِي مَنْظَرِهِ يَجْذِبُنَا إِلَيْهِ. مُحْتَقَرٌ وَمَنْبُودٌ مِنَ النَّاسِ، حَزَنٌ كَثِيرًا وَعَرَفَ الْأَلَمَ، احْتَقَرْنَاهُ وَلَمْ نَعْمَلْ لَهُ حِسَابًا، وَعَظَمْنَا عُيُونَنَا لِكَيْ لَا نَرَاهُ."^أ

2. العار. احتمل عار الصليب. يكره الناس العار. ربما ليس هناك شيء يكرهه الناس ويبغضونه جدًا مثل العار والهوان والذل والمهانة والحقارة. إن الشرف والكرامة والاحترام مهمة بالنسبة للناس، مهما كانوا فقراء أو أغنياء، متعلمين أو غير متعلمين، كلهم يهتمهم شرفهم وسمعتهم.

كثيرون يفضلون الموت على العار فيقولون: "مت ميتة الكرام ولا تعش عيشة الهوان". وما أتعس الملك المخلوع، أو الأمير المنزوع، أو الرئيس الذي انحطت مرتبته وانزع عنه شرفه وسقط في عيون الناس!

وهنا نرى ابن الله، ملك الملوك ورب الأرباب، مُهانًا مذلولًا عريانا على صليب! مهما حاولنا أن ندرك خطورة هذا، ومهما طال العمر بنا لن يمكننا أن نفهم حقا

^أ رؤ 17: 14

^ب إش 52: 14؛ 53: 2-3

معنى أن ابن الله الذي تعود على تسبيح الملائكة وسجودهم له، هو الآن على صليب العار. الكامل القدوس الطاهر، احتقره الناس وسخروا منه وهزأوا به. الكريم الشريف والجليل المجيد، أهانوه وعبروه وشتموه.

3. ذنوبنا. الفادي الوحيد الفريد، الذي لا مثيل له ولا شبيه. حمل ذنوبي وذنوبك وذنوب كل الناس. مع أنه الطاهر النقي الزكي، لكنه رضي أن يحمل كل معاصينا ويموت من أجلنا. "وَنَحْنُ كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ صَرَبُهُ وَأَذَلُّهُ عِقَابًا لَهُ. لَكِنَّهُ جَرِحَ بِسَبَبِ مَعَاصِينَا، سَحَقَ بِسَبَبِ آثَامِنَا، نَزَلَ عَلَيْهِ التَّأْدِيبُ لِتَحْصُلَ نَحْنُ عَلَى السَّلَامِ، وَيَجْرُوحَهُ شُفِينَا. كُلُّنَا ضَلَلْنَا كَعَنَمٍ، انْحَرَفْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَاللَّهُ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَنَا كُلَّنَا." ب لقد رضي المسيح بأن يكون ضحية عن ذنوبنا. قال عزرا في دعائه لله: "اللَّهُمَّ أَنَا خَجَلَانٌ وَخَزَيَانٌ أَنْ أَرْفَعَ وَجْهِي إِلَيْكَ يَا إِلَهِي، لِأَنَّ ذُنُوبَنَا زَادَتْ وَارْتَفَعَتْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وَمَعَاصِينَا وَصَلَتْ إِلَى السَّمَاءِ." ث فإن كانت ذنوب جماعة واحدة من الناس ثقيلة وجسيمة بهذا المقدار، فكم تكون ذنوب كل الناس التي حملها عيسى على الصليب؟ وإن كانت العقوبة لذنوب فرد واحد لا تُحتمل كما قال قابيل: "عِقَابِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ." ث فكم تكون عقوبة ذنوب كل الناس أثقل وأقسى وأمرًا!

على الصليب وضع الله تعالى ذنوبي وذنوبك على الفادي الكريم، عيسى المسيح. فهو قد رضي أن يحمل كل آثامنا ومعاصينا كما يقول الإنجيل الشريف: "فَالْمَسِيحُ الَّذِي لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْبًا، صَارَ ضَحِيَّةً عَنْ ذُنُوبِنَا، لِكَيْ نَكُونَ مَقْبُولِينَ عِنْدَ اللَّهِ بِوَاسِطَتِهِ." ج ويقول أيضا عن سيدنا عيسى: "الَّذِي ضَحَّى بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِنَا لِنُقِذْنَا مِنْ هَذَا

^أ 2كور5: 21؛ 1بط 2: 22؛ 1يو 3: 5؛ 1بط 1: 19

^ب إش 53: 4-6

^ث عز 9: 6

^ث تك 4: 13

^ج 2كور 5: 21

العَالَمُ الشَّرِيرُ.^أ

4. الانفصال عن الأب. هذا هو أصعب شيء. ولهذا كان عيسى يخاف ذلك الصليب، كان يخاف الانفصال عن الأب القدوس المحب. كثير من الشهداء والأبطال ساروا نحو الموت بشجاعة وبسالة، أما عيسى، عبد الله، العبد المتألم، الذي لم يكن يخاف من إنسان أو ألم أو خسارة، خاف لأنه هو نفسه كان سيقف موقف المذنب ويواجه عدالة الله بالنيابة عنا، وينال قصاص ذنوبنا نحن. كان يعرف أن الله تعالى سوف يحجب وجهه عنه بينما هو يمثل البشر المذنبين، كان هذا هو ما لا يُحتمل بالنسبة لعيسى الذي عاش طول حياته طاهرًا وبلا ذنب، وأرضى الله في كل شيء، واتكل على الله في كل شيء. وسنتحدث في هذا أكثر في موضوع الكلمة الرابعة من كلمات المسيح على الصليب.

ماذا سمع؟

لما كان المسيح معلقا على الصليب في أشد العذاب والهوان، كان اليهود يسخرون منه ويشتمونونه. تعال معي نقرأ كلمات الإنجيل الشريف بهذا الصدد:

وَكَانَ الْمَارَّةُ يَشْتِمُونَهُ، وَيَهْزُونَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ: "يَا مَنْ سَتَهَدُمُ بَيْتَ اللَّهِ ثُمَّ تَبْنِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ! أَنْقَذْ نَفْسَكَ وَأَنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ." وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ يَهْزَأُونَ بِهِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، وَمَعَهُمُ الْفَقَهَاءُ وَالشُّيُوخُ وَيَقُولُونَ: "أَنْقَذْ غَيْرَهُ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ. هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ! فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَتُؤْمِنَ بِهِ. كَانَ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يُنْقِذُهُ الْآنَ إِنْ كَانَ يَرْضَى عَنْهُ، لِأَنَّهُ قَالَ: "أَنَا ابْنُ اللَّهِ." وَكَانَ اللَّصَانِ الْمَصْلُوبَانِ مَعَهُ يَشْتِمَانِهِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ.^ب

^أ أغل 1: 4

^ب مت 27: 44-39

وَوَقَفَ النَّاسُ يَتَفَرَّجُونَ، وَكَانَ الْقَادَةُ يَهْزَأُونَ وَيَقُولُونَ: "أَنْقَذَ غَيْرَهُ، فَإِنْ كَانَ فِعْلًا الْمَلِكِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَلْيُنْقِذْ نَفْسَهُ!"

"لِيُنْزِلَ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ، هَذَا الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، فَتَرَى وَتُؤْمِنُ!"^ب

ماذا يعني هذا الكلام؟ ماذا قصدوا بكل هذه الشتيمة؟

1. هذا هجوم على سلطان المسيح. قالوا: "يَا مَنْ سَتَهْدُمُ بَيْتَ اللَّهِ ثُمَّ تَبْنِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ!" مع أنه لم ينطق بهذا الكلام، لكن كان له الحق والسلطان وعنده القدرة أن يهدم بيت الله الذي من حجارة ويبنيه في ثلاثة أيام، بل في لحظة واحدة!

2. هذا هجوم على ألوهية المسيح. "أَنْقِذْ نَفْسَكَ وَأَنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ..." لَأَنَّهُ قَالَ: "أَنَا ابْنُ اللَّهِ."

3. هذا هجوم على إرسالية المسيح. "أَنْقَذَ غَيْرَهُ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ." إنه جاء ليموت فداء عنا ليرفع عنا ذنوبنا. جاء ليفدي وينقذ البشر، لا لينقذ نفسه.

4. هذا هجوم على طاعة المسيح لله. "أَنْقِذْ نَفْسَكَ وَأَنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ... فَلْيُنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَتُؤْمِنَ بِهِ." إنه جاء لا يعمل مشيئة الناس بل مشيئة أبيه، ومشيئة أبيه هي أن يفدي البشر الهالكين.

5. هذا هجوم على مركز المسيح. "فَإِنْ كَانَ فِعْلًا الْمَلِكِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَلْيُنْقِذْ نَفْسَهُ! ... هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ! فَلْيُنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَتُؤْمِنَ بِهِ." إنهم يشككون في أنه هو المسيح الملك الذي تنبأ عنه الكتاب، وأخبر به الأنبياء، والذي كان الناس يتوقعون مجيئه.

6. هذا هجوم على علاقة المسيح بالله. "كَانَ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يُنْقِذُهُ الْآنَ إِنْ كَانَ يَرْضَى عَنْهُ"، لَأَنَّهُ قَالَ: "أَنَا ابْنُ اللَّهِ."

"أَنْقَذَ غَيْرُهُ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقَذَ نَفْسُهُ." هنا يتكلمون عنه وكأنه غائب وغير موجود! هذه مبالغة في احتقاره. ربما اعتبروه أقل وأحق من أن يواجهوا كلامهم له مباشرة. لذلك تحدثوا بعضهم إلى بعض، وليس إليه هو مباشرة!

"أَنْقَذَ... وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقَذَ." كان هذا منطقهم الأعوج غير الصحيح. إنما الحقيقة هي أنه أنقذ غيره ولا يريد أن ينقذ نفسه. نعم، أنقذ غيره لحناؤه عليهم وشفقته بهم، أنقذهم بمعجزاته، بقدرته العجيبة. أنقذهم من المرض والبرص والعمى والطرش والحمى، ومن الموت والقبر. ولكنه لا يريد أن ينقذ نفسه، لكي ينقذهم هم، بطريقة فريدة إلهية، من الخطيئة، من الشر، من برص النفس، من عمى القلب. ومرة أخرى نقول هنا، هذه أعظم تضحية!

ظنوا أنه لم ينقذ نفسه لضعفه! أما أنا فأقول إنه لم ينقذ نفسه بسبب قدرته الإلهية ومحبه السماوية. إنه جاء من السماء لينقذ غيره لا لينقذ نفسه. هذه القدرة غير المحدودة، هذه السلطة العظيمة، هذه المحبة الفائقة، تمنعه من النزول عن الصليب لينقذ نفسه.

معنى كلامهم هو: "إن كانت رسالتك من الله فانزل عن الصليب! إن كنت صادقا وأنت حقا نبي فانزل عن الصليب. إن كان ما قلته حق، وإن كنت فعلا حبيب الله، وابن الله، فأنقذ نفسك من هذا الموت الشنيع والهزيمة المنكرة! أنت عملت المعجزات وشفيت الناس فلماذا لا تعمل لنفسك معجزة وتنقذ نفسك؟" ³⁴ ثم بما أنك لا تقدر أن تنقذ نفسك، إذن إنقاذك للآخرين كان مجرد وهم، ونحن لا نصدق أنه حدث!"

إن كلامهم هذا يعني أن موت المسيح على الصليب هو برهان قاطع على أنه لا يستطيع أن ينقذ. هو معلق على الصليب ولا يقدر أن ينقذ نفسه، فكيف ينقذ الآخرين؟ إن كان لا يقدر أن ينقذ نفسه، فكيف يقدر أن ينقذهم من الرومانيين

المستعمرين. وإن كان لا ينقذهم من الرومانيين فهو ليس المسيح، ليس الملك الذي ينتظرونه. لذلك يجب أن ينتظروا آخر! إنهم يستخدمون اسمه هنا بسخرية واحتقار وبطريقة لاذعة. إن اسمه عيسى يعني الله ينقذ. أنبأ الملاك قبل ولادته بأن هذا يكون اسمه لأنه ينقذ شعبه من الخطيئة. ورؤساء الدين هنا يقولون: "يا من اسمك المنقذ، يا من أنقذت الآخرين، لماذا لا تنقذ نفسك؟" بمعنى أن كل ما رآه الناس في هذا الشخص المصلوب هو الضعف لا القوة، والهزيمة لا النصر، والموت لا الحياة! ثم هناك أمر آخر. قالت الشريعة: "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ يُصَلَّبُ عَلَى خَشَبَةٍ".^أ وهنا نجد هذا الشخص مصلوبا على خشبة، فكيف يكون هو المنقذ. كيف يكون الملعون منقذا؟

"إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ." كان هذا هو كلام المارة وعابري الطريق ورجال الدين، كانت هذه هي ألسنة وأفواه الناس تتكلم، ولكنها في الواقع هي كلمات الشيطان. في وقت سابق، في بدء خدمته، سمع مولانا عيسى المسيح مثلها. فقد جاء عيسى إلى يحيى بن زكريا ليُغطسه يحيى. ولما طلع عيسى من الماء، سمع صوت المولى تعالى يُكلمه من السماء ويقول: "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي يُفَرِّحُنِي."^ب لقد تكلم العلي القدير بصوته من السماء وشهد لعيسى، وأعلن لنا شخصيته وحقيقته وحبّه له وفرحه به. وبعد ذلك مباشرة ذهب عيسى إلى الصحراء حيث امتحنه الشيطان. قال الشيطان: "إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ، فَقُلْ لِهَذِهِ الْحِجَارَةِ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى خُبْزٍ... إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ، فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى تَحْتِ." ^ت بمعنى: "أنت جائع، وإن كنت فعلا حبيب الله، لماذا يتركك تجوع؟ أنت تقول إنك ابن الله فبيّن هذا لنا بمعجزة فيها تطرح نفسك من ذلك المكان العالي فتحملك الملائكة ولا تصاب بضرر!"

^أ غل 3: 13

^ب مر 1: 11

^ت مت 4: 3، 6

والآن، يُعيد الشيطان المحاولة بكلمات تختلف قليلا، فيقول على أفواه هؤلاء: "أنت تتألم، وإن كنت فعلا ابن الله، لماذا يتركك تتألم؟ أنت تقول إنك ملك، ولم يحدث أبدا في التاريخ أن ملكا عُلق على صليب. أنت تقول إنك نبي، فهل من المعقول أن يُصلب النبي؟ هل يسمح الله عز وجل بأن يُصلب رسوله ونبيه؟ لا! لا! إذن إما أن تنزل من على الصليب لكي نصدق رسالتك ونؤمن بك، أو تبقى على الصليب ولا تؤمن بك!"

ولكنه كان قد بيّن لهم صدق إرساليته من قبل ولم يؤمنوا! بيّن لهم أنه العلي جاء في جسم بشر، بالنبوات التي تحققت فيه، وبالتعاليم النقية التي جاء بها، وبجياته الطاهرة التي عاشها، وبأخلاقه السامية التي لا مثيل لها، وبمعجزاته العظيمة التي أجزاها، ومع كل هذا لم يؤمنوا. فهل يؤمنون إن نزل من على الصليب؟ لست أظن أبدا! في أثناء محاكمته كان منطقهم: هو قال إنه ابن الله، لذلك يجب أن يموت. والآن وهو على الصليب أصبح منطقهم: هو يموت، لذلك فهو ليس ابن الله!

كان من الممكن أن يرد عيسى على هذا الكلام ويدافع عن نفسه. كان بإمكانه أن يقول للمارة والمتفرجين: "أنا لا أموت بسبب ذنب ارتكبته، بل أضحي بنفسي من أجل الآخرين بسبب ذنوبهم. أنا أموت من أجل معصية الآخرين، لفدائهم وتحريرهم." كم من الناس كانوا يصدقونه لو قال هذا الكلام؟ إنه سكت ولم يدافع عن نفسه. كان المسيح في عذاب جسماني فظيع، وفي ألم رهيب. كان ظهره قد تشقق من الجلْد بالسوط، ومزقت المسامير يديه ورجليه، ولكن العذاب النفسي بسبب كلام هؤلاء لا شك كان أفظع وأرهَب وأشدَّ قسوة! السوط والمسامير والحربة مزقت جسمه، ولكن هذا الكلام يمزق القلب والنفس! لذلك يقول الإنجيل إنه: "احْتَمَلَ هَذِهِ الْعِدَاوَةَ مِنَ الْأَشْرَارِ." هذا القدوس الطاهر والمحِب المضحى احتمل العداوة من

الأشرار!

وكما قلنا من قبل، كان من السهل على المسيح في أثناء محاكمته أو في أثناء ضربه وتعذيبه أن يخرج من المكان دون أن يقدر أحد أن يوقفه. إنه فعل ذلك من قبل في مناسبة أخرى لما تناول اليهود حجارة ليرجموه لكنه اختفى من بينهم. وأعمل هذا أيضا مرة أخرى في مدينته الناصرة حين أخذ الناس "يَدْفَعُونَهُ إِلَى خَارِجِ الْبَلَدَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ بَلَدُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ، لِيَطْرَحُوهُ إِلَى تَحْتِ. وَلَكِنَّهُ مَرَّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَضَى." ^ب

وكان من السهل أيضا أن ينزل المسيح عن الصليب وينقذ نفسه. كان ذلك ممكنا بلا أي صعوبة. لو كان عيسى قد أراد ذلك لكان قد نزل بقوته الإلهية. ولكن لم تكن هذه إرادته. لم تكن هذه هي رغبته. إنه جاء ليموت. وكان هو رب الموقف المتحكم في سير الأمور! جاء ليفدي الناس. وكان يعلم أنه لا يوجد فداء بلا ألم، لا فداء بلا سفك دم، لا فداء بلا موت. فبقي على الصليب على الرغم من ذلك التحدي حتى بلغ قصده ونال مراده وقال: "تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ." وتوفي.

إذن، لم ينزل عيسى عن الصليب! لأنه لو كان فعل ذلك ما كان هناك فداء لنا. إنما لأنه ابن الله لم ينزل عن الصليب. ولأنه المسيح ابن الله تبارك وتعالى بمعنى أعمق بكثير مما كان يقصده قيافا، فكان يجب أن يموت على الصليب ولا ينزل عنه حيا! وذلك ليفدي الناس. المسيح ابن الله تبارك وتعالى وحده هو الذي بإمكانه أن يفعل ذلك، أن يبقى على الصليب حتى النهاية، ليفدي الناس. ^ت

قد يأتي إليك الشيطان اليوم بمثل كلامهم وبمثل تحديهم لعيسى، لكي يبعث الشك في قلبك واليأس في حياتك. منذ فترة كنت في تايلاند لخدمة المسيح. وبمجرد

^أ يو 8: 59

^ب لو 4: 29-30

^ت إش 63: 5-9

أن وصلت إلى الفندق أصابني مرض لم أعرف سببه. حُمى وإسهال وألم في المعدة. لازمت الفراش. وللأسف جاء زميل يعودني! أقول للأسف، لأن زيارته كانت للتأنيب والتقريع لا للتشجيع والتقوية. قال لي الصديق: "إن كنت فعلا تؤمن بالله بهذه الطريقة، فلماذا أنت مريض؟"

ربما يقول إبليس لك: "إن كنت حقا من أتباع المسيح الحقيقيين وحبیب الله ومن أوليائه المخلصين ومن أتباعه الأوفياء، فلماذا كل هذه المشاكل في حياتك؟ إن كنت فعلا تؤمن بالله، فلماذا لا يشفيك من مرضك؟ ولماذا لا يعطيك عملا كريما ووظيفة، ولماذا لا يساعدك لتجد زوجة؟ أنت معذب وكأنك كالمسيح معلق على صليب، فإن كنت حبيب الله، انزل الآن! إن كنت ابن الله، فمن غير المعقول أن تُصلب بهذه الطريقة الرهيبة، من غير المعقول أن تكون في هذا العذاب الأليم!"

ماذا قال؟

ظل المسيح على الصليب 6 ساعات، لكننا إن تأملنا فيما قاله طول ذلك الوقت نتعجب لأن ما سجله الوحي لنا هو 7 جمل صغيرة مختصرة قالها السيد ونستطيع أن نقرأها كلها في أقل من دقيقة واحدة! ثم لعلنا نلاحظ نوعية الكلام الذي قاله مثل: "يا أبي اغفر لهم... اليوم ستكون معي في الجنة... يا أمي، هذا ابنك... يا يوحنا، هذه أمك..." كلمات تعبر عن الصفح والغفران والحب والحنان والتضحية والفداء.

لماذا لم يستنزل لعنة الله على بيلاطس، الحاكم الجبان الذي خضع لضغط الشعب وقادة الدين، وحكم على عيسى بالصلب مع أنه كان يعلم تماما أنه بريء؟ لماذا لم يتحدث المسيح عن جريمة يهوذا القريوتي الذي كان من أتباعه، ورأى أعماله العظيمة ومعجزاته القديرة، ولمس أخلاقه الكريمة، وسمع تعاليمه المجيدة، ومع ذلك خانته وباعه كبضاعة لرؤساء الدين؟ لماذا لم يهدد ويتوعد الجنود الرومانيين الذين

نزلوا بالمطرقة بكل قسوة وإجرام، على المسامير فمزقت يديه ورجليه الطاهرة؟ لماذا لم يشتم المارة الذين كانوا يهزأون به ويسخرون منه؟ كان يمكنه أن يعترض على الذين أخذوا ثيابه واقتسموها بينهم. كان يمكن أن يقدم موعظة قاسية للذين علقوا اللافتة فوق صليبه محاولين أن يلصقوا به تهمة الثورة ضد قيصر روما. كان يقدر أن يقدم خطبة طويلة يدافع فيها عن نفسه ويعلن على الملأ جميعا خداع رؤساء الدين والشيوخ والفقهاء ونفاقهم! لا، لم يدافع عن نفسه ولم يلعن ولم يشتم.

الكلمة الأولى: لله

"يَا أَيُّهَا، اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ."

في وسط العذاب والألم دعا عيسى الله ليغفر لقاتليه. عجباً! من هو هذا الذي يطلب الصفح والعفو عن قاتليه؟ من هو هذا الذي يستطيع في هذه اللحظة الحالكة ووسط هذا الظلم الغاشم والعدوان المقيت، أن يضرع إلى الله ليغفر للذين ظلموه وعذبوه وأهانوه وصلبوه وقتلوه؟ من هو هذا الذي في وسط الألم والعذاب، لم تعرف الكراهية سبيلاً إلى قلبه الطاهر، ولم تعرف المرارة طريقها إلى ضميره الحر النقي؟ من هو هذا الذي يطلب الرحمة لمن لم يرحمهم؟ لا شك أنه عملاق روحي! ولربما في تلك اللحظة تذكر بعض الموجودين هناك عبارة مأثورة نطق بها عيسى في مناسبة سابقة، حين قال لأتباعه: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَادْعُوا بِالْخَيْرِ لِلَّذِينَ يَصْطْهِدُونَكُمْ".^أ

وهنا ربما نسأل: لماذا قال عيسى، 'اغفر لهم'؟ في الماضي، حين كان يأتي إليه من يحتاج لمغفرة الذنوب، كان يمنحها له. لم يكن يطلب ذلك في دعاء أو تضرع. نعم، لقد غفر الذنوب من قبل، فلماذا لا يفعل ذلك الآن؟ لماذا لا يغفر للذين صلبوه ويقول

^أ لوقا 23: 34

^ب مت 5: 44

لهم كما قال لغيرهم من قبل: 'مغفورة لكم ذنوبكم'.^أ وأيضا كما قال متحدثا عن نفسه: "الَّذِي صَارَ بَشَرًا عِنْدَهُ السُّلْطَةُ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ".^ب الجواب: عيسى الآن في موقف يمثل البشر الخاطئين المذنبين. إنه محسوب كواحد منهم، فهو معلق على الصليب نائبا عنهم وممثلا لهم. إنه هنا تحت قصاص الذنب، وتحت حكم الله ضد خطيئة الإنسان. فمركزه هنا هو أن يحتمل عقاب ذنوبنا وأن يجني قصاص خطايانا، وليس مركز من له السلطان ليغفر الذنوب.

إنه بقوله هذا، لم يُبرئهم من الذنب، بل اعتبر أنهم ارتكبوا جريمة فظيعة، وهو هنا يطلب لهم المغفرة. في هذا نرى انتصار المحبة على الكراهية، والصلاح على الطلاح، والخير على الشر، والمغفرة والرحمة على العقاب والنقمة. كان بإمكان عيسى أن يحطم أعداءه، أن يمسخهم من الوجود، أن يرسلهم إلى نار جهنم، أن ينتقم منهم بألف طريقة وطريقة، لكن امتلا قلبه بالمحبة والحنان والصفح والغفران، فطلب من الأب أن يغفر لهم.

هذه كلمات تعبر عن الحب والرحمة. طلب من الله أن يغفر للذين صلبوه. كيف يتم ذلك؟ كيف يغفر الله لهم؟ أهم شيء، بأن يتوبوا ويتغيروا ويؤمنوا بالفادي القدير. إذن هذا الطلب يعني: اللَّهُمَّ أرجوك أن تساعدني بفضلك، وبنعمتك الغنية المجانية، ليتوبوا ويحصلوا على مغفرة الذنوب. بهذا الدعاء حقق المسيح النبوة التي وردت في إشعيا حيث يقول النبي عنه بالوحي: "حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ، وَشَقَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ".^ب

اغْفِرْ لَهُمْ. تعني في الحقيقة اغفر لهم وعاقبني أنا. أطلقهم أحرارا واحكم عليّ أنا. بهذا، كما قال أحدهم، غطى رأس قاتليه بخوذة محبته، وصدرهم بدرع مغفرته ليحميهم من زوبعة غضب الله.

^أ مت 9: 6

^ب إش 53: 12

منذ بعض الوقت قرأت قصة عن قائد مشهور له مكانة عظيمة في التاريخ، كان يحارب أعداءه فأصابوه بجرح في وجهه. فما كان من ذلك القائد إلا أنه لعن الذين أصابوه، وتمنى لهم الخراب والهلاك وبئس المصير. لما قرأت هذه القصة قلت في نفسي: "ماذا لو كان عيسى تصرف بهذه الطريقة، وفعل ما فعله ذلك القائد؟" لكن، لا! لا سمح الله! لم يعمل عيسى هذا. بل هو أعظم مثال لنا في الصفح. وربما هذا هو ما دفع أمير الشعراء أحمد شوقي ليقول:

وُلد الرفق يوم مولد عيسى، والمروءات والهدى والحياة
وازدهى الكون بالوليد وضاءت، بسناه من الثرى الأرجاء
وسرت آية المسيح كما يسري، من الفجر، في الوجود، الضياء
تملأ الأرض والعوالم نورا، فالثرى مائج بها وضاء
لا وعيد، لا صولة، لا انتقام، لا حسام، لا غزوة، لا دماء
ملكاً جاور التراب، فلما ملّ نابت عن التراب السماء
وأطاعته في الإله شيوخ، حُشَّع، خُضَّع له، ضعفاء
أدعن الناس والملوك إلى ما، رسما، والعقول والعقلاء
فلهم وقفة في كل أرض، وعلى كل شاطئ إرساء³⁵

قال عيسى: "اغفر لهم." لمن؟ ليهوذا القريوتي الذي خانته وباعه بثلاثين عملة من الفضة! ولبطرس الذي أنكره وأقسم أنه لا يعرفه! ولأتباعه الآخرين الذين هربوا وتركوه وهجروه حين جاء العسكر ليقبضوا عليه! ولليهود الذين حسدوه وعاندوه وكرهوه وطالبوا بإعدامه! ولهيرودس الذي هزأ به. ولبيلاطس الذي حكم عليه. وللرومانيين الذين نفذوا الحكم ضده بلا عدل ولا رحمة. ولرجال الدين الضالين وللرعاة وللآخرين الذين كانوا يتفرجون عليه وهو مصلوب ويهزأون به ويضحكون

عليه ويشتمونه!

ثم بقوله هذا يجمعنا نحن أيضاً، أنا وأنت وكل البشر معاً، تحت مظلة هذه المغفرة العظمى. فحتى نحن اشتركنا أيضاً في ذلك العمل المشين لأننا رفضنا أن نؤمن به وأن نتوكل عليه ونسلم له.

قال السيد المسيح: "اغفر لهم." فهل سمع الله هذا الدعاء؟ هل استجاب العلي لهذا التضرع؟ نعم، بكل تأكيد! حتى قبل أن يُنزل جسد المسيح من على الصليب، نجد الضابط المكلف بعملية الصلب، كما ذكرنا من قبل، يعلن أن ذلك المصلوب يختلف عن باقي الناس فيقول: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنُ اللَّهِ."^أ

كان الأحرار قادة الدين هم الذين حكموا بموته، وهم الذين أصروا على صلبه، وهم الذين أظهروا له العداء والكراهية، وهم الذين كانوا يسخرون منه ويشتمونه وهو يعاني سكرات الموت على الصليب. ولكن الله عز وجل استجاب له، فيقول الإنجيل الشريف إنه بعد فترة غير طويلة من الزمن، ربما أسابيع أو شهور قليلة، آمن بالمسيح عدد كبير من الأحرار وصاروا أتباعه الأمانة الأتقياء بعد تلك العداوة الشديدة "قَبِلَ الْإِيمَانُ عَدَدٌ كَبِيرٌ جَدًّا مِنَ الْأَحْبَارِ."^ب عيسى دعا الله أن يغفر لهم، والمولى عز وجل أجاب دعاءه.

ربما كان بين هؤلاء، البعض ممن كانوا ضد المسيح وأصروا على قتله وكانوا عند الصليب يشتمونه ويعيرونه. نحن لا نقصد أن نقول إن كل الذين شاركوا في صلب المسيح، غفر الله لهم. لا! بل المغفرة موجودة ومتيسرة، وكل من طلبها وآمن بالمسيح نالها.

"لَا تَهُمُّ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ."

ونحن أيضا، في الماضي، في جهلنا رفضنا المسيح حتى أنعم الله علينا بالإيمان الذي فتح عيوننا، وأثار ظلمات قلوبنا، وأزاح الجهل عن عقولنا. قال بطرس للشعب في إثر معجزة شفاء الرجل الكسيع: "رَفَضْتُمْ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ الْعَفْوَ عَنْ قَاتِلٍ! أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ وَاهِبَ الْحَيَاةِ، لَكِنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ بِذَلِكَ... وَالْآنَ.. أَنَا عَارِفٌ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ وَقَدْ دُخِلْتُمْ عَنْ جَهْلٍ".^أ إنهم عملوا ذلك عن جهل. كانوا لا يعلمون ما يفعلون. كانوا لا يدركون أنهم يصلبون ويقتلون المسيح واهب الحياة، مبدع الحياة، رب الحياة!

وبولس أيضا يبين أنه لو كان الذين صلبوا المسيح قد فهموا حكمة الله، ما كانوا صلبوا صاحب الجلالة.^ب لكن هذا الجهل ليس عذرا، وإلا ما كان المسيح يتضرع لله بهذا الطلب "اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ". فالجهل ليس عذرا لرفض المسيح، لكن الجهل يسامحنا الله عليه إن كنا نقبل المسيح ونسلم له ونؤمن به. إن الله في رحمته الواسعة ينقذنا من جهلنا كما فعل مع بولس. يقول بولس: "أَشْكُرُ الْمَسِيحَ عِيسَى مَوْلَانَا الَّذِي قَوَّانِي، وَاعْتَبَرَنِي أَمِينًا فَاخْتَارَنِي لِحِدْمَتِهِ. مَعَ أَنِّي فِي الْمَاضِي كَفَرْتُ بِهِ وَاضْطَهَدْتُهُ وَشَتَمْتُهُ. لَكِنَّ اللَّهَ رَحِمَنِي لِأَنِّي تَصَرَّفْتُ بِجَهْلٍ وَعَدَمَ إِيمَانٍ."^ت ثم إن المسيح في دعائه للأب ليغفر ذنوب قاتليه، يجعل من نفسه مثالا لنا لنقتدي به. هل أساء إليك واحد وجرح شعورك وأحزن قلبك؟ اغفر له كما غفر المسيح. هل هناك واحد يسعى لتحطيمك؟ هل هناك واحد يتمنى لك السوء والخسارة؟ سامحه كما غفر المسيح لأعدائه وسامحهم. ليس هذا بأمر سهل أبدا. أنا أدرك ذلك، والمسيح الذي علمنا أن نحب أعداءنا يعرف أن هذا صعب. ولذلك أعطانا القوة لنغفر. هذه القوة أساسها أنه هو غفر لنا. ثم إنها تأتينا بالروح القدس الساكن فينا

^أ أع 3: 14-15، 17

^ب 1 كور 2: 8

^ت 1 تم 1: 12-13

الذي يعلمنا كيف نعيش كالمسيح وللمسيح!

ثم هناك أمر آخر. إن كان المسيح قد طلب المغفرة لصالبيه وقاتليه، فهذا يعني أنه لا يوجد شخص أبعد من أن يشملته غفران الله المحب! يا أخي، أنت تدعو القدير منذ سنين عديدة من أجل قريب أو صديق أو أي شخص آخر، لا تيأس من طلب وجه الله. داوم على الدعاء والصلاة، وثق أنه سيأتي اليوم الذي فيه يلين قلب ذلك الشخص ويؤمن بالمسيح فيشملة الله بنعمته وفضله وغفرانه.

الكلمة الثانية: للص المصلوب التائب

وَكَانَ أَحَدُ الْمُجْرِمِينَ الْمُعَلَّقِينَ يَشْتُمُهُ وَيَقُولُ: "أَنْتَ تَقُولُ إِنَّكَ الْمَسِيحُ! إِذَنْ أَنْقِذْ نَفْسَكَ وَأَنْقِذْنَا!" لَكِنَّ الْآخَرَ وَجَّهَهُ وَقَالَ لَهُ: "أَلَا تَخَافُ اللَّهَ؟ أَنْتَ تَتَنَالُ نَفْسَ الْعِقَابِ مِثْلَهُ. لَكِنَّ بِالنَّسْبَةِ لَنَا، عِقَابُنَا هُوَ بِالْعَدْلِ، لِأَنَّنَا نَتَنَالُ جَزَاءَ مَا عَمِلْنَا. أَمَّا هَذَا الرَّجُلُ فَلَمْ يَرْتَكِبْ أَيَّ خَطَأٍ." ثُمَّ قَالَ: "يَا عَيْسَى، افْتَكِرْنِي عِنْدَمَا تَأْتِي فِي مُلْكِكَ." فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: "أَقُولُ لَكَ الْحَقَّ: الْيَوْمَ سَتَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ."^أ

صليبه بين لصين. وكأنهم يقولون له: "أنت أحببت أن تكون مع غير المتدينين، فكنت تأكل معهم وتدافع عنهم وتعلمهم وتبشرهم وتعزيهم وتطيب خواطرهم وتطمئن قلوبهم، والآن يجب أن تموت كواحد منهم، كلص، كمجرم!"^ب حقا، أثناء حياته، حين كنت تبحث عنه، كنت تجده بين الذين سمعتهم سيئة والذين لا يحترمهم كبار القوم ورجال الدين، والآن في موته، تجده بينهم أيضا!

يقول الوحي الكريم: فَتَمَّ كَلَامُ الْكِتَابِ الَّذِي يَقُولُ: "حُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ."^ب هذه العبارة هي من كلام الله في إشعيا حيث يتنبأ عن موت المسيح فيقول: "بَدَلٌ لِلْمَوْتِ

^أ لو 23: 39-43

^ب مر 15: 28

نَفْسُهُ، وَحُسِبَ مَعَ الْأَشْرَارِ. حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ، وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ.^أ

حُسِبَ مع الأشرار، لكنه منقذ الأشرار. حُسِبَ مع المجرمين، لكنه هو الذي يعطي المجرمين الحياة الجديدة. فليس في إمكان الأشرار أو المجرمين أن يلطخوه أو يؤثروا عليه بذنوبهم، بل هو يعطيهم من صلاحه وقداسته وطهارته.

ذات مرة كان السيد المسيح يزور مدينة أريحا، وأراد رجل اسمه زكي أن يراه. كان زكي يعمل كجابي ضرائب. وكان جباة الضرائب مكروهين لأنهم يجمعون الضرائب من المواطنين لحساب حكومة روما، أي لحساب سلطة الاحتلال.

كان زكي قصير القامة، فتسلق شجرة ليرى عيسى وسط جماهير الناس. ولما وصل الموكب إلى الشجرة، توقف عيسى، ونظر بين أغصان الشجرة وقال: "يَا زَكِيُّ، اُنْزِلْ بِسُرْعَةٍ لِأَنِّي يَجِبُ أَنْ أَزُورَكَ فِي دَارِكَ الْيَوْمَ."^ب هل تتخيل يا أخي فرحة زكي بهذه المفاجأة العظيمة واهتمام عيسى به؟ لقد نزل بسرعة واستقبل المسيح في داره بسرور وكرم. وبينما كانوا يُعدون الوليمة، والمسيح جالس في دار زكي، والفرحة تملأ المكان، عبّر البعض عن عدم ارتياحهم بل ونفورهم واشمئزازهم، فتذمروا ضد عيسى وقالوا: "ذَهَبَ لِيَكُونَ ضَيْفًا عِنْدَ وَاحِدٍ غَيْرِ مُتَدِينٍ!"^ت لست أظن أن هؤلاء المعارضين تجرأوا أن يدخلوا دار جابي الضرائب غير المتدين. لا شك أنهم اعتبروا أن هذا لا يليق بهم. لذلك بقوا خارج الدار ينظرون إلى ما يحدث في الداخل وينتقدون عيسى ويلومونه. أعتقد أن عيسى خرج إليهم وأعلن لهم عن أشياء صدمتهم أكثر فقد قال: "الْيَوْمَ جَاءَتِ النَّجَاةُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ أَيْضًا ابْنٌ لِإِبْرَاهِيمَ. لِأَنَّ الَّذِي صَارَ بَشَرًا جَاءَ لِيَكِي يَبْنَحَ عَنِ الْهَالِكِينَ وَيُنْقِذَهُمْ."^ث نعم، ابن الله صار بشرا وجاء لكي

^أ إش 53: 12

^ب لو 19: 5

^ت لو 19: 7

^ث لو 19: 9-10

ينقذنا. هذا هو السبب أنه جاء! هذا هو السبب أنه هنا.. على الصليب، وبين لصين.. لينقذ. وبدلاً من أن ينجسه غير المتدينين، يمنحهم هو الطهارة والنقاء وحسن السيرة والسريرة! إنه بهذا الموت الفدائي، يبعث في كل من يؤمن به الطهر والنقاء والشفاء والقوة والحياة والغفران والخير.

يقول الإنجيل الشريف إنه لما كان المسيح في طريقه إلى القدس طلب يعقوب ويوحنا أن يسمح لهما بالجلوس واحداً عن يمينه والآخر عن يساره، حين يجلس عيسى على عرشه، ويُتَوَّج ملكاً. لكن عيسى قال لهما إنهما لا يعلمان ما يطلبان. أي أنهما كانا يجهلان متطلبات مملكة عيسى. أ فالحقيقة هي أنه لما صُلبَ المسيح، كانت اللافة التي وضعها الحاكم على الصليب، كما ذكرنا من قبل، هي: "عيسى ملك اليهود." هذا هو العرش، الصليب! وهذا هو الملك، مصلوب! ومن كان عن يمينه وعن شماله؟ مَنْ كان على جانبه؟ لص عن يمينه، ولص عن شماله! فهل كان يعقوب ويوحنا يقبلان أن يكونا في ذلك المكان عن يمينه وعن شماله؟ بل لم يعلما ما يطلبان! ولذلك لما جاءت الساعة وقبض الحرس على المسيح، هرب يعقوب ويوحنا كالأخرين الذين هربوا. عجباً! كانت حقاً هذه هي الساعة التي سيتوج فيها هذا الملك على الصليب! ولكن هرب يعقوب ويوحنا لئلا يجدا نفسيهما بالفعل واحداً عن يمينه والآخر عن شماله!

بدأ اللسان بإهانة المسيح. هما الاثنان كانا يشتمان. اشتركا مع رؤساء الدين والمارة في ذلك.^٣ ولكن حدث أمر غير عادي لأحدهما. أدرك أحد المجرمين أنه على خطأ. وفي الحال غيّر ذلك اللص تصرفه. ماذا عمل؟ نحن نلاحظ هنا أنه:

1. كَفَّ عن شتيمة عيسى. أي إنه تاب عن تصرفه. ربما أنت لا تشتم عيسى، ولكن هناك شك دفين في قلبك من ناحيته. أنت تحتاج أن تتوب وتضع ثقتك في

^أ مر 10: 35-45

^ب مت 27: 44؛ مر 15: 32

المسيح القدير كما فعل ذلك اللص.

2. وَبَخَّ زميله. وأنت، ربما لك زميل أو قريب يشتم أتباع عيسى. من حقك يا أخي أن توبخه بلطف وأدب، وأن تقف في صف المسيح بشجاعة.

3. اعترف بذنبه. أعلن لكل من على الصليب أنه أذنب. الاعتراف بالخطأ فضيلة عظيمة.

4. شَهِد بعدالة القصاص الذي يعانیه والعذاب الذي هو فيه، وبأن الحكم الذي صدر ضده هو بالعدل، فهو فعلاً يستحق الصلب.

5. أعلن أن المسيح بريء لا يستحق العقاب ولا الصلب ولا الموت. هنا نجد لصاً يأخذ مكان بطرس ويوحنا والتلاميذ الآخرين ليعلن براءة عيسى. هم هربوا خوفاً، أما هذا الرجل، فبينما هو يموت أظهر شجاعة عظيمة!

6. دعاه باسمه، عيسى، الذي يعني المنقذ. قال: "يا عيسى!" أي أيها المنقذ من الشر والذنوب والموت والهلاك. لقد رأى في عيسى شخصاً إلهياً له سلطان غير عادي. ربما أشرق في قلبه هذا النور لأنه سمع ما قاله المسيح قبل ذلك بلحظات قليلة: "يَا أَيُّهَا، اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ." لقد اندهش الرجل من هذا الغفران الواسع.

7. أعلن إيمانه بأن المسيح هو ملك سيأتي إلى ملكه! "يَا عَيْسَى، افْتَكِرْ فِي عِنْدَمَا تَأْتِي فِي مُلْكِكَ." كيف توصل إلى هذه الحقيقة؟ ربما لأنه لاحظ روعة غير عادية في تصرف المسيح ورأى فيه هدوءاً عجيباً وهو معذب على الصليب. وربما أيضاً لأنه، في تلك اللحظات الأخيرة من عمره، خاف من الوقوع بين يدي الله الحي.^ب هو الآن على حافة الموت فكيف يواجه الله بقلب متسخ وضمير نجس ويدين آثمتين؟ لاحظ أنه

^أ لو 23: 42

^ب عب 10: 31

قال لزميله: ألا تخاف الله؟

وربما أيضا كان قد سمع المسيح يتحدث عن هذا. لقد ذكر المسيح تلك الحقيقة عدة مرات في خطبه ومواعظه؛ إنه سيأتي في جلال وعظمة في نهاية الزمن. ولكن يجب ألا ننسى أن روح الله القدوس هو الذي أثار في نفس ذلك الرجل، وجذب قلبه ليؤمن بالمسيح. وهنا ينطبق على هذا الرجل الكلام الذي قاله سيدنا لبطرس: "هَنِيئًا لَكَ... الَّذِي كَشَفَ لَكَ هَذَا لَيْسَ بَشَرًا، إِنَّمَا أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ."^أ

8. طلب الرحمة والعون من المسيح. طلب أن يفكره في ملكه. ترى ماذا يعني هذا؟ أن يتذكره عيسى حين يأتي في ملكه؟ لست أظن أن الرجل كان يعني أن يُعطى مكانة الشرف في الآخرة، فقد كان يدرك أن تلك المكانة هي لغيره وليست له! لم يكن يقصد أن يجلس عن يمين المسيح أو عن شماله كما طلب يعقوب ويوحنا. ولا أظن أنه قصد أن يذهب إلى جنة النعيم في تلك الليلة ذاتها. بل طلب شيئا للمستقبل، حين يأتي المسيح متوجا كملك. إنه ألقى بنفسه على رحمة المسيح الواسعة. ألقى بنفسه على نعمة المسيح الغافرة، التي لا تذكر الشر بعد التوبة والإيمان. فسأل شيئا متواضعا: اذكرني. مجرد ذكرى! افكرني! افكرني بالخير! افكرني بفضلك ونعمتك.

ذلك الرجل الشجاع هو لص، هو مجرم، يعاني سكرات الموت عقابا لما ارتكب من جرائم. ولكنه في هذه اللحظات الأخيرة من حياته عرف الحق. وبينما هو معلق على صليب، وعلى وشك أن يموت، فَهَمَّ الأمور التي كانت تجري حوله بعين ثابتة وقلب مفتوح وعقل مستنير. ربما قال في نفسه: عيسى معذب مثلنا ويموت بيننا. هو شكليا موجود في نفس الموقف الذي نحن فيه، نفس الوضع الذي نحن فيه، كأنه ملعون مثلنا، ومجرم كما نحن، لكنه لم يعمل ما يستحق هذا! يوجد شيء غريب في عيسى. إنه ليس مثلنا، ليس كباقي الناس. لا بد أنه الملك.

فَقَالَ لَهُ عَيْسَى: "أَقُولُ لَكَ الْحَقَّ: الْيَوْمَ سَتَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ."^أ

عيسى بهذا يريد أن يقول: "أنا راجع إلى المكان الذي جئت منه، أنا راجع إلى محضر الله، إلى الجنة، وأنت ستكون معي هناك اليوم لأنك آمنت بي." فاجأه المسيح بوعده لم يكن يحلم الرجل به. فاجأه بإنعام لم يكن يستحقه؛ هذا اللص سيكون مع هذا الملك في الجنة في نفس ذلك اليوم! حقا: "اللَّهُ هُوَ الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ أَكْثَرَ جِدًّا مِنْ كُلِّ مَا نَطْلُبُ أَوْ نَتَخَيَّلُ."^ب هذا هو الذي حدث مع ذلك اللص التائب، نال أكثر جدا من كل ما طلب أو تخيل! سأل أن يفتكره عيسى. طلب متواضع. لم يجرؤ أن يطلب أكثر من هذا. فرد عليه المسيح: "ليس فقط سأفتكره، بل ستكون معي. في محضري، بالقرب مني!" قال الرجل: "في ملكك." وقال المسيح له: "في الجنة." وليس فقط: "في المستقبل حين آتي في مُلْكي،" بل اليوم. وليس في المطهر، بل في الجنة! لقد طلب بركة في المستقبل البعيد، عندما يأتي المسيح في ملكه. ولكن المسيح أعطاه وعدا ثميناً يخص اليوم، "اليوم ستكون معي في الجنة."

لله الحمد! لله الحمد! لله الجلال والعظمة! هو المبارك الرحمان والمحِبُّ الحنون! وجد ذلك المجرم النجاة من الذنب ومن الهلاك. والمسيح أكَّد له أنه قبله، وأنه سيأخذه معه إلى الجنة. يا لها من حقيقة عظيمة! يا له من عزاء مبارك! أنت يا أخي، ربما عشت حياة قاسية. ربما ارتكبت أمورا فظيعة. هناك أمل. يوجد رجاء لك في المسيح. إنه يقبلك كما قَبِلَ ذلك اللص.

قلبي يتألم من أجل أصدقائي الذين يرفضون حقيقة الصليب ولا يؤمنون أن المسيح مات لفداء البشر. قلبي ينفطر من أجل إخواني الذين لا يستطيعون أن يروا في صليب المسيح ما رآه لص تائب، كان يلفظ أنفاسه الأخيرة معلقا على صليب بجوار

^أ لوقا 23: 43

^ب أف 3: 20

عيسى. لا شك أن ذلك اللص جاءه نورٌ من السماء، ومعرفة وحكمة وإعلانٌ من عند الله تعالى ليرى في عيسى المصلوب فاديا وربا وهاديا ومنقذا بل وملك الملوك وربّ الأرباب! "وما أصفى العينين اللتين رأتا الحياة في الموت، والجلال في الخراب، والنصر في الهزيمة!"³⁶

نعم، قلبي حزين في صدري من أجل إخوتي المسلمين الذين أحبهم بكل جوارحي، الذين لا يمكنهم أن يدركوا ما أدركه ذلك اللص التائب. إنهم لم يصلوا بعد إلى الحقيقة التي تبعث الهناء في النفس والأمان في الضمير، حقيقة أن ذلك المصلوب هو رب العالمين الفادي! هو مالك يوم الدين المضحي! ولذلك سيستمر دعائي لله يوما بعد يوم وإلى آخر نسمة في حياتي، لكي يفتح الله عيونهم وينير أذهانهم ويشرق بنوره في قلوبهم ويمنحهم نعمة الإيمان بهذا المحب الذي ضحى بنفسه من أجلهم.

الكلمة الثالثة: لأمه ويوحنا

وَكَانَتْ أُمُّ عِيسَى وَاقِفَةً عِنْدَ صَلِيبِهِ، وَمَعَهَا أُخْتُهَا مَرْيَمُ امْرَأَةُ كَلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. فَرَأَى عِيسَى أُمَّهُ وَإِلَى جَانِبِهَا التِّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ فَقَالَ لَهَا: "يَا أُمِّي، هَذَا ابْنُكَ." ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: "هَذِهِ أُمُّكَ." وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى دَارِهِ. كانت مريم أم المسيح موجودة عند صليب ابنها. ولا شك أن السخرية والشتائم التي كان الناس يكيلونها لابنها، مزقت قلبها. كانت تبكي على ابنها في عذابه.

لما ولدت مريم طفلها قبل ذلك بـ 33 سنة، قال لها شيخ صالح تقي اسمه سمعان: "وَأَنْتِ أَيْضًا يَنْفُذُ سَيْفٌ فِي قَلْبِكَ."³⁷ هل يا ترى أدركت مريم في ذلك الوقت معنى تلك الكلمات وخطورتها؟ إن كان لا، فربما تذكرتها الآن وهي تسمع الشتائم تنهال على ابنها

^أ يو 19: 25-27

^ب لو 2: 35

فيزيد أَلَمها كسيف يخرق قلبها. ربما لم تكن مريم مرتاحة لبعض تصرفات ابنها. مرة أرسلت له بينما كان يخطب في الجماهير ويعلمهم تقول: "أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقْفُونَ خَارِجَ الدَّارِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ." فنظر حوله وأشار نحو المستمعين وقال: "هُؤُلَاءِ هُمْ أُمِّي وَإِخْوَتِي! لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي."^أ ثم كانت تخاف عليه لكلامه القاسي ضد رجال الدين الذين يحترمون الشعب ويعمل لهم كل حساب. إنهم قوة لا يُستهان بها في المجتمع. وكانت تخاف عليه أيضا لأنه كان يعمل معجزات كثيرة في يوم السبت، بينما اعتبر رجال الدين أن هذا كسر للشرية.^ب ثم إنه كان رحيما بمن عاملهم القادة كأعداء، مثل امرأة امسكت وهي تزني، ومثل غير المتدينين، وجباة الضرائب، وامرأة معروفة في المدينة بأنها سيئة السلوك. ثم أيضا كان لا يقيم اعتبارا للقواعد والشرائع التي وضعها الشيوخ، مثل الاهتمام بغسل الأيدي قبل الأكل أكثر من حالة القلب. وماذا عن اهتمامه بالغرباء وحبهم لهم؟ وكيف أنه قدَّم رسالة الحياة إلى سامرية كانت تعيش مع رجل ليس زوجها! وامتدح سامريا رجع إليه ليشكره! وسامريا مسافرا أشفق على مصاب في الطريق! ومدح امرأة كنعانية ليست يهودية وقال لها إن إيمانها عظيم!^ج وضابطا رومانيا لإيمانه القوي، وقال إنه لم يجد في بني إسرائيل واحدا عنده مثل ذلك الإيمان!^د وقال إن كثيرين سيأتون من الشرق والغرب، ويكونون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في مملكة الله، أما من يظنون أنفسهم مختارين، فيُطرحون خارجا في الظلام والعذاب.^{هـ}

كانت مريم أيضا تتوقع أن يكون عيسى هو الملك المنقذ. ولكنه الآن معلق

^أ مت 12: 47-50

^ب مت 12: 9-14

^ج مت 15: 21-28

^د مت 8: 10

^{هـ} مت 8: 11-12

على صليب يموت ويلفظ أنفاسه الأخيرة. فهل أخطأت مريم في توقعها؟ هل أخطأت الظن؟ لا! قطعاً لا! إنها حبلت به دون اتصال برجل. لقد جاء إليها الملاك وَقَالَ لَهَا: "السَّلَامُ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اللَّهُ مَعَكِ.. لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لِأَنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنْكِ، فَسَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا، وَتُسَمِّيَنَّهُ عِيسَى. سَيَكُونُ عَظِيمًا، وَيُدْعَى ابْنِ الْعَلِيِّ وَيُعْطِيهِ اللَّهُ عَرْشَ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ نَهَايَةٌ." أنها تذكر كل هذا، وكيف تنسى! ولكن في نفس الوقت، كيف يمكن أن توفق بين الوعد الذي أعلنه الملاك لها وموت ابنها على الصليب؟ الآن، من الصعب أن تفهم كل هذا! لا بد من الانتظار ثلاثة أيام لتتضح الأمور مجلاء.

المهم هو أن عيسى في هذه اللحظات العصبية لم ينسَ أمه. لقد حملته وولده واعتنت به وهو طفل، وسهرت عليه وجاهدت وثابرت في تنشئته وتربيته. وهنا يرد لها عيسى المعروف وَيُؤْمِنُ لها من يعتني بها. إنه يعبرُ بهذا عن شكره وامتنانه لصنيعها معه كام.

أخي، هل تحب وتحترم وتقدر أمك؟ هل تعبرُ لها عن مشاعرك وحبك؟ هل لك علاقة طيبة بها؟ هل تعاملها كشخص خاص مميز؟ هل تكرمها؟ تذكرُ وصية الله: "أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، لِكَيْ يَطْوَلَ عُمرُكَ فِي الْأَرْضِ."^ب

الكلمة الرابعة: لله

وَحَوَالِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، صَرَخَ عِيسَى بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "إِلِيلِي، إِيلِيلِي، لَمَّا سَبَكْتَانِي؟" وَمَعْنَاهَا إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَلَمَّا سَمِعَ بَعْضُ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ، قَالُوا: "إِنَّهُ يُنَادِي النَّبِيَّ إِيلَاسَ." فَجَرَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً، وَمَلَأَهَا بِالْحَلِّ، وَوَضَعَهَا عَلَى عَصَا،

وَرَفَعَهَا إِلَيْهِ لِيَشْرَبَ. فَقَالَ الْآخَرُونَ: "اَثْرُكُهُ، لِرَى هَلْ يَجِيءُ إِلْيَاسُ لِيُنْقِذَهُ."^أ

هذه أصعب لحظة في حياة المسيح. كفادي البشر الذي حمل ذنوبنا وجد نفسه مبعدا عن الله. هنا، على الصليب، كان بلا معين ولا سند. في أسمى لحظة في التاريخ بأكمله حيث عبّر سيدنا عيسى عن حبه بطريقة لم يسبق لها مثيل، ولم تتكرر، ولن تتكرر، كان وحيدا. ليس هناك من يقول له كلمة طيبة ولا من يعزيه. هنا على الصليب وهو يموت نائبا عنا، حاملا ذنوبنا، وجد نفسه مفصولا عن حضور الله، مقطوعا عن معية القدير! لماذا؟ لأنه كممثل للمذنبين، كان لا بد أن يُجرم من حضور الله معه.

إن تأملنا في التاريخ نجد أتقياء آخرين قابلوا الاضطهاد والألم والعذاب، ولكن جاءهم السند والعزاء من عند الله. أما عيسى فكان متروكا وحيدا بلا سند ولا عزاء. لنأخذ يعقوب مثلا. كان الله مع يعقوب فحفظه وحرسه من طمع لابان وجشعه. قال يعقوب للابان: "لَوْلَا أَنَّ رَبَّ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، إِلَهَ الَّذِي يَتَّقِيهِ إِسْحَاقُ كَانَ مَعِي، لَكُنْتُ أُرْسَلْتَنِي فَارَعَ الْبَيْدَيْنِ. لَكِنَّ اللَّهَ رَأَى تَعْيِي وَعَنَائِي فَوَجَّحَكَ لَيْلَةَ أُمْسٍ."^ب

ثم يوسف. ظلمه إخوته وباعوه كعبد، وبعد ذلك وضعه فوطيفار في السجن. وهنا يقول الكتاب: "وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَعَمِلَ مَعَهُ مَعْرُوفًا، فَجَعَلَ قَائِدَ السَّجْنِ يَرْضَى عَنْهُ... لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَأَعْطَاهُ التَّجَاحَ فِي كُلِّ مَا عَمِلَهُ."^ج

حين وقع داود في قبضة أعدائه كان يشعر بحضور الله معه فقال: "اللَّهُ مَعِي وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ هَذَا."^د كما أدرك إرميا هذه الحقيقة أيضا فقال: "اللَّهُ مَعِي كَمُحَارِبٍ بَابِلَ

قَدِيرٍ."^{هـ}

^أ مت 27: 46-49؛ مر 15: 34

^ب تك 42: 31

^ت تك 39: 21-23

^ث مر 56: 9

^ج إر 20: 11

رفض الشبان الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو أن يسجدوا لتمثال الملك. أصرّوا أن العبادة واجبة لله وحده، لا غيره. فغضب الملك جدا وأمر بريمهم في أتون النار المشتعلة. سقط الرجال الثلاثة في الأتون مربوطين. ولما تطلّع الملك ليرى، قال إنه وجد: "أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مَحْلُولِينَ يَتَمَشُّونَ فِي وَسْطِ النَّارِ وَمَا بِهِمْ ضَرَرٌ، وَمَنْظَرُ الرَّابِعِ كَأَنَّهُ ابْنُ الْآلِهَةِ!"^أ هذا الحضور الإلهي السماوي، قال عنه ذلك الملك الوثني إن منظره كأنه ابن الآلهة!

ثم ماذا عن دانيال؟ دبر أعداؤه مكيدة ضده فرماه الملك في حفرة الأسود. ولكن الله أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود، فلم تضر دانيال.^ب واجه بولس محكمة القيصر، وفي ذلك الوقت الصعب، لم يكن هناك أحد ليقف معه ليشجعه ويقويه غير المسيح. قال بولس: "فِي الْمَحَاكِمَةِ الْأُولَى لَمَّا دَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي، لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ لِلدَّفَاعِ عَنِّي بَلْ تَرَكُونِي كُلُّهُمْ. اللَّهُمَّ لَا تَحْسِبْ هَذَا ضِدَّهُمْ. لَكِنَّ سَيِّدِي الْمَسِيحَ وَقَفَ مَعِيَ وَفَوَّانِي، فَأَمَكَّنَنِي أَنْ أُبَشِّرَ بِالْإِنْجِيلِ كَامِلًا لِيَسْمَعَهُ كُلُّ الْأَجَانِبِ."^ت ويقول صاحب المزمور بالوحي: "اللَّهُ مَعِيَ فَلَا أَخَافُ... اللَّهُ مَعِيَ وَهُوَ مُعِينِي."^ث

أما عيسى، القدوس الطاهر المبارك، ففي أصعب وقت، كان وحيدا، متروكا منبوذا... من أجلنا.

لماذا ظنوا أنه كان ينادي إلياس؟ لأن كلمة إلياس قريبة من كلمة إلهي في اللغة الأصلية. ثم كان ذلك الشعب يتوقع أن يأتي إلياس ويصلح كل الأمور.^ج ثم يأتي المسيح بعد ذلك لينقذهم ويعيد تأسيس مملكة داود العظيمة. وحتى اليوم، حين يحتفلون

^أ دا 3: 25

^ب دا 6: 22

^ت 2 تم 4: 16-17

^ث مز 118: 6-7

^ج مت 17: 11

بالفصح ويجلسون إلى المائدة لعشاء العيد، يضعون على المائدة كأس شراب إضافية لإلياس ويتركون باب الدار مفتوحا لعله يأتي إليهم أثناء وجبة الفصح. لذلك ربما ظن الواقفون عند الصليب أن المسيح في ساعة احتضاره يستغيث بإلياس.

ومن هو النبي إلياس؟ هو الذي أهلك رسل الملك أخزيا بأن طلب نارا تنزل من السماء، فنزلت وأحرقتهم. هو الذي قتل أنبياء البعل بعدما تحداهم وفشلوا في مواجهة التحدي. هو الذي صعد إلى السماء في مركبة نارية بينما تلميذه أليشع يراقب بذهول. كان رجلا ناريا، بإمكانه أن يهلك الأعداء بالنار. لذلك كان الشعب يتوقعه لينقذهم من العدو المستعمر. هنا دليل آخر أنه كانت على قلوبهم غشاوة. لم يفهموا عيسى. لم يفهموا رسالته. لم يعرفوا معنى حياته بينهم. والآن في موته لم يعرفوا معنى هذا الموت من أجلهم. قال إلياس: "الإله الذي يَسْتَجِيبُ بِأَنْ يُرْسِلَ نَارًا إِلَى الْحُطْبِ، (هُوَ) الله".^أ أما عيسى هنا على الصليب فيقول: الإله الذي يرد بالحب والغفران على معصية الناس وذنوبهم، هو الله، هو الإله الحق!

يبدو أنهم خافوا أو ربما بدأت ضمائرهم تثور عليهم! ربما رأوا أن ما فعلوه بعيسى لم يكن من العدل بشيء، لذلك أرادوا أن يطيلوا حياته ولو دقائق قليلة ليروا إن كان النبي إلياس سيأتي لينقذه، فأعطوه بعض الخل. هذا هو الغريب هنا! هل يأتي إلياس لينقذ إنسانا كافرا انتحل لنفسه صفات لم تكن من حقه كما قالوا هم عن عيسى؟ لا شك أنها ثورة الضمير! لم يأت إلياس لينقذه. كانوا على خطأ، لم يكن عيسى يُحدِّث النبي إلياس، بل كان يصرخ إلى الله الذي تركه.

الكلمة الخامسة: للناس

"أَنَا عَطْشَانٌ."^أ

هنا نجد الذي يروي العطشان ويعطي ماء الحياة، عطشاناً! كان مولانا وسيدنا متمكنا من قواه العقلية. كان في عذاب وألم ولكنه كان يُدرك كل تفاصيل ما يجري معه وحوله. هنا يُبين لنا يوحنا أن المسيح كان يعرف أن الكتاب تنبأ عنه، بأنهم سيعطونه الخل والمر ليشرب.^ب فلماذا يتم ذلك، صرخ بصوت عظيم وقال: "أنا عطشان." إذن حتى في هذه اللحظات الصعبة والرهيبة، لم يكن فكره مشوشاً. والألم الفظيع لم يجرمه من ملكة التفكير السليم. فحتى وهو معلق على الصليب كُلّ هذه الساعات، أخذ يشير إلى نبوة بعد الأخرى من نبوات الكتاب الشريف، تتحقق فيه وبه. لكنه تحمّل العذاب إلى النهاية. بلا قطرة ماء يبل بها ريقه أو يروي عطشه.

الكلمة السادسة: للكل

"تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ."^ت

كان عيسى يحتضر، وبينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة أعلن أن كل شيء تم. ربما كنا نتوقع أن يقول هذا الكلام يوم قام من الموت! ربما كنا نظن أن يقوله وهو يصعد إلى السماء، إلى عرش جلال الله! لكنه قال هذا وهو معلق على الصليب. لماذا؟ لأن هذه في الحقيقة هي صرخة النصر والفوز! قال هذا والشمس على وشك أن تظلم في منتصف النهار! قال هذا في أفضع ساعات التاريخ، ساعة الألم والموت! تم كل شيء، تعني: أنا أتممت الفداء. تعني: أنا قهرت إبليس. تعني: كل شيء جاهز لكم أيها البشر، تعالوا

^أ يو 19: 28

^ب مز 69: 21

^ت يو 19: 30

وخذوا كل ما تحتاجون إليه من غفران وحياة وشفاء ونصر وفرح!
 إذن ليس هذا أنين المهزوم ولا تأوه المستسلم للقضاء والقدر، بل هتاف
 المنتصر الذي أتم قصد الله الأزلي! سمعه الواقفون هناك يقول هذه الكلمات، فهل
 فهموا معناها؟ هل أدركوا خطورتها؟ أعتقد أن كثيرين منهم لم يفهموا ولم يدركوا.
 وإن كان عيسى على الصليب قد أتم كل شيء، وقدم حياته فداءً لنا، فلماذا
 يحاول البعض أن يشتروا رضا الله بالصلاة والصوم والزكاة؟ هذه لا يمكنها أن تضمن
 لنا مغفرة ذنوبنا. المسيح دفع الثمن. المسيح تم قصد الله. المسيح فداننا، وغفرانه
 شامل، كامل، ومجاني.

الكلمة السابعة: لله

فَصَرَخَ عَيْسَى صَرْخَةً عَالِيَةً وَقَالَ: "يَا أَبِي، فِي يَدَيْكَ أَصْغُ رُوحِي وَدَيْعَةً."^أ
 أول مرة يسجل فيها الكتاب الكريم كلاما لعيسى هو حديثه عن أبيه حين قال
 لأمه ويوسف: "أَلَا تَعْلَمَانِ أَنِّي يَجِبُ أَنْ أَكُونَ فِي بَيْتِ أَبِي؟"^ب وآخر مرة هنا يتحدث
 إلى أبيه! ليست هذه كلمات واحد يموت في ضعف وهزيمة. لا! بل إنه هو السيد على
 الموت. إنه هنا يُسَلِّم نفسه للموت طوعا من أجل حبه للناس.
 هنا يقتبس سيدنا وفادينا آية من المزامير حيث يقول داود: "أَصْغُ رُوحِي وَدَيْعَةً
 فِي يَدَيْكَ، فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ، يَا إِلَهِي الْأَمِين."^ت من المهم أن نلاحظ الطريقة التي بها
 اقتبس المسيح هذه الآية وهو معلق على الصليب في ألم وعذاب وعلى وشك أن يموت.
 مع كل ذلك كان صاحيا واعيا متملكا من نفسه يقتبس من كلمة الله بدقة. تعال نرى

^أ لو 23: 46

^ب لو 2: 49

^ت مز 31: 5

ماذا عمل عيسى:

1. عبارة استخدمها كما هي. "فِي يَدَيْكَ أَصْعُ رُوحِي وَدِيْعَةً." بهذا يبين أن موته كان وفقا لإرادة الله، وهو قد أتم هذه الإرادة والآن يضع نفسه وديعة بين يدي الله. كما أن موته كان أيضا بإرادته هو، بإرادته الحرة. باختياره. لقد جاء ومات لفداء البشر.

2. عبارة لم يستعملها لأنها لا تنطبق عليه. في المزمور قال داود: "قَدَيْتَنِي يَا رَبُّ." إن المسيح بلا ذنب. لا يحتاج إلى أن يفديه أحد، بل هو جاء لفداء البشر المذنبين لذلك لم يقل: "فديتني."

3. عبارة فيها يؤكد علاقته الفريدة مع أبيه. فمع أنه متروك من الله لأنه يُمثل البشر المذنبين، لكنه هو ابن الأب بالحق والمحبة. في المزمور قال داود: "يَا إِلَهِي الْأَمِينُ،" وعلى الصليب قال المسيح: "يَا أَبِي." لقد أتم الفداء. وبعد لحظات قليلة ستنتهي حياته على الأرض، فهو يودع روحه عند أبيه.

كل هذا من حق عيسى لأنه هو الذي أوحى بالكتاب، هو رب الكتاب، ففي قدرته وسلطانه أن يستخدم ما أوحى به كما شاء بحسب قصده الإلهي.

أحداث أخيرة

نأتي الآن إلى آخر مرحلة في قصة الصليب.

أحداث متعلقة بموته. ابن الله القدوس المحب الآن معلق على الصليب ويلفظ أنفاسه الأخيرة. بذل نفسه وأراق دمه من أجل البشر. تعال أخي نرى ماذا جرى بعد ذلك.

رؤساء الأحزاب. طلب رؤساء الأحزاب من بيلاطس أن يزيل عبارة "ملك اليهود" من اللافتة. رفض بيلاطس، وقد تحدثنا عن هذا من قبل.

الطبيعة. تفاعلت الطبيعة مع موت ابن الله. كيف؟

أظلمت الشمس وخيم الظلام. وَجَاءَ الظُّهُرُ، وَخَيَّمَ الظَّلَامُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ حَتَّى السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ عَصْرًا، لِأَنَّ الشَّمْسَ أَظْلَمَتْ.^أ

هنا "كأن الطبيعة اشتركت في حزنه العميق ولبست (ثياب) الحداد. وكأن ملكة الأنوار اختبأت خجلا على أعظم جريمة سُطرت في تاريخ الدهور ارتكبتها المشتركون في صلب هذا (القدوس)."³⁷ ربما نجد إشارة إلى هذه الحقيقة في كتب الأولين حيث يقول الله: "أَجْعَلِ الشَّمْسَ تَغِيبُ فِي الظُّهْرِ، وَأَجْعَلِ الْأَرْضَ تُظْلِمُ فِي وَسْطِ النَّهَارِ."^ب هذا يتحدث عن عقاب الله لبني إسرائيل لشهرهم وبعدهم عنه. ويقول الكتاب الشريف إن يوم الدين هو: "يَوْمٌ عَصَبٍ، يَوْمٌ ضَبَقِ وَعَذَابٍ، يَوْمٌ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمٌ ظَلَامٍ وَقِتَامٍ، يَوْمٌ سَحَابٍ وَصَبَابٍ."^ت

حجبت الشمس نورها، وكأن الطبيعة تقول لنا إن الله حجب نور رضاه عن ابنه الوحيد الذي، على الصليب، كان نائبا عن البشرية الساقطة فحمل كل ذنوبنا. الظلام يعني أن الله يعاقب ذنوبنا. حل عقاب ذنوبنا على المسيح. هنا على الصليب حمل المسيح العقاب الذي كنا نستحقه نحن. هنا على الصليب وفي الظلام والضيق والعذاب، كان هو بديلنا، قاسى الألم والحزن والوحدة. كان متروكا منبوذا مهملا معزولا وحيدا. كان مبعدا عن البشر لأنهم لم يفهموه ولم يصدّقوه، وكان مبعدا عن الله لأنه أصبح ممثلا لنا حاملا ذنوبنا.

ثم إن ذلك الظلام قد يرمز إلى حقيقة أخرى. إن البعض لا يمكنهم أن يروا الصليب، ولا أن يدركوا خطورته وأهميته بسبب الظلام الذي حل في قلوبهم، فأعشى بصائرهم وحرهم من نعمة إدراك أعظم حقيقة في التاريخ. هل أنت واحد من هؤلاء؟

^أ لو 23: 44-45

^ب عا 8: 9

^ت صف 1: 15

هل التف الظلام حول عقلك وفهمك وجعلك تعاند وتنكر الصليب؟ أخي، موت المسيح على الصليب هو حقيقة ومهما كان الظلام الذي بك كثيفا، إن آمنت ببعيسى يتحول الظلام إلى نور والعممة إلى إشراقة شمس الحياة!

وهنا نلاحظ أيضا أنه حين وُلد الفادي أضاء جلال الله حقول بيت لحم وحين مات خيم الظلام.

تزلزلت الأرض وتشققت الصخور.^ب هل عبّرت الأرض عن رعبها مما حدث بأن تزلزلت؟ وهل ارتعدت الصخور مما جرى؟ ربما! لأن ابن الله، القدوس الصالح، مات على صليب! أم أن الأرض تزلزلت والصخور تشققت لأن عوامل الكون الجامدة أرادت أن تعبر عما لم يمكن أن يعبر عنه البشر، بأن حمدت وسبحت رب السماء والأرض لأنه قدم ذاته لفداء الناس؟^ت

انفتحت القبور. وَاِنْفَتَحَتِ الْقُبُورُ. وَكَثِيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمَوْتَى قَامُوا إِلَى الْحَيَاةِ بِأَجْسَامِهِمْ، وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ. وَبَعْدَ قِيَامَتِهِ، دَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ.^ث

هذه قيامة حقيقية، لبشر بأجسامهم، لا أشباح ظهرت للناس. ثم إنها حدثت في الوقت الذي مات فيه المسيح، مع الظواهر الأخرى مثل الزلزال وتشقق الصخور وانشقاق الستارة. فهي تشير إلى أهمية وخطورة موته. ثم إنها أيضا تشير إلى وعد الله المبارك لنا أننا لا نبقى في القبور دائما، بل يوم القيامة آت بلا شك حين يأتي المسيح على السحاب ليأخذنا إليه ونكون معه كل حين.

يقول بعض المفسرين إن الذين قاموا، كانوا قد آمنوا بالمسيح في أثناء خدمته، ثم

ألو: 2: 9

ب مت 27: 51

ت لو 19: 40.

ث مت 27: 52-53

ماتوا قبل صلبه. والآن ظهروا لكثيرين من أهلهم وأصحابهم المؤمنين بالمسيح. بذلك أراد القدير أن يبين لأولئك المؤمنين الأحياء أن الذين سبقوهم وماتوا هم أيضا شركاء في قيامة الحياة بواسطة صليب الفادي!³⁸

بيت الله

انشقت الستارة في بيت الله. "وَانْشَقَّتِ السَّتَارَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي بَيْتِ اللَّهِ إِلَى سَطْرَيْنِ مِنْ قَوْقُ إِلَى تَحْتُ." ^أ

هذه هي الستارة التي كانت في بيت الله تفصل بين المقدس والمقدس الداخلي الأعظم. كانت هذه الستارة نفيسة جميلة ومصنوعة من أنسجة سميكه، ومطرزة بأشكال ملائكة. وكان طولها يبلغ 10 أمتار وعرضها 7 أمتار. انشقت من فوق إلى تحت. هذه معجزة، أن تنشق ستارة من ذاتها! في الحقيقة هذه حادثة خطيرة ومخيفة جدا. ربما كان الأبحار يقومون بعملهم في بيت الله في ذلك الوقت. ربما قيافا نفسه كان موجودا هناك. فماذا قال، وماذا عمل في مواجهة هذا الأمر الخطير؟ لأنه بانشقاق الستارة، لا شك ظهرت الأشياء المقدسة الموجودة في المقدس الداخلي؛ أي منصة البخور، وصندوق العهد، وفوقه تصوير مُجَسَّم لملاكين! لم يكن مسموحا لأحد بالدخول إلى ذلك المكان غير الخبر الأعلى وحده وذلك مرة واحدة في السنة. ^ب

هذه الستارة كانت تتحدث عن وجود حاجز يفصل بين الله القدوس والبشر المذنبين. والآن زال هذا الحاجز بموت المسيح، لأنه قَرَّبَنَا إِلَى اللَّهِ. ثم كانت الستارة ترمز أيضا لطبيعة عيسى البشرية التي كانت تحجب عن أنظارنا طبيعته السمائية وألوهيته. بمعنى آخر الله صار بشرا، لكي يمكننا أن نراه ونسمعه ومع ذلك لا نفنى في محضره.

^أ مت 27: 51

^ب عب 9: 3-7

وستحدث عن هذا مرة أخرى حين نتطرق إلى موضوع موقف اليهود من الصليب.

أهله

شاهدته أمه وكذلك أصحابه. أَمَّا كُلُّ أَصْحَابِهِ وَالنِّسَاءُ اللَّاتِي تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، فَكَانُوا وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ، وَشَاهَدُوا هَذِهِ الْأُمُورَ.

من هم أصحابه هؤلاء؟ هل رجع تلاميذه بعد ما هربوا لأنهم ندموا على تركهم إياه وهجرهم له في أحلك الساعات؟ هل كان يوسف الذي من الرامة ونقديموس بين هؤلاء؟ ربما. كانوا واقفين من بعيد. ربما لأنهم كانوا خائفين. كانوا في حزن ويأس. في الفترة التي عرفوا فيها عيسى، كانوا قد بنوا أحلاما كبيرة وآمالا عريضة. ولكنهم هنا يشاهدون أمام أعينهم تحطيم أعز أمانيتهم وأعلى أحلامهم. لقد فشل صاحبهم في تحقيق ما كانوا يعطونه الأولوية، أي تحرير بلادهم من المستعير ومنحهم الاستقلال والسيادة. ليس ذلك فقط، بل أيضا ضاع كل بصيص رجاء وكل أمل خافت كان في قلوبهم، أن يتدخل الله عز وجل ويُرسل ملاكا ليقتل الأعداء ويُموتهم، ويُنزل صاحبهم عن الصليب وينعشه قبل أن يموت. نعم، حتى هذا الأمل البسيط ضاع وانتهى. لقد مات. توفي. وراح كل رجاء.

الحرس

قَسَمُوا ثِيَابَهُ. وَأَمَّا الْعَسْكَرُ فَلَمَّا صَلَبُوا عِيسَى، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَقَسَمُوهَا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْمٌ. وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا، وَكَانَ قِطْعَةً وَاحِدَةً مَنْسُوجَةً مِنْ

فَوْقَ إِلَى تَحْتَ بِغَيْرِ خِيَاظَةٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "لَا نَشْقُهُ بَلْ نُلْقِي قُرْعَةً لِنَرَى مَنْ يَأْخُذُهَا." فَتَمَّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ: "قَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى مَلَابِسِي أَلْقُوا قُرْعَةً." فَهَذَا هُوَ مَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ.^أ

هذه عملية توزيع الميراث! تورد البشائر الأربعة هذه الحادثة لأهميتها. ويقول الوحي إن فعلهم هذا كان تحقيقاً للنبوة التي جاءت في كتاب الله.^ب

أخذ العسكر معهم إلى الدار ملابس المسيح. ولكن هل هذا هو كل ما أمكن أن يستفيدوه من موت المسيح على الصليب؟ من فدائه للإنسان؟ هل رجعوا إلى الدار بلا توبة، بلا ندامة على عملهم، بلا إيمان، بلا تغيير في القلب، بلا حياة جديدة، بلا منقذ؟ وأنت ماذا تستفيد من قراءة كلاسي هذا؟ هل قراءة أفكار طيبة وقصص مسلية؟ هل تعتبر هذا بالنسبة لك مجرد تمضية بعض الوقت؟ أم تتوب وتتغير حياتك بقوة هذا الفداء العظيم؟

ومن ناحية أخرى إني أحمد الله، لأن الجنود أخذوا ثياب المسيح، لأنها بذلك ضاعت! ربما لو كان أهله أخذوها، ليحتفظوا بها لتذكروهم به، لكانت الأجيال التالية تقدسها لدرجة العبادة كما يحدث الآن مع ثوب من ثياب واحد، أو عظمة من عظام آخر، أو شعرة من لحية آخر! احذروا يا أخي من أن تقع في هذا الخطأ! إن المسيح هو القدير الذي يدخل إلى القلب ويغير الحياة ويعيش فينا. فنحن لا نحتاج إلى قطعة من ثيابه، أو شعرة من لحيته لتبارك بها ونتمسح. إنه حي اليوم وموجود معنا وفينا! كسروا سيقان اللصين. وَكَانَ هَذَا يَوْمَ الإِعْدَادِ، وَيَأْتِي بَعْدَهُ يَوْمُ السَّبْتِ، الْيَوْمُ الْكَبِيرُ. فَطَلَبَ قَادَةُ الْيَهُودِ مِنْ بِيلاطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سَيَقَانُ الْمَصْلُوبِينَ وَتُنْزَلَ جُثَّتُهُمْ، لِكَيْ لَا تَبْقَى عَلَى الصَّلِيبِ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ. فَجَاءَ الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ

^أ يو 19: 23-24

^ب مر 22: 18

الْمَصْلُوبِينَ مَعَ عِيسَى. لَكِنْ لَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَجَدُوا أَنَّهُ مَاتَ، فَلَمْ يَكْسِرُوا سَاقِيَهُ^أ. أمر الحاكم بذلك بناء على طلب اليهود. أراد قادتهم أن تُنزل الجثث ولا تبقى معلقة لأن الشريعة أمرتهم بذلك حيث قال لهم الله تعالى بواسطة موسى: "إِنْ ارْتَكَبَ وَاحِدٌ جَرِيمَةً عِقَابُهَا الْإِعْدَامُ، فَأُعْدِمَ وَعُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلَا تَتْرَكُوا جُثَّتَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى الْيَوْمِ التَّالِي، بَلِ ادْفِنُوهُ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ، لِأَنَّ مَنْ يُعَلَّقُ عَلَى خَشَبَةٍ هُوَ مَلْعُونٌ مِنَ اللَّهِ. فَلَا تُنَجَّسُوا الْأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيهَا لَكُمْ الْمَوْلَى إِلَهُكُمْ نَصِيبًا."^ب هذه الوصية تتحدث عن إعدام المجرم بالرجم لا بالصلب، فكما قلنا من قبل إن الصلب كان وسيلة إعدام رومانية لا يهودية. فاليهود كانوا يقتلون المجرم بالرجم، ثم بعد رجمه كانوا يعلقون جثته على غصن شجرة (خشبة) إعلانا للجميع على جرمه وحقارته.

لماذا طالب اليهود بتعجيل موتهم؟ لكي لا تبقى جثثهم على الصليب إلى يوم السبت، اليوم المقدس! هنا مظهر آخر من مظاهر النفاق والشر. فهم قتلوا ابن الله الطاهر المجيد، قتلوا الصالح القدوس، وفي نفس الوقت يدققون في تنفيذ الشريعة بشأن يوم السبت! كانوا قتلة! ومع ذلك يحرصون على أن يعملوا حسب نص الشريعة! يا له من نفاق ورياء!

وجد العسكر أن المسيح مات فلم تكن هناك حاجة إلى كسر ساقيه. مات المسيح بسرعة لم تكن منتظرة. هنا إشارة أخرى إلى كون المسيح حمل الفصح الذي مات من أجلنا. ففي شريعة موسى لم يكن مصرحا لهم أن يكسروا عظام حمل الفصح.^ت "لِأَنَّ حَمَلَ الْفِدَاءِ أَيِ الْمَسِيحِ، قُدِّمَ صَحِيَّةً نِيَابَةً عَنَّا."^ث ولهذا تنبأ الكتاب

^أ يو 19: 31-33

^ب تث 21: 22-23

^ت خر 12: 46؛ عد 9: 12

^ث 1 كور 5: 7

أَيْضًا أَنَّهُ لَنْ يُكْسَرَ مِنْهُ عَظْمٌ.^أ

لماذا مات المسيح بهذه السرعة؟ بسبب الآلام الجسمانية المبرحة، وبسبب العذاب النفسي الرهيب. احتمل آلام عقاب ذنوبنا والانفصال عن الأب المحب.

طَعَنَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِمِجْرَةٍ فِي جَنْبِهِ. فَطَعَنَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْعَسْكَرِ بِمِجْرَةٍ فِي جَنْبِهِ، وَفِي الْحَالِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ. وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةٌ مِنْ رَأْيٍ، فَهِيَ شَهَادَةٌ صَادِقَةٌ. وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الصِّدْقَ، وَيُقَدِّمُهَا لِيُثَبِّتُوا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَحَدَّثَ هَذَا لِيُثَبِّتَ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ: "لَنْ يُكْسَرَ عَظْمٌ مِنْهُ." وَيَقُولُ الْكِتَابُ أَيْضًا فِي مَكَانٍ آخَرَ: "سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ."^ب

قائد الكتيبة المكلف بتنفيذ عملية الصلب، سمع صرخة المسيح وهو يموت، وأخبر بيلاطس بأنه مات.^ت ولكن لكي يتأكد العسكر من أنه مات فعلاً، طعنه واحد منهم بمِجْرَةٍ فِي جَنْبِهِ. من الواضح أن يوحنا الذي شاهد ما جرى يضع أهمية كبيرة على هذا الحدث الذي رآه بعينه. ومن المعقول أن نقول إن يوحنا في ذلك الوقت لم يفهم السبب في خروج دم وماء من جنب المسيح، لكن الطب يشرح لنا سبب هذه الظاهرة بطريقتين.

أولاً، يقول علماء الطب إنه لو كان السيد المسيح ما زال حياً وقت الطعنة، لكان قد خرج من عروقه رش قوي من دم أحمر ناصع. لكن ما رآه يوحنا من دم وماء هو دليل على أن عيسى كان قد مات من انفجار وتمزق في القلب بسبب الحزن الشديد. "الْإِهَانَةُ كَسَرَتْ قَلْبِي فَمَرِضْتُ، التَّمَسَّتُ الْعُظْفَ فَلَمْ أَجِدْ، وَانْتَظَرْتُ الْمُعَزِّينَ فَلَمْ يَأْتُوا."^ث ونتيجة لهذا الانفجار خرج الدم من القلب إلى فجوة الصدر وتجلط هناك (أي

^أ مز 34: 20

^ب يو 19: 34-37

^ت مر 15: 39، 44

^ث مز 69: 20

تجمد) وانفصل عن البلازما (أي المصل الدموي الأصفر). ولما طعنه الجندي خرج من جنبه دم وماء (والماء هنا هو البلازما).

ثانياً، الاحتمال الآخر لما حدث هو أنه بسبب الضرب والجلد بقسوة، تمزق جسم الفادي الكريم بجروح بليغة ونزف كثيراً. كما أصيب أيضاً بنزيف داخلي لتمزق الكبد والكليتين وغيرها من الأعضاء. وكان قلبه يدق بسرعة شديدة، ولكن حيث أنه نزف كثيراً، فليس هناك دم يضخه القلب. فتجمع سائل عضوي حول القلب. ولما مزقت الطعنة جنبه خرج الدم والماء (ذلك السائل العضوي).

لقد مات وهو على الصليب وقبل إنزاله ودفنه. ولهذا لم يكسروا رجله كالمصلوبين الآخرين.

وربما يمكننا أن نربط ما حدث هنا مع عملية خلق حواء. يقول الكتاب: "وَجَعَلَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بَيْنَ نَوْمٍ عَمِيقٍ. وَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ، أَخَذَ ضُلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، وَسَدَّ مَكَانَهَا بِلَحْمٍ. ثُمَّ صَنَعَ مِنْ هَذِهِ الضِّلْعِ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: "هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي، وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. فَهِيَ اسْمُهَا امْرَأَةٌ لِأَنَّهَا مِنْ امْرِيٍّ أُخِذَتْ."^أ إن حواء خُلقت من جنب آدم، وأمة المسيح خلقت عن طريق موت السيد المبارك على الصليب، من جنبه المطعون، وبديه ورجليه الدامية، وجبينه المكمل بالشوك.

وأخيراً نلاحظ هنا أن الجرح الذي نشأ من تلك الطعنة كان كبيراً لدرجة أن توما يمكنه أن يضع يده في جنب عيسى!^ب

خافوا جداً مما جرى وأقروا بأن هذا شخص غير عادي. أَمَّا الصَّابِطُ فَائِدُ الْحَرِيسِ وَالرَّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ يَجْرُسُونَ عِيسَى، فَلَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَالَ وَالْأَشْيَاءَ الَّتِي جَرَتْ، خَافُوا جَدًّا وَقَالُوا: "حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنَ اللَّهِ."^ت

^أ نك 2: 21-23

^ب يو 20: 27

^ت مت 27: 54

أَمَّا الضَّابِطُ قَائِدُ الْحَرَسِ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا مُقَابِلَهُ، فَلَمَّا رَأَى كَيْفَ تُؤَفِّي، قَالَ: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنِ اللَّهِ."

أَمَّا الضَّابِطُ قَائِدُ الْحَرَسِ، فَلَمَّا رَأَى مَا حَدَثَ، سَبَّحَ اللَّهُ وَقَالَ: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَالِحًا." وَكُلُّ الْجُمْهُورِ الَّذِي تَجَمَّعَ لِهَذَا الْمُنْظَرِ، شَاهَدُوا مَا جَرَى، وَرَجَعُوا وَهُمْ يَضْرِبُونَ صُدُورَهُمْ. أَمَّا كُلُّ أَصْحَابِهِ وَالنِّسَاءِ اللَّاتِي تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، فَكَانُوا وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ، وَشَاهَدُوا هَذِهِ الْأُمُورَ.^ب

يقول لوقا عن الضابط المكلف بعملية الصلب، إنه لما رأى ما حدث قال: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَالِحًا." ويقول متى ومرقس إن الضابط قال: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنِ اللَّهِ." من هذا نفهم أنه قال العبارتين: كان صالحاً، كان ابن الله. أي هذا ليس كالبشر العاديين، إنما هو كائن إلهي. رأى الضابط ما حدث من آيات ومن زلزال، وسمع كلام المسيح وغفرانه، ورأى الحب في عينيه. فأقَرَّ بهذه الشهادة.

لا شك أن هذا الضابط المحنك الخبير رأى الكثير من عمليات تنفيذ إعدام المجرمين. ربما هو نفسه دق المسامير في أيدي كثيرين من المحكوم عليهم بالإعدام. وربما أمسك أيديهم وآخرون دقوا المسامير. لكن، رأى هذا الضابط في عيسى ما جعله يصل إلى هذا القرار ويعلن هذا الإعلان! كان المسيح يختلف عن الآخرين فوجد فيه الضابط ما لم يجده في الآخرين، ولذلك اعترف هذا الاعتراف الحسن.

فالذي حكم عليه الناس بالصلب ليس مجرد معلم قدير مات من أجل معتقده، ولا مجرد صالح تقي مات من أجل مبادئه، بل الله الذي صار بشراً ضحى بنفسه لفداء البشر. لهذا قال الضابط: "حَقًّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ ابْنِ اللَّهِ."^ت وكأنه يقول: "أنا وقفت عند صليب كثيرين من قبل، فما رأيت غير الغضب والكراهية، ولكني هنا أرى الهدوء

^أ مر 15: 39

^ب لو 23: 47-49

^ت مر 15: 39

والحب. من قبل، لم أسمع غير السب والشتائم واستنزال اللعنات، وهنا أسمع المغفرة والصفح. لا يقدر على هذا غير الله. حقا كان هذا الرجل ابن الله، حقا كان هذا الرجل صالحا."

الناس

وقف الناس يتفرجون.^أ أي وقفوا ليتفرجوا على واحد يموت في عذاب على صليب.

شاهدوا ما جرى. وَكُلُّ الْجُمْهُورِ الَّذِي تَجَمَّعَ لِهَذَا الْمَنْظَرِ، شَاهَدُوا مَا جَرَى.^ب أي لدينا هنا شهود من كل نوع من الناس، رأوا بعيونهم أن عيسى صُلب ومات. رجعوا وهم يضربون صدورهم.^ت ترى لماذا كانوا يضربون صدورهم؟ في العادة هذه علامة الندم. ربما كان ضميرهم يؤنبهم وقلوبهم يلومهم. هل ندموا لأنهم سمعوا لقادة الدين، وهتفوا مطالبين بصلبه؟^ث ربما! والآن يرون أنه كان بريئا ولا يستحق هذا العذاب والموت. لكن هذا الندم لا ينفع الآن. إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة. ولعل هذا أيضا أعدَّهم للإيمان بالمسيح، فكانوا ضمن الآلاف الذين آمنوا فيما بعد.^ج توفي. وَلَمَّا قَالَ هَذَا تُوُفِّيَ.^ح وَسَلَّمَتْ رُوحُهُ.^خ

بهذه الطريقة مات عيسى المسيح الذي قضى حياته يعمل الخير. لم يمت على سريريه في كرامة وأسرته ملتفة حوله، بل كمجرم، على صليب بين لصين، وكواحد

^أ لو 23: 35

^ب لو 23: 48

^ت لو 23: 48

^ث رج زك 12: 10

^ج أع 2: 41؛ 4: 4

^ح لو 23: 46

^خ مت 27: 50

كسر القانون.

أحداث متعلقة بدفنه. لماذا يتحدث الوحي عن دفن عيسى بشيء من التفصيل؟ عند الرومان في ذلك الوقت، كان ممنوعا دفن المحكوم عليهم بالإعدام. لذلك يَلَفْتُ الوحي انتباهنا بالحديث عن دفن الفادي المبارك، لنرى قدرة الله وعظمته في القيامة المجيدة في اليوم الثالث. ثم أيضا لنرى شجاعة الذين دفنوه، وخاصة أن الحاكم الروماني كان على علم بأنهم شرعوا في ذلك.

هنا نتأمل قليلا في ما عمله يوسف (ومعه نقديموس) ورؤساء الأخبار وبيلاطس والنساء، وكيف أن عيسى كان في القبر 3 أيام.

يوسف

طلب الجثة من الحاكم. وَلَمَّا حَلَّ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مِنْ تَلَامِيذِ عِيسَى، فَذَهَبَ إِلَى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جُثْمَانَ عِيسَى. فَأَمَرَ بِأَنْ يُعْطَى لَهُ.^أ

وَكَانَ هَذَا هُوَ وَقْتُ الْإِعْدَادِ، أَيِ الْيَوْمِ السَّابِقِ لِلْسَّبْتِ. فَلَمَّا حَلَّ الْمَسَاءُ، جَاءَ يُوسُفُ الرَّائِي، وَهُوَ عَضُوٌّ كَبِيرٌ فِي الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى، وَمِنَ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ ظُهُورَ مَمْلَكَةِ اللَّهِ، وَذَهَبَ بِجَرَاءَةٍ إِلَى بِيلاطُسَ، وَطَلَبَ جُثْمَانَ عِيسَى. فَأَنْدَهَشَ بِيلاطُسُ مِنْ أَنَّهُ مَاتَ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ، وَنَادَى قَائِدَ الْحَرَسِ وَسَأَلَهُ: "هَلْ مَضَى عَلَى مَوْتِهِ بَعْضُ الْوَقْتِ؟" فَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْحَرَسِ، سَمَحَ لِيُوسُفَ بِالْجُثْمَانِ.^ب

وَكَانَ هُنَاكَ عَضُوٌّ فِي الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى اسْمُهُ يُوسُفُ، وَهُوَ رَجُلٌ تَقِيٌّ وَصَالِحٌ، وَلَمْ يُوَافِقْ عَلَى قَرَارِهِمْ وَلَا عَلَى تَصَرُّفِهِمْ. وَكَانَ مِنَ الرَّامَةِ وَهِيَ بِلَدَةٌ يَهُودِيَّةٌ، وَكَانَ يَنْتَظِرُ ظُهُورَ

^أ مت 27: 57-58

^ب مر 15: 42-45

مَمْلَكَةِ اللَّهِ. فَذَهَبَ إِلَى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جُثْمَانَ عِيسَى.^أ

بَعْدَ هَذَا جَاءَ يُوسُفُ الرَّامِيُّ، وَهُوَ تَلْمِيزُ عِيسَى فِي السَّرِّ لِأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْ قَادَةِ الْيَهُودِ، وَطَلَبَ مِنْ بِيلاطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جُثْمَانَ عِيسَى فَسَمَحَ لَهُ بِيلاطُسُ.^ب

هذه هي أوصاف يوسف: رجل غني من الرامة. ربما هي بلدة النبي صموئيل على بعد 32 كيلومترًا شمال غرب القدس. هو تلميذ عيسى في السر لأنه كان يخاف من قادة اليهود. رجل تقي، صالح. عضو في المجلس الأعلى، أي مجلس الدين الأعلى. لم يوافق على قرار بقية أعضاء المجلس وتصرفهم بشأن قتل المسيح. كان ينتظر ظهور مملكة الله. ذهب بجراءة إلى بيلاطس وطلب جثة عيسى. منحه بيلاطس طلبه.

دخل يوسف هذا إلى قصر الحاكم ليطلب منه جثة الميت. بهذا العمل تنجس يوسف لأنه دخل دار غير اليهودي. لذلك كان من المستحيل على يوسف أن يحتفل بالعيد. بل أصبح الأمر أخطر من ذلك عندما لمس جسم الميت لما أنزله من على الصليب وكفنه ثم دفنه. ومع ذلك لم يحتفل أحد، في كل التاريخ، بعيد كما احتفل به يوسف ونقديموس في تلك الليلة. لقد كانت مهمتهما أن يُكفنا حَمَلَ الفصح الحقيقي. ذلك الحمل الذي رمزت إليه كل الأعياد من قبل وتسبب موته في إكمالها وإتمامها وتحقيقها وإلغائها!

بجراءة. ظهرت هذه الجراءة أولاً، لأنه حسب القانون الروماني، كما قلنا من قبل، كان الشخص الذي يُحكم عليه بالصلب يفقد حقه في الدفن. وهنا يوسف يتحدى القانون ويطلب أن يدفن المسيح. وثانياً، كان بيلاطس يكره اليهود، ومنذ ساعات قليلة رفض أن يستجيب لطلبهم بأن يُغير العنوان الذي وضعه على صليب المسيح.^ت وثالثاً، كانت جراءة يوسف واضحة جداً، لأنه الآن بهذا العمل يعلن للجميع

^أ لو 23: 50-52

^ب يو 19: 38

^ت يو 19: 20-22

أنه من أتباع عيسى، ويُعرض نفسه للخطر!

ماذا حدث ليوسف؟ إن الكتاب يعلن لنا أنه "تَلْمِذُ عَيْسَى فِي السَّرِّ لِأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْ قَادَةِ الْيَهُودِ".^أ من قبل لم تكن له الشجاعة أن يُجَاهِرَ بِإِيْمَانِهِ بِعَيْسَى. كان يخاف من تهديدات المجلس الديني الذي كان عضوا فيه.^ب أما الآن وهو يرى المسيح يموت محتقرا معذبا، على صليب، حدث تغيير جذري في قلب يوسف وفي حياته. الآن يعلن بجرأة أنه من أتباع عيسى. منذ الآن لن يكون تابعا في السر، بل في العلن. أخي، هل تؤمن بالمسيح ولكن في السر؟ دعني أحدثك هنا بطريقة خاصة. هل وضعت اتكالك على سيدنا عيسى، ولكن بسبب الظروف لا يعلم بذلك أحد، غيرك أنت والقدير تعالى؟ هل أدركت من قلبك أنك كنت تائها ضالا، ومفقودا ضائعا ثم نلت الهدى بفضل السيد المسيح ونعمة الرحمان تعالى، وقررت أن تحتفظ بكل ذلك في السر؟ أنا لا ألوّمك ولا أوبخك ولا حتى أعيب عليك لهذا. أنا أتكلم بصراحة وأمانة.

بل ربما لك الحق في أن تعمل ذلك لفترة ما. أنت تعيش في بيئة لها تقاليدها التي يجب أن تحترمها. ربما مجتمعك لا يعترف برأيك ولا يحترم تعدد الآراء! ومع ذلك يجب أن نحترم هؤلاء الناس الذين نعيش بينهم، وأيضا نحبههم، مع أننا لا نتفق معهم. يقول الإنجيل الكريم: "تَصَرَّفُوا بِحِكْمَةٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاعْتَنِمُوا كُلَّ فُرْصَةٍ تَتَوَقَّرُ لَكُمْ. لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ دَائِمًا لَطِيفًا وَلَهُ تَأْثِيرٌ حَسَنٌ".^ت

لكن احذر من أن تنكر أنك من أتباعه. هناك فارق كبير بين:

(أ) احتفاظك بالسر لنفسك حتى يحين الوقت المناسب لُتَعَرَّفَ الآخرين، وبين

(ب) أن تنكر أنك من أتباعه.

^أ يو 19: 38

^ب يو 9: 22؛ 12: 42

^ت كو 4: 5-6

الإنكار هو كذب، هو إجحاد لفضله وعدم الاعتراف بصنيعه، وكل هذا شر فظيع. لذلك إذا حدث وواجهك الناس بالسؤال: "هل أنت من أتباع المسيح؟" احذر من أن تكذب. احذر من أن تنكر. احذر من أن تقول: "لا. لست من أتباع المسيح." تذكر ما قاله سيدنا عيسى: "كُلُّ مَنْ يَشْهَدُ لِي قُدَّامَ النَّاسِ، أَشْهَدُ لَهُ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ. وَكُلُّ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ، أُنْكِرُهُ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ."^أ

ثم يجب أن يأتي الوقت وتعمل كما عمل يوسف وتعلن للآخرين أنك من أتباع الفادي الكريم. من واجبك أن تقدم لأهلك وأصحابك رسالة المحبة والسلام التي ملأت قلبك بالنور، لكي يتمتعوا هم أيضًا بهذه الحياة الباقية. إنما قَدَّمَ هذه الدعوة بعطف وتسامح وصبر. استعمل الحكمة والرزنة. كن شجاعًا، وفي نفس الوقت كن لطيفًا. إن حياتك الجديدة يجب أن يكون لها تأثير ونقاء يجذب الآخرين للإيمان بالمسيح. اجعل أفعالك الطيبة وأعمالك الصالحة تتحدث عن حياتك الجديدة بصوت أعلى من كلامك.

لي صديق من عائلة كبيرة آمن بالمسيح بعد أن أكمل دراسته الجامعية. لكن أهله بدأوا يضطهدونه ويهددونه ويضغطون عليه ليتراجع عن المسيح. لكن صديقي قال لهم: "مهما عملتم، لن أترجع عن سيدي عيسى. وإن لم تكفوا عن هذه التصرفات الدنيئة سوف أعلن عن إيماني الجديد لكل! سوف أتحدث في الأماكن العامة وفي الصحف للعالم كله!"

انزعجت عائلة صديقي من هذا التهديد، لأن مكانتهم في البلاد معروفة، كما أن عمه كان وزيراً في الحكومة. ولحسن الحظ نجح تهديده لهم وتوقف اضطهادهم له! واليوم يعيش صديقي مع أهله وفي بلده مؤمناً بالمسيح شجاعاً لا يخاف من تخويف أو تهديد!

أَنْزَلَ الْمَيِّتَ مِنْ عَلَى الصَّلِيبِ وَكَفَنَهُ وَدَفَنَهُ (وساعده في ذلك نقديموس). فَأَشْتَرَى
يُوسُفُ كَفَنًا مِنَ الْكَتَّانِ، وَأَنْزَلَ عِيسَى وَلَقَّاهُ فِي الْكَتَّانِ وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِ مُحْفُورٍ فِي الصَّخْرِ،
وَدَخَرَ حَجَرًا عَلَى مَدْخَلِ الْقَبْرِ. وَرَأَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسَى الْمَكَانَ الَّذِي
وُضِعَ فِيهِ.^أ

فَأَنْزَلَهُ وَلَقَّاهُ فِي كَفَنٍ مِنَ الْكَتَّانِ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِ مُحْفُورٍ فِي الصَّخْرِ لَمْ يُوضَعَ فِيهِ
أَحَدٌ أَبَدًا. وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمَ الْإِعْدَادِ وَالسَّبْتُ يَقْتَرِبُ.^ب

فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجُثْمَانَ وَلَقَّاهُ فِي كَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ
قَدْ حَفَرَهُ فِي الصَّخْرِ. ثُمَّ دَخَرَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى مَدْخَلِ الْقَبْرِ وَمَضَى. وَكَانَتْ مَرْيَمُ
الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الْأُخْرَى جَالِسَتَيْنِ هُنَاكَ مُقَابِلَ الْقَبْرِ.^ج

فَرَأَى وَأَخَذَ الْجُثْمَانَ. وَرَأَى مَعَهُ نَقْدِيمُوسُ الَّذِي زَارَ عِيسَى مِنْ قَبْلِ فِي اللَّيْلِ،
وَأَخَذَ نَقْدِيمُوسُ مَعَهُ مَزِيحًا مِنَ الْمَرِّ وَالْعُودِ وَزَنُّهُ حَوَالِي 34 كِيلُوجَرَامًا³⁹. فَأَخَذَا
جُثْمَانَ عِيسَى وَلَقَّاهُ مَعَ الطَّيِّبِ بِأَكْفَانٍ مِنَ كَتَّانٍ، حَسَبَ عَادَةِ الْيَهُودِ فِي دَفْنِ مَوْتَاهُمْ.
وَكَانَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي صَلَبُوا فِيهِ عِيسَى بُسْتَانٌ، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُدْفَنَ فِيهِ
أَحَدٌ. فَدَفَنَّا عِيسَى فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ لِأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا، وَلِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الْإِعْدَادِ
عِنْدَ الْيَهُودِ.^د

ذهب يوسف وأنزل الجثة من على الصليب، ولفها في كفن من الكتان النقي.
ساعده نقديموس في تكفين المسيح بأن لف الجثة مع مزيج من المر والعود.⁴⁰

دُفِنَ المسيح في قبر يوسف الجديد الذي كان قد حفره في الصخر، لم يكن قد
دُفِنَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ. لَاحِظْ مَا قَالَهُ الْوَحْيُ قَبْلَ ذَلِكَ بِمِائَاتِ السَّنِينَ: "حَكِّمُوا عَلَيْهِ

^أ مر 15: 46-47

^ب لو 23: 53-54

^ج مت 27: 59-61

^د يو 19: 38-42

ظُلْمًا وَأَخَذُوهُ... قَتَلُوهُ!... وَضِعَ فِي قَبْرِ مَعَ الْأَشْرَارِ، وَمَعَ الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ مَوْتِهِ. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَزْتَكَبْ شَرًّا، وَلَمْ يَكْذِبْ أَبَدًا.^أ كان هذا الرجل الشهم كريما، فأعطى قبره الجديد لعيسى هدية. ولم يكن يدري أن ذلك كان مجرد قرض قصير الأجل، لأنه بعد 3 أيام أرجع عيسى، له الجلال والإكرام والعزة، أرجع القبر ليوسف مستعملا استعمالا بسيطا جدا، وأعطاه معه فائدة القرض: أعظم ما يمكن الحصول عليه في الوجود؛ قوة القيامة من الموت إلى الحياة، وَهَبَهَا المسيح ليوسف، وأيضا لكل الذين يؤمنون به ربا وفاديا ومنقذا وهاديا!

وضع حجرا على فم القبر. ثُمَّ دَخَرَ حَجْرًا كَبِيرًا عَلَى مَدْخَلِ الْقَبْرِ وَمَضَى.^ب
بعدهما دفنه يوسف، وضع حجرا كبيرا على مدخل القبر. لماذا؟ لا بد من إغلاق القبر، وهذا قبر رجل غني، منحوت في الصخر، فكان الباب الذي يسده مستديرا مثل حجر رحي ضخم.

رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ: طَلَبُوا مِنْ بِيلاطُسَ أَنْ يَخْتَمَ الْقَبْرَ وَيَضَعَ عَلَيْهِ حِرَاسًا. وَفِي الْعَدِيدِ أَيَّ بَعْدَ يَوْمِ الْإِعْدَادِ، رَاحَ رُؤَسَاءُ الْأَحْبَارِ وَالْفَرِيسِيُّونَ مَعًا إِلَى بِيلاطُسَ وَقَالُوا: "يَا سَيِّدُ، تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُضِلَّ، لَمَّا كَانَ حَيًّا قَالَ: سَأُقَوِّمُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَأَصْدِرْ أَمْرًا بِحِرَاسَةِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلَّا يَأْتِيَ تَلَامِيذُهُ وَيَسْرِقُوهُ وَيَقُولُوا لِلنَّاسِ إِنَّهُ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ. فَتَكُونَ الضَّلَالَةُ الْأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الْأُولَى."^ت

أي حتى بعد موته، ظل أعداؤه يخافونه ويرهبونه. راحوا إلى الحاكم وطلبوا منه أن يأمر بحراسة القبر. لقد بذل قادة الدين كل جهدهم لكي يبقى المسيح في القبر. وبذلك ظنوا أن الأمر انتهى. ربما كان بعض أتباعه يحدثون أنفسهم ويقولون: "كنا نظن أنه هو الذي سينقذنا! لكننا أخطأنا الظن. يا حظنا السيئ. لقد مات!"

^أ إش 53: 8-9

^ب مت 27: 60

^ت مت 27: 62-64

لكن لاحظ أنه في اليوم الثالث، لما ذهبوا لزيارة قبر الميت كما هي العادة عند كثير من الناس، وجدوا القبر مفتوحا وفارغا وصاحبه غير موجود فيه! وجدوا القبر بلا ميت! لقد قام عيسى من الموت، لأن الموت لم يقهره، بل هو قهر الموت. هو انتصر على الموت.

بيلاطس: أمر بختم القبر. فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: "الْحَرَسُ عِنْدَكُمْ! فَادْهَبُوا وَاحْرُسُوهُ كَمَا تَرَوْنَ." فَدْهَبُوا وَأَحْكَمُوا الْقَبْرَ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ وَأَقَامُوا عَلَيْهِ حُرَّاسًا.^أ
ومرة أخرى تخاذل الحاكم الروماني أمام ضغط قادة الدين. لقد أذعن لهم ومنحهم أن يعملوا ما أرادوا. سمح لهم أن يعملوا ما طلبوه، فذهبوا وأحكموا القبر وختموا الحجر وأقاموا على القبر حراسا لكي لا يسرقه أتباعه! وربما أيضا خافوا من أن يقوم! من العجيب ان رؤساء الأحرار لم يكونوا يؤمنون بالقيامة من الموت. لكنهم كانوا يعلمون أنه قال إنه سيقوم في اليوم الثالث. لذلك اتخذوا كل الاحتياطات اللازمة ليبقوه ميتا.

هل سمعنا في التاريخ كله عن قبر وضعت عليه السلطات حراسة مشددة لكي لا يخرج الميت منه حيا، ولكي لا يأتي أحد ويسرق جثته؟ كان قصد قادة الدين هو أن لا يسرقه أتباعه. ولكن هل أمكنهم أن يمنعوه من الخروج من القبر بقوته الإلهية؟ لقد قام الميت وخرج من القبر على الرغم من الحجر الكبير الموضوع على باب القبر، وعلى الرغم من أنهم ختموا الحجر، وعلى الرغم من وجود الحراس الذين وضعوهم هناك. وهنا نرى حكمة الله في كل هذا. لقد استخدم القدير خوف اليهود وتخاذل الحاكم ليبين للعالم كله ولجميع الأجيال أنه على الرغم من ختم القبر، قام المسيح منتصرا!

النساء: أعددن العطور والأطياب. وَالنِّسَاءُ اللَّاتِي جِئْنَ مَعَ عَيْسَى مِنَ الْجَلِيلِ،

تَبْعَنَ يُوسُفَ، وَرَأَيْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ فِيهِ الْجُثْمَانُ. ثُمَّ رَجَعْنَ إِلَى الدَّارِ وَأَعَدَدْنَ عُطُورًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ.^أ

رأت النساء القبر وكيف دُفن الميت. لكن بما أن السبت قد بدأ وأصبح غير ممكن إحضار العطور والأطياب ثم الرجوع إلى القبر، لذلك انتظرت النساء حتى ينتهي السبت.

3 أيام في القبر. كان يوم السبت هو يوم راحة وعيد، ولكن أتباع المسيح اختبروا في ذلك اليوم اليأس والقنوط والحزن والخوف أكثر من أي يوم آخر في حياتهم. كانوا يبنون آمالا كبيرة على سيدهم ومعلمهم ونبيلهم. كانوا يظنون أنه هو الملك الذي ينتظرونه ويتوقعون مجيئه منذ أيام آبائهم وأجدادهم، بل وكان متوقعا منذ فجر تاريخ الإنسان. ولكنه الآن صامت، بلا حياة، ميت في قبر! هل من شيء صالح ينتج عن الموت؟ هل يمكن أن يبعث الموت في النفس غير الحزن والتعاسة والوحدة والوحشة؟ في قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ.^ب ربما يعترض البعض على أن المسيح له الجلال مكث في القبر من عصر يوم الجمعة إلى فجر يوم الأحد، أي أقل من 3 أيام و3 ليال. والرد على هذا هو أنه ليس من الحكمة أن نحاول تطبيق أحوال بيثتنا في الوقت الحالي على أحداث ومفاهيم 2000 سنة مضت. اليوم نحن نعتبر أن 3 أيام و3 ليال تعني 72 ساعة. لكن لم يكن هذا هو مفهومهم في ذلك الوقت، بل إن جزءا من اليوم كان يُعتبر يوما وليلة.^ت إذن التعبير "يوم وليلة" هو وحدة قياس كانت مستعملة لديهم في تلك الأزمنة وتعني أي جزء من اليوم. حتى في وقتنا هذا نحن نستعمل أحيانا الجزء من الشيء ليدل على الكل، فنحن نقول: "اجتمع مجلس الوزراء" مع أنه قد يكون قد

^أ لو 23: 55-56

^ب مت 12: 40

^ت قارن تك 42: 17 مع 18؛ اصم 30: 12 مع 13؛ 2أخ 10: 5 مع 12؛ إس 4: 16 مع 5؛ 1 مر 8: 31؛

34: 14 مع 16؛ 21؛ مت 27: 63 مع 64

تغيب وزير أو أكثر، فمجلس الوزراء هو وحدة.
إذن 3 أيام و3 ليال تعني هنا "في اليوم الثالث" ⁴¹.

قام من الموت

وَمَعَ طُلُوعِ فَجْرِ يَوْمِ الْأَحَدِ، رَاحَتْ مَرِيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرِيَمُ الْأُخْرَى لِيَنْظُرَا الْقَبْرَ.
وَفَجْأَةً حَدَثَ زَلْزَالٌ شَدِيدٌ، لِأَنَّ مَلَكَاً نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَتَوْبُهُ أَبْيَضٌ مِثْلَ الثَّلْجِ. فَارْتَعَدَ الْخُرَّاسُ مِنَ الْخَوْفِ وَصَارُوا كَالْمَوْتَى.

فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ لِلْمَرَأَتَيْنِ: "لَا تَخَافَا. أَنَا عَارِفٌ أَنَّكُمَا تَبْحَثَانِ عَنْ عِيسَى الَّذِي صَلَّبُوهُ. هُوَ لَيْسَ هُنَا، لِأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! تَعَالَيَا وَانْظُرَا الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ مَوْضِعًا فِيهِ. إِذْهَبَا بِسُرْعَةٍ وَأَخْبِرَا تَلَامِيذَهُ أَنَّهُ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ يَسْبِقُكُم إِلَى الْجَلِيلِ. فَهَنَّاكَ تَرَوْنَهُ، أَنَا الْآنَ بَلَعْتُكُمَا الرِّسَالَةَ."

فَتَرَكَتِ الْمَرَأَتَانِ الْقَبْرَ بِسُرْعَةٍ وَهُمَا فِي خَوْفٍ وَفِي فَرَجٍ عَظِيمٍ، وَكَانَتَا تَجْرِيَانِ لِشَبَشْرَا التَّلَامِيذِ. وَفَجْأَةً قَابَلَهُمَا عِيسَى وَقَالَ: "سَلَامٌ". فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا قَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا عِيسَى: "لَا تَخَافَا. إِذْهَبَا وَقُولَا لِأَخَوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ فَهَنَّاكَ يَرَوْنِي."^أ

أَنَا تَسَلَّمْتُ هَذَا، ثُمَّ سَلَّمْتُهُ لَكُمْ لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ: إِنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ دُنُونِنَا، كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ. وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ. وَظَهَرَ لِطَرُسَ ثُمَّ لِلْأَنْثَيْنِ عَشَرَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لَأَكْثَرِ مِنْ خَمْسِ مِئَةِ أَخٍ كَانُوا مَعًا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ. وَمُعْظَمُ هَؤُلَاءِ مَا زَالَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، لَكِنْ تُؤَيِّ بَعْضُهُمْ. بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ

لَيَعْقُوبَ ثُمَّ لِكُلِّ الرُّسُلِ^أ

القبر الفارغ. لم يكن هناك شك أنه مات ودفن. رآته أمه. رآه أصحابه. رآه الحرس المكلف بالصلب. رآه كثيرون آخرون. كان ذلك في يوم الجمعة. ولكن في فجر يوم الأحد، وعملاً بعبادات ذلك الوقت، أخذت بعض النساء من أتباعه عطوراً وحنوطاً وذهبن إلى القبر. وهنا حدثت المفاجأة الكبرى! "فَجَاءَ حَدَثٌ زَلْزَالٌ شَدِيدٌ، لَأَنَّ مَلَائِكَةً نَزَلْنَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَخَرَجَ الْحَجَرُ وَجَلَسَ عَلَيْهِ... فَأَرْتَعَدَ الْحُرَّاسُ مِنَ الْخَوْفِ وَصَارُوا كَالْمَوْتَى".⁴²

كان أتباعه قد سمعوه أكثر من مرة يقول إنه سيقوم من الموت. ولكننا نراهم وقد انشغلوا بسيد ميت لا بسيد حي! نسوا أنه قال إنه سيقوم! لم يتوقعوا أن يقوم! كانت فكرة درجحة الحجر عن القبر تشغل بال النساء في الطريق. كيف يمكن لنساء ضعيفات رقيقات أن يدرجن الحجر وهو كبير ثقيل؟ لا بد أن يسألن بعض الرجال للقيام بذلك. ولكن كم كانت المفاجأة حين وجدن الحجر قد أُزِيحَ عن باب القبر! دخلت النساء وهن يتوقعن أن يجدن جسد الميت، ولكن هنا مفاجأة أخرى! وجدن ملاكاً جالساً! ارتعبت النساء جداً. فأخبرهن الملاك بأن عيسى قام، فخرجن من القبر وهربن في رعب وحيرة!

إذن لم يكن الغرض من درجحة الحجر عن القبر هو أن يتمكن عيسى من الخروج. لا! بل لقد خرج قبل إزاحة الحجر، لأن عيسى لا تُعْبِقُهُ الحواجز ولا توقفه الموانع! بل دحرج الملاك الحجر، لكي يقدر أتباع المسيح القادمون في فجر ذلك اليوم من الدخول، لكي يروا أن القبر فارغ، ويتحققوا أن سيدهم قام فعلاً! وكذلك مجيء الملاك، لم يكن لكي يُقِيمَ المسيح من الموت، بل كان السيد المسيح قد قام حياً قبل مجيء الملاك! إنما جاء الملاك لكي يدرج الحجر ولكي يعلن للتلاميذ أن عيسى قام.

ربما أنت لك مركز سلطة كبير في بلدك. ربما لك مكانة عالية في الحكومة ومن المسؤولين عن منع تسرب وانتشار هذه العقائد إلى شعبك. هل حقا تظن أن في إمكانك أن تمنع عيسى من دخول قلوب الناس، وإشاعة النور في نفوسهم، والسلام في حياتهم؟ هل تظن أنك تقدر أن توقف عيسى لكي لا يسود على شعبك ويحرره ويبعث فيه الحياة؟ فكر في هذا بطريقة جدية ولا تخدع نفسك. ليس بإمكانك أبدا أن تُقيّد أو تُحدّ من قوة عيسى المسيح وتأثيره في قلوب وعقول الناس!

قام المسيح من الموت. ويا لها من حقيقة عظيمة مباركة ومدهشة! إن الذنب الذي سمره إلى الصليب في يوم الجمعة فَقَدَ قدرته، وقام المسيح منتصرا. والموت الذي حفظه في القبر ثلاثة أيام، فقد شوكته وسلطته. وكانت براهين قيامته واضحة ومتعددة ومتنوعة، لدرجة أنه بعد ذلك، أصبحت القيامة هي السند المتين والركيزة الثابتة التي بنى عليها أتباعه مناداتهم وتبشيرهم، وبسبها خاطروا بنفوسهم، ومن أجلها دفعوا أعلى ثمن: حياتهم الغالية!

أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً خَارِجَ الْقَبْرِ تَبْكِي. فَأَنْحَنَتْ لِتَنْظُرَ دَاخِلَ الْقَبْرِ وَهِيَ تَبْكِي، فَرَأَتْ مَلَائِكَيْنِ فِي ثِيَابٍ بَيْضَاءَ، جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالْآخَرَ عِنْدَ الرَّجْلَيْنِ حَيْثُ كَانَ جُثْمَانُ عِيسَى مَوْجُودًا. فَقَالَا لَهَا: "لِمَاذَا تَبْكِينَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ؟" فَقَالَتْ لَهُمَا: "أَخَذُوا سَيِّدِي وَلَا أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ." قَالَتْ هَذَا ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَرَأَتْ عِيسَى وَاقِفًا، لَكِنَّهَا لَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ عِيسَى. فَقَالَ لَهَا عِيسَى: "لِمَاذَا تَبْكِينَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ؟ وَمَنْ تَطْلُبِينَ؟" فَظَنَّتْ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ فَقَالَتْ لَهُ: "يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ أَنْتَ أَخَذْتَهُ، فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا أَخْذُهُ." فَقَالَ لَهَا عِيسَى: "يَا مَرْيَمُ!" فَالتَفَتَتْ وَقَالَتْ لَهُ بِالْعِبْرِيَّةِ: "رَبُّونِي، وَمَعَنَاهَا "يَا مُعَلِّمُ." فَقَالَ لَهَا عِيسَى: "لَا تُمَسِّكِينِي، لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى الْآبِ. لَكِنْ ادْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ إِنِّي صَاعِدٌ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِكُمْ." فَارْحَتْ

مَرِيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأُخْبِرَتْ التَّلَامِيذُ بِأَنَّهَا رَأَتْ السَّيِّدَ وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا هَذَا الْكَلَامُ.^أ

لماذا كانت مريم تبكي؟ لو كان مرادها قد تحقق، وفعلا وجدت جثة الميت، ما كان أتعسنا كلنا اليوم، بل ما كان أتعسنا إلى الأبد! بلا فادٍ قام منتصرا، وبلا مسيح حي. لكن، هلولويا؛ لله الحمد، قام المسيح وتم الفداء والنصر! ثم لماذا ظنت أنه البستاني؟⁴³

1. لأنها جاءت لترى شخصا ميتا، ثم اكتشفت أن جثته مفقودة! هل تظن أنه اختفى عنك وسط المحنة؟ أو أنه غير موجود أو غير قادر أن يرفعك من المحنة التي أنت فيها؟

2. لأنها كانت حزينة وتبكي والدموع تغمر عينيها. حرمتها دموعها من رؤيته على حقيقته. هل تسمح للحزن أن يحرمك من رؤية الفادي الذي يحبك؟

3. لأنها نسيت وعد المسيح بأنه سيقوم من الموت. هل تنسى وعود الله لك؟

4. لأنه كان في جسد مُقَامٍ، فلم تعرفه كما كانت تعرفه قبل الصليب!

لَمَّا ظَنَّتْ مَرِيَمُ أَنَّهُ الْبَسْتَانِي، تَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ قَدْ نَقَلَ الْجِثَّةَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، فَلْيَتَحَنَّنْ عَلَيْهَا وَيُعْرِفَهَا أَيْنَ وَضَعَهَا لِتَأْخُذَهَا مِنْ هُنَاكَ! فَقَالَ لَهَا عَيْسَى: "يَا مَرِيَمُ!" وَهنا عرفت صوته، وأدركت أنها أمامه هو بذاته وأنه قام من الموت كما قال.

فَرَأَتْ مَلَائِكَيْنِ... فَرَأَتْ عَيْسَى. تحدثنا من قبل عن المَقدس الداخلي في بيت الله حيث صندوق العهد الذي يرمز لحضور المولى بين الناس. وكان على غطائه ملاكان من الذهب.^ب وقلنا إنه لم يكن مسموحا لأحد، لا رجل ولا امرأة، بالدخول إلى ذلك المكان غير واحد فقط، هو الخبر الأعلى. فقد كان يدخل مرة واحدة في السنة ليقدم دم الكفارة. ولكننا هنا نجد مقدسا أعظم بما لا يقاس من ذلك المبني بالحجارة والخشب

^أ يو 20: 11-18

^ب خر 25: 10-12

والذهب! هنا، عند قبر المسيح، وفي تلك اللحظات، حلَّ وجود إلهي سمائي وتحولت المنطقة إلى مقدس رهيب. ورأت مريم، لا صندوق العهد الرمزي، ولا ملاكين من ذهب، بل رأت ملاكين حقيقيين داخل القبر. ثم خارج القبر، رأت عيسى الذي كان صندوق العهد يرمز إليه! هذا هو الله حاضر بين الناس! يا لها من بركة لهذه المرأة! إنها بطريقة معنوية رأت ما لم يمكن أن يراه رئيس الأحبار في المقدس الداخلي، رأت الحقيقة التي كان يرمز إليها صندوق العهد، رأت المسيح الحي الذي قام وأصبح مركز عبادتنا وسجودنا.

فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتَّلْمِيذُ الْآخَرُ إِلَى الْقَبْرِ. وَكَانَا يَجْرِيَانِ مَعًا، لَكِنَّ التَّلْمِيذَ الْآخَرَ سَبَقَ بُطْرُسَ، فَوَصَلَ إِلَى الْقَبْرِ قَبْلَهُ. وَانْحَنَى فَرَأَى الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. ثُمَّ وَصَلَ سَمْعَانُ بُطْرُسَ بَعْدَهُ، وَدَخَلَ إِلَى الْقَبْرِ وَرَأَى الْأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً. لَكِنَّ الْمُنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِ عَيْسَى غَيْرُ مَوْضُوعٍ مَعَ الْأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفٌ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَحْدَهُ. فَدَخَلَ التَّلْمِيذُ الْآخَرُ أَيْضًا إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ قَدْ وَصَلَ قَبْلَ بُطْرُسَ، فَرَأَى وَآمَنَ!

لما سمع بطرس ويوحنا هذا النبأ جريا إلى القبر، ووجدا الأكفان موضوعة هناك، والمنديل الذي كان موضوعا على رأس عيسى ملفوفا في مكان وحده. ما مدلول أن الأكفان كانت في مكان ما داخل القبر، وأن المنديل كان ملفوفا في مكان آخر وحده؟ ما هي أهمية هذا الأمر ولماذا يُعطي الوحي آيتين للحديث عنه؟ أعتقد أن الجواب البسيط والمعقول هو أن السيد أراد أن يبين للذين سيأتون إلى القبر أنه قام من الموت بمعجزة. أراد أن يقول لهم: "لا تظنوا أن جثتي سُرقت كما سيقول اليهود، بل لقد قمت حيا."

فلو كان قد سرقه لصوص، لكانوا يأخذون الجثة في عجلة ويتركون المكان بسرعة! هل من المعقول أنهم يقضون الوقت في خلع الأكفان عن الجسم وهم داخل القبر؟ وهل يُعرضون أنفسهم للخطر ليلفوا المنديل ويضعوه في مكان آخر وحده، بينما

الحراس خارج القبر؟

رجع بطرس ويوحنا ليخبرا بقية الحواريين والأتباع بالنبا العظيم! بعد ذلك أظهر عيسى نفسه لمئات من الناس الذين رأوه حيا، وتكلم معهم.

واليوم نذهب إلى الصليب فنجده فارغا، لأن المسيح ليس هناك. نذهب إلى القبر فنجده فارغا، لأن المسيح ليس هناك. إنه ليس ميتا بل حي. قال بطرس في خطبته يوم الخمسين: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْمَعُوا هَذَا الْكَلَامَ: عَيْسَى النَّاصِرِيُّ هُوَ رَجُلٌ بَرَّهَنَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَى أَنَّهُ أَرْسَلَهُ، وَذَلِكَ بِمُعْجَزَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَأَيَاتٍ عَمَلَهَا بِوَاسِطَتِهِ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا لِأَنَّهَا جَرَتْ بَيْنَكُمْ. وَهُوَ سَلَّمَ لَكُمْ حَسَبَ خِطَّةِ اللَّهِ الْمَرْسُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، فَصَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ بِمُسَاعَدَةِ الْكُفَّارِ. لَكِنَّ اللَّهَ حَرَّرَهُ مِنَ أَلَمِ الْمَوْتِ وَأَقَامَهُ حَيًّا، فَلَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا لِلْمَوْتِ أَنْ يُبْقِيَهُ أَسِيرًا."^أ

لم يمكن للموت أن يُبْقِيَ المسيح أسيرا. المسيح قهر الموت! المسيح قهر القبر! المسيح قام منتصرا! وقال بطرس أيضا في مناسبة أخرى: "رَبُّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، رَبُّ آبَائِنَا حَجَّدَ خَادِمَهُ عَيْسَى، الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ لِيُقْتَلَ وَرَفَضْتُمُوهُ أَمَامَ بِيلاطس، مَعَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُطْلَقَ سَرَّاحَهُ. فَرَفَضْتُمْ الْفُدُوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ الْعُفْوَ عَنِ قَاتِلٍ! أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ وَاهِبَ الْحَيَاةِ، لَكِنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ بِذَلِكَ."^ب

في الحرب العالمية الأولى كانت مدينة القدس تابعة لسلطان تركيا. فلما اقتربت قوات الجنرال البريطاني اللنبي لتستولي على المدينة، نهب الأتراك كل التحف الثمينة الموجودة في قبر المسيح. فلما سمع أتباع عيسى بذلك، قالوا: "إن أئمن ما كان في القبر خرج منه منذ تسعة عشر قرنا! إن عيسى قام من الموت، حطم شوكة الموت، كسر قبضته. فأَي شيء ثمين بقي بعده في القبر؟"

أ أع 2: 22-24

ب أع 3: 13-15

نحن اليوم نحتفل بقبر فارغ! كل الأنبياء ماتوا وما زالوا في قبورهم إلى يومنا هذا، ما عدا المسيح الذي هزم الموت، فهو اليوم ليس في القبر بل حي في السماء. قال الصاد هو سندر سنغ التقي الهندي: "لقد زرت قبور الملوك والشرفاء والعظماء. وعلى كل قبر وجدت لوحة تقول، هنا يرقد الملك فلان أو العظيم فلان. إنما قبر واحد فقط زرت فلم أجد فيه صاحبه. ذلك هو قبر سيدنا عيسى المسيح في مدينة القدس."

نعم، صاحب ذلك القبر ليس موجودا فيه لأنه في يوم الأحد قام من الموت. لقد قام كما قال. أقامه الله من الموت ليبرهن للكل أنه قَبِلَ تضحيته ورضي عنها. وتؤكد لنا حقيقة القبر الفارغ أن الصليب لم يُنْقِصْ من قدر المسيح، بل على العكس كان هو الوسيلة التي بها أتم الله قصده وأظهر المسيح حبه. لذلك نقدر اليوم أن نهتف ونقول: "انْظُرُوا مَا أَعْظَمَ الْمَحَبَّةَ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا الْأَبُّ."^أ

ولهذا نحن لا نحج إلى قبر المسيح، ولا نطوف حول معبد، ولا نحاول أن نلمس حجرا جامدا ميتا يأخذ عنا ذنوبنا! المسيح رفع عنا كل ذنوبنا.

المسيح قام! حقا قام! نحن لا نعرف كيف قام ولا الطريقة التي بها قام، إنما نعلم يقينا أنه قام! فقد رأى أتباعه القبر فارغا، ثم رأوه حيا، بعدما قام، وتكلم معهم وأكل معهم. يقول الإنجيل إن عيسى بَيَّنْ لأتباعه "بِرَاهِينَ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ حَيٌّ، وَأَظْهَرَ نَفْسَهُ لَهُمْ خِلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَعَلَّمَهُمْ عَنْ مَمْلَكَةِ اللَّهِ."^ب

كان الناس في القديم يسألون: "بَعْدَمَا يَمُوتُ الْإِنْسَانُ، هَلْ يَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ؟" ولكن من الذي قدم الإجابة العملية الصريحة المقنعة على هذا السؤال؟ عيسى المسيح هو الذي عرفنا أنه توجد قيامة وتوجد حياة بعد الموت. وهو الذي قال: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ"

^أ 1يو:3

^ب أع:1

^ت أي:14:14

وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا.^أ

انتشر الخبر بسرعة، وذاعت البشرى المفرحة من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى أخرى، حتى إننا اليوم نحتفل بقيامة المسيح في كل أنحاء العالم. في يوم الجمعة كان الصليب رمزا للضعف والعقاب والهزيمة والموت. إنما اليوم صليبه فارغ لذلك فهو رمز القوة والنصر والفرح والحياة. إنه يقول: "أَنَا الْحَيُّ. كُنْتُ مَيِّتًا، لَكِنِّي الْآنَ حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ، وَبِيَدِي مَفَاتِيحُ الْمَوْتِ وَعَالَمِ الْأَمْوَاتِ."^ب

قال الشاعر الدكتور زكريا عوض الله في قصيدته "أنت قيامتي":

بالحب أنت فديتنِي يا سيدي، بدم كريم من حبيب يَفْتدي
ضحيتَ نفسك في الصليب مُعلقًا، متألماً من أجل شر المُعتدي
ومحوت بالدم كل فعل أسود!

الذنبُ ذنبي والخطيئةُ علَّتني، والأجرُ موتي، إنه دينونتي
وأراك تحملُ عني كل قضيتي، وأراك تدفع عني أجرَ خطيئتي
وتموتُ من أجلي وتحملُ لعنتي!

في كفك المِسمارُ؟ ماذا قد جَنَى؟ فأنا الأثيم وذاك مسماري أنا
أنا أَسْتَحْقُّه! أنت لم تفعل سوى، كل الصلاح، وكَم شَفِيتَ من العَنا
لكن قبلته حتى تعزيني أنا!

في رِجْلِكَ المِسمارُ؟ بل رجلي أنا! كم جُلْتُ تصنعُ للمكارمِ محسنا
بل هذا تاجُ الشوكِ أَجْرٌ لي أنا، أنا قد زرعْتُ الشوكَ، أَحْصَدُهُ أنا
لكن لبسته كي تنجيني أنا!

...

^أ يو 11: 25

^ب رؤ 1: 18

بل قمت أنت وفيك أنت قيامتي، وجلست في العرش وفيك عزتي

...

شرقتني، أكرمتني، ألبستني، ثوب النجاة وفيك أسعدتني
ماذا أقول وكيف أشكر فضلك؟ فلك السجود سكب قلب مؤمن
متمتع بسعادة الحب الغني!

يسبقكم إلى الجليل. قال الملاك للمرأتين: "إذهبا بسُرعةٍ وأخيرا تلاميذه أنه
قام من الموت، وهو يسيبقكم إلى الجليل. فهناك ترونه، أنا الآن بلغناكم الرسالة".^أ
قبل الصلب أنبا عيسى تلاميذه وهم في الطريق إلى البستان، أنه بعد قيامته من
الموت سيسبقهم إلى الجليل.^ب وبعد القيامة أخبر الملاك النساء بهذه الرسالة، ثم كررها
عيسى شخصيا بعد ذلك بلحظات.^ج فما أهمية الجليل هنا، وما معنى هذه الرسالة؟
هذه رسالة مهمة جدا بالنسبة للتلاميذ. أولا، يجب أن نلاحظ أنه حين يقول
إنه سيسبقهم إلى الجليل، فإن هذا لا يعني "أنا سأذهب اليوم إلى الجليل"، ولا "هم لن
يروني إلا في الجليل". بل كلامه هنا يعني إنه سيذهب إلى الجليل قبلهم. لماذا يسبقهم
إلى هناك؟ منطقة الجليل تبعد عن القدس بحوالي 160 كيلومترا. بالنسبة لهم، هذه
مسافة تحتاج إلى سفر عدة أيام. أما بالنسبة له فهو الآن في جسم مجدد، يمكنه أن
يدخل الغرفة والأبواب مقفلة^د وأن يسافر هذه المسافة في لحظة، في غمضة عين! لذلك
فهو سيسبقهم.

وثانيا، لا شك كان في فكر التلاميذ أمر مهم وخطير. الآن بعدما هجروا سيدهم

^أ مت 28: 7، 10؛ مر 16: 7

^ب مت 26: 32؛ مر 14: 28

^ج مت 28: 7، 10؛ مر 16: 7

^د يو 20: 19، 26

ومعلمهم، وبعدهما أنكر بطرس أنه يعرفه، هل من الممكن أن يرد اعتبارهم؟ هل يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها؟ لبيان هذا، عمل السيد المبارك ما يلي:

1. في عصر يوم القيامة، لما أظهر نفسه لهم في الغرفة التي كانوا مجتمعين فيها، طلب أن يأكل. أكان قصده من ذلك:

(أ) أن يبين لهم أنه ليس شبعا، بل حقيقة ثلمس وتُرى.

ب) أن يشجعهم ويبين لهم أنه سامحهم. ثم في الجليل قال لهم: "تعالوا افطروا." ب لم تكن هذه وجبة عادية، بل هم يتناولون الطعام معا كدليل أن المياه عادت إلى مجاريها، وأن علاقته معهم متينة على أساس أنه صفح عنهم وغفر لهم.

2. قابلهم السيد على شاطئ بحيرة الجليل (طبرية). ت لعلنا نتذكر أنه قبل ذلك بسنين قليلة، وعند بحيرة الجليل، نادى عيسى سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا ليتبعوه. ث في ذلك الوقت قال لهم إنه سيجعلهم يصيدون الناس. ج أما الآن، بعد قيامته من الموت، فقد عزموا أن يصيدوا السمك! ولكن للأسف، تعبوا طول الليل ولم يصيدوا شيئا. فشلوا. فجاء عيسى عند الفجر وأنقذهم من المأزق، وأعطاهم صيدا عظيما. (قارن التشابه غير العادي بين معجزتي صيد السمك الكثير في بدء خدمة المسيح وبعده قيامته). ح

3. ربما أراد أن يقابلهم في الجليل ليذكرهم بوعد الله لإبراهيم أن يكون بركة للأمم والشعوب. قال الله لإبراهيم: "بواسطتك أبارك كل شعوب الأرض." خ هذه البركة

أ لو 24: 40-43

ب يو 21: 12

ت يو 21: 1

ث مر 1: 17-20

ح لو 5: 10

خ لو 5: 1-11؛ يو 21: 1-6

ث تك 12: 3

تأتي عن طريق عيسى الذي بواسطة فدائه يبارك الله أمم وشعوب العالم بدءا من "منطقة جليل الأجانب."^أ ولهذا أراد أن يقابلهم هنا، في الجليل، ليعلم لهم سلطانه الأبدي في السماء والأرض، ويأمرهم بأن يتعلموا الناس من كل الشعوب.^ب

في الطريق إلى عمواس. وفي نفس اليوم، كان اثنان من التلاميذ في طريقهما إلى قرية اسمها عمواس، على بُعد حوالي عشرة كيلومترات من القدس. وكانا يتكلمان معا عن الأمور التي حدثت. وبيئتا هما في الحديث والمناقشة، جاء عيسى بنفسه وأخذ يمشي معهما. لكن كما لو أن غيوبتهما أغمضت، فلم يعرفاه. فقال لهما: "عن ماذا تتحدثان وأنتما ماشيان معا؟" فتوقفوا وكان الحزن ظاهرا على وجهيهما. وأجاب واحد منهما واسمه كلوباس: "لا بد أنك الشخص الوحيد في سكان القدس الذي لا يعرف ما حدث فيها في هذه الأيام!" فقال لهما: "ماذا حدث؟" قال له: "عيسى الناصري كان نبيا قديرا في الكلام والأعمال في نظر الله وكل الناس، لكن رؤساء أخبارنا وقادتنا أسلموه لكم الإعدام وصلبوه. ونحن كنا نرجو أنه هو الذي يُنقذ بني إسرائيل! زد على ذلك أن هذا هو اليوم الثالث لتلك الأحداث. ثم إن بعض النساء من جماعتنا حيرتنا، فقد ذهبن إلى القبر في الصباح الباكر، ولم يجدن جثمانه، فرجعن وقلن إنهن شاهدن ملائكة في رؤيا قالوا إنه حي. ثم ذهب بعض أصحابنا إلى القبر، فوجدوا الحال كما قالت النساء، أما هو فلم يروهُ."

فقال لهما: "يا للغباء! هل إلى هذه الدرجة بلادة القلب، فلا تؤمنان بكل ما قاله الأنبياء؟ كان يجب أن يعاني المسيح هذه الآلام ثم يدخل إلى جلاله!"^أ وابتدأ من توراة موسى وصحف كل الأنبياء، فشرح لهما ما ورد بشأنه في جميع الكتب. واقتربوا من القرية التي كانا يقصداها، فتظاهر عيسى بأنه ذاهب إلى مكان

أَبْعَدَ. لَكِنَّهُمَا قَالَا: "مِنْ فَضْلِكَ تَعَالَ عِنْدَنَا، فَالَوْفْتُ تَأَخَّرَ وَاقْتَرَبَ الْمَسَاءُ." فَدَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَهُمَا. وَلَمَّا جَلَسَ مَعَهُمَا إِلَى الْمَائِدَةِ، أَخَذَ الْخُبْزَ وَشَكَرَ اللَّهَ وَقَسَّمَ وَأَعْطَاهُمَا. فَانْفَتَحَتْ عُيُونُهُمَا وَعَرَفَاهُ. لَكِنَّهُ اخْتَفَى عَنْهُمَا. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: "لِهَذَا كَانَ فِي قَلْبِنَا شَوْقٌ وَحَرَارَةٌ لَمَّا كَانَ يُحَدِّثُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيَشْرَحُ لَنَا الْكُتُبَ!" وَقَامَا فِي الْحَالِ وَرَجَعَا إِلَى الْقُدْسِ. فَوَجَدَا الْأَحَدَ عَشَرَ وَبَاقِي أَصْحَابِهِمْ مُجْتَمِعِينَ مَعًا هُنَاكَ، وَيَقُولُونَ: "بِالْحَقِيقَةِ قَامَ السَّيِّدُ مِنَ الْمَوْتِ وَظَهَرَ لِسَمْعَانَ." فَأَخْبَرَا بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ أَنَّهُمَا عَرَفَا السَّيِّدَ لَمَّا قَسَّمَ الْخُبْزَ!

كان من الصعب أن يتخيل هذان التلميذان أن المسيح الذي مات ودفن، يأتي حيا ليسير معهما. ظنا أنه مسافر عادي مثلهما. ولكن لما وصل المسافرون الثلاثة إلى الدار وجلسوا معا للعشاء، أخذ عيسى الخبز وشكر الله وقسم وأعطاهما. وهنا انفتحت عيون التلميذين وعرفا أنه عيسى. كيف عرفاه؟ لا شك أنهما لاحظا أثر المسامير في يديه، وأيضا تأكد ذلك لهما من نوعية صلاته التي رفعها ليبارك الطعام، ومن طريقته في الحديث وتفسير كلمة الله. لكنه اختفى عنهما. فقاما في الحال ورجعا إلى القدس ليخبرا بقية تلاميذه.

مقارنة بين ما حدث لما كان عيسى ولدا وبقي في بيت الله وما حدث في الطريق

إلى عمواس

| | | |
|--------------------------|------------------------------------|------------------------|
| لو 2: 41-52 | لو 24: 13-35 | |
| بعد انتهاء الفصح | بعد انتهاء الفصح | متى؟ |
| في الناصرة | في عمواس | كانوا راجعين إلى الدار |
| بقي في بيت الله في القدس | جاءهم في الطريق من القدس إلى عمواس | عيسى |

| | | |
|----------------|--|--|
| في الطريق | أدرك الأبوان أن عيسى غير موجود في جماعة المسافرين | قال المسافران إن عيسى غير موجود (مات ودفن) |
| رجعا إلى القدس | ليبحثا عنه | ليخبرا بأنه حي |
| 3 أيام | كان بين علماء الدين يستمع إليهم ويسألهم | كان في القبر |
| وجده | في بيت الله | في الطريق |
| قال عيسى | أَلَا تَعْلَمَانِ أَنِّي يَجِبُ أَنْ أَكُونَ فِي بَيْتِ أَبِي؟ | هَلْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ بَلَادَةُ الْقَلْبِ؟ |
| وكان رد الفعل | لم يفهما ما قاله لهما | انفتحت عيونهما وعرفاه لما أعطاهما الخبز |

يوم الأحد مساء

وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَوْمَ الْأَحَدِ، كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ وَالْأَبْوَابُ مُقْفَلَةً لِخَوْفِهِمْ مِنْ قَادَةِ الْيَهُودِ. وَجَاءَ عَيْسَى وَوَقَفَ بَيْنَهُمْ وَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ". وَبَعْدَمَا قَالَ هَذَا، أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ. فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ لَمَّا رَأَوْا السَّيِّدَ. وَقَالَ لَهُمْ عَيْسَى ثَانِيَةً: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. كَمَا أُرْسَلَنِي الْآبُ، أُرْسَلُكُمْ أَنَا أَيْضًا." وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ فِيهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: "اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُوسَ. إِنْ غَفَرْتُمْ لِأَحَدٍ ذُنُوبَهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لَهَا لَا تُغْفَرُ."

في مساء يوم الأحد اجتمع التلاميذ معا. كانت أبواب الغرفة الكبيرة التي اجتمعوا فيها مقفلة لأنهم كانوا خائفين من قادة اليهود لئلا يأتوا ويقبضوا عليهم ويقتلوه. كما عملوا بعيسى. لا شك كان ذلك اليوم قد بدأ كئيبا حزينا لهم. صاحبهم وسيدهم ومعلمهم ميت ومدفون في قبر. ظنوا أنه هو الذي سينقذ بلادهم من المستعمر، وكانوا يتوقعون أن تكون لهم مكانة عالية في مملكته، ولكن راح أملمهم وضاع بموته. آخر

صورة في ذهنهم عنه كانت حين ألقى الحرس القبض عليه في البستان وأخذوه تحت حراسة مشددة. آخر صورة عنه في ذهن بطرس كانت حين أنكر ذلك التلميذ أي علاقة به ونظر إليه المسيح. آخر صورة عنه في ذهن يوحنا كانت بينما عيسى يحتضر وهو في ألم فظيع على الصليب. كلها صور حزينة أليمة. والآن صاحبهم في القبر. الآن تبين أنه لا هو ولا هم يمكنهم مقاومة السلطات الدينية والسياسية. لا يمكنهم أن يقفوا ضد قيافا ولا بيلاطس ولا هيرودس. ولا واحد منهم كفء أو نظير لهؤلاء الجالسين على عرش البلاد!

وماذا عن الله؟ إنه لم يتدخل لينقذ عيسى! ما معنى هذا؟ هل الله غير راضٍ عن عيسى وعن تصرفاته وتعاليمه؟ هذا بحق يوم مخيف، وظروف مخيفة، وأحوال صعبة. ماذا يعملون؟ كيف يتصرفون؟ متى ينتهي هذا الحلم المزعج؟ هذا الكابوس المرعب؟ ثم أخذت الأخبار تتوافد من الذين زاروا القبر ولم يجدوا الميت فيه. بطرس ويوحنا ومريم وغيرهم. فماذا يعني هذا أيضا؟ هل يا ترى صدقوا مريم حين قالت لهم إنها رآته حيا؟ أو الذين قالوا إن الملائكة أكدت لهم أنه حي؟

فإن كان لا زال ميتا، فهم أيضا في عداد الأموات، لأن انتقام اليهود لا شك سيأتي عليهم. وإن كان فعلا قام، فهل يا ترى سيعزلهم من منصبهم، ويبعدهم عنه لكي لا يكونوا أتباعه؟ إنهم لم يساندوه ولم يقفوا معه في أشد لحظات العمر صعوبة! تركوه في وقت الضيق والحاجة. هربوا لما قبض الأعداء عليه. أنكروه لما كان وحيدا ضعيفا. أليس من حقه أن يُعَيِّنَ غيرهم من أصحاب الشخصيات القوية، والقلوب الشجاعة؟ أليس من حقه أن يأتي بمن يستحقون أن يكونوا أصحاب المسيح الحي المقام من الموت؟ كانوا خائفين، وكانوا في شك. وفجأة جاء عيسى إلى الغرفة المغلقة، ووقف بينهم وقال: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ".^أ قالها مرتين! كانوا في أشد الحاجة إلى هذه التحية، إلى هذا

السلام. السَّلامُ عَلَيْكُمْ. يقولها ملايين الناس كل يوم، لكن عيسى هو وحده مصدر ومُعطي السلام الحقيقي؛ سلام الفكر، سلام القلب، سلام الضمير، سلام النفس في الأعماق، "سَلامُ اللَّهِ الَّذِي يَقُوقُ كُلَّ فَهْمِ الْبَشَرِ".^أ

هنا عرفوا أنه حي وأن القبر لم يمكن أن يأسره أو محتويه. هنا أدركوا أنه لا قيافا ولا بيلاطس ولا هيرودس أمكنهم أن يقهروه. هنا تأكدوا أنه لا سلطة دينية ولا سياسية ولا أرضية ولا شيطانية يمكنها أن تقف ضد ابن الله!

سَلَّمَ عليهم فأدركوا أنه صفح عنهم وغفر لهم! لم يوبخهم أو يعاتبهم أو يؤنبهم. كما أدركوا أيضا أنه رد لهم علاقتهم معه ومكانتهم عنده. وفي هذه اللحظات القليلة حدث تغيير شامل في هؤلاء الأتباع. راح الخوف والشك والاضطراب واليأس، وحل السلام والأمل والفرح. رأوا المسيح الحي! المسيح الذي قام من الموت! واختبروا في عمق قلوبهم بل في كل كيانه انتصار ابن الله على الشيطان، وفوز القدير على إبليس والخطيئة والموت.

وَبَعْدَمَا قَالَ هَذَا، أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ. فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ لَمَّا رَأَوْا السَّيِّدَ. أَرَاهُمْ
المستندات التي تبين أنه هو بحق فاديهم القدير. أَرَاهُمْ يديه وجنبه، يدين مثقوبتين وجنبا مطعون! هذه هي الوثائق التي تبين حقيقته. هذه هي مستندات التعريف به: آثار الصليب في جسمه. عرفوه بها، وتأكدوا أنه هو. ثقبوا المسامير ومكان طعنة الحربة هي أوراق إثبات هويته وتحقيق شخصيته. وكأنه يقول: "أنا الذي صُلِبْتُ وَمُتُّ من أجلكم. أنا الآن حي!" وهنا يتحول خوفهم إلى أمان، وحزنهم إلى فرح.

فرحوا لأنه حي، والآن تبرهن بقوة عظيمة أنه ابن الله بحق.^ب هو حي، فهو ملك الملوك ورب الأرباب. هو حي، فقد تم فداؤهم من الذنب والموت. هو حي، وهذا يعني

^أ في 4:7

^ب يو 20:20

^ت رو 1:4

أن الشيطان هُزِمَ حقاً، وزال عنهم شبح الهلاك وجاءت النجاة. هو حي، فهم يحيون بقوة قيامته. هو حي وقيامته هي ختم الله بالموافقة على موته! بل قيامته هي إمضاء الله أن العملية كلها مقصودة ومرتبة من الأزل في فكر القدير.

كانت الجروح وآثارها هي العلامة التي تميزه عن غيره. وكذلك بالنسبة إلى أمة المسيح، فإن الجروح والألم والعذاب والاضطهاد في سبيل ربنا، كل هذه تميز أمة الله عن غيرها.^أ ثم جروحه أيضاً هي المستندات التي تبين أن مهمته تمت على أكمل وجه. لقد نجح القصد من محيئه من السماء. نعم، كُلَّتْ إرساليته بالنجاح، ولذلك، الآن يرسلهم ليقوموا بإرساليتهم ومهمتهم. قال لهم: "كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ، أَرْسَلُكُمْ أَنَا أَيْضًا."^ب أي: "أنا أتممت مهمتي، والآن يأتي دوركم للقيام بمهمتكم. لذلك أرسلكم كما أرسلني أبي. فكما أرسلني الأب لأنادي بالإنجيل، أنا أرسلكم لتنادوا بهذه البشرى المفرحة في كل مكان. وكما أرسلني الأب لأشفي المرضى وأعزي الحزاني، أنا أيضاً أرسلكم لتعملوا نفس الشيء. وكما ملأني الأب بالروح القدس لأقوم بمهمتي، أنا أيضاً أملاًكم بالروح القدس لتقوموا بمهمتكم."^ت

يا له من شرف كبير لي أن أكون مبعوث ملك الملوك ورب الأرباب. يا لها من كرامة عظيمة أن أكون سفيره لدى الناس والقبائل والشعوب، لأبين لهم الصراط المستقيم وأعرفهم بفاديٍّ وأقودهم إليه. لقد ناداني منذ سنين كثيرة، وسمعت صوته ووضعت يدي في يده، ولم أندم لحظة، بل طول هذه السنين وأنا أحس بقربه وأني محمول على كتفه، وأني في مركز إرادته. طول هذه السنين وأنا عالم أني، بنعمته وقوته، أحقق مشيئة الله فيّ. فهل طيعه أنت أيضاً يا من تقرأ هذه الكلمات؟ إنه ما زال يدعو أتباعه ليذهبوا وينادوا بالبشرى للمساكين. هل تسمع نداءه يقول لك: "مَنْ أُرْسِلُ؟"

^أ 2كور 4: 10

^ب يو 20: 21

^ت مت 10: 1؛ أع 1: 8

مَنْ يَكُونُ رَسُولًا لَنَا؟" هل ترد عليه كما رد إشعيا وقال: "لَبَّيْكَ! أَرْسَلْنِي".؟ إنه يريد أن يرسلك إلى التعبانيين والتائبين والضائعين والمرتبكين والحيرانين. إلى الفقراء والمحرومين والمشردين والمنسيين وإلى كل الآخرين مهما كانوا.

زرت الكثير من الأماكن التاريخية وقصور الملوك والعظماء في عشرات الدول، ورأيت المباني الشاهقة والغرف الواسعة والحيطان المكسوة بالسجاد وأحيانا بالخشب المطعم بالمعادن الثمينة. زرت غرفة ماري أنطوانيت التي كانت ملكة فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر ورأيت سريرها المغشى بالذهب، والكراسي المغشاة بالذهب أيضا، وأفخر السجاد يغلف حيطان الغرفة. ولكني لا أجد أبهى وأشرف وأعظم من غرفة صغيرة يجتمع فيها بعض المؤمنين بعمى وراء أبواب مغلقة ليعبدوا المسيح في بلد لا تعطيه حرية العبادة. هنا العظمة الحقيقية. هنا غنى الروح الحقيقي الذي يدوم إلى الأبد. واليوم يناديك السيد أنت أيضا ليرسلك إلى أهل جيلك كما أرسل التلاميذ في ذلك الوقت إلى جيلهم. إنه يقول لك: "كما أرسلني الأب، أرسلك أنت أيضا".

صعد إلى السماء

وَخَرَجَ بِهِمْ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ عَنِّيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. وَبَيْنَمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، تَرَكَهُمْ وَرُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ.^ب

... رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَنْظَارِهِمْ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَبْتَعدُ عَنْهُمْ، فَجَاءَ ظَهَرُ لَهِمْ رَجُلَانِ فِي ثِيَابٍ بَيضاء. وَقَالَا لَهُمْ: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، لِمَاذَا أَنْتُمْ وَاقِفُونَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ عَيْسَى هَذَا الَّذِي أَخَذَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ، هُوَ نَفْسُهُ سَيَرْجِعُ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ كَمَا رَأَيْتُمُوهُ ذَاهِبًا إِلَى هُنَاكَ." ت

أ إش 6: 8

ب لو 24: 50-51

ت أع 1: 9-11

... وَبَعْدَمَا تَكَلَّمَ سَيِّدُنَا عِيسَى مَعَهُمْ، رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ.^أ

بعدما قام من الموت، ظل عيسى يظهر لتلاميذه 40 يوما. كان يتقابل معهم ويشجعهم. وأخيرا حان الوقت ليذهب عنهم ويرجع إلى عرشه في السماء، فأخذهم إلى جبل وهناك أعطاهم آخر تعليماته. أمرهم بأن ينتظروا في القدس حتى يمتلئوا بالروح القدس^ب وأن ينشروا الدعوة في كل مكان.^ت بعد ذلك صعد إلى السماء.

تخيل معي التلاميذ واقفين على الجبل مع عيسى، ثم يبدأ في الارتفاع عن الأرض نحو السماء حتى يختفي عن أنظارهم. تخيل الحزن الذي ملأ قلوبهم. الآن عرفوا أنه ذهب عنهم. رجع إلى السماء التي جاء منها. صعد قدام عيونهم وهم ينظرون ويراقبون. وأنت، ربما وقفت منذ فترة قريبة تنظر إلى قريب عزيز أو صديق حميم يفارق هذه الحياة، كنت تعتبره السند الوفي والعماد القوي. كنت تتكل عليه ليقدم لك المشورة الحسنى والمعونة والقوة. كنت تتمتع بدفء حبه وحلاوة قربيه. لكنه ذهب. ترك فجوة في حياتك وفي قلبك. لا شك هذا اختبار مؤلم حزين. لا شك أنه وقت عصيب لك. كان هذا هو وضع التلاميذ الحواريين. كان المسيح بالنسبة لهم هو القائد والمرشد والمعلم والسند. وهو الآن تركهم ورجع إلى السماء.

والآن يتحقق ما قاله عيسى لهم: "أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ خِرَافٍ وَسَطِ ذَنَابٍ... إْحْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَكُمْ إِلَى الْمَحَاكِمِ، وَيَجْلِدُونَكُمْ فِي بُيُوتِ الْعِبَادَةِ، وَيُخَضِّرُونَكُمْ أَمَامَ حُكَّامٍ وَمُلُوكٍ بِسَبِيٍّ لِتَشْهَدُوا لَهُمْ وَلِلْأَجَانِبِ... وَيَكْرَهُكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ بِسَبَبِ اسْمِي، لَكِنَّ الَّذِي يُنْبِئُ إِلَى النَّهَايَةِ، يَنْجُو. وَمَتَى اضْطَهَدُوكُمْ فِي مَدِينَةٍ، أَهْرُبُوا إِلَى غَيْرِهَا... فِي الْحَقِيقَةِ يَجِيءُ وَقْتُ، يَظُنُّ فِيهِ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً

^أ مر 16: 19

^ب لو 24: 49؛ أع 1: 4

^ت مت 28: 19؛ مر 16: 15؛ لو 24: 47؛ يو 20: 21؛ أع 1: 8

لله. "أ نعم، لقد حذرهم من الأوقات الصعبة التي سيواجهونها، ومع ذلك قال لهم: "أَقُول لَكُمْ الْحَقَّ، إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ." ^ب

فالآن عليهم أن يواجهوا العالم وحدهم. وحدهم في المعركة. قائدهم وسيدهم ومعلمهم وفاديتهم ذهب عنهم. هذا يعني فقط أنه لا يُرى معهم بالعين البشرية. فنحن لا ننسى أنه قال لهم ولنا: "تَأْكُدُوا أَنِّي مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ وَإِلَى انْتِهَاءِ الزَّمَانِ." ^ت هو معنا بروحه، بقوته، بسلطانه. هذا هو عمانوئيل؛ الله معنا. ^ث

لا شك كان يوم القيامة هو أعظم وأمجد يوم في حياة التلاميذ. ولكن بالنسبة لعيسى نفسه، لا شك أن يوم الصعود كان أعظم وأمجد يوم. إنه جاء ليفدينا، وقام بعمله على أحسن وجه، والآن حان الوقت ليرجع إلى عرشه إنه راجع إلى الأب.

صعد المسيح إلى السماء

(1) لأن هذا هو بيته. السماء هي مكانه. جاء من عند الله، ورجع إليه. ^ج

(2) لكي يرسل لنا الروح القدس. ^ح

(3) ليكون شفيعنا عند الله. ^خ

(4) ليُعد لنا مكانا في السماء. ^د

^أ مت 10: 16-23؛ يو 16: 2

^ب يو 16: 7

^ت مت 28: 20

^ث مت 1: 23

^ج يو 3: 2؛ 8: 14، 42؛ 16: 28؛ 30: 8؛ 17: 8

^ح يو 16: 7؛ أع 2: 32-33

^خ عب 1: 2؛ 1 تم 5: 2

^د يو 14: 2-3

ثالثا

الصليب ونحن

دين بلا صليب

لماذا يرفض بعض الناس حقيقة أن عيسى مات على الصليب ودفن، ثم في اليوم الثالث قام حيا من الموت؟ لماذا يصعب عليهم أن يصدقوا أن هذا حدث فعلا؟ نحن نقابل كثيرين يرفضون فكرة الصليب. حتى بطرس بعدما شهد شهادة مجيدة بأن عيسى هو ابن الله، وجد أنه من الصعب أن يقبل حقيقة الصليب. يقول كتاب الله الكريم:

وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، بَدَأَ عِيسَى يُوَضِّحُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْقُدُسِ، وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا عَلَى أَيْدِي الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْأَحْبَارِ وَالْفُقَهَاءِ، وَيُقْتَلَ ثُمَّ يَقُومَ حَيًّا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ عَلَى جَانِبٍ، وَبَدَأَ يُعَاتِبُهُ وَيَقُولُ: "لَا سَمَحَ اللَّهُ يَا سَيِّدُ! هَذَا لَنْ يَجْرِيَ لَكَ!" فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: "أُبْعُدْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ عَقَبَهُ فِي طَرِيقِي، لِأَنَّكَ تُفَكِّرُ كَالْبَشَرِ وَلَيْسَ كَمَا يُفَكِّرُ اللَّهُ." أ

كان بطرس، ذلك العملاق، يرغب في دين بلا صليب. كان يتوقع مسيحا بلا آلام! وهذه هي رغبة الناس، هذا هو توقع العالم! فيقول اليهودي: أعطني مسيحا يحارب ويقاوم ويهزم العدو. ويقول اليوناني: أعطني مسيحا هو فيلسوف يقدم لنا الحكمة والفلسفة والأفكار العميقة. ويقول المسلم: أعطني مسيحا بلا صليب. ويقول المسيح نفسه: جئت لأتألم وأموت من أجل الناس، من أجل كل الناس، من

أجل اليهودي واليوناني والمسلم وغيرهم! ولهذا يقول الإنجيل الشريف إن حقيقة موت المسيح على الصليب هي مشكلة كبيرة لليهود، وغباء لغيرهم. فلا أحد يحب فكرة الصليب، لا اليهود ولا غير اليهود. والسؤال هنا هو: لماذا؟ لماذا يُعتبر الصليب مشكلةً لليهود وغباءً لغيرهم؟

أولاً: الصليب هو مشكلة كبيرة لليهود

يقول الإنجيل: "نَحْنُ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي صَحَّى بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. وَهَذَا مُشْكِلَةٌ كَبِيرَةٌ لِلْيَهُودِ".¹

لماذا؟

1) لأن الصليب حطم فكرة اليهود عن المسيح. كان اليهود يتوقعون أنه حين يأتي المسيح يكون هو الملك العظيم والقائد الكبير الذي سينصرهم، وينقذهم من استعمار الرومان ويرمي المستعمر إلى البحر. فالمسيح هو الأمل الذي يرجونه، والنور الذي يتطلعون إليه، والأغنية التي ستعزف موسيقاها لهم. نعم، ظنوا أن هذا النبي والملك المنتظر سيكون قائدا عسكريا عظيما وبطلا محاربا قويا. تتجمع حوله الجيوش، فيقودهم إلى الحرب، ويحطم الأعداء، ويسفك دماءهم، ويخرب بيوتهم، ويجعل من مدينة القدس عاصمة كبيرة مزدهرة، ويصبح شعبه خير أمة في الناس، وأعظم شعب في الأرض. فينتصرون ويقهرون ويتسلطون على كل العالم. كانت هذه فكرة اليهود عن المسيح.

لذلك لما جاء المسيح عيسى ورأوا معجزاته واستمعوا إلى تعاليمه، أعجبوا به وظنوا أنه سوف يحقق لهم أمنيتهم، وينفذ فكرتهم، ويعمل ما يتوقعونه منه. فتجمع الناس إليه، وتجمهروا حوله.

لكنه قال لهم إنه جاء ليفدي وينقذ وذلك عن طريق الصلب والموت! أي أنه جاء ليفدي لا ليَقهر، ولميموت لا ليَقْتل، وليبعث السلام في النفس والفؤاد، لا ليستعمل السيف! إذن، بدل النصر تحدث عن الصليب. وبدل الملك راكب الفرس وشاهر السيف، جاء عيسى الوديع يسافر على قدميه. وبدل القائد الذي يدوس روما تحت قدميه، جاء واحد يقول لهم إنه سيموت على صليب حيث تُثقب يداه ورجلاه وتُمزَّق وتُسمر كمجرم كاسر للقانون! هنا المشكلة بالنسبة لليهود! ولذلك فقدوا صبرهم. ذات مرة حاول البعض أن يأخذوه ويتوجوه ملكا. لكنه رفض رفضا باتا، ولم يدعن لفكرتهم، ولم يخضع لرأيهم. بل على العكس من ذلك مات على الصليب في ضعف وذل ومهانة وعار. لذلك شعروا بقنوط شديد. منقذهم يموت! قائدهم يُقهر! عيسى يُضرب ويُذل ويقتل على الصليب ويوضع في قبر! نعم، الصليب بالنسبة لهم هو عار. الصليب عثرة. لم يفهموه. لم يعرفوا معناه. لم يفهموا قوته. الصليب هو مشكلة كبيرة لليهود.

(2) لأن الصليب أزال الفارق بين اليهود وبين غيرهم. كان اليهود يفتخرون بأن الله ميزهم عن غيرهم وفضلهم عليهم، بأن اختارهم ليكونوا شعبا خاصا له. لكن الآن، ينادي أتباع المسيح أنه عن طريق الصلب والفداء، يقبل الله غير اليهود في حظيرته وضمن رعيته. فهو لا يميز بين الناس على أساس جنس أو عرق أو مركز أو عائلة أرضية، بل على أساس الإيمان بالمسيح. وكما يقول الوحي محدثا غير اليهود: "أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ بَعِيدِينَ أَصْبَحْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِهِ الَّذِي ضَحَّى بِهِ. فَالْمَسِيحُ هُوَ سَلَامُنَا، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ شَعْبًا وَاحِدًا. وَجَسَمِهِ أَرَأَلْ حَائِطَ الْعَدَاوَةِ الَّذِي كَانَ يَفْصِلُهُمَا عَنْ بَعْضِهِمَا." ^أ فإن كان بواسطة الصليب لا يوجد امتياز ليهودي على غير اليهودي، فكيف يقع هذا النبأ على اليهودي المتعصب الذي يعتقد أن الله ميزه عن غيره؟ كيف يقبل بنو

إسرائيل هذه العقيدة؟ الصليب هو مشكلة كبيرة لليهود ولذلك لا يقبلونه.

(3) لأن الصليب ألغى نظام العبادة اليهودي. ألغى تقديم الضحايا. ألغى تقديم القرابين. وألغى كذلك الحاجة إلى بناء تتم فيه فرائض العبادة. أصبح هذا غير ضروري. في أزمنة العهد القديم كانت الضحايا تُقدَّم لأغراض عدة. فمثلا كانت تُذكر الإنسان بخطورة الخطيئة وحقيقتها. ثم كانت أيضا وسيلة ختم الله بها عهده مع شعبه. ومن خلالها كانوا يعرفون أن الله قبلهم وغفر لهم. لكن كانت الضحايا في نفس الوقت محدودة في مداها، فلم تكن لها القوة على إزالة الخطيئة فعلا؛ فكانت ظلا للحقيقة التي ستتم على الصليب. كانت صورة نبوية تشير إلى شيء آخر؛ إلى الضحية الحقيقية التي ستقدَّم فيما بعد والتي يبقى مفعولها إلى الأبد. وتحققا لهذه النبوة جاء عيسى المسيح لكي يكون هو تلك الضحية، ليكون هو الحمل الذي أرسله الله والذي بذل نفسه من أجل الإنسان.

ثم إنني حين أوّمن بالصليب، يقيم الله تعالى فيّ، في قلبي، وأصير بيتا لله بالروح القدس. إذن أنا لا أحتاج إلى أن أذهب إلى بيت عبادة خاص مقام من طوب وأسمنت وحجارة وخشب، لأجد الله وأتعبد له. الله موجود في كل مكان، وكما قال المسيح: "حَيْثُ اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، فَأَنَا هُنَاكَ فِي وَسْطِهِمْ".^أ وأنا حين أقول إننا لا نحتاج إلى بناء خاص لنعبد الله، هذا لا يعني أن لا نجتمع مع الإخوة المؤمنين لعبادة المسيح بل يعني إن لم يتوفر البناء الخاص، فنحن يمكننا أن نعبد في أي مكان. وقد أشرنا من قبل أن المسيح في بداية خدمته وبشارته، زار مدينة القدس فوجد الناس قد حوّلوا دار الأمم في بيت الله إلى سوق! وهنا نضيف أن عيسى لم يقبل هذا الوضع فصنع سوطا من الحبال، وطردهم من بيت الله مع غنمهم وبقرهم، وبعثر

^أ عب 4:10

^ب مت 20:18

نقود الصيارفة وقلب مناضدهم. ولهذا تحدها قادة اليهود لأنه قام بهذا العمل الذي يدل على سلطة ونفوذ وقوة غير عادية. فقالوا له: "إِعْمَلْ لَنَا آيَةً تُثَبِّتُ بِهَا أَنَّ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَعْمَلَ كُلَّ هَذَا." أَجَابَهُمْ عَيْسَى: "إِهْدِمُوا هَذَا الْبَيْتَ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ."^أ كان عيسى يقصد بالبيت جسمه، لا البيت الذي من حجارة. كان بيت الله بالنسبة لليهود هو المكان الذي يحل فيه الله تعالى. هو المكان الذي تلتقي فيه السماء مع الأرض. هو المكان الذي فيه يتقابل الله القدير مع الإنسان المسكين الحقير. هو مكان تقديم القرابين، هو مكان العبادة، هو مكان الاحتفال بالأعياد، لأنه مكان الاحتفال بحضرة الله. وسيدنا عيسى هنا يقول لهم إنه حل محل هذا البيت! لا تهدموا بيت الحجارة، بل اهدموا هذا البيت الذي من لحم ودم، وأنا في ثلاثة أيام أقيّمه!

وبسبب إقامة لعازر من الموت عقد رؤساء الأحرار والفريسيون اجتماعا وتأمروا ضد عيسى وقالوا: "هَذَا الرَّجُلُ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً، فَمَاذَا نَعْمَلُ؟ إِنْ تَرَكْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يُؤْمِنُ بِهِ الْجَمِيعُ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيُدَمِّرُونَ بَيْتَ اللَّهِ وَيَأْخُذُونَ أُمَّتَنَا."^ب كانوا يخافون على مكان عبادتهم ويريدون أن يحموه بأي ثمن وعلى حساب أي شخص!

ثم يجب أن نذكر هنا موضوع انشقاق ستارة البيت لما مات المسيح على الصليب. وهنا إشارة أخرى إلى انتهاء خدمة البيت والذين يعملون فيه من أحرار ولاويين. الآن تم الفداء، وأصبحت الرموز التي كانت تشير إليه بلا فائدة. كما يقول الوحي الكريم أيضا إنه بسبب ما حدث: "نَقْدِرُ أَنْ نَدْخُلَ بِثِقَةٍ إِلَى الْمَقْدِسِ الْحَقِيقِيِّ السَّمَاوِيِّ بِدَمِ الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ بِوَسْطَةِ هَذَا الطَّرِيقِ الْجَدِيدِ الْحَيِّ الَّذِي فَتَحَهُ لَنَا خِلَالِ السَّتَارَةِ، أَيْ جَسْمِهِ الْبَشَرِيِّ."^ت أي أن الحاجز الذي كان يقف بيننا وبين المثل في حضرة الله، قد زال. وصار الطريق مفتوحا أمامنا لنتقدم إلى عرش الله القدير. نعم، الطريق مفتوح

^أ يو 2: 18-19

^ب يو 11: 47-48

^ت عب 10: 19-20

لنا كلنا. بلا تمييز ولا تفرقة بين الواحد والآخر، نقدر أن نتخذ من سيدنا عيسى ملجأ وعونا. ولهذا يشجعنا كتاب الله أن: "نَتَقَرَّبَ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ اللَّهِ حَيْثُ النِّعْمَةُ، لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً تُعِينُنَا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ".^أ

انتهت خدمة البيت المبني من حجارة، وأصبح المسيح لنا هو مركز عبادتنا لله. هو الذي نتجه إليه في دعائنا وصلاتنا. ولعل انشقاق تلك الستارة كان من أهم الأسباب التي مهدت قلوب الأبحار فيما بعد ليقبلوا الإيمان بالمسيح، حيث يقول الوحي: "وَقَبِلَ الْإِيمَانُ عَدْدُ كَبِيرٍ جَدًّا مِنَ الْأَحْبَارِ".^ب رأوا ما جرى للبيت المقدس وصُعِقُوا، ثم أدركوا أن الشخص الذي مات لم يكن مذنباً بل هو الذي حمل ذنوبنا. لم يكن عاصياً بل هو الذي رفع معاصينا. لم يكن مجرماً ولا كاسراً للشرعية، بل هو الحمل الذي أرسله الله ليرفع خطيئة الناس. إذن الصليب هو مشكلة كبيرة لليهود لأنه ألغى نظام العبادة اليهودي.

4) لأن الصليب ألغى أهمية مدينة القدس. كانت القدس هي العاصمة الروحية. كان يأتي إليها الحجاج من كل مكان ليتعبدوا ويُعيدوا فيها. وقال الله عنها: "هَذِهِ هِيَ الْقُدْسُ الَّتِي أَقَمْتُهَا وَسَطَ الشُّعُوبِ وَمِنْ حَوْلِهَا الْأُمَمُ".^ت وقال إشعيا أيضاً بوحى الله: "فَالظَّلَامُ يُعْطَى الْأَرْضَ، الظَّلَامُ الدَّامِسُ يُعْطَى الشُّعُوبَ. أَمَّا أَنْتَ فَيُشْرِقُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَيَظْهَرُ جَلَالُهُ فَوْقَكَ. فَتَأْتِي الْأُمَمُ إِلَى نُورِكَ وَالْمُلُوكُ إِلَى بَهَائِكَ الْمُشْرِقِ".^ث

بموت عيسى على الصليب، تغيرت الأوضاع، وصار مركز وحدة شعب الله، ليس مدينةً هي القدس، بل شخصٌ هو المسيح. أصبح عيسى هو نقطة التجمع: "فِي ذَلِكَ

^أ عب 18:4

^ب أع 7:6

^ت حز 5:5

^ث إش 2:60

الْوَقْتِ يَكُونُ سَلِيلٌ يَسَى رَايَةً تَلْتَفُّ الشُّعُوبُ حَوْلَهَا، وَيَكُونُ مَسْكَنُهُ عَظِيمًا.^أ
ومن الوقت الذي فيه رُفِعَ على الصليب، أصبح يجذب الناس إليه^ب لهذا أيضا شرح
المسيح للمرأة السامرية عند بئر يعقوب أن الوقت سيأتي عندما تُلغى القدس عن أن
تكون مركز العبادة الصحيحة (وكذلك جبل جرزيم في السامرة)، لأن عيسى نفسه
يصير مركز عبادة الله بالروح والحق. "يَحْيَى وَفَتَّ فِيهِ تَعْبُدُونَ الْأَبَ لَكِنْ لَا فِي هَذَا
الْجَلِيلِ وَلَا فِي الْقُدْسِ... وَيَحْيَى وَفَتَّ، بَلْ حَانَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ الْعَابِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ
يَعْبُدُونَ الْأَبَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ. فَلَا أَبُ يُرِيدُ هَذَا التَّوَعُّ مِنَ الْعَابِدِينَ. اللَّهُ رُوحٌ، فَيَجِبُ
عَلَى مَنْ يَعْبُدُهُ أَنْ يَعْبُدَهُ بِالرُّوحِ وَبِالْحَقِّ."^ت

فالقدس اليوم لم تعد هي مركز وحدة شعب الله الحقيقي، أمة المسيح. تمت
الرسالة الرمزية لتلك المدينة بموت عيسى على الصليب خارج أسوارها. المسيح اليوم
هو الرأس، مركز وحدة الجسم، وأمة المسيح هي الجسم. فالأمم والشعوب التي كانت
تُدعى قبلا لتأتي إلى القدس لتعبد المولى، الآن يدعوها الله لتقبل إلى المسيح. هذا إذن
سبب آخر يجعل الصليب مشكلة لليهود. ولا عجب أنهم حتى اليوم ما زالوا يرفضون
المسيح. كما قال أحد فلاسفتهم عندما سئل: "لماذا تكرهون عيسى؟" أجاب: "لأنه
حطم إسرائيل، إن الأمم قد قبلوه وصار هو لهم مركز عبادة، لقد حلَّ محلَّ إسرائيل!"

ثانيا: الصليب هو غباء للآخرين

ويقول الإنجيل: "نَحْنُ نُبَشِّرُ بِالْمَسِيحِ الَّذِي ضَحَّى بِنَفْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ. وَهَذَا...

عَبَاءٌ لِلْآخَرِينَ.^ث لماذا؟

^أ إش 11: 10

^ب يو 12: 32

^ت يو 4: 21؛ 23-24

^ث 1 كور 1: 23

1) يقولون غير معقول

أساس الاعتراض هنا هو أنه من غير المعقول أن يموت واحد لفداء الآخرين. يقول البعض إن موت المسيح على الصليب غير معقول، لأنه كيف يمكن أن يموت واحد عن ذنوب كل البشر؟ ألا يقول الناس إن كل واحد مسئول عن ذنبه؟ ألا يقولون إن كل إنسان يحمل وزر نفسه؟ فإن كان واحد يموت بسبب ذنوب غيره يكون هذا كسرا للقوانين والشرائع ومهزلة للعدالة والمنطق.

صحيح كل واحد مسئول عن ذنبه. ولو كان المسيح مجرد نبي صالح أو إنسان بريء عادي أجبر على أن يموت بدلا عن الآخرين لأنهم أذنبوا، لكان هذا أكبر ظلم في التاريخ. لكن الحقيقة هي أنه هو الله جاء كبشر لفداء الإنسان. فهو أولا، ليس إنسانا عاديا وإلا لكان فداؤه لا يصلح لكل البشر. لو كان إنسانا عاديا ربما كان يصلح موته لفداء إنسان واحد. لكن هذا الفادي ليس كباقي البشر. وثانيا، هو لم يُجبر على هذا، بل ضحى بنفسه. هو أراد ذلك. هو دبر ذلك بنفسه.

قلت إنه هو الله جاء كبشر. وهنا أريد أن أتحدث قليلا في هذا الموضوع مع أنه يبدو بعيدا عن حديث الصليب، ولكني أعتقد أنه متعلق به عن قرب. لماذا يرفض البعض أن يفهموا أن الله جاء كبشر؟ والجواب ببساطة هو لأن الله تعالى، بالنسبة لهم، إله غضوب جبار ومنتقم قهار. هو بعيد عني جدا لا يكثرث بحالي ولا بما أنا فيه، ومع ذلك فهو قريب جدا لا أفهمه ولا يتعامل معي!

إذن كيف يمكن لكائن بهذا الوصف أن يهمله أمري؟ أو أن يهتم بي لدرجة أن يرغب في أن يسير على أرضي، ويختبر حالي، ويفهم ظروفني، ليغير مصيري ومآلي؟ لا شك أن هذا الكائن المخيف البعيد غير المكترث لا يتنازل لفدائي! أما إن كان محبا حونا شفوفا فلا شك أن يتواضع ويأتي لينقذني. لذلك نرى على الصليب تضحية لا يقدر عليها غير الله المحب الحنون. نرى حبا ليس للبشر مقدرة عليه، إنما لله

وحده. الله وحده يجب بهذه الطريقة. الله وحده يجب حتى إلى الصليب.

في سنة 1941 في أثناء الحرب العالمية الثانية مات الأب كولبي عن 47 سنة في معسكر أشويتز نيابة عن مسجون آخر اسمه فرانسيس جاونسيك. تقول القصة إن المسؤولين اختاروا بطريقة عشوائية أن يقتلوا فرانسيس، ولكنه أخذ يصرخ ويسترحمهم من أجل زوجته وطفليه. وهنا تقدم كولبي واقترح على المسؤولين أن يموت هو بدلا من الرجل المسكين. فعلا مات كولبي بدلا من الرجل الآخر. هذه تضحية سامية من أجل زميل في السجن.⁴⁴

قال عيسى: "لا تُوجَدُ مَحَبَّةٌ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُضَحِّيَ الْوَاحِدُ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ أَحِبَّائِهِ." هذا صحيح، لا توجد محبة بين الناس أعظم من أن يضحي شخص بنفسه من أجل أحبائه. ولكننا في صليب المسيح نرى محبة لا يقدر عليها البشر. إنها تضحية المسيح من أجل أعدائه! هذه هي محبة الله للإنسان! لذلك يقول الإنجيل الشريف: "لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يُضَحِّيَ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ وَيَمُوتَ مِنْ أَجْلِ شَخْصٍ صَالِحٍ، رُبَّمَا يَتَجَرَّأُ وَاحِدٌ أَنْ يَمُوتَ مِنْ أَجْلِ إِنْسَانٍ طَيِّبٍ جَدًّا. لَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَخُنْ مَا زِلْنَا مُذْنِبِينَ، مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا."^أ نعم مات المسيح من أجلنا ونحن ما زلنا مذنبين، ونحن أعداء! هذا هو الحب الذي يقول للبشر: "هَذَا هُوَ جِسْمِي الَّذِي يُعْطَى مِنْ أَجْلِكُمْ..." هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ، يَعْمَلُهُ اللَّهُ مَعَكُمْ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِكُمْ."^ب إذن يرفضون الصليب لأنه لا يتفق ومزاجهم، ولا يقابل توقعاتهم! نعم، لأن الخالق صار بشرا من أجل الصليب، والتقدير صار ضعيفا للصليب، وصاحب الجلالة المبارك صار لعنة بالصليب، والنقي الطاهر حمل كل ذنوبنا وشرنا على الصليب! فكيف يمكن لبشر عادي أن يفهم هذا؟ إنهم لا يقبلون هذا التعليم. بل ويقولون إنه ضد

^أ يو 15: 13

^ب رو 5: 7-8

^ت لو 22: 19-20

الطبيعة البشرية (وهم في ذلك على حق!). ويقولون أيضا إنه مناقض لخبرة الإنسان (ومرة أخرى قد أصابوا في هذا!!) ولكن الصليب ليس فكرة بشرية، بل لقد نَبَعَ من قلب الله ومن حب الله، ومن عدل الله، ومن صلاح الله. الله هو أساسه لا الإنسان! هدف الصليب هو التكفير عن الذنب. هذا هو أهم ما في الأمر! يُبَيِّن صليب عيسى المسيح أنه لكي يمكن إصلاح العلاقة بين الإنسان والإله، ينبغي تقديم ضحية. والحقيقة أن الله نفسه هو الذي وضع نظام الضحية، لا الإنسان! يرفض الإسلام عقيدة أن الله يفدي البشر من خلال موت السيد المسيح، ويعتبرها غباء وحماقة، بل وأمرا فاضحا ومشينا، وغير عادل وغير ممكن التطبيق ومستحيلا. وبالاختصار، عقيدة غير معقولة ولا يمكن قبولها!

(2) يقولون غير ممكن

إن أساس الاعتراض هنا هو أنه من غير الممكن أن يموت نبي صالح بهذه الطريقة الرهيبة الفظيعة. فيقولون: كيف يسمح الله العادل أن يموت نبي صالح من أجل ذنوب لم يرتكبها؟ ليس ذلك فقط، بل ويموت على صليب؟ لأن الصليب علامة ضعف وجُبن! إن التعبير "المسيح المصلوب" في مفاهيم بعض الناس، هو تعبير غير جائز ومحتواه غير ممكن، بل ولا يمكن حدوث مثل هذا الأمر. لذلك شبه أحدهم تعبير "المسيح المصلوب" بالقول "الثلج المشوي!" هل يمكنك أن تشوي الثلج؟ طبعاً لا! فيقولون كذلك لا يجوز ولا يصح أن يُصلب المسيح! إذن لا يمكن أن يسمح الله بموت عيسى، بل عندما رفض اليهود رسالته وحاولوا أن يصلبوه، لا بد أن الله القدير تدخل وأنقذه.

لكن الحقيقة هي أن المسيح مات على الصليب. وأكثر من ذلك، أن موت

المسيح على الصليب هو أشهر موت في التاريخ! سنيكا، الفيلسوف الروماني، شرب السم وانتحر. يقال إن كليوباترا، ملكة مصر، جعلت حية تبت فيها السم فماتت. كنيدي رئيس الولايات المتحدة مات مقتولا. أنور السادات رئيس جمهورية مصر مات مقتولا. ولكن موت هؤلاء لا يُقَارَنُ مع موت عيسى على الصليب من أجلنا! ولكن لماذا يقولون إنه غير ممكن؟

أولا، الإعدام يتضمّن أن المحكوم عليه مجرم. الصليب فكرة مكروهة. فحتى عند الرومان حيث شاع الإعدام بالصلب بشكل أوسع من أي مجتمع آخر، كان الصلب يعتبر أقسى وأفظع طرق الإعدام. يتحدث المؤرخ يوسيفوس في كتابه "حروب اليهود" عن الصلب ويصفه بأنه أتعس ميتة⁴⁵. الموت على الصليب هو الموت بأبشع طريقة بربرية ممكنة. وكان الشخص المصلوب يعلّق عاريا ويتعرض إلى أنواع من الإهانة والخزي والعنف. فإذا مات خلال ساعات قليلة فإنه يكون محظوظا، لكن المصلوب كان عادةً يظل معلّقا على الصليب لمدة تصل إلى عشرة أيام.

كان الصلب بالنسبة لليهود والوثنيين على حد سواء، لليونانيين والرومان، للفرس والفينيقيين، للقرطاجيين والمصريين، للمتحمضين وغير المتحمضين، طريقة مهينة إلى أبعد حد في الإعدام. وفي الإمبراطورية الرومانية، كان وسيلة عقاب للأجانب والمجرمين واللصوص وفاعلي الشر والخذّاعين، لكنه كان نادرا جدا ما يطبّق على مواطن روماني أو أي شخص محترم وله سمعة. وقد وصفه سيسرو (شيشرون) بأنه أقسى وأشنع أنواع العقاب⁴⁶. وقال أيضا إن مجرد فكرة الصليب يجب ألا تخطر في ذهن مواطن روماني⁴⁷.

إذن لم ينظر العالم الروماني القديم إلى الصليب باعتبار أنه شيء إيجابي كما تفعل المسيحية اليوم. كان الصليب شيئا بغیضا مرعبا. كان مكانا للاستهزاء المريع والرفض الأليم. إذ يكون الضحية مجرّدا من كل كرامة إنسانية، منبّوذا ومرتبعا

وعاجزا ويأثسا.

من كل هذا نرى أن الصليب كان أداة قاسية للخزي والاحتقار، ولهذا السبب يرفض البعض فكرة أن نبيًا صالحا كعيسى يمكن أن يتعرّض لمثل هذا الإذلال والهوان في موته.

ثانيا، الإعدام يتضمن أن المحكوم عليه شخص يدّعي النبوة، أي نبي كاذب. ففي أزمنة العهد القديم، أي شخص يُحاول أن يبعد بني إسرائيل عن الله بأن يغريهم بعبادة آلهة أخرى، كان جزاؤه الموت. وتأمّر شريعة موسى بقتل أي شخص يعمل آيات ومعجزات بهدف أن يغوي الناس ليتمردوا ضد الله. وكان ينبغي أيضا قتل كل الذين يتبعون مثل هؤلاء الأنبياء الكذبة.^أ

عندما ندرس حياة المسيح في الإنجيل، نحس بأن بعض القادة اليهود نظروا إلى عيسى كنبي كاذب. نظروا إليه كشخص يخالف الشريعة، ويستخف بتقاليد الشيوخ، ويكفر بالله.^ب ثار الحسد في قلوبهم لأنهم لم يستطيعوا أن يجاروه في تعاليمه القوية وأعماله العظيمة. وجعلهم هذا يفترضون أن معجزاته كانت جزءا من خطته لكي يُضِلّ الناس بعيدا عن الله. وأرادوا أن يبرّروا موقفهم. فزعموا أن سبب قدرته على إخراج الأرواح الشريرة من المسكونين بها هو أنه استخدم قوة بعلزبول، رئيس الشياطين والأرواح الشريرة.^ج واقتنع هؤلاء القادة بأن واجبه الديني يحتم عليهم اتخاذ إجراء. فقرّروا أن عليهم أن يتخلّصوا من عيسى، على الرغم من معجزاته وبسببها في نفس الوقت. لأنهم بذلك يطيعون ما تأمر به الشريعة!^د

ولهذا، لما كان سيدنا وفادينا عيسى على الصليب، كانت أذهان أولئك القادة وغيرهم مليئة بفكرة أنه نبي زائف. وهذا ما جعلهم يسخرون منه ويقولون: "يَا مَنْ

^أ نث 20:18

^ب مت 12:10؛ 15:2؛ لو 20:21

^ج لو 11:14-16

سَتَهْدُمُ بَيْتَ اللَّهِ ثُمَّ تَبْنِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ! إِنْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ وَأَنْقِذْ نَفْسَكَ." ^أ وبعبارة أخرى، عند الصليب حاولوا أَنْ يُهْدِّثُوا ثورة ضميرهم لقتله، وَيُطْمِئِنُّوا أنفسهم بأنه كان نبيًّا كاذبًا. لأنه الآن، وقد صار موته مُحَقَّقًا، لن تتم نبوءته بشأن بيت الله.

لكن لا يوجد مسلم يتفق مع هذا الرأي الذي كَوَّنَهُ اليهود عن عيسى. أي ما من مسلم يقول إن عيسى كان نبيا زائفا. بل يعطي القرآن سيدنا عيسى عددا من الألقاب الكريمة والمُشْرِفَةِ أكثر من أي شخص آخر ورد ذكره فيه. ولهذا السبب يصعب على المسلم أن يؤمن بأن عيسى صُلب حقا. وبمعنى آخر، فكرة أن الصلب هو من نصيب النبي الكاذب، تجعل المسلم يرفض أعظم بركة منَّ بها الله على البشر!

(3) يقولون غير ضروري

الكبرياء في قلب الناس تجعلهم يرفضون الصليب، فهم يقولون: "نحن لسنا أشرارا حتى نحتاج إلى تضحية المسيح عنا. ربما نرتكب بعض الذنب بين الحين والآخر، لكن هل يتطلب هذا أن يموت نبي صالح ومرسل طاهر من أجلنا؟ لا، هذا غير ضروري!"

لذلك فإن الطريقة التي شرح بها عيسى القصد من إرسالته تُعتبر شتيمة لهذا النوع من الناس! قال عيسى إنه: "جَاءَ لِكَيْ يَبْحَثَ عَنِ الْهَالِكِينَ وَيُنْقِذَهُمْ." ^ب إنهم بالطبع يكرهون أن يوصفوا بأنهم من الهالكين أو أنهم على ضلال مبین لدرجة أنهم يحتاجون إلى من ينقذهم ويهديهم. يعني مجرد فكرة موت المسيح على الصليب برهان ودليل على أنهم ضالُّون وتائهون، وهو ما لا يقبلونه. بل يظنون أنهم على العكس من ذلك: صالحون وطيبون ومحسنون، وأن أعمال الخير التي يقومون بها إنما هي دافع لله أن يرضى عنهم ويقبلهم ويمن عليهم بنعيم مقيم.

^أ أمر 15: 29-30

^ب لوقا 19: 10

وهذا هو تماما ما حدث مع قابيل بن آدم. فيقول كتاب الله الكريم: "قَدَّمَ قَايِيلُ لِلَّهِ قُرْبَانًا مِنْ ثَمَارِ الْأَرْضِ. أَمَّا هَابِيلُ فَقَدَّمَ أَفْضَلَ أَبْكَارِ عَمَلِهِ. فََرْضِيَ اللَّهُ عَنْ هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَرْضَ عَنْ قَايِيلَ وَقُرْبَانِهِ. فَغَضِبَ قَايِيلُ جِدًّا، وَكَانَ وَجْهُهُ غَائِبًا." ^أ ماذا حدث هنا؟ إن قابيل أراد أن يتقرب لله تعالى عن طريق ثمار الأرض! أما هابيل فقد اتعظ واستفاد مما حدث مع والديه، فإن ورق الشجر لا يغطي عري الخطيئة. وهذا هو السبب أن الله تعالى أعطى آدم وحواء جلدا ليغطيا به عريهما. من أين جاء الجلد؟ من ضحية ذُبِحَتْ وأريق دمها! هابيل فهم هذا المبدأ وأدرك أهمية هذه الحقيقة وقدم لله ضحية.

يقولون أيضا إن الله غفور رحيم، لذلك لا داعي للفداء، ولا لزوم للصليب. يظنون أن الله يعاملنا كما يعامل البشر بعضهم بعضا. فهم يعتقدون أن الله يسامحنا على ذنوبنا التي نرتكبها في حقه دون عقاب، وينسبون ذلك إلى رحمته. لكن هذا خطأ كبير. لا يمكن أن يعاملنا الله بهذا الأسلوب. فأنا إن أخطأت في حق شخص آخر، ربما لا يسامحني بل يعاقبني. أو ربما يسامحني ولا يعاقبني. أي كما يحلوه. لا شك أن هذه طريقة ناقصة لا تتصف بالكمال. أما الله تعالى، فهو كامل ومنزه عن النقص، ولا شك أنه يعامل البشر حسب كماله. لذلك قال القدير لموسى في الكتاب الشريف: "أَنَا الْمَوْلَى. الْمَوْلَى هُوَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْحَلِيمُ، هُوَ مُجِبٌّ وَوَفِيٌّ جِدًّا. يَحْفَظُ الْإِحْسَانَ لِلْأُتُوفِ، وَيَغْفِرُ الْإِثْمَ وَالْمَعْصِيَةَ وَالْخَطِيئَةَ. وَلَكِنَّهُ لَا يَتْرُكُ الْمُنْذَبَ بِلا عِقَابٍ." ^ب

إن الله يحبنا لأننا خليقته. لكننا أخطأنا في حقه وضللنا عنه، لذلك نستحق العقاب. لكن القدير عز وجل في رحمته أرسل سيدنا عيسى المسيح ليتحمل هذا العقاب عنا. نعم، لينال قصاص ذنوبنا بدلا عنا. هذا هو الفداء. وهذه هي طريقة الله

^أ تك 4: 3-5

^ب خر 34: 6-7

الكامل المنزه. إنه يعاقب ذنوبنا، وقد تم ذلك بموت المسيح، وهنا يأخذ العدل الإلهي مجراه.

فالذين يقولون إن الله رحيم ولذلك لا داعي للفداء هم على خطأ، لأن الإنجيل يقول لهم إن الله رحيم، لذلك لا بد من الفداء! لا بد من الصليب. إن الله لا يرى المجرم. إنه لا يُطلق المذنب حراً، لأنه عادل. لكنه في رحمته يقدم لنا وسيلة النجاة. الله ضحى بابنه من أجلنا لينقذنا ويفدينا. أعطانا الفادي. هذه هي أسمى درجات المحبة. أسمى عطايا النعمة الإلهية. عيسى مات من أجلنا ليفدينا. ليفدي الذين رفضوه ولم يقبلوه.

ويقولون أيضاً بما أن "الحسنات يُذهبن السيئات"⁴⁹، فلماذا لا يغفر الله لنا حين نعمل الصالحات؟ إن الخدعة الكبرى هي أن تظن، يا أخي، أن أعمالك الصالحة تُخزّن في مكان ما، وأن أعمالك السيئة تُخزّن أيضاً، وفي اليوم الأخير، يوم الحساب، تُوضع أعمالك في الميزان ليرى الله إن كانت حسناتك أثقل من سيئاتك، أم إن الطالحات أكثر من الصالحات!

إن كنت تقول هذا الكلام، يرد عليك النبي إشعيا ليعبر بكل صراحة عن أعمالنا كبشر فيقول: "كُلُّ أَعْمَالِنَا الصَّالِحَةِ كَخِرْقَةٍ قَذِرَةٍ".^أ يعني بلغة اليوم: أنت تحاول أن تقدم لله عز وجل سلة مملوءة بورق المرحاض القذر. هذه هي أعمالك الحسنة. هذه هي الصالحات التي تقوم أنت بها! إنها في نظره متسخة وغير مقبولة! هي في نظر الله بلا قيمة من ناحية التكفير عن الذنب. إذن مجهوداتنا مهما كانت طيبة ونافعة للمجتمع، لا تضمن لنا مغفرة الذنب أو حياة الخلود. إنما فضل الله الكريم هو الذي يضمن لنا المغفرة والحياة. نعمة الله السخية هي التي تقدم لنا الصفح والغفران والحياة والنجاة. نحن لا رجاء لنا في أعمالنا. إنما يجب أن نضع رجاءنا في ما عمله الله

من أجلنا، أي الفداء الكريم.

ثم إن الحقيقة هي أن كل ما لديك من إمكانيات وقدرة لعمل الصالحات هو أصلا هبة من عند الله أعطاهها لك من فضله. فمثلا أنت تعطي الفقير صدقة. من أين جاءك المال الذي تعطيه. أنت لم تخلقه. الله تعالى أعطاك وظيفة أو مهنة وأعطاك القدرة والصحة والعافية لتشتغل، فالمال الذي تتصدق به هو أصلا من عنده. فإن أعطيت، فهذا صدقة. وإن لم تعط، فهذا إنكار للجميل. أقصد أن أقول إن تصدقت فلا فضل لك، وإن لم تتصدق فهذا جُرم! ولماذا يكافئك إن أعطيت مما أعطاه لك؟ إن العمل الصالح لا يمكن أن يمحو الذنب الذي ارتكبناه ضد الله عز وجل. لنفرض أن شخصا قتل جاره، وقبض عليه البوليس ووضعه في الحبس رهن المحاكمة. وبعد بضعة أيام وقف القاتل أمام القاضي. وفي أثناء المحاكمة، اعتذر القاتل للقاضي ووعدته بأنه سوف يعطي قسما من أمواله وثروته للفقراء والمحتاجين. ونظير ذلك طلب من القاضي أن يصفح عنه ويطلقه حرا. هل تظن أن قاضيا عادلا حكيما يسمح لهذا القاتل بالحرية لأنه سيقوم بأعمال صالحة؟ لا! لا بد من العقاب! لهذا مات عيسى على الصليب ليحمل العقاب عني وعنك.

فهذه هي العثرة التي تسببها رسالة الصليب، هذه هي المشكلة: إن أعمالك الصالحة وكل أعمال الخير التي تقوم بها، هي بلا قيمة في نظر الله من ناحية التكفير عن الذنب. وهي لا تُصلح العلاقة المحطمة بينك وبين الخالق الكريم. وأخيرا لن تتفعل حين تقف أمام عرش الديان.

أَتَذَكَّرُوا الْمُؤَلَّى إِلَهُكُمْ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِي الْقُوَّةَ لِتَحْصِيلِ الثَّرْوَةِ (نث 8: 18).

معنى موت المسيح بالنسبة لي

بموت المسيح على الصليب عمل أمرين عظيمين: فداني وغيّرني.

فداني

ضحى بنفسه مكاني. مات بديلا عني. قدّم نفسه ضحية من أجلي. هذا هو أول فكر يأتي لي حين أتأمل في صليب المسيح، أنه ضحى بنفسه من أجلي. ينظر الكثير من الناس إلى المسيح كمعلم عظيم، وكمثال للأخلاق السامية، وهو فعلا كذلك. لكنهم ينسون عمل المسيح الأساسي، وهدفه الرئيسي وهو الفداء. هو الفادي الوحيد! قال يحيى المغطس إن المسيح هو الحمل الذي أرسله الله ليرفع خطيئة الناس. من المهم هنا أن نلاحظ أنه لا يقول "خطايا" بالجمع، بل خطيئة بالمفرد. إن وجود الخطيئة في قلب الإنسان هو سابق لارتكاب المعاصي. فالخطيئة هي التي تحرك الشخص ليرتكب الذنب. والمهم هو ليس فقط الخطايا العديدة التي يرتكبها الناس، بل الأساس الذي في القلب، الذنب الدفين الموجود في النفس الأمارة بالسوء. عيسى يرفع الخطيئة عنا، ومتى تم ذلك نحصل على قوة إلهية لكي لا نرتكب المعاصي. عيسى ينقذنا من الذنب. بأي طريقة؟ ما هي وسيلة إنقاذنا؟ ليس عن طريق ثورة مسلحة تحطم المستعمر الأجنبي أو تبديد الوالي الظالم أو تطيح بالحاكم المستبد، إنما بالفداء. بالمحبة والرحمة والبذل والتضحية من أجلنا.

عيسى يرفع عنك حمل ذنوبك ومعاصيك ويمنحك الراحة. إنه يقول: "تَعَالَوْا لِي يَا جَمِيعَ التَّعْبَانِينَ وَالَّذِينَ أَحْمَالُهُمْ ثَقِيلَةٌ، وَأَنَا أَرْحِيكُمْ".^أ إنه يناديك أنت بالذات وينادي كل تعبانٍ، وكل من انحنى ظهره تحت حمل الذنوب. إن تضحيته على الصليب

هي من أجل كل الناس، هي لكل الشعوب والأجناس، لكل الأجيال والثقافات، لكل الظروف والأحوال، لكل الطوائف والأديان.

لما خلقنا الله، أعطانا الحياة، ولما فدانا أعطانا نفسه. لم يكن مطالباً بذلك، بل فعل هذا طوعاً. الأم تعطي وليدها حياة، ولكنها في المعتاد لا تعطي نفسها من أجل هذه الحياة.

بعد عمل شاق على مدى خمس سنين اكتشف لوي باستير دواء للتطعيم (أو التلقيح) ضد مرض الكلب. ولكنه كان يحتاج إلى شخص لي تجرب فيه الدواء ليرى إن كان سينجح أم لا. ولما لم يجد أحداً يتطوع لذلك، قرر باستير أن يحقن نفسه بالدواء سرا لكي لا يحاول الآخرون منعه. ولحسن الحظ، في ذات اليوم الذي كان سيبدأ التجربة على نفسه، جاءه رجل بابنه الذي عضه كلب مصاب بالمرض. ونجحت التجربة وأصبح الدواء سبب نجاة من الموت لآلاف بل لملايين من الناس. كان باستير على استعداد لأن يضحى بنفسه. هذه شجاعة وشهامة. أما المسيح فهو فعلاً ضحى بنفسه، لينقذنا من مرض الخطيئة التي تصيب النفس وتلقي بها في جحيم النار إلى الأبد.

منذ فترة كنت في زيارة للبرازيل. وهناك أخبرني أحد الأصدقاء بقصة الطبيب كارلوس شاجاس. فقد حدث في مناطق الغابات حيث يسكن الناس في أكواخ مصنوعة من الطين، أن انتشر مرض رهيب كانت تسببه لدغة حشرة. عائلات بأكملها زالت من الوجود بسبب ذلك المرض. مات عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال. ومع المجهود الكبير الذي بذله الأطباء والعلماء لم يمكن لأحد أن يوقف المرض أو يكتشف له علاجاً. وأخيراً راح هذا الطبيب كارلوس شاجاس إلى منطقته انتشار المرض ليجري أبحاثاً لعله ينجح في إيقاف ذلك الوباء. وفي أثناء عمله قرر أنه يحتاج أن يشعر بنفس شعور المرضى ويحس بأحاسيسهم ويتألم بألمهم ويفهم حالتهم تماماً. فأتى بحشرة وجعلها تلدغه وتحقن فيه السم. وحدث ما هو متوقع.

مرض الطبيب. فأخذ يعمل مجد أكثر ليكتشف العلاج. وفعلا تحقق أمله وتم له ما أرادته وتمكن من اكتشاف طريقة لإيقاف المرض. ولكن مرضه هو سبب له مشاكل صحية خطيرة مات منها. واليوم يسمى هذا المرض باسمه "شاجاس" تخليدا لذكرى الطبيب الذي ضحى بحياته لكي ينقذ الناس من الموت المحقق. هل تُذكر هذه القصة بما عمله عيسى من أجلك يا أخي؟ إنه ضحى بنفسه لكي يشفيك من داء الشر، لكي يمنحك الحياة من الموت الأبدي.

والآن يأتي دورك أنت. لعلك تدرك يا صديقي معنى أنه جاء ليفدي البشر من ذنوبهم، فهو مات من أجلنا، لكي يطهرنا من ذنوبنا. ثم إنه قام من الموت حيا من أجلنا أيضا، لكي يجعلنا صالحين وأولياء الله. وهذا هو معنى الصليب! وهنا أهمية الصليب وحتميته!

إن موقفك من الصليب سوف يحدد مصيرك. القرار الآن لك يا عزيزي. من حَقك أن تلقي به عرض الحائط وتعتبره خيالا وغباء وخرافة. إنما اعلم أنك إن فعلت هذا، فإنك تهلك في الجحيم الأبدي. ومن حَقك أيضا أن تصدق وتؤمن، وتتخذ عيسى، هذا الفادي الحي، فاديا ومنجيا لك من الخطيئة ومن الهلاك. تعال الآن إليه. ثق فيه. توكل عليه. آمن بفدائه. أسلم نفسك له.

قال توري، وكان خادما للمسيح منذ أكثر من قرن: "حاولت أن أقنع شابا بأهمية موت المسيح على الصليب. قلت له إنه يحتاج أن يتوب إلى الله ويسلم له لأنه فداء بدم المسيح الذي ضحى به على الصليب. ولكن الرجل كان يرفض مرة بعد أخرى، ويظن أنه لا يحتاج إلى هذا. ومضت سنوات عديدة وفجأة أرسل لي لأزوره في داره. قال إنه مريض ويحتاج أن يتحدث معي. ذهبت واكتشفت أنه في آخر أيامه، بل ربما آخر ساعاته على الأرض، فقد أصيب بسرطان في المخ. لما دخلت إلى الغرفة قال لي: 'حدثني مرة أخرى عن صليب المسيح.' فحدثته بكل بساطة، وقلت له إنه إن كان يؤمن بأن

المسيح مات من أجله على الصليب وقام، فإن الله يغفر له ذنبه. ولكن للأسف، كأني كنت أكلّم صخرا. لقد رفض المسكين وانتظر وأجّل حتى تحجّر قلبه وأصبح لا يفهم ما أقول. كان أهله قد أنهكهم التعب من السهر معه ليلة بعد ليلة، وفي تلك الليلة قلت لهم إني على استعداد لأن أبقى معه في الغرفة طول الليل حتى يمكنهم أن يأخذوا قسطا قليلا من الراحة. فوافقوا. وطول الليل سمعت الرجل يقول: ليتني كنت آمنت بالمسيح! ليتني كنت آمنت بعيسى! وأخيرا مات على هذه الحال."

هل تبغي أن تنتهي حياتك بهذه الطريقة المؤسفة؟ أتمنى من قلبي أن يكون ردك: "لا، بل إني أريد أن أسلم حياتي للمسيح الآن وعلى الفور." إن فعلت ذلك يا أخي ستعرف معنى السلام الحقيقي والفرح الذي لا يمكن لظروف أو مشاكل أن تنزعه منك.

بعدما تراسلت بعض الوقت مع شاب في نيجيريا بشأن فداء المسيح لنا، كتب لي خطابا يقول فيه:

"لديّ بعض الأسئلة التي تحيّرنني: هل مات عيسى بإرادته أم فُرض عليه أن يفعل ذلك فكان مجبرا رغما عن أنفه؟ وكيف يمكن أن يموت إنسان بدلا عن آخرين لأنهم أذنبوا في حق الله تعالى؟"

سؤالان معقولان من شاب مسلم عمره 16 سنة ويريد معرفة الحق. السؤال الأول يقول: هل مات عيسى بإرادته؟ والجواب: نعم، بكل تأكيد. إنه مات بإرادته، لم يجبره أحد أن يفعل ذلك. لقد اختار هو بنفسه هذا الطريق؛ طريق التضحية من أجلنا. قَبِلَ آلامه طوعا. كان سير الأحداث في قبضته هو. كان له مطلق الحرية أن ينقذ نفسه، لكنه اختار أن يتألم ويموت من أجلنا. إن ألوهية المسيح هي التي جعلت بطولته في القمة، فوق متناول أي شهيد قبله أو بعده. هو الوحيد الذي كانت له القدرة والسلطة أن ينقذ نفسه في أي لحظة، في أي مرحلة من مراحل آلامه وعذابه. ولكنه

رفض ورفض ورفض تماما. كل هذا أضاف إلى شدة الألم أكثر مما نقدر نحن أن نفهم. أما بشأن السؤال الثاني من هذا الشاب، فإني الآن بعد أكثر من خمسين سنة وأنا أتبع عيسى وأؤمن بكلامه وأحبه وأنادي برسالته، فإني ما زلت في أشد العجب والدهشة مما فعله من أجلي ومن أجل كل البشر. نحن لا نستحق هذا الإحسان الكبير والمعروف العظيم والرحمة والفضل والنعمة التي قدمها عيسى لنا.

أنا منذ يوم آمنت به وأسلمت له وتولكت عليه، وجدت فيه الفادي المجيد الذي ضحى بنفسه على الصليب من أجلي ومن أجل كل الناس. إن الفداء هو أهم عمل للمسيح. إنه مات لكي يفدي البشر، وبقوة هذا الفداء يُكسّر سلاسل الأسرى، ويُحطّم أغلال الأذلاء، ويحرر المذنبين من ذنبهم، والأشقياء من شقائهم، ويفتح العين التي أعمأها الشر، والأذن التي سدّها الإثم، ويشفي من المرض، ويبرئ من السقم، ويسمو بالرجولة، ويرفع مكانة المرأة، ويبارك الطفولة.

بسبب موت المسيح على الصليب وقيامته من الموت، نجد الآن كما في كل العصور الغابرة، ألوفاً مؤلفة، بل ملايين ومئات الملايين من أتباعه الحقيقيين الأمناء الذين يعبدونه ويحبونه ويعملون بتعاليمه ويسيروا في خطاه. إنهم يؤمنون به علنا في بغداد وبيروت وعمان والخرطوم والقاهرة ونيويورك ولوس أنجيليس وساو باولو وبرلين ولندن وجوهانسبرج وجاكرتا وكوالا لامبور وكالكتا ومانिला وغيرها، ويؤمنون به سرا في الدار البيضاء والجزائر والرياض ومكة وبنغازي والكويت والبحرين وطهران وبيجينج وغيرها!

قال أكيليس⁵⁰ الشاعر اليوناني في قصته "برومثيوس المقيد": "لا تنتظروا خيرا لهذا العالم ما لم ينزل إلى أرضنا شخص رفيع عجيب يحمل عن البشرية آلامها ومعاصيها." وفي المسيح تمت هذه الرغبة، وجاءنا شخص رفيع عجيب وفعلنا حملاً على الصليب آلام البشرية ومعاصيها.

الصليب هو أعظم تضحية ممكنة. العالم اليوم يُفضل السرور والملذات على التضحية. قال المسيح: يجب أن أموت. والعالم يقول: أعطني حياة هنيئة مملوءة بالراحة والمتعة واللذة.

إن قدرة الله وجلاله ومجده وسموه تتضح لا في أنه يُعظم نفسه ويحيط من مكانة الإنسان، بل في أنه يتواضع من أجل الإنسان. تظهر عظمة الله لا في أنه يستخدم جبروته الفائق ليُحطم ويُفني كل الذين يعارضونه ويقاومونه، بل في أنه يُخفي قوته ويُظهر نعمته، يخفي جبروته ويظهر فضله وحنانه وإحسانه لمن لا يستحقون. ذات مرة قال موسى لله: "أرني جلالك". فَقَالَ اللَّهُ: "أَمُرُّ أَمَامَكَ بِكُلِّ جُودِي." إِنْ لَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى: "أَمُرُّ أَمَامَكَ بِكُلِّ قُدْرَتِي وَقُوَّتِي وَجَبْرُوتِي وَجَلَالِي وَقِدَاسَتِي." لا! بل "أَمُرُّ أَمَامَكَ بِكُلِّ جُودِي." إن جلاله واضح في جوده، وقدرته ظاهرة في حنانه.

لي صديق كان يعمل رجل شرطة في مدينة كبيرة في الغرب. ذات مرة جاءه أمر عاجل باصطحاب فرقته في سيارة الشرطة، والاتجاه فوراً إلى دار سيدة عجوز تسكن بمفردها، لإنقاذها من خطر جسيم. وصل صديقي مع رجاله ودقوا جرس الباب ولكن لم يَرَدَّ أحدٌ. طرَقوا بشدة، فلم يكن من محبب. اتصل صديقي بمركز قيادة شرطة المدينة، فعرفوه أن الخطر ما زال موجوداً، وأن السيدة ما زالت تتصل بهم وهي في ذعر وفرع.

تسلك صديقي حائط الدار، وأخذ يسير فوق السقف لعله يجد مكاناً ينزل منه إلى داخل الدار. ولكن للأسف، فجأة هوى به السقف، وسقط الرجل إلى داخل الدار وبه إصابات جسيمة. وهنا المأساة، فقد كانت الإصابة خطيرة لدرجة أن الأطباء وضعوا له دعامة من الحديد داخل ظهره، واضطر أن يتوقف عن العمل نهائياً، وأصبح وهو في سن الأربعين يسير بمساعدة عكاز يستند عليه.

حين أتذكر ما حدث لصديقي أتلّم كثيرا وأحزن لما أصابه. ولكن في نفس الوقت عزائي هو أن هذا الرجل الشهم كان يؤدي واجبه كمواطن صالح يحاول إنقاذ سيدة عجوز.

هذا مثال عظيم للتضحية. ومع ذلك ربما لو كان صديقي قد علم مسبقا بما سيجري له لكان قد تردد كثيرا بل ربما كان يمتنع عن أن يتسلق إلى سقف الدار ويمشي عليه.

في القديم كانت التجارة تعتمد على تبادل السلع. فكان الناس يتبادلون ما عندهم أو ما ينتجونه للحصول على معيشتهم. فمثلا أنت تعطيني ثوبا نسجته وأنا أصنع لك حذاءً. جارك يعطيك حبوبا وغلّة من حقله وأنت تعطيه خروفا من غنمك. ولكننا لم نسمع أبدا عن مبادلة تشبه ما عمله المسيح على الصليب. إنه أخذ الموت عني وأعطاني الحياة. "أخذ غضب الله الذي لم يكن بإمكانني احتماله أو مواجهته. كما أنه صدّ عني العدو الذي لم يكن بإمكانني أن أغلبه."⁵¹ هذه مبادلة عجيبة تملأ القلب فرحا وعزاءً. المسيح اختبر الموت لكي نختبر نحن الحياة. أخذ كل عيوبنا وذنوبنا وأعطانا كل ما يتمتع به من صلاح وقداثة وحياة.

الصليب يُبيّن بوضوح مدى محبة الله تعالى لنا نحن البشر كما قال سيدنا عيسى: "أَحَبَّ اللَّهُ كُلَّ النَّاسِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يَنَالُ حَيَاةَ الْخُلُودِ."⁵² لو أمكنني أن أفكر في مئة شيء يبين محبة الله لنا أو ألف شيء أو مليون شيء، ولا واحد منها يعادل الصليب! موت المسيح على الصليب هو أسمى آيات المحبة. لا توجد محبة أسمى من هذا. وهذا هو معنى رسالة عيسى، أن الله أحبنا محبة عميقة وافرة لدرجة أنه ضحى بأعز من له، عيسى المسيح. لذلك لن يمكنك أن تدرك معنى محبة الله لك، حتى تفهم معنى موت المسيح من أجلك، كما يقول الكتاب: "بِهَذَا

نَعْرِفُ مَا هِيَ الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ: إِنَّ عَيْسَى الْمَسِيحَ صَحَّى بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِنَا.^أ ويقول أيضا: "الْمَسِيحُ فَدَانَا بِدَمِهِ وَعَقَرَ ذُنُوبَنَا."^ب إن محبة الله لك هي محبة باذلة مضحية، سخية كريمة. تَلَفْتُ حولك فَتَرَى الناس خائفين من الله. ادرس الأديان، تجدها تعبر عن إله يتربص للناس، ليعاقبهم وينتقم منهم. تعمق في البحث، تجد إلهًا لا يُبالي بك. إنه يطالب بالعدل والعمل الصالح، ولكنه بعيد لا يهتم بما أنت فيه، لا يتحرك لمشاكلك ومتاعبك ومآسبك وبؤسك! ثم اقرأ الإنجيل تجد الله قريبا حبيبا، صديقا حميما، أبا رؤوفا: الله محبة. أحب الله كل الناس لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد. ومع أن كثيرين يرفضون الله ويرفضون أن يؤمنوا به وبعيسى المسيح الذي جاء من عنده، لكنه ما زال يحبهم! لا يَقِلُّ مفعول محبة الله بسبب عنادك ولا يضع تأثيرها لأنك ترفض أن تؤمن بعيسى. إنها محبة أبدية. لا تتغير. لا تنطفئ حرارتها. لماذا الصليب؟ لأن الله يحب الخاطئ محبة لا نهاية لها، ولأن الله يكره الخطيئة كراهية لا نهاية لها. إذن ليس الدافع الأول والأهم في الفداء هو أن الله كان غضبانا غضبا شديدا لدرجة أنه لم يمكن أن يُرضيه شيء إلا ضحية عظيمة هي المسيح! لا! بل هو أن الله محب ودود ورحمان رحيم، ولا شيء يمكن أن يعبر عن حبه أقل من ضحية عظيمة هي تضحية ابنه القدوس بنفسه. عيسى جاء لهذا القصد. كان لا بد أن تكون الضحية عظيمة لتعبر عن محبة الله العظيمة! لذلك يقول الكتاب الشريف: "لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَفْدِيَ أَخَاهُ، وَلَا أَنْ يَقْدِمَ لِلَّهِ فِدْيَةً عَنْهُ. لِأَنَّ فِدَاءَ التُّفْسِ بَاهِظُ الثَّمَنِ، لَا سَبِيلَ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ."^ت

بموت عيسى على الصليب عمل ما لم نقدر نحن أن نعمله، وهو أن ينقذنا من ذنوبنا، ويشفيها من تسمم الدم الروحي، ويقربنا إلى الله. يقول الإنجيل الشريف:

^أ 1يو: 3: 16

^ب أف: 1: 7

^ت مر: 49: 7-8

"لَأَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الذُّنُوبِ، الصَّالِحُ مَاتَ مِنْ أَجْلِ الْإِثْرَارِ، لِكَيْ يُقَرَّبَنَا إِلَى اللَّهِ. فَمَاتَ بِجِسْمِهِ الْبَشَرِيِّ لِكَيْتَهُ قَامَ حَيًّا بِالرُّوحِ." ^أ ويقول الإنجيل أيضا: "وَهُوَ نَفْسُهُ حَمَلَ ذُنُوبَنَا فِي جِسْمِهِ عَلَى الصَّلِيبِ، لِكَيْ نَمُوتَ نَحْنُ بِالنَّسْبَةِ لِلذُّنُوبِ وَنَحْيَا لِلصَّلَاحِ. بِجُرُوحِهِ شُفِيتُمْ. لَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ مِثْلَ غَنَمٍ ضَالَّةٍ، لَكِنَّكُمْ الْآنَ رَجَعْتُمْ إِلَى رَاعِي نَفُوسِكُمْ وَحَارِسِهَا." ^ب موته من أجلنا ألقى الذنب الذي علينا. كَفَّرَ لَنَا عَنْ مَعَاصِينَا.

بعد حياة بعيدة عن الله وعن الإيمان بالمسيح، قال شاعر ألماني وهو يموت: "الله سيغفر لي، لأن هذه مهنته." ⁵² للأسف كان الرجل على خطأ فاحش خطير. ليست مهنة الله الغفران السائب الاعتباري الذي بلا قواعد. لا! بل كلفه الغفران ثمنا كبيرا باهظا هو موت وحيدته وحببيه عيسى المسيح على الصليب. لكي يغفر الله لنا كلفه هذا موت المسيح أبشع ميتة، على الصليب، أفضع أنواع الإعدام في ذلك العصر وأقبحها وأفضحها وأحقرها وأدناها. إذن كان ذلك الرجل على خطأ كبير. كان يرجو شيئا لا يمكن نواله بغير الإيمان الحق بالمسيح والاتكال على فدائه.

قبل أن يولد المسيح سُمي بالعبرية "يشوع" ويعني الله ينقذ. وعيسى هو تعريب هذا الاسم. فلما مات عيسى على الصليب حقق الله بذلك معنى هذا الاسم، الله ينقذنا نحن البشر من ذنوبنا ومن عبوديتنا للشيطان، ومن الموت الرهيب.

قرأت قصة عن رجل صيني كان يخرج في الصباح الباكر ويجلس في الحديقة أمام النهر ليقضي وقتا هادئا هناك. وذات مرة لاحظ الرجل عقربا تسير على ضفة النهر ولكن فجأة سقطت في الماء وجرفها التيار وبدأت تغرق. أخذت تكافح وتجاهد لتنجو من الماء ولكن دون جدوى. نظر الرجل بعطف إلى الحشرة التي على

^أ 1 بط 3: 18

^ب 1 بط 2: 24-25

وشك الغرق، واتجه إلى شجرة قريبة تمتد بعض أغصانها إلى النهر، ومدّ نفسه على أحد أغصانها ومد ذراعه إلى آخرها لينقذ العقرب من الغرق. ولكن بمجرد أن لمس الحشرة لدغته في يده لدغة أليمة. وبطريقة طبيعية سحب الرجل يده بسرعة من صدمة اللدغة ومن الألم. ولكن بعد لحظة، فيها استرجع توازنه، مد يده مرة ثانية لينقذ العقرب. ولكن في هذه المرة لدغته عدة مرات حتى إن السم بدأ يسري في جسمه، وتورمت يده بسرعة، واقشعر بدنه، وتلوى وجهه من الألم.

في تلك اللحظة كان شاب يعبر الحديقة في ذلك المكان، ورأى ما عمله الرجل فصرخ إليه: "ماذا بك أيها الرجل؟ ماذا تعمل؟ هل تقتل نفسك لتنقذ عقربا؟ هل تضحي بنفسك لتنقذ حشرة بشعة ضارة؟ أنت على وشك أن تموت لتنقذ عقربا لا تعترف بالجميل!" وهنا كانت الحشرة قد تعلقت بيد الرجل، فنفضها إلى البر بعيدا عن الغرق ثم أدار رأسه وهو ممدد على غصن الشجرة وقد بدأ السم يقتله فعلا، وقال للشاب: "يا صاحبي! صحيح، إن من طبيعة العقرب أن تضر وتلدغ بالسم، ولكن هذا لا يُغيّر من طبيعتي أنا لأنقذ وأنجي!"

هذه القصة هي مثل رائع يقرب لأذهاننا ما عمله سيدنا عيسى معنا. نحن كمتلك الحشرة نضر ونبت السم ولا نعترف بالجميل، وهو جاء لينقذنا. ولكن لكي يتم ذلك، قتله سم الخطيئة الذي فينا على غصن شجرة الصليب! يقول البعض اليوم: "لماذا يفعل عيسى هذا؟ إن الحشرة التي حاول أن ينقذها قتلتها!" هؤلاء هم مثل ذلك الشاب الذي كان يعبر الحديقة، يَرُون عيسى معلقا على الصليب ويقولون: "لماذا خاطر بنفسه من أجل الإنسان القبيح غير المعترف بالجميل؟" وهنا يرد عيسى على هؤلاء ويقول: "يا صاحبي! إن من طبيعتي أن أنقذ وأنجي، وكون الإنسان يضر ويؤذي ويجرح لا يُغيّر من طبيعتي!"

على الصليب قدم عيسى نفسه ضحية من أجلي لينقذني. هو فداني.

نتائج الفداء

هناك نتائج عديدة للفداء. في الحقيقة توجد كتب بكاملها تتحدث في موضوع نتائج الفداء، ولكني اخترت أهمها هنا وهي: غفران، نجاة، حياة، شفاء، حرية، نصر.

غفران

لأن المسيح مات مكاني، لذلك غفر الله خطيئتي. كان محكوما عليّ بالموت بسبب المعصية التي ارتكبتها في حق الله تعالى، لكن جاء سيدي عيسى وأخذ العقاب عني، نال عقاب الذنب بدلا مني، وغفر لي وأطلقني بريئا. أزال عني خطيئتي. كسر شوكة الذنب التي كانت تعذبني. قهر الشيطان. فأصبحت مغفور الذنب!

رجل غني واسع الثراء سار ابنه في طريق أعوج. نصحه أبوه فرفض النصيحة. وأخيرا هدد الأب ابنه بأنه إن لم يُقَوِّم طريقه ويعتدل في سلوكه سيطرده من داره ويحرمه من ميراثه. لم يعتدل الابن ولم يتعظ، فطرده أبوه. وبعد فترة من الزمن مرض الابن بمرض خطير وأوشك أن يموت، ولم يعلم أبوه بذلك. ولكن جاء أحد أصدقاء العائلة ليخبر الأب بحال ابنه، فبدأ وقال: "كنت أزور يوسف بالأمس و..". وهنا قاطعه الأب وقال: "إن كنت قد جئت يا سيدي لتحدثني عن ذلك المجرم فأني أسألك أن تخرج من هنا، لأنه ليس ابني". قال الزائر: "يا سيدي، نعم جئت لأحدثك عنه لأنه لن يعيش طويلا فهو مريض جدا، وتركته على حافة الموت". وهنا تغير موقف الأب، وقال: "يوسف مريض، وأنا لا أعرف؟" ذهب الأب فورا إلى ابنه وانحنى بجوار فراشه وطوقه بذراعيه. قال الابن: "يا أبي، من فضلك سامحني". قال الأب وهو يبكي: "يا يوسف يا حبيبي، إني سامحتك على كل شيء!"

في قصة الأب الغفور التي رواها لنا سيدنا عيسى المسيح، ترك الشاب العاق المتمرّد دار أبيه وراح إلى مكان بعيد ليتمتع بالحرية، ويبعث كما يشاء بعيدا عن قيود

الأسرة ومطالب المجتمع. باع ذلك الشاب نصيبه من الميراث والأموال، وجمع أمواله وذهب. لكن للأسف، بعدما بذّر كل ثروته في عيشة الإسراف والبذخ وشعر بالجوع والفقر والمذلة، عمل خادما عند رجل من أهل البلاد لكي يمكنه أن يجد ما يقتات به. وأخيرا بعد كل ذلك الهوان قرر أن يرجع إلى أبيه ويطلب منه العفو والمغفرة. تقول القصة إنه حتى وهو ما زال بعيدا عن الدار رآه أبوه فجرى إليه وقبله.

أخي، إني أحمل إليك أجمل خبر، أسعد نبأ يمكنك أن تسمعه، إن الله مستعد أن يغفر لك كل ماعملته من ذنب من أجل المسيح! والآن ما عليك إلا أن تطلب منه السماح والصفح.

يتحدث النبي ميخا عن صفح الله تعالى وغفرانه فيقول: "لَا إِلَهَ مِثْلَكَ يَا رَبُّ. أَنْتَ تَصْفَحُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَغْفِرُ الْمَعْصِيَةَ... وَلَا تَحْتَفِظُ بِالْعَصَبِ إِلَى الْأَبَدِ، بَلْ يَسْرُكَ أَنْ تَرْحَمَ. تَشْفِقُ عَلَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى، تَدُوسُ ذُنُوبَنَا، وَتَرْمِي كُلَّ مَعَاصِينَا فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ".^أ من المهم هنا أن نفهم معنى غفران الله. حين يغفر الله لنا، فهذا:

لا يعني أن الله يوافق على المعصية التي ارتكبتها. حين غفر المسيح للمرأة التي ضُبطت في المنكر، لم يوافق على ما فعلته، بل قال لها: "ادْهَبِي وَلَا تَرْجِعِي إِلَى الْخَطِيئَةِ".^ب لا يعني أنه يلتمس لنا الأعذار لارتكابنا المعصية.

لا يعني أنه ينكر أننا ارتكبنا الخطيئة أو يُقلل من خطورتها.

لا يعني أنه يعفينا من كل نتائج الخطيئة. ربما في رحمته يعفينا من بعضها.

إنما غفران الله:

يعني أن الله يسامحنا على الذنب الذي ارتكبناه. يقول الكتاب الشريف إن الله: "سَاحِحًا عَلَى كُلِّ ذُنُوبِنَا، وَأَلْعَى السَّنَدَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا ضِدَّنَا، بِكُلِّ مَطَالِبِهِ الَّتِي كَانَتْ

فِي غَيْرِ مَصْلَحَتِنَا، وَأَرَّالَهُ تَمَامًا بِأَنْ سَمَرَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَبِالصَّلِيبِ انْتَصَرَ الْمَسِيحُ عَلَى الْحُكَّامِ وَالْقَادَةِ الَّذِينَ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَنَزَعَ عَنْهُمْ سِلَاحَهُمْ وَسَاقَهُمْ أَذِلَاءَ فِي مَوْكِهِ الظَّالِمِينَ.^أ

وحين يغفر لنا فهو لا يوبخنا ولا يُعَيِّرنا على ذلك الذنب فيما بعد. لأن موضوع الذنب راح وانتهى. "تَرَكْنُكَ لِحَفْظَةٍ، وَحِمَانٍ عَمِيقٍ أُرْجِعُكَ. بِغَضَبٍ هَائِجٍ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكَ لِحَفْظَةٍ، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكَ... فَالآنَ حَلَفْتُ أَنْ لَا أَغْضَبَ عَلَيْكَ وَلَا أُوجِّحُكَ. فَقَدْ تَزُولُ الْجِبَالُ، وَتَنْتَقِلُ الثَّلَالُ مِنْ مَكَانِهَا، أَمَّا رَحْمَتِي لَكَ فَلَا تَزُولُ، وَمِثْلَاقِي الَّذِي يَضْمَنُ لَكَ السَّلَامَ لَا يَنْتَقِلُ عَنْكَ. قَالَ اللَّهُ الَّذِي يَرْحَمُكَ."^ب

وحين يغفر الله لنا فهو لا يعود يذكر ذنوبنا، ولا يُمْسِكُهَا عَلَيْنَا.^ت
تصور أحد الكُتَّاب حديثاً جرى بين ابن عباس ومريم المجدلية التي كان عيسى قد طرد منها شياطين. قال الكاتب في روايته إنه ذات مرة كان ابنُ عباس يستفسر من المجدلية عن بعض الأمور الروحية. فقالت له مريم: "صنع الرجال مجدلية الأُمس، واستطاع عيسى أن يخلق منها مجدلية اليوم!" قال ابن عباس: "ماذا تقصدين بهذه الفلسفة الغريبة يا مريم؟ ما الفرق بين مجدلية الأُمس ومجدلية اليوم؟" قالت له: "هو الفرق بين الليل والنهار، بين الظلمة والنور. كانت مجدلية الأُمس تحترق بنار الجحيم، بلا رجاء، تعذبها الشياطين، نفساً تعيسة يائسة فاشلة لا تعرف الله. لكنها ماتت لما قابلت عيسى. وكانت السكين التي قتلتها هي كلمة غفران من الغفور الرحيم، فإني لما سمعته يقول لي، "اذهبي"، ولا ترجعي إلى الخطيئة،" بعثت كلماته في الرجاء والأمل وإشراق صبح جديد. فأنا الآن مريم الجديدة، مريم التي ساعها عيسى، مريم التي رَفَعَ عنها الفادي خطيئتها!"⁵³

^أكو 2: 13-15

^بإش 54: 7-10

^تإش 43: 25؛ عب 8: 12؛ 10: 17

هل تشتاق أن تكون هذه هي قصتك أنت أيضا؟ هل تريد أن تحصل على غفرانه وصفحه؟ إنه مستعد أن يسامحك. هذه النعمة هي لك، نعمة الغفران والصفح والبراءة من كل خطأ ارتكبته، وكل إثم اقترفته، وكل معصية عملتها، وكل شر فكرت فيه، وكل صلاح تركته، وكل خير تحاشيته، وكل معروف لم تصنعه. هذه هي خطة الله المباركة العجيبة! هذه هي الخطة الإلهية السامية، التي دبرها بحكمته ومحبه ليطلقك حرا... فيسطع النور في فكرك، وتشرق الشمس في قلبك. ينقلك من اليأس إلى الأمل، من الظلام إلى النور، من التعاسة إلى السعادة، من الأرض إلى السماء، من الجحيم إلى النعيم، ومن الموت إلى الحياة.

قرأت قصة عن أمير غني أرسل المنادي في بلدته يقول: "أسامح كل شخص عليه دين لي إن كان يأتي إلى قصري يوم السبت القادم من الساعة الثامنة حتى الساعة العاشرة صباحا. ويجب على كل واحد أن يحضر معه الأوراق التي تُبين مبلغ الدين الذي عليه."

سمع الناس هذا الكلام الغريب وبدأوا يتحدثون بينهم. قال البعض: "هذا غير معقول. لا بد أن الأمير عنده حيلة ضدنا. إنه ماهر وأمر الماكرين!" وقال آخرون: "كيف يسامحنا على كل هذه الديون التي علينا؟ نحن لا نصدق هذا."

ولما جاء اليوم المحدد، تجمهر الناس أمام القصر ودخلوا في نقاش وجدال طويل بشأن هذا الموضوع. ثم حانت الساعة الثامنة، ولم يدخل أحد. ومضى الوقت وفي الساعة التاسعة والنصف، أي قبل نهاية الموعد بنصف ساعة، جاء رجل عجوز وامرأته، وفي يده الأوراق التي تبين ما عليه من دين، ولكنه لم يتوقف مع الآخرين، بل دخل إلى القصر مباشرة. وفي القصر قال الأمير لكتبه أن يعطي الرجل مستندا ينص على أنه تم سداد الدين كاملا. شكر العجوز الأمير على رحمته وكرمه وإنعامه عليه، وقال: "الآن سأخرج لأثبت للآخرين أن كلامك صادق يا مولاي." لكن الأمير قال:

"لا! لن تخرج الآن. بل ستخرج حين تدق الساعة العاشرة وتنتهي الفرصة. إنك جئت لأنك وثقت فيّ وفي كلامي. أنت آمنت بأن كلامي حق ووعدني صادق. وهم يجب أن يؤمنوا بكلامي ووعدني بنفس هذه الطريقة." وفي الساعة العاشرة خرجت المركبة تحمل الأمير، وخرج وراءه العجوز وهو يصرخ بأعلى صوته: "بارك الله فيك يا مولاي الأمير. الآن يمكنني أن أموت بلا دين عليّ." جرى الآخرون وراء مركبة الأمير وهم يصرخون ليسامحهم على ديونهم هم أيضا. ولكنه رفض وقال: "أنتم رفضتم أن تصدقوا كلامي، والآن ضاعت الفرصة."

هذه قصة بسيطة ولكنها في الحقيقة تبين أن المسيح يغفر لنا لأنه رحيم ومحب ومنعم. هو الفادي الذي ضحى بنفسه من أجلنا على الصليب. فإن كنت تؤمن بوعدي، يغفر لك ويسامحك. أما إن كنت ترفض أن تؤمن بوعدي، فاللوم يقع عليك وحدك. يقول الإنجيل: "لَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَخَضَ مَارِلَنَا مُذْنِبِينَ، مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا. إِنْ اللَّهَ يَسَامَحُنَا لِأَنَّ الْفَادِي الْكَرِيمَ مَاتَ مِنْ أَجْلِنَا، دَفَعَ الثَّمَنَ بَدَلًا عَنَّا. وَيَقُولُ الْوَحْيُ أَيْضًا: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْخُلْ عَلَيْنَا بِإِبْنِهِ، بَلْ بَدَلَهُ مِنْ أَجْلِنَا جَمِيعًا، فَكَيْفَ لَا يُعْطِينَا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا؟" ب فبموت المسيح على الصليب، الرحمة والحق تقابلا، الصلاح والسلام تعانقا.

ما هي الخطيئة؟

الخطيئة هي أي تقصير تجاه شريعة الله، سواء بالعمل أو الفكر أو الطبع (أي الطبيعة البشرية والغريزة). والكتاب الشريف يستخدم للخطيئة عدة أسماء منها: الشر والإثم والمعصية والذنوب. ويمكن تعريف الخطيئة بطرق مختلفة من ضمنها:

أ رو 5: 8

ب رو 8: 32

هي تعدي الحدود التي وضعها الله تعالى.^أ

هي مخالفة كلام الله وعصيانه.^ب

هي العجز عن بلوغ الهدف الذي من أجله أوجد الله الإنسان.^ت

هي الخطأ الناتج عن الجهل.^ث

أخطر شيء هنا هو أن الخطيئة هي ضد الله، لأنها تتضمن التعدي على قوانين الله، والتمرد ضده تعالى، وعصيان أوامره. ولهذا قال يوسف لزوجته فوطيفار: "كَيْفَ أَرْتَكِبُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللَّهِ؟"^ج ولهذا أيضا قال داود: "أَخْطَأْتُ فِي حَقِّكَ، فِي حَقِّكَ أَنْتَ وَحَدَّكَ، وَفَعَلْتُ مَا هُوَ شَرٌّ فِي نَظْرِكَ."^د كما يمكن أيضا أن نقول إن الخطيئة هي إهمال الله والابتعاد عنه ونسيانه، فلا يكون هو مركز حياتنا وتديبراتنا. والخطيئة ليست مجرد عمل السيئات. لا تظن أن الخطيئة هي ارتكاب المعصية والشر في الظاهر فقط. بل هي كل فساد في القلب والفكر والعواطف، مهما كان غير ظاهر للآخرين.

هي أيضا عدم إصابة الهدف الذي خلقنا الله من أجله. يقول كتاب الله الكريم متحدثا عن مجتمع روما في القديم، وهو لا شك وصف صادق لمجتمعنا اليوم، إن الناس "عَرَفُوا اللَّهَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُمَجِّدُوهُ كَالِهٍ وَلَمْ يَحْمَدُوهُ، بَلِ انْحَطَّ فِكْرُهُمْ، وَأَظْلَمَ عَقْلُهُمُ الْعَبِيُّ. يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَغْيَاءُ."^{هـ} نحن كلنا واقعون في

^أ 1 كور 6: 9-10؛ 1 يو 3: 4

^ب 1 صم 15: 23؛ إش 48: 8؛ أف 2: 1-3؛ عب 2: 3-2

^ت رو 3: 23

^ث عب 9: 7

^ج تك 39: 9

^د مز 51: 4

^{هـ} رو 1: 21-22

الذنب والخطيئة والمعصية. "لَأَنَّ الْجَمِيعَ أَخْطَأُوا وَلَمْ يَبْلُغُوا إِلَى مَا يُمَجِّدُ اللَّهَ."^أ
امرأة صالحة وصفت الخطيئة بأنها: "أي شيء يضعف تفكيرك وإدراكك، ويقلل من رقة وحساسية ضميرك، ويحجب شعورك بالله، أو يحرمك من لذة ومتعة الأمور الروحية. وباختصار، هي أي شيء يزيد قوة وسلطان الطبيعة الدنيوية فيك فوق قوة وسلطان الروح، فهذا بالنسبة لك هو خطيئة، مهما كان حسنا في ذاته!"⁵⁴
إن أكبر معصية يمكن أن يقع فيها الإنسان، هي أن ينكر جميل الله الذي اتضح بكل جلاء في المسيح عيسى. نعم، أخطر معصية يرتكبها الإنسان هي أن يرفض الإيمان بفداء المسيح لنا على الصليب.

ما هي عواقب الخطيئة والمعصية؟

إن الخطيئة هي الحمى التي أصابت كل الناس، هي الوباء الذي انتشر في دم البشر من كل الأجناس. إنها سبب الجهل والفقر والذل والمهانة والضعف والمرض والموت. إنها تسلب الحياة جمالها وبهجتها. إنها تُعمي البصر الروحي وتشوه الرؤية. إنها تسلب الفضائل، وتهتك الأعراض، وتُتلف الأخلاق، وتُلطخ بالعار الأفراد والعائلات والشعوب. الخطيئة نجست حياتي. ملأت قلبي وفكري بالقاذورات. جعلتني دنيئا في أهوائي، حيوانيا في شهواتي، أرضيا دنيويا في آمالي.
هل أنت مكبل بسلاسل العادات السيئة؟ هل أنت فريسة للغم والهم والوحدة والوحشة والكآبة والخوف؟ هل أنت مثقل بالشعور بالذنب وثورة الضمير؟ كل هذا بسبب المعصية والذنب والخطيئة. وإن ما تحتاج إليه اليوم يا أخي ليس الأقراص المنومة ولا الأدوية التي تهدئ الأعصاب وتجعلك تنعس وتنام، بل أنت تحتاج في المكان الأول إلى غفران ذنوبك.

الخطيئة تذلل الإنسان وتتعبه، وهي لا تقف على كبير أو صغير، لا على ملك أو حقير. تتفاعل معك بطريقة خسيصة، وتمسك بأذيالك في عبودية قاسية. قد تبدأ بنظرة عابرة، ثم فكرة خاطئة، ثم شهوة جامحة، ثم تدبير دنيء بشع، وعند ذلك تجد نفسك مكبلاً بقيود لا تستطيع أن تحطمها وفي سجن لا يمكنك الفرار منه!

وهذا هو تماماً ما حدث مع الملك داود. أغراه منظر امرأة تستحم. فدبر فكرة وسار في طريق محرم. فاغتصب وزنا وقتل وخان، ولما حاول أن يكتم الأمر، فُضِّح وكُشِفَ. ثم جاءه رسول من عند الله يقول له: "أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ!" أنت هو الرجل المذنب! أنت هو الرجل الذي زנית وقتلت!⁵⁵

أخي أخاف عليك أن يواجهك يوماً هذا الحكم المخيف ويقول لك: "أنت هو الرجل، أنت هو الشاب الذي انسقت للشهوات والمعاصي! أنت هو الرجل الذي رفضت أن تستجيب لنداء محبة الله وعطفه وغفرانه! أنت هو الرجل الذي رفضت ذراعي عيسى المفتوحين لك وصفحه وتضحيته من أجلك وإحسانه عليك!"

كان الملك هيروودس مستعداً أن يضحي بنصف مملكته من أجل فتاة رقصت أمامه وأعجبته، ومن أجلها ضحى برأس رجل مؤمن شهيم كان يوبخ الملك لخلاعه وأخلاقه الدنيئة. وكم من الناس ضحوا بشرفهم ومركزهم ومالهم وكرامتهم وصحتهم وعائلاتهم من أجل لذة عابرة، فخسروا كل شيء هنا وخسروا أيضاً حياة الخلود في النعيم. إن أشباه هذا الملك هيروودس موجودون في عالمنا وفي مجتمعنا اليوم، وقد تكون أنت واحداً منهم يا أخي، ربما أنت واحدة منهم يا أختي. أخاف عليكم جميعاً لذلك أحذركم!

الله قدوس وطاهر. هو بديع القداسة وكامل الطهارة. لذلك فهو يكره الخطيئة ولذلك أيضاً هو يعاقب الذي يرتكبها. يقول الإنجيل الشريف: "إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ مُعَلَّنٌ

مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ مِنْ شَرٍّ وَفَسَادٍ، الَّذِينَ يَفْسَادُهُمْ يَحْجُبُونَ الْحَقَّ." أ
هو كامل ونحن غير كاملين. هو طاهر ونحن نجسون.

قرأت عن رجل وجد ثعبانا صغيرا في حديقة منزله، فأخذه إلى داره ورباه واعتنى به وأطعمه، وكَوّن معه صداقة طيبة وكان يلعب معه. فكبر الثعبان وكان يأكل من يد صاحبه ويلتف حول ذراعه ورقبته وجسمه في ألعاب لطيفة. وذات يوم أخذه الرجل إلى المدينة ليمتع الناس بألعبه مع الثعبان في استعراض هناك. تعجب الناس لما رأوا الثعبان يلتف حول رقبة صاحبه ثم ينفك عنه. ورجع الرجل مع صديقه إلى الدار، ولكن فجأة وبلا إنذار أنشب الثعبان أسنانه في يد صاحبه وبث سمه المميت. بعد ساعات قليلة مات الرجل بسُمّ صاحبه! أخي، إن كنت لا تتوب وتأتي إلى المسيح فإن صداقتك مع الشر ستكون قاتِلَتَكَ في يوم من الأيام.⁵⁶

هناك عواقب رديئة وخطيرة للمعصية. لا تظنّ أنه يمكنك الهروب من ذلك عن طريق بعض الفرائض التي تؤديها أو إحسان تقوم به. لا تظن أنك تستطيع أن تتحاشى نتائج المعصية بذكائك أو تعليمك أو إمكانياتك الأخرى. تعال معي نرى بعض عواقب الخطيئة لعل ذلك يكون مقنعا كافيا لك لتهرب منها!

لا سلام في الدنيا

هل علمت لماذا لا يوجد سلام وهدوء وسكينة، لا في الدار ولا في العمل، لا مع الأهل ولا الجيران، ولا حتى مع الأصدقاء والأحباء؟ لماذا يتحارب الناس؟ قلوب منكسرة، آمال محطمة، عقول تائهة، عائلات مفككة، زيجات فاشلة، بيوت منقسمة، أخلاق في الحضيض، نظم اقتصادية فاشلة، نظم سياسية قاتلة، تمرد، خصام، عنف، حروب، مخدرات، سكر، جريمة، بطالة، فقر، جوع، مرض، انتحار... انتشر الفساد

وساد الشر. تعفن العقل البشري بالخطيئة. أصبح الناس يُعجبون بالشر، ويُشَرِّعون الحرام، ويجعلون الخطأ قانونا! يتخبطون في ظلام وجهل، كما يقول الكتاب الشريف: "أَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا وَلَا تَفْهَمُونَ شَيْئًا، بَلْ تَسِيرُونَ فِي الظَّلَامِ بَيْنَمَا تَنْهَارُ أَسَاسَاتُ الدُّنْيَا."^أ ويقول أيضا: "لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا وَلَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا، عُيُونُهُمْ مُعْظَاةٌ فَلَا تَرَى، وَعُقُولُهُمْ مُغْلَقَةٌ فَلَا تَفْهَمُ."^ب ثم يقول إن الشيطان: "سَيِّدَ هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى عُقُولَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ."^ج النظم العالمية، والديانات التي هي من صنع الناس، والفلسفات الخادعة، والمبادئ والشرائع التي من وحي الشيطان، قهرت النفس البشرية، وداست كرامة الإنسان في التراب.

صورة كئيبة محزنة، صورة رديئة مقبضة! لكنها صورة حقيقية واقعية -لا مبالغة فيها- لعالمنا الذي نعيش فيه اليوم. عالم مضطرب قلق يسير وراء قادة ضائعين تائهين!

والسبب في كل هذا هو المعصية! السبب هو الخطيئة!

طلب رجل صاحبُ أملاك من وكيله أن يزرع قمحا في بعض حقوله، فراح الوكيل وزرع شعيرا! وبعد فترة لما طلع النبات وأثمر، جاء صاحب الأرض ليتفقد حقوله. فتعجب لأنه وجد شعيرا. فسأل وكيله: "ألم أطلب منك أن تزرع قمحا؟" أجابه الوكيل: "نعم يا سيدي، وأنا زرعت شعيرا على أمل أن أحصد قمحا!" لكن الرجل لم تعجبه هذه الإجابة. فقال له الوكيل الحكيم: "يا سيدي، كما أنه من غير المعقول أن أزرع شعيرا وأحصد قمحا، فمن غير المعقول أيضا أن تزرع الشر في حياتك لتحصد النعيم في الآخرة، بل ما يزرعه الإنسان يحصده أيضا." وأنت يا صديقي، لا تخدع نفسك.

^أ مز 82: 5

^ب إش 44: 18

^ج 2 كور 4: 4

لماذا الضمير المَعْدَب؟ بسبب الخطيئة. قرأت قصة عن حاكم ظالم أمر بقتل رجل من رعيته كان يكرهه. وتم تنفيذ الأمر. ولكن بعد ذلك كان الحاكم يرى شبح القتل يأتي إليه ويعذبه. واستمر هذا حتى أصيب الحاكم بالجنون، فكان يرى وجه الرجل المقتول في كل صحن يأكل فيه!

ربما قرأت أخي قصة مكبث.⁵⁷ في هذه القصة، يتصور مكبث أنه يرى الخنجر الذي قَتَلَ به الملك دُنكان، فيهذي ويحدثُ الملك الميت الذي كان قد دفن منذ زمن، وكل هذا أمام جمهور من القادة ورجال الدولة المجتمعين في حفل عظيم فيقول: "مياه كل البحار لا تستطيع أن تغسل يدي من هذا الدم! ماذا حدث؟ هل الملك دُنكان الذي خر صريعا وفي رأسه عشرون جرحا مميتا، يُبعث اليوم حيا ليتهجم على عرشنا؟" وأنت أيضا ربما هناك حَمْلٌ ثقيل يحثم على صدرك، يؤرقك ويقلق بالك. يزعجك ويعكر صفو حياتك. هذا الحِمْلُ الثقيل، أنت لا تعرفُ حقيقته وطبيعته ولا تقدر أن تعطيه اسما، لكنني أقول لك الحق إنه الخطيئة! أنت تقول إنك لم ترتكب شرا فظيعا مثل القتل والزنا والكفر وما إلى ذلك. حتى إن كنت لم ترتكب جرائم كبيرة، فكتاب الله الكريم يقول إذا نحن أخطأنا في أمر بسيط نكون قد كسرنا كل شرائع الله! مهما كانت الخطيئة صغيرة أو بسيطة في نظرك، فإنها تؤثر في كيائك بأكمله، روحا ونفسا وجسما. وقد أوضحنا من قبل، إن لم يكن الله هو مركز حياتك وآمالك فأنت ضائع! إذا لم تقبل عيسى ملكا وربا وهاديا ومنقذا وفاديا ومخلصا، فأنت هالك! حتى الدين أصبح حملا ثقيلا عليك! من المؤسف أن الناس حولوا الدين إلى حمل ثقيل يكسر الظهر. حولوه إلى واجبات وفروض وأحكام صعبة وثقيلة، فأصبحوا وكأنهم يحملون العربة التي كان يجب أن تحملهم. يصومون ويصلون ولكنهم لا يحصلون على سلام القلب وراحة الضمير! يُرْكُون ويحسنون ولكنهم لا يقدرُونَ أن يشتروا الفرح الحقيقي الذي ينبع من النفس والفؤاد. وأصبح بعض رجال الدين فُسَاءً

بلا قلب ولا حنان! ولهذا تكونت عند الناس فكرةً مغلوطة عن الله تعالى. فهم يتصورونه إلهًا قاسيًا أو كرجل الشرطة، يتربص لمن يعمل الخطأ أو يسير وراءه بعضا ليعاقبه. قال عيسى في هذا المجال: "يَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ، الْوَيْلُ لَكُمْ! فَأَنْتُمْ تُحْمَلُونَ النَّاسَ بِأَحْمَالٍ ثَقِيلَةٍ، وَلَا تُحَرِّكُونَ وَلَوْ إِصْبَعًا لِيُثَاعِدُوهُمْ".^أ

يظن البعض أن التدين هو الحل لمشاكل الإنسان! لكن ما أشر ما نلاقي من متدين عنيد ضيق الفكر! إن الكثير من المتدينين اليوم يرتكبون أشر الجرائم، مثل القتل والعنف والإرهاب، تحت ستار الدين. فالتدين ليس هو الحل لمشكلة الذنب. فداء المسيح لنا على الصليب هو الحل.

ويظن البعض أن التعليم هو الحل. تُنفق الحكومات أموالاً طائلة لتعليم النشء. يُقيمون المدارس ويشيدون المعاهد والجامعات. ومع ذلك تزيد الجرائم. أنا لا أعيب في التعليم، فالتعليم نافع ومهم. لكني أقول إنه ليس هو الحل لمشكلة الذنب في قلب الإنسان.

يظن البعض أن حل مشاكل الإنسان هو في المدنية والحضارة والتقدم العلمي. ولكن للأسف فإن الحقيقة هي أنه عبر التاريخ يتقدم الإنسان في المدنية والحضارة، ولكنه يتأخر في الأخلاق والدين ومعرفة الله المعرفة الصحيحة. ربما تكون اليوم أكثر معرفة وتحضرا من أجدادك، ولكنك لست أفضل منهم أخلاقيا. أنت أكثر تقدما وتمدنا منهم، ولكن هل أصبحت بذلك أسعد منهم؟ ربما لديك من المال أكثر مما عرفوه هم، ولكن هل في قلبك سلام وأمان ورضى؟

إذن ما الحل؟ كيف يمكن التخلص من كل هذا؟ إن الإيمان بالمسيح هو الذي يردُّنا عن الضلال والضياع ويعطينا الحياة التي قصدها لنا الله. إن كنت تؤمن بعيسى وتسلم نفسك له، يشفيك من بؤسك ويرفع عنك حمل الذنب وعذاب الضمير.

العالم يقدم لك موسيقى تطرب الآذان ومناظر تبهر العيون، أما عيسى فهو عندما يرفع جمل ذنوبك، يملأ قلبك بموسيقى الروح التي تهدئ النفس. هذه الدنيا تقدّم أفراحا تعقبها أحزان، تقدم لذّة يوم تعقبها حسرة دهر. ولكن عندما يزيل عيسى عنك حمل الذنب، تحصل على السلام، السلام الحقيقي الأصيل، سلام الله الذي لا يمكن أن ينزعه منك أحد، السلام الذي يأتي نتيجة للغفران الشامل الكامل، والصفح عن كل ذنوبك وعبتك. إن عيسى يعطيك أحلى السلام. لم يعدنا المسيح بوسائد من ريش النعام، بل بسلام؛ سلام في القلب والفكر، وراحة في النفس والضمير.

لا أمان في الآخرة

ما هو مصيرك في الآخرة؟ ما هي نهايتك؟ أنا عارف أنك ستقول: "ومن أنا حتى أعرف مصيري؟ هل يمكن لأحد أن يعرف ما كتب الله له؟" كما قال أحدهم: "والله لا آمن مكر الله حتى ولو كانت إحدى قدمي في الجنة!"⁵⁸ لا.. لا.. يا أخي.. لا تصدق هذا الكلام. فالإنجيل الشريف يقول إن الله أعطانا الحرية لنختار مصيرنا الأبدي! فهل خطر على بالك أنك أنت المسئول عن مصيرك الأبدي؟ هل تعرف مصيرك؟ أنا بإمكانني أن أعرفك بمصيرك بحسب كلمة الله الحية الدائمة إلى الأبد. إن كنت تؤمن بعيسى ربا لك وفاديا وهاديا ومنقذا، فأنت قد حصلت من الآن على حياة الخلود. أما إن كنت لم تسمح لعيسى أن يرفع عنك وزرك ويزيل معصيتك ويمحو إثمك، فأنت هالك! هالك هنا وهالك في الآخرة! إذن أنت في إمكانك أن تقرر لنفسك أين تكون في الخلود، وذلك حسب اختيارك. إن كنت تختار الإيمان بعيسى، فهو يمنحك حياة الخلود في النعيم. حمدا وشكرا لله رب العالمين لأنه تعالى أعد لنا النجاة بعيسى المسيح. إذن أنت تستطيع أن تنال حياة الخلود هنا، وتضمنها من هنا، من هذه الحياة.

فما الفائدة من هذا العناد يا صديقي وعزيزي؟ صدقني أني أحبك بمحبة وضعها عيسى المسيح في قلبي. مع أننا لم نتقابل، ومع أني لا أعرفك بالوجه، لكن عيسى وضع هذه المحبة لك في قلبي. إنها محبة أصيلة صادقة لأن المحبة هي طبيعة عيسى. إذن لا تعاند! لا تقسّ قلبك! آمن به. قل له: "من فضلك تجّني من المعصية، اغفر لي ذنبي، امح عني معصيتي، وأزل عني وزري."

كيف يمكن للإنسان الذي أخطأ الهدف ووقع في الخطيئة وفسد قلبه بالشّر وتغنّف فكره بالمعصية، كيف يمكن لهذا أن يحصل على الشفاء من هذه الحالة الكريهة المميّنة؟ الله تعالى جاء بالحل. المولى في حكمته ومحبته يقدم لنا الحل.

نعم، صليب المسيح ينقذنا من الذنب، ويحررنا من قوة الشر. قرأت عن رجل حلم حلما في الليل. حلم أنه مات فراح إلى باب الجنة وأخذ يقرع! فسأله: "هل كنت دائما صالحا؟" فسكت، لأنه لم يكن دائما صالحا. فقالوا: "هل كنت دائما طاهرا؟" فسكت أيضا. وتوالت الأسئلة: "هل كنت دائما مستقيما، عادلا، أمينا؟" وفي كل مرة لا يرد صاحبنا لأنه كان يدرك عيوبه وذنوبه وفشله. وهنا ظهر المسيح وقال: "هذا الرجل آمن بي فأنا حملت كل ذنوبه وعيوبه وشره. أنا غفرت له بقوة دمي الذي سُفك على الصليب." وهنا انفتحت بوابات الجنة ليدخل الرجل! صحيح هذا حلم، ولكنه يشير إلى حقائق لا يمكن إنكارها في كتاب الله الشريف.

كثيرا ما تأتي إلينا الأخبار بحوادث مروعة يذهب ضحيتها الأبرياء. قرأت منذ أسابيع قليلة عن قطار كان يحمل مئات من الركاب في بلد ما، وكان يسير بسرعة كبيرة. وللأسف، لما أخذ يعبر فوق جسر (أي قنطرة أو كوبري) انهار الجسر تحته وسقطت من القطار إلى النهر 12 مركبة بمن فيها من الركاب وغرق أغلبهم. ولما فحص المختصون هذه الكارثة وبحشوا عن أسبابها، وجدوا أنه كان بالجسر تصدّع لا يزيد عن شبر واحد أي حوالي 20 سنتيمترا، ولكن بمرور ذلك القطار في ذلك الوقت، تحطم

جزء كبير فسقط القطار!

أخي، أنت لا تحتاج إلى ثغرات كبيرة في حياتك لتودي بك إلى الهلاك في الجحيم. الأشياء التي تبدو صغيرة وتافهة هي جد خطيرة وتكفي لتسبب لك التعاسة الأبدية! نحن كلنا مذنبون. كلنا رجال ونساء، أولاد وبنات. نقول كلمات خاطئة، ونفكر أفكارا خاطئة، ونعمل أعمالا خاطئة. "الْقَلْبُ هُوَ أَخَذَ شَيْءٍ، وَهُوَ حَبِيثٌ بِلا شِفَاءٍ، فَمَنْ يَعْرِفُهُ؟" ^أ "الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَلَمْ يَبْلُغُوا إِلَى مَا يُمَجِّدُ اللَّهُ." ^ب الإنسان مريض في المعصية. هذا المرض سبب لنا بطريقة معنوية رمزية حالة تسمم في الدم. وهذا التسمم يؤدي إلى الموت الأبدي. لذلك نحن نحتاج إلى شفاء وإنقاذ. حالتنا الراهنة الخطيرة ليست هي ما دبره الله لنا. لقد قصد الله لنا أن نكون أصحاء، فأصابنا هذا المرض الخطير. ولكن الشفاء ممكن، والصحة والعافية والسلامة والقوة ممكنة، إن كنا نسلم أنفسنا للطبيب الذي ضحى بنفسه من أجلنا على الصليب.

إن أمة المسيح هي مثل مستشفى. ونحن أتباع المسيح ندرك أننا مرضى ونحتاج إلى علاج. نعم نحتاج إلى طبيب يداوينا ودواء يعافينا. أدركنا هذا فدخلنا إلى المستشفى. ويا للعجب! لمسنّا الطبيب الإلهي القدير فحصلنا فعلا على الشفاء. والآن نحن نحتاج إلى فترة من النقاهة لاستعيد القوة التي فقدناها. لذلك يلزم أن نبقى في المستشفى فترة من الوقت. وحين يتم الشفاء ونستعيد الصحة والعافية، يأخذنا المسيح لنكون معه في جنة الخلود إلى أبد الآبدين.

أمة المسيح هي هذه المستشفى. وللأسف، الذين هم خارج المستشفى هم أيضا مرضى، ولكنهم لا يدركون الخطر الذي يواجههم. إما لأنهم لا يعلمون أنهم مرضى، والمرض سيقتلهم. أو يعلمون أنهم مرضى ولا يريدون أن يعترفوا بذلك، وفي هذه

^أ إر 17: 9

^ب رو 3: 23

الحالة أيضا سيقتلهم المرض. أو يعلمون أنهم مرضى ولكنهم يريدون أن يعالجوا أنفسهم بطريقتهم هم وليس بالطريقة التي رسمها الله تعالى بواسطة المسيح الفادي. وفي هذه الحالة أيضا سيقتلهم المرض رغم محاولاتهم!

وكما قلنا من قبل، يعلن الكتاب الشريف أن الكل أخطأوا. الكل أذنبوا. الكل وقعوا في المعصية. هذا هو الداء. هذا هو المرض القاتل. أنت تحتاج يا أخي أن تعرف هذا. ولذلك أنا أعلن لك هذه الحقائق بضمير أمين. ولكن أنت أيضا تحتاج أن تكون أمينًا مع نفسك، وتطلب العلاج من السيد المسيح.

يُروى أن أحد الملوك⁵⁹ كان مدينا بمبلغ باهظ لرجل غني واسع الثراء. ولما حان الوقت واستحق سداد الدين، عجز الملك عن الدفع. أدرك الغني أن الملك لا يمكنه أن يسدد الدين، فأقام حفلا كبيرا ووليمة عظيمة على شرف الملك. ولما جلس الضيوف إلى المائدة، وضع الخدم أمام الرجل الغني صحنًا كبيرًا به نار تشتعل. وهنا وضع الرجل صك الدين الذي على الملك في النار حتى أصبح رمادا. أدرك الملك ما حدث فقام من مكانه وطوق عنق الرجل وهو يقبله باكية ومتأثرا من كرمه ومعروفه العظيم.

أخي وأختي، نحن علينا دين لله تعالى. وقد حان وقت السداد. لكن ليس بإمكاننا أن ندفع الدين الباهظ الذي علينا. عجزنا عن السداد. لذلك قام الله تعالى بدعوة كل العالم إلى وليمة الأخبار السارة. أحرق الله الصك الذي علينا وذلك بموت المسيح على الصليب وفدائه لنا. لكن أنا وأنت يجب أن نقبل إحراق الصك. يجب أن نقبل فداء المسيح. ماذا تظن لو كان الملك في القصة التي انتهيت من ذكرها، قد رفض أن يقبل تضحية الرجل الغني من أجله؟ ربما كنت تصفه بأنه ناكِر للجميل والمعروف.

واليوم، لا أمل في نجاة أو خلاص من شرنا وذنبنا ونهايتنا التعيسة ومصيرنا البائس إلا في هذا المصلوب. خدعوك من قالوا إنه توجد طرق عديدة ومختلفة للتقرب

لله وإرضائه. إن المثل الذي يقول: "كل الطرق تؤدي إلى روما"، لا ينطبق على حياة الخلود أبداً. لأنه يوجد فداء واحد، وفاد واحد، هو عيسى المسيح الذي أرسله الله والذي مات من أجل كل الناس. وهو الذي قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ، أَنَا هُوَ الْحَقُّ، أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ".^أ وقال أيضاً: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعُنِي لَا يَمُوتُ فِي الظَّلَامِ، بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ".^ب وهذا هو الفرق بين إتباع المسيح وإتباع غيره. هذا هو الفرق بين دين عيسى وغيره. ففي الأديان الأخرى يقدم الإنسان لله أشياء لعله بواسطتها يستطيع أن يتقرب له تعالى ويحصل على رضوانه. فيقدم الإنسان مثلاً الحسنات والخيرات والطيبات والزكاة والصوم والصلاة والأعمال الصالحة والضحايا والقربان وما إلى ذلك. أما بحسب الإنجيل الشريف، فإن الله زوّدنا بما نحتاج إليه لتتقرب إليه تعالى. إن الوسيلة الوحيدة التي بها نقدر أن نرضي الله جل جلاله، هي الوسيلة التي قدمها الله نفسه.

عيسى هو الوحيد القادر أن يكفر عن ذنوبنا. قال الفيلسوف شيشرون⁶⁰: "كل الأشياء محاطة بظلمة دامسة." فالفلسفة لا تشبع قلب الإنسان ولا تهدئ خوفه، ولا تحقق له أحلامه! وقال الفيلسوف أرسطو⁶¹: "جئت إلى هذه الدنيا عرياناً، وعشت فيها شقياً تعيساً، والآن أموت في حيرة لأني لا أعلم مصيري!" وقال واحد آخر إنه حتى ولو تشفع من أجل الناس سبعين مرة وطلب أن يغفر الله لهم، فلن يغفر! لكن يقول الإنجيل الشريف: "إِنْ أَحْطَأَ وَاحِدٌ، فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ هُوَ عِيسَى الْمَسِيحُ الصَّالِحُ. فَهُوَ صَحِيَّةُ التَّكْفِيرِ عَنْ ذُنُوبِنَا. وَلَيْسَ عَنْ ذُنُوبِنَا نَحْنُ فَقَطْ، بَلْ عَنْ ذُنُوبِ كُلِّ النَّاسِ أَيْضًا."^ت حان الوقت يا أخي أن تسير في الصراط المستقيم، أن تقبل عيسى الذي هو الطريق والحق والحياة.

^أ يو 14: 6

^ب يو 8: 12

^ت 1يو 2: 1-1

ماذا تعمل في ضوء هذا الحق؟ ماذا تفعل لكي تحصل على غفران ذنوبك، ولكي تحيا في جنة الخلود في النعيم؟ الجواب هو أنه ليس هناك عمل يجب أن تعمله أو مجهود تقوم به، لأن عيسى قام بالمجهود كله ومات وقام من أجلك. إنما هناك خطوة واحدة تقوم بها وهي أن تؤمن بالمسيح عيسى فاديا ومنقذا وهاديا ومنجيا. نعم، الخطوة الوحيدة هي أن تؤمن بأن المسيح عيسى مات على الصليب ودفن ثم في اليوم الثالث قام منتصرا.

هل تريد أن تكون إنسانا فاضلا في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى؟ هل تريد أن يرضى الله عنك ويجعلك من المقربين له والمختارين عنده؟ هل تريد أن تحيا إلى الأبد في جنة النعيم؟ آمن بفداء المسيح. عيسى يطهرك من كل ذنوبك، ينظفك من كل معاصيك والشر الدفين الذي في قلبك. إنه يطهرك من كل قاذورات الحياة ونجاسة القلب السرية، ومن كل شر وإثم.

الله تعالى يحبك، ولذلك ضحى عيسى بنفسه من أجلك. وهو يحنو عليك ويرحمك. اسم عيسى بباركك. اسم عيسى الذي هو أعظم من كل اسم، وأجمل وأحلى من كل اسم، يحرسك ويرشدك إلى سواء السبيل. قدرته ما أسماها! قوته ما أعظمها! طهارته ما أقدمها! جلاله ما أبهاه! كماله بلا مثيل، محبته بلا حدود، غفرانه بلا قيود. تعال إليه، اطلب وجهه.

على الصليب كفر مولاي وسيدي عيسى المسيح عن سيئاتي ومعاصي، ساحني على ذنبي، غفر خطيئتي، مسح إثمِي، أزال شرِي، أبعد عني نجاستي، أزال قذارتي ونظفني. صرت بموته شخصا جديدا، إنسانا جديدا، مخلوقا طاهرا بفضله ونعمته ومحبته. موته هو ضحية من أجلي! ولهذا يمكنني أن أهتف من كل قلبي: "بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَيَا كُلَّ كَيَانِي بِإِرْكَ اسْمُهُ الْقُدُّوسَ. بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَلَا تَنْسَي كُلَّ حَسَنَاتِي. فَهُوَ يَغْفِرُ كُلَّ ذُنُوبِي، وَيَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِي. يُنْقِذُنِي مِنْ حُفْرَةِ الْمَوْتِ، وَيُتَوَجَّعُنِي بِالرَّحْمَةِ

وَالرَّافَةَ. يَمْلَأُنِي بِالْخَيْرِ طَوْلَ عُمْرِي، فَيَعُودُ لِي سَبَائِي كَالْتَّسْرِ.. كَبُعْدِ الشَّرْقِ عَنِ الْغَرْبِ،
أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا."

أنا اليوم مغفور الذنب لأن المسيح نال عقاب شري. أنا اليوم حر، لأنه حُكِمَ عليه مكاني ووقع عليه جزائي. أنا اليوم أتمتع بفرح السماء، لأنه شرب كأس الحزن عني. أنا اليوم مقبول عند الله، لأنه رُفِضَ وَبِدَّ بدلًا مِنِّي. أنا اليوم حي لأنه مات عني. وكما أشرنا من قبل، إن القدير الذي في يده كل العالم، عنده أيضًا في قلبه محبة ونعمة كافية لكل العالم. في الصليب حلُّ مشكلة الخطيئة، لا تَجَاهُلُهَا. حَلُّهَا بدفع الثمن، لا بالتطلع في اتجاه آخر بعيدا عنها!

تصور معي ما سيحدث في الجنة حين نذهب إلى المسيح. تخيل معي كيف أننا سنقف أمام عرشه وهو في جلاله وأمجاده. هناك سنراه في البهاء والثناء والمجد والضياء. أنا شخصيا أنوي أن أسأله:

"عجبًا يا سيدي، يا منقذي!

أهذا الوجه البسام الرقيق المشرق لُطِمَ من أجلي؟

أهذا الجبين الوضاء المنير تكلل بالشوك من أجلي أنا؟

أهذا الطاهر النقي تفجر منه الدم من أجلي؟

أهاتان اليدان من المرمر تسمرتا إلى صليب الهزء والعار من أجلي؟

أهاتان القدمان الطاهرتان ثقبتا وتسمرتا إلى الصليب من أجلي؟

كل هذا بسببي أنا وبسبب خطاياي وجرائمي؟

أنا السبب في كل ذلك العار!

ذنوبي أنا سببت لك الموت!"

ولكني عالمٌ علّم اليقين، ومتأكد كل التأكد أنه في ذلك الوقت يرد عليّ بكل عطف وحب وحنان ويقول: "لا تتأسف ولا تزعل من نفسك. أنا بذلت نفسي من أجلك لأني أحبك!"

محبة الله سمت، ما قاسها عقل الفطين
فوق الجبال ارتفعت، ونزلت للهالكين

نعم، على أساس الصليب والإيمان بفداء عيسى لنا، يمكننا الآن أن نقف في محضر الله القدوس الجليل، وقد غُفرت كل ذنوبنا، ومُحيت كل معاصينا، وامتلات قلوبنا بالسلام والفرح والمحبة والإيمان والأمل.
ثم هناك أمر آخر أيضاً. عن طريق الصليب أعطاني المسيح القوة لأسامح. لأسامح نفسي على الأشياء الغبية التي ارتكبتها وأسامح الآخرين الذين أخطأوا في حقي.

أخي، بما أن عيسى فداك بدمه على الصليب، وغفر ذنوبك وسامحك على كل ماضيك، وصفح عن كل سيئاتك، فكيف تتجرأ أنت أن تدين نفسك، وتلوم نفسك، وتعذب نفسك بذلك الماضي الذي انتهى حسابه في نظر الله تعالى؟ كيف تجرؤ أن لا تغفر لنفسك؟ الإيمان بموت المسيح على الصليب يمنحنا الغفران لما ارتكبناه من ذنوب، فأنت تحتاج أن تسامح نفسك.

وأنت تحتاج أيضاً أن تسامح الآخرين. ربما في نفسك جرح عميق ومرارة بسبب علاقة تحطمت أو أمل خاب أو نجاح تحول إلى فشل. اغفر للآخرين. الإيمان بموت المسيح على الصليب يعطينا الحرية والقوة لنسامح الآخرين.

يُقال إن أحد الملوك كان له أعداء كثيرون قبل أن يصبح ملكاً. وبعدما جلس على العرش، كانت لديه قائمة طويلة بأسماء أعدائه الذين حاولوا في الماضي أن يضره.

فأمر بإحضارها وأخذ يضع علامة X أمام كل اسم. ظن خدامه أن ذلك يعني أنه سيقتل كل هؤلاء الأعداء ولكنهم تعجبوا حين أوضح الملك لهم أنه يضع علامة الصليب أمام كل إسم ليسامح ويغفر ويعفو لأن الصليب يذكره بكلمات المسيح على الصليب: يا أبي اغفر لهم!

إن كنت لا تسامح الذين أخطأوا في حقك، فأنت كواحد يتعاطى السم ويتوقع أنه بهذا السم يقتل شخصا آخر غيره!

نحاة

هناك قصة عن شاب كان يسير في الظلام فوق في حفرة عميقة. بذل المسكين كل محاولة ممكنة ليخرج من الحفرة، لكنه فشل. وبينما هو في يأس شديد وقد نال منه التعب والإرهاق، مر به رجل ينتمي إلى دين من الشرق، فقال له: "أنت في مشكلة رهيبة أيها الشاب. لذلك أنصحك أنك إن مررت في هذه الطريق مرة أخرى، فاحذر لئلا تسقط في الحفرة كما سقطت هذه المرة." وتركه الرجل ومشى في طريقه.

بعد ذلك جاء رجل من دين آخر، وسمع صراخ الشاب. فاقترب من الحفرة وشاهد المحاولات اليائسة التي كان الشاب يبذلها ليخرج. فقال له الرجل: "آه يا عزيزي، أنت في مشكلة فظيعة. إن أمكنك أن تتسلق جدار الحفرة حتى تصل يدك إلى يدي، سأجذبك وأرفعك من الحفرة." حاول الشاب بكل ما فيه من قدرة، ولكنه فشل. فتركه الرجل الثاني أيضا وسار في طريقه.

وهنا جاء رجل آخر، وقال له: "إن كنت تصلي وتصوم وتعمل الحسنات، ربما يمكنك أن تخرج من الحفرة." ثم مضى في طريقه.

وأخيرا جاء المسيح وقال له: "دعني يا صديقي أساعدك. أنت لن تقدر أن تنقذ نفسك. أنا في إمكاني أن أنقذك." ونزل المسيح إلى الحفرة وحمل الشاب المسكين على

كفنه وتسلق به جدار الحفرة وأنقذه.

إن الذي ينقذك من الحفرة التي سقطت فيها يا أخي شخص قدير وليس ديناً من الأديان. ليس النصائح المتعددة والشرائع المتفرقة. لا! بل منقذك الوحيد هو الفادي العزيز. هو الذي نزل إلى الحفرة حيث يئست وفشلت. نزل ليحملك ويرفعك وينقذك ويصعد بك إلى العلأ! هذا هو المسيح المنقذ. هذا هو عيسى الغالي المحب.

يقول الإنجيل: "أَنْتُمْ نَحْوُكُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِأَنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِهِ. لَيْسَ هَذَا نَتِيجَةَ مَجْهُودِكُمْ، إِنَّمَا هَدِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ. وَلَا هُوَ نَتِيجَةُ عَمَلٍ قُمْتُمْ بِهِ، لِكَيْ لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ." نعم نحن ننجو من الذنب بفضل الله، بنعمة الله. النعمة هنا تعني أنه لا يوجد شيء طيب أعمله يجعل الله يحبني أكثر، ولا يوجد شيء رديء أعمله يجعل الله يحبني أقل! النعمة تعني أنني أنا المذنب المسكين مدعو لأكون عضواً في عائلة رب الكون! هل تتخيل هذا؟ أي من أهل البيت؟ نعم أنا من أهل بيت الله. هذا كلام الوحي المبارك. أنا عضو في عائلة المولى القدير! ^ب وكل ذلك بسبب موت المسيح على الصليب من أجلي.

في قصة "فاني" ⁶² أحب الشاب ماريوس فتاة جميلة اسمها فاني، وتطورت العلاقة فحبلت منه في الحرام. ثم ترك ماريوس القرية وسافر إلى بلاد بعيدة. وهنا يظهر بانيس الغني الشهم الذي ماتت زوجته منذ فترة، ويتقدم لخطبة فاني. ولكن فاني تخبر بانيس بحقيقة الأمور، وتقول إنها لا تستحقه. ولكن بانيس يقول إنه يريد أن يتزوجها لأنه يحبها، ولأنه يريد أن يحميها من غلطة ماريوس وغلطتها. ثم إنه يريد أن ينشأ الوليد تحت رعايته ويتمتع بالثروة التي عنده.

هذه فعلاً هي المحبة المضحية. ماريوس أحب الفتاة ل يتمتع بها جنسياً. أما بانيس فقد أحبها لينقذها من العار والضياع والخطيئة، وليجعل منها زوجة محترمة

أف 2: 8-9

ب أف 2: 19

وأما فاضلة، ويقوم لوليدها بمقام الأب المحب الذي يهتم به ويرعاه ويعوله. قد يصعب عليك أن تستسيغ هذه القصة وتدرك عمق معناها. لكن ما فعله معنا المسيح بتضحيته من أجلنا على الصليب هو أعظم بما لا يقاس من صنيع بانيس مع فاني. قال يوسف لإخوته الذين غدروا به وباعوه عبدا: "لا تَتَأَسَّفُوا وَلَا تَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ أَنْتُمْ بَعُثُمُونِي إِلَى هُنَا، لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي قُدَّامَكُمْ لِأُنْقِذَ حَيَاةَ النَّاسِ".^أ ويا له من صفح عظيم.

حياة

ذكرنا من قبل، الآية التي تُعتبر مركز الإنجيل كله. "أَحَبَّ اللَّهُ كُلَّ النَّاسِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يَنَالُ حَيَاةَ الْخُلُودِ".^ب هذه الآية تبين أن سيدنا عيسى المسيح مات لكي نحيا نحن. بسبب تضحية المسيح من أجلنا، يمكننا أن ننال الحياة. نحن الذين في جهلنا رفضنا المسيح، يتفضل علينا في إحسانه ويعطينا حياة الخلود نعمة منه ورحمة. هي حياة الخلود، لأنها الحياة في أسمى معانيها، ولأنها تدوم طول الأبد الذي لا نهاية له، ولأنها الحياة التي من الله عز وجل، الحياة الإلهية. حياة من الله ذاته. فنصبح أحبائه، أبناءه، لنا حياته، ننتمي له. من غير هذه الحياة يهلك الناس. من غير هذه الحياة لا رجاء للناس.

كما ذكرنا من قبل، يسأل الناس بطريقة أو بأخرى: "كيف يمكن أنه بموت شخص يحصل الآخرون على الحياة؟" هذا هو العجيب في الأمر! بل هذا هو عجب العجاب! ومع ذلك يمكننا أن نوضح هذه الحقيقة ببعض الأمثلة البسيطة. منذ أجيال وقبيلة مخلوف في صراع عنيف مع قبائل أخرى. في تلك الأيام

^أ تك 4:5

^ب يو 3:16

ساد قانون البادية. أنت تقتل شخصا من قبيلة ما، فهذه القبيلة تقتلك أنت أو تقتل شخصا آخر من قبيلتك. أنا نفسي عشت فترة في أيام طفولتي في ظروف مشابهة. عبد العظيم قتل جارنا عبد القوي بسكين، وفي الحال أخذ خال عبد القوي سكينه وقتل عبد العظيم في ذات اليوم! بسبب هذا النوع من الأخذ بالثأر والانتقام، كم من الناس ماتوا! كم من النساء ترملت! كم من الأطفال تيمموا!

و ذات مرة كان حسين، وهو من قبيلة مخلوف، يسافر مع جماله، وعند بئرٍ تعارك حسين مع رجل من قبيلة أخرى وقتله! اجتمعت قبيلة القتيل للأخذ بالثأر. وقرروا أنه إما أن قبيلة مخلوف تسلم لهم القاتل أو سيكونوا مضطرين أن يهجموا عليهم ويقتلوا كل رجالهم! وأرسلوا بعض الرجال ليتداولوا في الأمر مع قبيلة مخلوف. اجتمعت قبيلة مخلوف برئاسة الشيخ صالح للتداول مع رجال القبيلة الأخرى. وبعد نقاش طويل وجدال، قال الشيخ صالح: "حسين هو حفيدي ولن نسلمه لكم، ولكن بدلا من سفك دماء العشرات من رجال قبيلتنا، أنا أضع نفسي بين أيديكم لتقتلوني."

تأثر رئيس قبيلة القتيل وقال: "أنا أيضا ابن أصل وشرف، لن أنتقم منك ولا من قبيلتك." وبهذا أنقذت الأرواح ولم تسفك الدماء بفضل شهامة الشيخ صالح. هذا يوضح كيف أنه بتضحية رجل شهم قدم نفسه ليموت بدلا من حفيده، أمكن انقاذ الشاب وكذلك عشرات الرجال. ثم هناك مثال آخر. وقف شيخ من أتباع المسيح في جماعة من المؤمنين يحكي قصة فقال:

كان رجل وابنه الشاب من المؤمنين بعبسى. ذات يوم قال الوالد لابنه: "سأخرج للنزهة في القارب، هل تريد أن تأتي معي؟" فرح الشاب وقال: "نعم يا أبي، ولكن هل يمكن أن نأخذ صديقي معنا؟" وافق الأب وخرج الثلاثة في القارب. البحر هادئ.

والشمس مشرقة. ولكن للأسف، بعد ساعة واحدة، وكانوا قد ابتعدوا عن الشاطئ، تلبدت السماء بالغيوم، وهاج البحر بأمواج شديدة.

حاول الثلاثة أن يوجهوا القارب إلى الشاطئ، ولكن انقلب القارب وطُوح بهم إلى الأمواج الهائجة. كان الأب قريبا من القارب فأمسك به وفكر بسرعة. كان الأب يعلم أن صديق ابنه لا يؤمن بعبسى، لذلك إن غرق يكون مصيره الجحيم. أما إن مات ابنه فهذا لا يعني الهلاك له، بل الحياة في النعيم.

وبسرعة أخذ الأب حبلًا كان في القارب ومعه طوق النجاة. ثم نظر إلى ابنه يعارك الأمواج وقال: "أنت حبيبي يا ابني!" ورمى بطوق النجاة إلى صديق ابنه لينقذه أولا، وفعلًا جذبته إلى القارب. ثم تلفت ليرمي طوق النجاة إلى ابنه، ولكن البحر كان قد ابتلعه إلى أعماقه. اختفى الابن. غرق ومات.

وهنا توقف الشيخ الذي كان يحكي القصة، ثم أكمل حديثه وقال: "بهذه الطريقة أحبنا الله تعالى. إنه ضحى بابنه، بذله إلى الموت من أجلنا. كان يعلم أنه إن متنا فإننا نهلك، لذلك ضحى بالابن لكي لا نهلك نحن!"

قال الشيخ هذا الكلام ثم جلس. لكن شابا عارضه وقال: "أنا لا أصدق أن هذه قصة حقيقية. إنها غير معقولة. من غير المعقول أن الأب يترك ابنه يموت وينقذ صديق ابنه!" قال الشيخ: "نعم يا ابني، عندك حق. هذه قصة غير معقولة. ولكنها حدثت فعلا. نعم حدثت منذ أكثر من عشرين سنة، وأنا هو ذلك الأب، وراعي جماعتكم هو صديق ابني الذي رميت له طوق النجاة، وهو موجود هنا الليلة ويمكنك أن تسأله لتأكد من صحة القصة!"

يقول الرسول بولس بوحى الله: "أَنْتُمْ كُنْتُمْ مَيِّتِينَ بِسَبَبِ ذُنُوبِكُمْ وَطَبِيعَتِكُمْ الدُّنْيَوِيَّةِ غَيْرِ الْمُخْتُونَةِ، لَكِنَّ اللَّهَ أَحْيَاكُمْ مَعَ الْمَسِيحِ." نحن حصلنا على الحياة

بموت المسيح من أجلنا.

قرأت أنه توجد في إحدى المدن في النرويج كنيسة كبيرة على قمة منارتها تمثال حمل. وقصة هذا ترجع إلى تاريخ بناء الكنيسة، فقد انزلت قدم أحد عمال البناء، فسقط من قمة المنارة. رأى العمال الآخرون زميلهم يهوي، فنزلوا بسرعة وهم يتوقعون أن يجدوا زميلهم وقد تمزقت أعضاؤه وتحطمت عظامه ومات. ولكن كم كانت دهشتهم لما وجدوه حيا من غير أن يصاب بأذى! كان السر في ذلك أنه في الوقت الذي فيه سقط الرجل، كان يمر بجوار البناء قطع من الغنم، فسقط العامل على حمل، فمات الحمل ونجا الرجل. لذلك وضعوا تمثال الحمل في ذلك المكان. ألا يذكرنا هذا بعبسى المسيح الذي مات فداء عنا كحمل؟

يقول البعض إن المسيح جاء ليعطينا كتابا. ولكن هذا كلام الناس وليس كلام المسيح نفسه، فالمسيح قال: "أَمَّا أَنَا فَحِثْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ، بَلْ حَيَاةٌ وَفِيرَةٌ." إنه جاء ليعطينا حياة. صحيح كتابه هو الإنجيل الشريف. ونحن حين نقرأ الإنجيل ونؤمن به نحصل على الحياة، ولكن أصلا هذه الحياة هي لأن المسيح مات من أجلنا. إذن فالمسيح جاء ليعطينا لا كتابا بل حياة.

هذه قصة رجل شجاع يتحدث عن صنيع المسيح معه، قال: أنا شاب من أسرة حجازية معروفة في مدينة مكة بالمملكة العربية السعودية، وعلى الرغم من كل ظروف الحياة الرغبة فقد كنت أشعر بالاكتئاب. قلبي حزين دائما. كنت أفنقر إلى الراحة الحقيقية والسكينة والسلام والاطمئنان.

وذات يوم كنت أستمع إلى الراديو في سيارتي وأنا في طريق رجوعي إلى الدار. وأخذت أبحث عن محطات إذاعية مختلفة، وفجأة إذا بي أستمع إلى أغاني رائعة أدخلت البهجة والسرور إلى قلبي. ولما انتهت الأغاني سمعت رجلا يتكلم بحديث ممتع. كانت

هذه أول مرة أستمع الي رجل يتكلم بطمأنينة واتزان. وهنا اكتشفت أنه كان يتحدث عن سيدنا عيسى وعن الأمانة في العمل ومعاملة الناس بالحسنى. ثم جاء متكلم آخر أدخل إلي قلبي الأمان والهدوء.

رجعت الي البيت وبدأت أفكر في الكلام الذي سمعته من الرجلين. لاحظت أنه لم يكن كلاما يحتوي على التهديد والوعيد بجهنم وبئس المصير كما يتوعدنا شيوخرنا دائما. لم يكن كلاما يرمي الناس بالكفر كما يفعل شيوخرنا. أخذت أفكر وأفكر. أردت أن أراسل محطة الإذاعة، ولكني خشيت أن تقع رسالتي في أيدي السلطات، فلو حدث ذلك لقتلوني، باعتبار أنني مرتد وكافر ومفسد في ديار المسلمين. نحن في المملكة العربية السعودية لا نتمتع بحرية الفكر وليس لنا الحق في اتباع الدين الذي نريده. فالسلطات لا تسمح لنا أن نستخدم عقولنا لنختار لأنفسنا، وخاصة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يجوب أعضاؤها الشوارع ليضربوا ويعاقبوا كل من لا يمثل لمعتقداتهم.

قررت أن أبحث عبر الإنترنت عن مواقع تساعدني. أدخلت في الباحث كلمة المسيح وكلمة الإنجيل. ويا لفرحتي، فقد وجدت مواقع عديدة. ولكن كُما حاولت الدخول إلى موقع، ظهرت لي رسالة تخبرني أن الدخول إلى هذه الصفحة ممنوع. لكني ظلت أحاول مرات ومرات، وكنت أثق أنني في النهاية سأجد من يساعدني. وفعلا تمكنت من الدخول إلى موقع أخ كريم. وهناك قرأت أشياء أنارت بصيرتي، وأراحت قلبي. فأخذت أراسل ذلك الأخ وأخبرته أنني أؤمن بسيدنا عيسى وأني أريد أن أقدم له حياتي. وإني أشكر المسيح الكريم، لأن ذلك الأخ ساعدني ولم يقصّر معي، بل أرشدني إلى معرفة الفادي الذي أحبني وبذل نفسه من أجلي. والآن أنا أسير في طريق النور والحق، في درب الهداية والحياة والمحبة، أنا بنعمته وفضله من أتباع سيدنا عيسى المسيح المؤمنين به بحق.

نعم، عيسى المسيح أعطى ذلك الشاب الحياة الحقيقية.

ذات مرة وقفت فتاة صغيرة أمام دار أحد أتباع المسيح، وأخذت تدق على الباب بلهفة. لما فتح الرجل، أخذت تبكي وقالت له إن أمها على وشك الموت وتحتاج إلى مساعدته ليرشدها في طريق المسيح قبل أن تضيع الفرصة. ذهب الرجل مع البنت، وفي الدار وجد الأم في حالة سيئة.

ولكن للأسف كان الرجل، على مر السنين، قد استولت عليه أفكار غير كتابية بشأن الصليب والفداء. وتسبب هذا في أنه ابتعد عن الطريق السوي، ولهذا لم يجد الكلمات المعزية التي تعطي الرجاء لتلك الأم المحتضرة. قال وهو يتذكر تفصيلات تلك المقابلة: "وقفت هناك في محضر أم تموت، ولم يكن عندي شيء أشاركها به يمنحها الحياة التي تنشدها وهي في النزع الأخير. كانت حياتي الروحية قد راح منها الحماس والحيوية. بردت علاقتي بالمسيح فادئاً. ولكنني فجأة رجعت إلى بساطة طفولتي، وبطريقة رمزية قفزت كطفل إلى حضن أمي واسترجعت الإيمان الذي تلقنته منها، وأخذت أحدث تلك الأم عن محبة المسيح الباذلة والمضحية، وعن موته على الصليب لفدائها. فأسلمت نفسها للمسيح وهنا أشع نور الفادي الكريم في قلبها وملأت الابتسامة وجهها وغادرت الحياة في سلام."⁶³

هذا هو أعظم شيء، في فداء المسيح لنا حياة ورجاء ونور وسلام.

شفاء

في عصرنا هذا الذي كثرت فيه الأمراض المستعصية مثل السرطان وغيره، واكتشفت أمراض أخرى لا علاج ولا دواء لها مثل الإيدز أو السيدا أي انعدام المناعة، وعادت أمراض أخرى إلى الظهور كنا قد حسبنا أنها اختفت وانتهت مثل الجدري والسل، في هذا العصر الصعب، يقدم لنا عيسى الرجاء في الحياة والصحة

والشفاء والعافية. قال المسيح: "رُوحُ اللَّهِ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأُنَادِيَ لِلْمَسْجُونِينَ بِالْحُرِّيَّةِ، وَلِلْعُمَى بِالْبَصَرِ، لِأُطْلِقَ الْمَظْلُومِينَ أَحْرَارًا، وَأُعْلِنَ عَنِ حُلُولِ سَنَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ."^أ عيسى عنده القدرة أن يشفي من كل مرض وداء. إنه يشفي الأمراض المستعصية. عيسى يشفي من الأمراض التي لا يمكن الشفاء منها حسب العرف البشري والمقدرة الطبية والإمكانات الصحية. فمثلا البرص أو الجذام هو مرض خطير كريه مُعْدٍ، يجعل المصاب به محطما ومنبوذا. حتى اليوم وفي هذا العصر المتقدم طبيا، لم تكتشف العلوم الطبية طريقة ولا دواء للشفاء من البرص. لكن عيسى لمس الأبرص وشفاه. بل شفى من البرص عدة مرات مسجلة لنا في الإنجيل الشريف، كتاب الله الكريم. لمسة المسيح هي لمسة الصحة والشفاء والطهارة والنقاء. جاء عيسى ليشفي الناس من أمراضهم الروحية والجسمانية. لينقذ النفس من الخطيئة، ولينقذ الروح من نتائج وعواقب الخطيئة والهلاك الأبدي في الآخرة، وأيضا لينقذ الجسم من نتائج وعواقب الخطيئة في هذه الحياة الدنيا.

أجرى عيسى معجزات كثيرة جدا. قهر الشيطان والجن، فطرد الشياطين والأرواح الشريرة من الناس. شفى المرضى والعاجزين ومن كانوا معذبين بأمراض مختلفة. أبرأ من الحمى والبرص ونزيف الدم والشلل والصرع والاستسقاء. منح الأعمى البصر، جعل الأخرس يتكلم، والأطرش يسمع. أعاد الأذن التي بطش بها السيف صحيحة. أعاد الصحة لليد المشلولة والظهر المحني. أقام الموتى إلى الحياة، وبارك في القليل فصار كثيرا. غيّر ظروف الطبيعة، فهدأ العاصفة وأسكت الأمواج الثائرة، لينقذ الذين كانوا في خطر الغرق والهلاك. صنع كل هذا وأكثر، أضف إلى ذلك ميلاده من عذراء، وقيامته من الموت، وصعوده إلى السماء.

عمل هذا رحمة بالناس ورافة بهم، ولكي يؤمنوا به وبرسالته ومحبه وفدائه، ولكي

يروا جلال الله تعالى وعظمته.

كلنا من وقت لآخر نعاني من أمراض وأوجاع مختلفة. منذ بضعة أسابيع أنهيت عملي اليومي في خدمة مولانا عيسى المسيح، ورجعت إلى الدار والعائلة وتناولنا العشاء معا. ثم بعد فترة قرأنا فصلا من كتاب الله الكريم، وتوجهنا بالدعاء معا إلى سيدنا عيسى المسيح، ثم آوينا إلى فراشنا. لكنني استيقظت بعد ساعة واحدة والألم الحاد يطعن جنبي بقوة لا مثيل لها. كان ألما غير محتمل. نعم كلنا من وقت لآخر نواجه المرض والألم. ولكن مولانا يقول لنا: "أَنَا اللَّهُ شَافِيكَ." ويقول داود في المزمير: "بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَيَا كُلَّ كَيَانِي بَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ. بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَلَا تَنْسَي كُلَّ حَسَنَاتِهِ. فَهُوَ يَغْفِرُ كُلَّ ذُنُوبِي، وَيَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِي. يُنْقِذُنِي مِنْ حُفْرَةِ الْمَوْتِ، وَيُتَوَجَّنِي بِالرَّحْمَةِ وَالرَّافَةِ. يَمْلَأُنِي بِالْحَيْرِ طَوَّلَ عُمْرِي، فَيَعُودُ لِي سَبَابِي كَالنَّسْرِ." ^ب إن الله تعالى يشفينا من أمراضنا بمعجزة يعملها معنا، وأيضا عن طريق الطب والدواء. إنه بحكمته عز وجل يعطي الطبيب معرفة الداء وطريقة العلاج. فنحن أحيانا يجب أن نلجأ إلى الله ليشفينا بهذه الوسيلة. أمم لثلاثة أطفال أصيبت بتشنجات عصبية. أخذها زوجها للطبيب، فلم يعرف لها دواء. وبعد تحاليل عديدة وزيارات متواصلة لمستشفيات وعيادات، وبعد فحوص طبية من 21 طبيبا متخصصا، لم يجدوا لها علاجا. وأخيرا، ذات ليلة، بعدما نام الأطفال وذهبت الأم إلى فراشها، خرج الزوج إلى حديقة الدار، وعلى الأرض الترابية ركع وأخذ يتضرع لله تعالى لكي يشفي زوجته باسم عيسى. قال الزوج: "يا سيدي عيسى المسيح، على مدى أربع سنين ونحن نقصد الطب والأطباء والعيادات والمستشفيات دون جدوى، والآن أصرخ إليك وأتضرع أمام جلالك أن تعمل شيئا لشفاء زوجتي." وقبل أن ينتهي الزوج من

دعائه وتضرعه، ألقى الله تعالى في فكره باسم طبيب يعرفه ولكنه لم يقصده في هذا المرض. اتصل الزوج بالطبيب وشرح له حالة زوجته التعيسة. قال الطبيب: "يبدو أن هذا نقص كيمياوي. أحضر لي زوجتك." وفعلا اكتشف ذلك الطبيب أن سبب الداء كان نقصا كيمياويا. وبعدها أعطاها الدواء اللازم، أتم الله لها الشفاء. كان ذلك شفاء معجزيا بقوة عيسى عن طريق الطبيب!

ثم إن الله أيضا يشفينا عن طريق فداء عيسى. يقول كتاب الله عن عيسى إنه "حَمَلْ أَمْرَاضَنَا وَرَفَعَ أَحْزَانَنَا... جُرِحَ بِسَبَبِ مَعَاصِينَا، سُحِقَ بِسَبَبِ آثَامِنَا، نَزَلَ عَلَيْهِ التَّأْدِيبُ لِتَحْصُلِ نَحْنُ عَلَى السَّلَامِ، وَجُجِرُوحِهِ شُفِينَا."^أ ويطبق الوحي هذه الآية على آلام المسيح لشفائنا فيقول: "وَلَمَّا أَقْبَلَ الْمَسَاءَ، أَحْضَرُوا لَهُ كَثِيرِينَ فِيهِمْ شَيَاطِينُ، فَطَرَدَ الْأَرْوَاحَ الشَّرِيرَةَ بِكَلِمَةٍ، وَشَفَى جَمِيعَ الْمَرْضَى. وَبِذَلِكَ تَمَّ قَوْلُ النَّبِيِّ إِشْعِيَا: حَمَلْ أَمْرَاضَنَا وَأَرَّالَ أَسْقَامَنَا."^ب بينما كان يشفي الآخرين، كان هو يتألم! أي أن هذه الآية تتحدث عن الآلام التي قاساها المسيح على الصليب لفدائنا وشفائنا. بواسطة جروحه شفيانا. لذلك نحن نحصل على الشفاء من أمراضنا عن طريق الإيمان بفداء المسيح. لهذا يقول بطرس في رسالته الأولى في الإنجيل الشريف: "جُجِرُوحِهِ شُفِينُكُمْ."^ت

جلشان⁶⁴ فتاة تنتمي إلى عائلة متدينة رفيعة المستوى في باكستان. بدأ عذابها حين أصيبت بحمى أدت إلى شلل نصفي لَمَّا كان عمرها ستة أشهر. أقعدها الشلل فكانت دائما في الفراش. ولما كان عمرها سنة واحدة توفيت أمها. وهنا أصبح والدها مركز حياتها، بحبه لها وحنانه عليها حيث كان يحاول أن يملأ فراغ غياب الأم. أخذت الفتاة تنمو وتكبر وكان أبوها يسعى لتنشأ نشأة دينية. فكان يأتي إلى غرفتها كل مساء ليقضي معها بعض الوقت ويشرح لها الكثير عن مبادئ الدين. وكان

^أ إش 53: 4-5

^ب مت 8: 16-17

^ت 1 بط 2: 24

أيضًا يتابع آخر ما يتوصل له العلم في موضوع مرضها، حتى علم أن هناك أملًا في إنجلترا. فأخذها على الفور إلى تلك البلاد. كانت الفتاة طول الطريق تحلم بأن تحصل على الشفاء على يد هؤلاء الأطباء المشهورين في العالم. وعلى الرغم من أن عمرها لم يكن يتجاوز 14 سنة في ذلك الوقت، لكنها كانت تتخيل نفسها وقد تم شفاؤها وهي ترتدي ثوب العرس الجميل وتُزَفُّ إلى ابن عمها!

وفي المستشفى درس حالتها عدد كبير من الأطباء المشهورين، كما عملوا ما يلزم من فحوص. وأخيرًا بعد عدة أيام من الكشف والفحص والتحليل، قال رئيسهم لوالدها: "ليس هناك علاج لحالتها. ادعوا الله ليعمل معجزة"

بَكَتِ المسكينة بحرقه وتمنت لو بقيت تعيش على الأمل، وسخرت من الطبيب غير المسلم الذي يتحدث عن الله. أخذها أبوها في حضنه وقال لها: "لا تخافي، سوف يتم لك الشفاء يا جلشان. فعلينا الآن أن نطرق باب الله. سنزور مكة، عسى أن يستجيب الله لدعائنا."

وذهبوا إلى مكة وكان بين أفواج الحجاج الكثير من المرضى الذين جاءوا من كل صوب في العالم طلبًا للشفاء. ونحّر أبو جلشان الكثير من الذبائح عنه وعنهما وحتى عن المريبتين المرافقتين لها.

كانت الفتاة طول أيام الحج تدعو الله وتتوسل إليه ليشفيها من مرضها. ولكن شيئًا لم يحدث. ورجعوا من الحج وهي في مقعدها المتحرك تعتب على الله وتقول: "أين أنت يا الله؟"

ودارت الأيام وتزوج ابنُ عمها، فضاع حلم زواجها منه. وتزوج أيضًا إختها كلهم، وبقيت هي في المنزل مع أبيها والمريبات. وبعد فترة فُجعت جلشان بمرض أبيها، وتدهورت حالته بسرعة وأخيرًا قال لها: "لا تخافي يا بنتي، فلن تحتاجي لأحد، لأنني في وصيتي كتبت لك النصيب الأكبر من الثروة بالإضافة إلى المنزل." بكت الفتاة بشدة

وقالت: "لا أريد دارًا ولا ثروة، بل أريدك أنت فقط يا أبي، إن ذهبت سألق بك." قال أبوها: "إياك أن ترتكبي هذه الحماقة. إذا انتحرت، تذهبين إلى الجحيم." وبعد ذلك فارق الحياة.

لم تنم المسكينة تلك الليلة بل كانت تتساءل في نفسها: "لماذا أعيش بعدما مات أبي؟ لماذا لا يسمع الله دعائي؟ هل أخطأت في حقه حتى يعذبني؟ أو هل أخطأ أحدُ والديَّ أو أجدادي؟ هل يوجد من يراني في عذابي ويسمع؟"

وهنا حدثت معجزة، فقد سمعت جلشان صوتًا رقيقًا في غرفتها يقول لها: "من يعطينا عيونًا للعمي وأذانًا للصم؟ من يمنح الموتى حياة؟ أنا عيسى المسيح، إقرأني عني يا جلشان في سورة مريم وفي سورة آل عمران."

تلقت جلشان حولها باحثة عن مصدر الصوت الذي أدخل في نفسها سلامًا عجيبًا. ولم تجد أحدًا. وبعد ذلك راحت في نوم عميق.

وبعد أيام قليلة، أخذت المصحف وبدأت تقرأ فيه عن المسيح ومعجزاته. وهنا بدأت تدعو وتقول: "اشفني يا عيسى المسيح." واستمر هذا الدعاء لا يفارق شفثتها ثلاث سنوات. وذات يوم فوجئت وهي وحدها بنور باهر شديد يملأ الغرفة، وشخص في ثوب أبيض يقول لها: "يا جلشان، قومي من السرير وتعالى إلّى، أنا عيسى المسيح!" أخذت الفتاة ترتجف وتبكي وقالت: "لا أقدر أن أقف لأنني مشلولة!" ولكنه كرر كلماته مرة ثانية وثالثة. وإذا بها، وهي التي ظلت طريحة الفراش تسعة عشر عامًا، تضع قدميها على الأرض، وتقف وتسير نحو عيسى المسيح وتسجد عند قدميه! وهنا وضع المسيح يده على رأسها فرأت جلشان ثقبًا في يده يسطع منه نور باهر. وغمرها النور حتى أصبح ثوبها الأخضر أبيض.

قال عيسى لها: "أنا هو الطريق، أنا هو الحق، أنا هو الحياة. أنا حي وسأعود ثانية. من اليوم يجب أن تبدأي صلاتك بهذه العبارة، يا أبي السماي. ومن اليوم تخبرين

الناس بما حدث لك." وهنا اختفى من الغرفة.

فركت جلشان عينيها وإذا بها واقفة على قدميها، فأخذت تضحك وتبكي في نفس الوقت! ثم بدأت تصرخ: "أبي السماي! أبي السماي!" وبسبب صراخها استيقظ أهل المنزل ولم يصدقوا ما رأته عيونهم.

شُفِيَتْ جلشان بهذه المعجزة غير العادية بقوة عيسى المسيح الإلهية. وأطاعت وصية عيسى لها، فأصبحت تخبرُ الناس عن قوته لِيُغَيَّرَ حياتنا ويُطَهَرَ قلوبنا ويشفي أمراضنا.

نعم، في الصليب شفاؤنا. كان عبد العاطي عاملاً مجتهداً في مصنع الحديد. كان يتقن عمله جيداً. وذات يوم كان يعمل بكمية من الحديد المصهور الذي يغلي حيث كانت درجته 1500 (مئوية). ولكن نقطة صغيرة من الحديد المصهور طارت عن غير قصد إلى عينه اليمنى فأحرقتها. أخبر الطبيب المسكين بأنه لن يستطيع أن يرى بعينه اليمنى أبداً. وللأسف، فإن العين الأخرى بدأت تضعف بسبب الإصابة الفظيعة حتى أصبح المسكين أعمى تماماً.

مضت على تلك الحادثة الفظيعة 21 سنة. ثم سمع عبد العاطي عن جماعة من أتباع عيسى يلتقون مع بعضهم للعبادة وأنهم يدعون الله من أجل المرضى باسم المسيح فيشفيهم. ذهب عبد العاطي وبدأ يحضر اجتماعاتهم بانتظام، وأخذ يدعو الله أن يشفي عينه اليسرى لا اليمنى التي انتهت تماماً بنقطة الحديد المصهور. وهنا بدأ يشعر بالألم واحترق فطيع في عينيه الاثنتين والدموع تنزل منهما. فتح عينيه واكتشف فجأة أنه يستطيع أن يرى بعد 21 سنة وهو أعمى! لم يستطيع الأطباء شرح ما حدث ولكن عبد العاطي يعرف تماماً أن الذي شفاه هو عيسى المسيح الذي هو حي اليوم في السماء، ويعمل المعجزات كما كان يعملها وهو هنا على الأرض قبل ألفي سنة!

حرية

ما أجد وأعظم كلمة الحرية! وما أسعد الشخص الذي يعيش في حرية ويشعر بها فعلاً! يوجد كثيرون من القادة والعظماء والمشاهير الذين قاموا بتحرير بلادهم ومواطنيهم من ظلم مستعمر قاس، أو عدوان عدو غاشم، أو استعباد نظام صارم. أما مولانا وربنا عيسى المسيح فهو الذي جاء ليحرر البشر من عبودية الشيطان وقهر الخطيئة والذنب وخوف ورهبة الموت والقبر.

إن العبودية أصناف وأنواع. فهناك العبودية السياسية التي هي ظلم وشر، حيث يعيش الإنسان في خوف دائم من الحاكم. فهو مطالب بأن يفكر ويعمل ويعيش ويتصرف ويتكلم بتصريح من الحاكم، وبما يرضي الحاكم! العبودية السياسية تحرم المواطن من التمتع بكل ما هو سام ونبيلى، وتفرض قيوداً على الشعب، يفقد بها كرامته وشرفه.

وهناك العبودية الاجتماعية، حيث لا يستطيع الفرد أن يدبر أموره بنفسه لأن ظروف الحياة تشكّلها إرادة الجماعة وتفكير الجماعة وتقاليدها. فأنت مثلاً نشأت في عائلة متيسرة الحال، أسبغ الله عليها مالا وعقاراً ومركزاً، وتحب فتاة مؤدبة محترمة ملتزمة. ولكن المشكلة أنها من عائلة فقيرة، فتقف عائلتك ضدك ولا توافق على مثل هذا الارتباط. هذه عبودية اجتماعية حيث تقرر الجماعة للفرد ما يجب أن يعمل.

ثم هناك نوع ثالث من العبودية وهو العبودية الدينية. ربما تريد أن تقول: "عجبا! ما معنى هذا؟ هل توجد عبودية في الدين؟ وما معناها؟"

نعم! كم من الناس يتمتعون بالحرية السياسية، لكنهم عبيد لعقائد دينية تافهة وبالية. فالذي ليست له الحرية أن يفكر لنفسه في مبادئ دينه، هو عبد ذليل لغيره. إن المعتقدات الدينية والفروض التي يُلزمُ بها غيره هي سلاسل قاسية تقيده

وتكبله. إن الشخص الذي يخاف من لعنة رجال الدين وإرهابهم، فيقبل دون سؤال ما تمليه آراؤهم عليه، هو فكريا عبدا! نعم هذه عبودية دينية. إن دكتاتورية الدين يجب أن يجل محلها الإيمان الحر، الإيمان الذي يختاره الشخص عن رضى وعن اقتناع وليس بالقهر والسيف والإجبار.

وهناك عبودية أخرى، هي عبودية الخطيئة. في هذه الحالة، أنت عبد لرغباتك وأهوائك وميولك الدنيوية الأرضية. هناك قيود تكبلك، وأفكار تسيطر عليك، وشهوات تستعبدك. فأنت لا تعرف معنى الحرية. أنت مثل سجين مقيد في سجن الشهوات. وكما قرأنا منذ لحظات، قال عيسى: "كُلُّ مَنْ يَرْتَكِبُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ".

كان سيدنا عيسى المسيح رجلا حرا، وكان هدفه هو أن يحرر المسجونين المكبلين بالقيود مهما كانت وبالسلاسل مهما اختلفت. ولذلك هاجم رجال الدين المنافقين الذين اختلقوا عقائد وعادات قيدوا بها الناس البسطاء المساكين وأذلّوهم وأتعبوهم. كان علماء الشريعة والفقهاء يستاءون من عيسى ويكرهونه لأنه كان يخترق حدود عالمهم الضيق ويونجهم ويقرعهم على ضلالهم وفسادهم. كان المتشددون والمتعصبون يخافون منه لأنه نقض لهم الشرائع المعقدة التي بنوها على أسس واهية تافهة. وكان البخلاء والممسكون يتحاشونه، لأنه مدح البذل والسخاء والكرم والعطاء. وكان المتكبرون والذين يحبون التظاهر بالدين يُصدمون منه، لأنه ضم إلى صحبته من كانوا قبلا لصوصا أو غشاشين أو زواني!

لقد حطم عيسى الحواجز العرقية والجنسية والطائفية والدينية والمذهبية، فهو الآن يقبل الناس من كل لون وجنس ودين وطائفة، ويحررهم ويقربهم إلى الله الواحد الحقّ الحرّ الموجود في كل مكان وغير المحدود بشيء، الإله المحب الذي يشعر مع الناس ويحبهم. إنه يقبلك أنت إن كنت تأتي إليه الآن مؤمنا به ومتوكلا عليه ببساطة وثقة.

قال عيسى: "إِنْ حَرَرَكُمُ الْإِبْنُ، تَصِيرُونَ أَحْرَارًا حَقًّا." ^أ وقال: "تَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" ^ب ومرة أخرى قال: "أَنَا هُوَ الْحَقُّ." ^ت فالحق، أي المسيح، يحطم قيود الدين، ويكسر سلاسل العبودية. إنه يفتح أبواب السجن ويطلقك حرا. يتحدث الإنجيل الشريف عن الذين يرفضون الحق الذي هو عيسى ويقسون قلوبهم ضد الإيمان به، والتوبة إليه فيقول: يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ضَلَالًا فَظِيمًا، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْبَاطِلَ. وَبِدَلِكِ يَجَلُ الْعِقَابُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ بَلْ فَرَحُوا بِالشَّرِّ. ^ث إنهم إن كانوا يرفضون نداء محبة المسيح، يأتي عليهم عقاب هذه القساوة فيضلون ضلالا أكثر، ويتيهون تيهانا أَشَدَّ، ويصدقون الكذب.

هل ننادي بالحق؟ إن هذا الجيل يحتاج إلى محاربين بوسائل ينادون بالحق في طول البلاد وعرضها. سيف الحق الذي لا يسفك الدماء إنما يُرْهِقُ الباطل ويهزمه هو كلمة المسيح. هذا وحده هو الذي سيغلب وينتصر حين ينادي خدام الكلمة بالرسالة كاملة بلا تخفيف ولا تلفيق وبشجاعة بلا خوف.

قال صديقي عمر المهدي:

"نشأت في ربوع ديار عربية عزيزة، وعلى غداء ثقافة إسلامية عربية.. تفاعلت حياتي وما زالت تتفاعل مع مختلف الأحداث في العالمين العربي والإسلامي. حصدت وما برحت أحصد الزرع الذي كانت بَذَرْتُهُ طفولتي وحداثتي وشبابي.. (إن) ظلمي لنفسي قد جعلني آثما باغيا فيما مضى من عمري. (إني) كثيرا ما استسلمت لمكايد الدهر، واتبعت الضلال والهوى، فاقترفت آثاما شقي. عصيت الله حينما كذبت وسرقت

^أ يو 8: 36

^ب يو 8: 32

^ت يو 14: 6

^ث 2 قس 2: 11-12

وفسقت. وتمردت عليه عندما حسدت وطمعت وحققت وبغضت. ووجدت البارئ لما كدت أقنط من رحمته، وهممت أن أنبذ نعمته الأولى عليّ: نعمة الحياة. نسيت آئذ أن الرحمن كان قد آواني يتيماً، وكساني عريانا، وأشبعني جائعا، وشفاني سقيما. ونسيت كيف عزاني في غربتي وفي أسري، وكيف أنهضني من كل كبواتي. كذلك ما تذكرت كم كان صبورا معي، يحاول بلا كلل أن يُقَوِّم كل اعوجاجاتي.

"لكن الله لم ينسني حتى في حضيض ضلالي. بل أخرجني نوره من ظلام يَأْسِي، وَتَجَنَّنِي محبته من أمواج ظلمي لنفسِي. يومها كنت مزهوقا بالشقاء والألم والتعب، مغمورا في عمق ظلمات بحري. وسمعت صوت عيسى ينادي من كل مكان حولي: "تَعَالَوْا لِي يَا كُلَّ التَّعْبَانِينَ وَالَّذِينَ أَحْمَالُهُمْ ثَقِيلَةٌ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي، وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفُوسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي سَهْلٌ وَجَمِيلٌ خَفِيفٌ".⁶⁵

"ويومها عرفت عيسى. سمعت ندائه ووجدت طريقه، فذهبت إليه. أدركت معنى تَضَحِيَّتِهِ وآمنت به، فحررتني إلى الأبد من الذنب، وجدد لي حياتي حاضرا ومستقبلا. لقد اخترت معتقدي، بهدي وفضل من ربي. مارسْتُ حريتي في الرجوع إليه على طريقه الحق. وأريد طبقا لإرادته أن أمارس حريتي في عبادته."⁶⁵

إني أحمد الله على نعمته وهدايته لصديقي. وهذا هو الذي يَوَدُّ القدير تعالى أن يعملهُ مع كل الناس. إنه ينتظر أن تأتي إليه بإرادة حرة وعن اختيار صادق. إن الله محبة. إنه ليس بحاكم طاغية لا يرأف. ولا هو سيد قاس يستعبد رعيته ويذلُّهم! لا! إنه يقدم لك بشري الحرية. إن رسالته هي رسالة الحرية والسلام والبهجة والفرح. قال الله تعالى لشعب موسى يذكرهم بأيام عبوديتهم وذلمهم في مصر، وكيف أنه هو الذي حررهم: "أَنَا الْمُؤَلَّى إِلَهُكُمْ الَّذِي أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ مِصْرَ، لِكَيْ لَا تَتَّظَلُّوا عَبِيدًا

لَهُمْ. أَنَا حَظَمْتُ قُيُودَ نِيرِكُمْ، وَجَعَلْتُكُمْ تَسِيرُونَ بِرُؤُوسِ مَرْفُوعَةٍ.^أ وَأَنْتَ أَيْضًا، إِنَّهُ يَرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ حُرًا وَأَنْ تَسِيرَ بِرَأْسِ مَرْفُوعَةٍ وَنَفْسِ كَرِيمَةٍ شَرِيفَةٍ.

هل سمعت عن طائر العندليب؟ نحن ما زلنا لا نعلم لماذا يغني العندليب في الليل! على كل حال ربما يسرك أن تعرف ما حدث لعندليب منذ وقت طويل. تقول القصة إنه ذات مرة لما جاء الليل وحل الظلام وظهرت النجوم في السماء، جاء عنديلب إلى شجرة ووقف على غصن من أغصانها وبدأ يغني. كان صوته عذبا يملأ المكان بلحن جميل. ولكن بعد فترة من الوقت تعب من الغناء وشعر بالكسل وسكت ونام حتى الصباح.

وبمجرد أن نام العندليب، حدث أمر غير طيب، بل سيئ جدا، والعندليب لا يعلم به. في تلك الليلة طلع في ذلك الغصن شيء غريب والتف حول رجلي العندليب وهو غارق في نومه لا يشعر بشيء!

وفي الصباح لما صحا من نومه وأفاق من نعاسه، حاول أن يطير كعادته، ولكنه اكتشف أنه مربوط بشيء ما إلى غصن الشجرة، كما لو كان قد وقع في فخ صياد. نشر المسكين جناحيه وضرب بهما الهواء بكل قوته لعله يقدر أن يطير، ولكن للأسف كان ذلك مستحيلا! بل أسوأ من ذلك اكتشف أنه كلما حاول أن يطير، يشتد الرباط حول رجليه.

وهنا ظهرت مجموعة من طيور العندليب تطير بالقرب من الشجرة التي فيها صاحبنا المسكين. فلما رأوا زميلهم في حالته التعيسة، اجتمعوا وحاولوا أن يقرضوا ذلك الحبل بمنقارهم. ولكن للأسف كان الحبل أقوى منهم ولم يقدروا أن يقرضوه. وهنا خافوا ربما يلتف الحبل بطريقة ما حول أرجلهم هم أيضا فيقعوا في نفس المصيبة التي وقع فيها صاحبهم. لذلك قرروا أن يبتعدوا عن الخطر. فطاروا وحلقوا

بعيدا وقد صمموا كلهم في قرارة أنفسهم لن يسمحوا للكسل بأن يسيطر عليهم. وقالوا: "من واجبنا أن نغني في الليل ولا ننام."

مرت الساعات بطيئة والعندليب المسكين مربوط كسجين ينتظر الموت. ولكن من رحمة الله تعالى وفضله، جاء صاحب البستان بالقرب من الشجرة ورأى العندليب التعيس. فاقترب منه وقطع الحبل عن رجليه وأطلقه إلى الحرية. هل تتخيل سعادة ذلك العندليب وفرحه بالنجاة التي لم يكن يتوقعها؟ إنه كان على وشك الموت دون أن يجد من يساعده أو يسعفه أو ينقذه. ولكن جاء الرجل الطيب وأطلقه حرا. هل في بعض الحالات تشعر أنك مثل ذلك العندليب؟ هل أنت مربوط ومقيّد بعادات وأمور غير حميدة؟ إن مشيئة الله تعالى هي أن تطير حرا وتغني بفرح وسرور. إن المولى عز وجل يريد لك أن تفرح وتتمتع بالحياة. وكما أن ذلك العندليب أصيب بالكسل والإهمال في القيام بواجبه، حسب طبيعته، أنت أيضا ربما أصابك الكسل والإهمال في تنفيذ قصد المولى تعالى في حياتك. فالتف حولك حبل اسمه "الكسل" أو "الإهمال" أو "الكراهية" أو "الحسد والغيرة" أو "الطمع" أو "الكذب" أو "الخداع" أو "الكبرياء" أو "الغضب" أو "الشهوة الدنيئة" أو "الزنا" أو "خلق المتاعب للآخرين" أو "الكلمات السيئة والألفاظ البذيئة" أو "العادات المكروهة" أو "السرقه" أو "التعدي على حقوق الآخرين" أو "التمرد ضد الله تعالى في أي شكل من الأشكال". كل هذه مثل الحبل المتين الذي التف حول العندليب. وهي أيضا التففت حولك وربطتك وأذلتك وأفسدت قلبك وحياتك، وجعلتك تعيسا في ليلك وفي نهارك، في نومك وقيامك، في مدرستك ومكتبك وحانوتك ومصنعك وحقلك ودارك. والمشكلة هي أنك لا تدري ولا تعلم أنك وقعت في فخ وأنك لا تقدر أن تنقذ نفسك مهما حاولت. لما حاول العندليب أن ينقذ نفسه كان ذلك مستحيلا! بذل كل جُهد ليُطير بعيدا عن القيد الذي كبله، ولكن هيهات له أن ينجي نفسه. وأنت أيضا من المستحيل عليك

أن تنقذ نفسك. حتى أصحاب العندليب لم يمكنهم أن ينقذوه. وأنت، لا تذهب لأصحابك يا أخي! هم أيضا لا يقدر أن ينقذك. لا صديق ولا قريب، لا إمام ولا ولي يقدر أن يمنحك السعادة التي فقدتها. لا بد من صاحب البستان نفسه أن يأتي إليك ويفك قيدك ويقطع رباطك ويطلقك حرا! من هو صاحب البستان هذا؟ هو مولانا عيسى المسيح. إنه بقدرته يعطيك الحرية والسلام والفرح. وهو الذي قال: "رُوحُ اللَّهِ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ اخْتَارَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأُنَادِيَ لِلْمَسْجُونِينَ بِالْحُرِّيَّةِ، وَلِلْعَمَى بِالْبَصَرِ، لِأُظْلِقَ الْمَظْلُومِينَ أَحْرَارًا، وَأُغْلِنَ عَن حُلُولِ سَنَةِ رِضَا اللَّهِ." 66

نصر

بموت المسيح على الصليب أعطاني القدير النصر والفوز على الخطيئة وعلى الشيطان وعلى الموت. أنا لست عبدا للخطيئة. أنا لست ذليلا تحت سلطان الشيطان كما كنت في الماضي. أنا لا أخاف الموت.⁶⁶

ليس الصليب رمزَ الهلاك، بل هو رمز الحياة. صحيح، كان الصلب وسيلة للعذاب والإعدام والموت، ولكن لأن عيسى مات عليه لفدائنا، أصبح الصليب رمز الحياة والحرية والفوز والنصر!

لا تظن يا أخي أن يوم الجمعة الذي صلب فيه المسيح ومات، هو يومٌ مخجل في تاريخنا المسيحي! لا تظن أنه يوم مؤسف حزين بين يوم الأحد الذي فيه دخل عيسى إلى القدس وسط احتفال وهتاف الشعب له وبين يوم الأحد الذي قام فيه من الموت حيا منتصرا! لا! بل إن ما حدث في يوم الجمعة هو أساسُ إيماننا وعقيدتنا وحياتنا وخلودنا. إنه مركز تفكيرنا وإعجابنا. إنه السبب المجيد الوحيد أننا أتباع عيسى نؤمن به ونحبه ونعيش له ونموت من أجله! من الذي هُزم بسبب الصليب؟

هل المسيح؟ كلاً وألف كلاً! بل الهزيمة كانت من نصيب الشيطان. إن عيسى أتم القصد الذي جاء من أجله وقام منتصراً في اليوم الثالث. إن أعوان الشيطان هم الذين هُزموا بالصليب.

على الصليب انتصر المسيح على الموت وعلى الذنب وعلى الشيطان وعلى قوات الظلام وعلى الألم والحزن. هزمهم، قهرهم، شَهَر بهم، كما يقول الإنجيل الشريف: "وَبِالصَّلِيبِ انْتَصَرَ الْمَسِيحُ عَلَى الْحُكَّامِ وَالْقَادَةِ الَّذِينَ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَنَزَعَ عَنْهُمْ سِلَاحَهُمْ وَسَاقَهُمْ أَذْلَاءَ فِي مَوَكِبِهِ الظَّافِرِ".^أ كما يقول أيضاً إن سيدنا عيسى بموته قضى على إبليس الذي له سلطة الموت.^ب كل ما أمكن أن يعمل الشيطان هو أنه بطريقة معنوية رمزية لدغ كعب المسيح، ولكن المسيح على الصليب سحق رأس الشيطان.^ت

مع أن الصليب هو لعنة، لكن ابن الله حوله إلى فوز وبركة. مع أن الصليب هو أحقر وأتعس طريقة للموت، غير أن المسيح حوله إلى أجد وأسمى وسيلة للحياة، بل الوسيلة الوحيدة للحصول على الحياة الآخرة!

المسيح غيَّر طبيعة الصليب. المسيح غيَّر معنى الصليب. المسيح غيَّر مفهوم البشر عن الصليب. واليوم لا يوجد انتصار أجد من الصليب. لا يوجد بهو سلطاني أبهى من الصليب. لا يوجد تاج ملكي أعظم من الصليب. لا يوجد عرش أجمل وأروع وأسمى من تلك الخشبة التي مات عليها المسيح فقهر الخطيئة والموت والشيطان. بل داسهم تحت قدميه وساقهم أذلاء في موكبه الظافر.

إذن فالصليب هو حكمة لا غباء، قوة لا ضعف، هو مجد لا عار، بركة لا لعنة، هو حياة لا موت! هذا هو العجيب في موت المسيح على الصليب، أنه يظهر وكأنه هزيمة نكراء ولكنه في الحقيقة نصرٌ مبين. لذلك طلب سيدنا منا أن نحتفل دائماً

^أكو 2: 15

^بعب 2: 14

^تتك 3: 15

بموته وقيامته، لأن هذا يعني احتفالنا بحبه وانتصاره. في تضحيته فداؤنا، وفي انتصاره انتصارنا.

إيماني بالصليب ينصرني على الموت. قبل ما آمنت بالمسيح كنت أخاف من الموت، كنت أرتعب من فكرة الموت. سواء موت قريب أو عزيز أو فكرة موتي أنا. لما كنت فتى في الرابعة عشرة من عمري، رأيت حلما عن الموت والجحيم خوَّفني وأرعبني، فبكيت وصرخت إلى عيسى أن يرحمني ويحسن إليَّ بنعمته وفضله. أنقذني من الخطيئة والذنب وحررني من الشر. ومنذ ذلك الوقت وأنا أتبعه وأعيش له بفرح وحماس. أنا اليوم لا أخاف من الموت. لأن إيماني بصليب المسيح يعطيني الشجاعة لأواجه الموت بسلام وثقة وهدوء لأنني عارف مصيري وعارف أنه فداني. وبما أني أنتمي للمسيح، وبما أنه قام من الموت فائزا منتصرا، فأنا أيضا انتصرت بواسطته على الموت وعلى الخوف من الموت. هو حي، وأعطاني حياة. يقول الإنجيل: "وَبِمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادَ هُمْ بَشَرٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، فَإِنَّ عَيْسَى نَفْسَهُ صَارَ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، لِكَيْ يَمُوتَ وَبِذَلِكَ يَقْضِيَ عَلَى إِبْلِيسَ الَّذِي لَهُ سُلْطَةُ الْمَوْتِ، وَيُحَرِّرَ الَّذِينَ كَانُوا طُولَ حَيَاتِهِمْ عَبِيدًا لِلْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ."^أ

في كتاب "رحلة الحاج" الذي كتبه يوحنا بنيان وهو في السجن بسبب إيمانه بكلمة الله النقية الطاهرة، كان الحاج المؤمن بالمسيح يسير في طريقه وفجأة لاحظ أسدا ينتظره. ارتعب الحاج. الأسد يكشر عن أنيابه ويزأر. وليس من وسيلة للحاج أن يتفادى الأسد. وبينما الرجل يقترب وهو يقشعر من الخوف، إذا به يكتشف أن الأسد مقيد بسلسلة متينة إلى عمود ضخمة. لقد جاء شخص قبل الحاج، وسار في نفس الطريق، وقابل الأسد وأخضعه وقَيَّده إلى العمود! ولهذا يسير الحاج الآن في الطريق وهو في أمان، لأن الأسد مقبَّد ولا يمكنه أن يمس الرجل بسوء أو ضرر. فمع

أن الأسد في الطريق، لكن الحاج في أمان.

قصد الكاتب يوحنا بنيان بقصته أن تكون كمثّل بيّن لنا أن المسيح سار قبلنا في نفس الطريق التي نسير فيها نحن اليوم. لقد قابل الأسد المفترس وأخضعه من أجلنا. أنا لن أكون فريسة للموت لأن المسيح قهر الموت لي. ولهذا فإن هتاف الفرحة ورنين النصر على الموت يدوي في جميع أنحاء الإنجيل الشريف، مثل: "يَا مَوْتُ لَنْ تَغْلِبَنَا! يَا مَوْتُ لَنْ تَلْدَعَنَا!"^أ

كما أن الشيطان أيضاً هو عدو مهزوم، وخططه لن تنجح. الطفل الوحيد الراقداً في سلة والمطروح في النيل على وشك الغرق، يصبح موسى الذي نشأ وتعلم في قصر فرعون ليحصل على أفضل إعداد وتدريب في القيادة في ذلك اليوم! يوسف العبد المسجون يصبح حاكم مصر! داود الشاب الطريد الذي كان الملك يتعقبه من مغارة إلى أخرى ومن جبل إلى آخر لكي يقتله، يصبح الملك داود! المسيح المصلوب يصبح الحي الذي قام من الموت وجلس على عرش العالمين!

غَيْرِنِي

لقد غيرني موت المسيح على الصليب. إن قوة الصليب واضحة في حياة الناس المتغيرة. فالشخص البائس الذليل، المتعب من الحياة، واليأس من الظروف القاسية، حين يأتي إلى المسيح بالإيمان، يزول عنه جملُ الذنب والعار والمعصية. وعندها يتبدل يأسُه إلى رجاء، وتعاسته إلى فرح، وخوفه إلى سلام، وضياعه وضلاله إلى هدوء وسكينة وطمأنينة في الصراط المستقيم. هذه هي قوة الصليب التي تغير وتجدد! هذه هي قوة الصليب التي غيرت ملايين من الناس على مدى الأجيال والعصور في كل مكان على وجه هذه الأرض!

ما سبب التغيير الذي جرى لخالد؟ ما الذي جعله شخصا وديعا محبا ودودا لطيفا؟ كان خالد يدرس ليصبح إماما وكان قصده أن يحصل على العلم الكافي الذي يساعده في محو المسيحية وإزالتها من الوجود. كان يعتبر أن المسيحية هي ديانة وثنية.

وكان الدافع لدى خالد حين صادق شخصا من أتباع المسيح، هو أنه أراد أن يجعله يدخل في دين الإسلام. كان يظن أن هذا الصديق هو مثل باقي المسيحيين المعروفين بأنهم يقضون حياتهم في جمع المال والعلاقات غير الشريفة. ولكن كلما ازداد خالد معرفة بذلك الشخص وملاحظته عن قرب، كلما أدرك أن هناك شيئا مختلفا فيه. لم يكن ذلك الرجل مؤدبا وتقيا فقط، بل كان محبا جدا وقلبه مملوء بالحنان والعطف. كان خالد لا يريد أن يعترف بأن ذلك المسيحي يتميز بصفات سامية يعجب بها خالد! استمرت الصداقة ولكن في الخفاء. لم يرغب خالد في أن يعرف أصحابه وأهله بأنه صديق لواحد من أتباع المسيح!

انتهى خالد من دراسته، وحان الوقت أن يرجع إلى بلاده ليصبح إمام المسجد في قريته. حزم أمتعته وراح إلى الفراش مبكرا، فالغد هو يوم السفر والرجوع إلى أهله. ولكنه رأى في الليل حلما أزعجه. رأى صديقه المسيحي راكعا عند صليب كبير وكان يصرخ ويقول: "أين أنت يا خالد؟ أين أنت؟" فاستيقظ خالد من حلمه وهو يرتعش ويبكي، والكلمات "أين أنت يا خالد؟" ترن في داخله. ثم بدأ يسأل نفسه: "حقا، أين أنا؟ أين أنا في رحلة الحياة؟" وهنا اضطر أن يعترف لنفسه بأنه ليس أقرب إلى الله تعالى الآن عما كان عليه حين بدأ دراسته قبل عدة سنين. لقد أمضى حياته يتعلم دينه ويحفظ القرآن ويدرس الحديث ويصوم ويصلي، ولكن مع كل ذلك لم يشعر أنه أقرب لله من صديقه المسيحي. بل بالعكس كان يشعر أن ذلك الصديق يملك ما كان يشاق هو إليه من السلام العميق والمحبة والحنان واللفظ.

وهنا قرر خالد أن يذهب إلى صديقه. وفي أثناء تلك المقابلة، اقتنع أن ذلك

الحلم جاءه من عند الله عز وجل ليرشده إلى طريق الحق والحياة. ولم يتردد أبداً، بل اتخذ أهم قرار في حياته. لقد أصبح هو أيضاً من أتباع عيسى المسيح. وأصبح الآن يعرف معنى السلام الحقيقي. لقد غيّر هذا حياته وأيضاً غيّر رسالته، فبدلاً من الغضب والانتقام الذي كان ينادي به، أصبح خالد ينادي الآن بالمحبة والصفح. تغير خالد وأصبح إنساناً جديداً.

قبل أن أحدثك بقصة خالد، سألت هذا السؤال: ما الذي غيّر؟ والجواب هو: قوة صليب المسيح! قوة فداء المسيح. عظمة محبة الله. عظمة تضحية القدير من أجلنا. قالت زوجة شابة: "تزوجت من شاب غني يمتلك كثيراً من العقارات والأراضي. سارت حياتنا في البداية بشكل جيد، لكنني لاحظت تغييراً حدث لزوجي، فقد أصبح عصبياً وحين كنت أناقشه يغضب ويُهينني، وكثيراً ما كان يحتقرني ويعاملني بقسوة أمام أقاربنا وأصدقائنا.

"أصبحت حياتي جحيماً لا يطاق، وبدأت أكره بيتي وزوجي. وأصبح عزائي الوحيد هو في أطفالي الذين أحبهم بكل كياني. وكم من الليالي نمت فيها والدموع تملأ عيني! كنت أشعر بأن لا قيمة لي، كأني أعيش عبدة في بيتي. ولأن مجتمعنا لا يعطي المرأة الحق الكافي للمناقشة أو الاعتراض، فقد صبرت على حالي مرغمة من أجل أولادي. وفي عشية أحد الأيام كنت أستمع إلى الراديو وسمعت صوتاً عذبا رقيقاً يردد هذه الكلمات بلحن رائع:

"كم لقينا من كروب واكتئابات الحياة

حيث لم نُلقِ عليه (أي على سيدنا عيسى المسيح) كل جمل بالصلاة (أي بالدعاء والابتهاال إليه)

هل تجارب (أي محن) وضيق مثل أمواج الحياة

لطمتنا ورممتنا؟ فعلينا بالصلاة (والتضرع إليه لينقذنا وينجيننا منها!)

"أخذت الدموع تنهمر من عينيّ بغير إرادتي. لقد لمست هذه الكلمات وجداني. وبدأت أرسل هذا البرنامج، وحصلت على نسخة من إنجيل سيدنا عيسى، وبدأت أقرأه سراً. وهنا عرفت أشياء عن السيد المسيح لم أسمع بها من قبل، وبدأ نوره يشرق في قلبي، ودَعَوْتُهُ أَنْ يغيّر حياتي وحياة زوجي. وبطريقة عجيبة لاحظت تغييراً في سلوك زوجي! وبدأ يسألني هو أيضاً عن التغيير الذي حدث في حياتي، فخفت أن أقول له الحقيقة.

"مرت سنة تقريباً عادت فيها علاقة الحب والود تزداد بيني وبين زوجي. فقررت أن أفصح له عن الحقيقة، وتوقعت أن أنال ضرباً مبرحاً أو شيئاً أسوأ من ذلك. لكني كنت مستعدة أن أدفع ثمن اتباعي وولائي ووفائي للسيد المسيح. وكم كانت المفاجأة! لقد قال لي زوجي: 'إن كان المسيح يملك القوة التي تستطيع أن تغيّر الحياة، فأنا لا أقدر أن أقف أمامه!' والأغرب من هذا أنه بدأ يقرأ الإنجيل الشريف معي. لقد ملأ بيتنا الفرح والسلام والحب الذي كنا نفتقده وأصبح السيد المسيح ملكاً على حياتنا." أنت أيضاً يمكنك أن تتغير، أنت كذلك يمكنك أن تتغيري! حين نؤمن بفداء المسيح وتضحيته من أجلنا على الصليب، تتغير حياتنا. نعرف معنى الحياة الحق.

أنا عارف قوة الصليب، أنا اختبرت قوة الصليب. إيماني بصليب المسيح غيّرني وهو يغيّرني في كل يوم لأكون دائماً ابناً مطيعاً لله. أنا إنسان جديد لأن عيسى مات من أجلي على الصليب. راح عني حِمْلُ الذنب الثقيل الذي أتعبني، تخلصت من الماضي الكئيب الذي كان يطاردني، ومن الخوف من المستقبل الغامض الذي كان يزعجني، ومن رعب يوم الدين، ومن قيود الشيطان الرجيم، ومن رهبة الموت، ومن عذاب الآخرة. كل هذا لأنني بإيماني بالصليب، غفر المسيح ذنبي وأعطاني سلامه. وأنا اليوم أعبد الله الأحد بفرح وبهجة وسرور، وأكبر له وأعظمه وأمجده وأحبه وأعزه وأحمده وأسبحه من أجل الصليب، من أجل موت المسيح فداء عني.

على أي أساس؟ على أساس نعمة المسيح وفضله. لأنه مات بديلا عني، نال عقاب الخطيئة بدلا مني. جذبني إليه بحبه وأمنت به، فغيرني. جعل مني إنسانا جديدا. هذا فضل من الله ونعمة عليّ. نعمة الله التي تغفر لنا ونحن لا نستحق. فضل الله الذي يصفح عنا ويسامحنا ونحن غير أهل. عيسى المسيح الطاهر القدوس، له الجلال والكرامة والعظمة والسبح والتمجيد، هو غيّرني.

كتب لي واحد من مستمعي برنامج الراديو اسمه عبد المنعم يقول:
 "أنا طالب بالسنة الثالثة بكلية الشريعة الإسلامية بالجامعة بعاصمة بلادنا. لقد رأيت المتناقضات في ديننا ولذلك يئست من الحياة. لذلك أفكر في أن أنتحر وأنهي هذا اليأس والتشتت الذي أنا فيه."

وفي الحال كتبت خطابا إلى عبد المنعم. ومن ضمن الأفكار التي احتواها خطابي قلت:

"إن كلامك يا عبد المنعم بشأن الانتحار يزعجني جدا. فليس هذا هو الحل لمشاكلك. إن اليأس كثيرا ما ينتج عن الضياع، والضياع أساسه البعد عن الطريق الحق. وما دام السبيل لله تعالى هو واحد، فإن الله ليس هو روما في المثل الذي يقول: كل الطرق تؤدي إلى روما، لا! فليست كل الطرق تقود إلى الله. إنما واحد هو الذي قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ (أي الطريق إلى الله)، أَنَا هُوَ الْحَقُّ، أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ." وهو عيسى المسيح سيدنا. الطريق واحد والسبيل واحد. لذلك مهما اختلفنا من طرق وعبدناها وجمّلناها، فهي طرق البشر ولا تقود إلى الله أبدا.

"فإن لجأت يا عبد المنعم، إلى عيسى وأسلمت نفسك له، يغفر ذنبك. هذا هو السبيل القويم، الصراط الحق المستقيم. عيسى يُحوّل يأسك إلى رجاء، وقنوطك إلى

أمل، وتعاستك إلى بهجة، وحزنك إلى فرح، وكآبتك إلى ابتسامة مشرقة جميلة تجذب الآخرين إليك بالسؤال: "من أين لك هذا؟ من أين لك كل هذه السعادة؟" كما تتحول رغبتك في الانتحار إلى محبة للحياة مع عيسى وفي ظله ومن أجله. هو سيغيرك، سيجعل منك إنسانا جديدا.

"أنا عارف أن هناك صعوبات تقابلك، هناك مشاكل عويصة. لكن عندما نبداً في السير مع عيسى، عيسى الذي لا مثيل له في محبته وتضحيته، فإننا نجد أنه يسير معنا دائما. حتى في المشاكل والصعوبات، يسير بجوارنا، يهمس همسات الحنان والوفاء في قلوبنا. لذلك فإني أرفع قلبي بالدعاء لله عز وجل، أن يفتح قلبك للحق، وينير فهمك، ويملاً فؤادك بدفء حبه وحنانه."

منذ فترة تقابلت لأول مرة مع شاب اسمه إسماعيل، فحدثني بقصته وكيف أن إيمانه بصليب المسيح غيّر مجرى حياته. قال إسماعيل: "أنا مصري وأعمل مصورا. من عائلة بسيطة مسلمة. ومنذ صغري علمتني أمي فروض الدين. لذلك نشأت كشاب متدين أقوم بواجبات الدين وأسعى لإرضاء الله تعالى، فكنت أختلف عن الشبان الآخرين الذين لا يهمهم الدين ولا التدين. ومع ذلك كنت أشعر بجوع روحي وعدم رضا بما كنت أقوم به. كنت أشعر أنني لا أرضي الله. وذات مرة كان لي صديق متدين ومع ذلك فجأة بدأ يتحدث عن عيسى بأسلوب غير معهود وبطريقة جعلتني أشمئز من صديقي وأغضب منه جدا. طبعاً أنا كمسلم أؤمن بأن عيسى نبي من الأنبياء الصالحين، بشر كالbشر الآخرين، لا أكثر ولا أقل. كان صديقي يقول إن عيسى غيّر قلبه، وأعطاه نظرة جديدة للحياة، وملأ نفسه بالفرح والمحبة والسلام والهدوء. كل هذا أثار في نفسي الحقد والكراهية ضد صديقي. أنا متزمت وغيور لديني. ديني هو كل شيء في الحياة بالنسبة لي. فكيف يقول هذا الشخص إن عيسى فعل هذا الأمر وذلك الأمر في قلبه ونفسه وحياته؟ فحاولت أن أرجع صديقي عن هذا الضلال، كما كنت

أظن. فأخذته إلى علماء الدين الذين كانوا أساتذتي، فلم يقدرُوا أن يرجعوه. أخذت أستعمل وسائل أخرى مرة عن طريق الضغط الشديد عليه، ومرة بالاضطهاد وسوء المعاملة. أخبرت أنا وزملائي عائلته بأن ابنهم ضلَّ عن سواء السبيل. حرَّ ذلك في نفس هذا الصديق وتألَّم لأننا أفشينَا سره لعائلته. لكن من المدهش أن صديقي ظل ثابتاً على إيمانه، وكان دائماً يتحدث معنا عن محبة عيسى، ودائماً يعاملنا بالحسنى، ودائماً يظهر لنا اللطف والأدب والخلُق الكريم! كنا نظهر له الكراهية، لأنه في نظرنا مشرك بالله، ولكنه كان يظهر لنا المحبة. كنا قساة في معاملتنا له، ولكنه كان لطيفاً طيباً في معاملته لنا.

"ظللنا على هذا الوضع حوالي سنتين أو ثلاث. في ذلك الوقت اقتنعت أن الإنجيل الذي عند المسيحيين ليس كتاباً تافهاً، بل لا بد أن يكون شيئاً قوياً جعل صديقي يرتدُّ عن الإسلام. وأخيراً قررت أن أدرس هذا الإنجيل ربما يمكنني عن طريق ذلك أن أقنع صديقي بالرجوع عن ارتداده. كان من الصعب عليَّ أن أمسك نسخة من الإنجيل لأقرأه. كنت أخاف أن ينجسني هذا الكتاب. وهنا التقيت مع بعض الأصدقاء وقررنا أن نقتل هذا الشخص الذي ترك الإسلام. أحكمنا المؤامرة ضده. ولكن ذات مرة كنا وحدنا، أنا وهو فقط. فطلب أن يقرأ لي مزموراً لسيدنا داود. سمحت له بذلك وفي قلبي احتقار له وللمزمور الذي سيقراه. لكن بينما هو يقرأ، لمس الكلام قلبي وأثر فيَّ جداً. كان المعنى واضحاً والرسالة قوية. فقد قرأ من المزمور الثاني حيث يقول سيدنا داود: 'لِمَاذَا هَاجَتِ الْأُمَمُ؟ وَلِمَاذَا فَكَّرَتِ الشُّعُوبُ فِي أُمُورٍ بَاطِلَةٍ؟ اسْتَعَدَّ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَاجْتَمَعَ الْحُكَّامُ مَعًا، ضِدَّ اللَّهِ وَضِدَّ الْمَسِيحِ مُخْتَارِهِ وَقَالُوا: "لِنَقْطَعَنَّ قِيُودَهُمَا، وَنَتَحَرَّرَ مِنْ رُبُطِهِمَا." الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ فِي السَّمَاءِ يَضْحَكُ، الْمَوْلَى يَهْزَأُ بِهِمْ. ثُمَّ يُوجِّهُهُمْ فِي غَضَبِهِ، وَيُرْعِبُهُمْ بِغَيْظِهِ.' أذهلت حين قرأ

هذا الكلام لأنه يكشف ما كنا سنقوم به أنا وأصحابي. إنها مؤامرة ضده! وفي الحال شعرت أن هذا الكلام كشف ما في نفسي، وأضاء قلبي المظلم. رأيت أن المؤامرة ليست ضد صديقي بل ضد عيسى المسيح. كنت أظن أنني متحمس لله واكتشفت أنني أعمل ضد الله. رجعت إلى داري ذلك اليوم وأنا شارد ومعذب. لم أتم الليل. شعرت بحماقتي وجهلي. عرفت أنني يجب أن أتوب عن ضياعي وضلالي. وفعلاً في اليوم التالي قدمت نفسي لله بتوبة صادقة. أسلمت قلبي لعيسى المسيح، وطلبت منه أن يصفح عني ويغفر لي. شعرت بحياة جديدة تدب فيّ. إنها ليست ديناً ولا تديناً. بل سلام وفرح وثقة في هذا الإله الذي كنت أتعب له وأعمل بفروض الدين لعلّه يرضى عني. ومع ذلك لم أكن أشعر به ولا بقربه ولم أكن متأكداً أنه راض عني. أما الآن فأني أشعر به في كياني. ملأ قلبي وحياتي بوجوده. إنه اختبار حيّ، أعيشه وأتمتع به. أنا تغيّرت وهو الذي غيّرنى. أنا الآن إنسان جديد."

كانت هذه هي قصة إسماعيل. إنه عرف قوة صليب المسيح التي حوّلت بهذه الطريقة من شاب ضائع غضوب يتآمر بالقتل ضد صديقه، إلى شاب محبّ عطوف لطيف له مستقبل باهر.

وهنا نسأل: من الذي يحصل على هذا التغيير؟ على هذه النجاة، وهذا الغفران المجاني؟ والجواب: من يؤمن بعيسى المسيح. إن كل ما عمله المسيح، تضحيتة العظمى، وآلامه وعذابه، ثم موته وقيامته، كل هذه تكون لها قيمة فقط إذا قبلنا وأخذنا منه بالإيمان.

رجل كان محكوماً عليه بالإعدام، ولحسن أخلاقه في السجن، أصدر الحاكم قراراً بالعفو عنه. ولكن لما أخبروا الرجل عن العفو، رفض قبوله. فما كان من سلطات السجن إلا أن نفّذت فيه الإعدام. نحن نحتاج أن نقبل من المسيح فداءً لنا وبركته علينا.

دعني أقدم لك مثالا لشرح هذه الحقيقة. أنت غني وأنا فقير. رحمة بي، أنت وضعت في البنك مبلغا من المال باسمي يكفي لإعالي فترة طويلة من الزمن. لكني ما زلت أمشي في الشوارع بملابسي المهلهلة، جائعا، محتاجا!

كيف يمكن أن يتغير حالي إلا إذا ذهبت إلى البنك وبدأت أسحب من حسابي ما يساعدني لأحيا حياة كريمة؟ سيدنا عيسى المحبُّ الكريم قدم النجاة لجميع الناس. إن قوة فدائه تكفي لنجاة كل الناس. لكن في الحقيقة من الذي ينجو؟

الجواب: الشخص الذي يؤمن بفداء المسيح.

هل تشتاق إلى مثل هذا التغيير في باطن نفسك، في كيائك الداخلي؟ عيسى وحده هو الذي يستطيع أن يعمل هذا. تعال إليه، ثق في محبته، وتوكل على قدرته فيعمل هذا التغيير. إنه يمنحك الحياة الجديدة الفاضلة والتقوى الصحيحة والصلاح الحقيقي لا الشكلي. إنه يمنحك القوة لتعيش بما يرضيه.

غير قلبي

أصبحت أرى الله كالأب المحب

كان شاب يقود سيارته بسرعة كبيرة، فخالف الإشارة الضوئية الحمراء عند مفترق طرق. أوقفه رجل المرور وطلب منه أن يدفع الغرامة الواجبة، أو يمثل أمام المحكمة فوراً وذلك لخطورة السرعة التي كان يقود بها. لم يكن معه المبلغ المطلوب فذهب إلى المحكمة. وهناك سأله القاضي إن كان يقر بأنه فعلاً كان يقود السيارة بسرعة 100 كم في الساعة وبأنه خالف الإشارة. اعترف الشاب بأنه فعلاً ارتكب الخطأ. ثم سأله القاضي لماذا لم يدفع ما يستحق عليه. أجاب الشاب بخجل: "ليس معي هذا المبلغ." وهنا نطق القاضي بحكمه وهو إن كان لا يدفع الغرامة فوراً، فلا

بد من الحبس! دُهل الشاب من هذا الحكم وأصيب بالخيبة. كانت له علاقة خاصة بالقاضي يبينها تشابه اسميهما. كان هو ابن القاضي. لقد حكم عليه أبوه بالحبس. كيف يفعل ذلك؟ أين الرحمة؟

أخذ الشرطي ذلك الشاب لعمل إجراءات تنفيذ الحبس. وبسرعة ترك القاضي المنصة وخلع ملابس القضاء الرسمية، وأسرع إلى حيث أخذوا ابنه، وأخرج محفظته وأعطاه المبلغ المطلوب ليدفعه وقال: "يا ابني، باعتبار أنني القاضي يجب أن أحمي القانون وأنفذه. وباعتبار أنني أبوك، أضحي من أجلك وأنقذك من الحبس."

هذا، يا صديقي، هو الذي عمله الله معنا. هو الإله العادل الذي يحمي القانون وينفذه. وهو أيضا الإله المحب الذي يفدي وينقذ! ولهذا فإنه بفداء المسيح أصبحت أرى الله القدير باعتبار أنه أبي الحنون. لم يُعذِّد هو الشرطي المخيف الذي يتربص لي وينتظر أن ارتكب خطأ، فيُعاقبني. لا! بل هو أبي. الله هو أبي المُحب!

أصبحت أكره المعصية ولا أطيقها

الإنسان في حقيقته مكون من أجزاء نراها ونلمسها، وأخرى لا نراها بل وأيضا لا ندركها. فعندما أقابلك في الشارع مثلا، ونقف معا لتتحدث فيني أراك وأسمع صوتك وألاحظ تعبيرات وجهك. هذا الجزء من كيان الإنسان هو واضح للآخرين. دعنا صديقي نسمي هذا الجزء: الجسم.

لكن، بينما أنا وأنت نتحدث معا أثناء لقائنا هذا في الشارع، هل أستطيع أن أرى أو أدرك ما يدور في فكرك؟ لا. أنت وحدك تعرف ما في فكرك وقلبك. أو هل تقدر أنت أن تعرف ما في فكركي؟ لا. أنا وحدي أعرف أفكاري. فهذا الجزء في كيان الإنسان يراه ويعرفه صاحبه وحده. وهذا نسميه القلب أو الفكر.

ولكن هناك مُكوّن آخر في شخصيتنا، لا أنا ولا أنت نستطيع أن ندركه أو

نعرفه. هذا الجزء من كيان الإنسان لا يراه ولا حتى صاحبه. إنما يراه الله وحده. ودعنا نسمي هذا القسم من كيان الإنسان: النفس. قد تكون النفس البشرية غارقة في الظلام، وذليلة للشهوات لأنها في قبضة إبليس، يُسَيِّرُها ويوجهها ويستعبدها ويتحكم فيها كما يشاء.

ربما أنت يا أخي حسن الشكل، لكنك تعيش في ظلام النفس ذليلاً للشهوات، لأنك في قبضة إبليس. ويا אחتي، ربما أنعم الله عليك بقدر كبير من الجمال، لكنك في الحقيقة مستعبدة لأفكار دنيئة ونجاسة في القلب، لأن إبليس يتحكم فيك. ربما أنت أيها الإنسان سجين لأخلاق متعفنة، وسلوك أعوج، وانحراف وفساد. لا تحاول إصلاح الخارج قبل إصلاح عطب النفس الداخلي، ولا تجميل الخارج بينما الداخل متعفن. إن الله تعالى يحبك، لذلك أرسل عيسى المسيح ليفديك من فساد النفس ومن عقاب الذنوب. آمن به يغيّر داخلك ويحمل خارجك.

قرأت قصة عن رجل كانت ساعة الحائط في منزله غير مضبوطة. ففتحها ورفع منها عقاربها وأخذها إلى الساعاتي، وطلب منه أن يصلح عقارب الساعة. فقال له الساعاتي: "أنا لا يمكنني أن أجعل هذه العقارب تعمل بدقة إن لم تحضر الساعة نفسها." فقال صاحب الساعة: "إن الساعة لم تتوقف عن الدوران، فلا بد أن العيب هو في العقارب لأنها لا تضبط الوقت." فقال الساعاتي: "إن كانت العقارب لا تضبط الوقت، فذلك لأن الساعة نفسها بها مشكلة في داخلها. يوجد خطأ في داخل الساعة لا بد من إصلاحه."

وأنت يا صديقي، إن سبب الخلل في حياتك هو الخطيئة التي في القلب. ليس العيب هو في مظهرك أو ملابسك، بل المشكلة الكبرى هي أن نفسك انخرفت وضلّت عن الصراط المستقيم.

ذات ليلة كان أحد المطربين المشهورين غارقاً في أفكاره الدنيئة وتدبيراته

الدنيوية، وهو يعزف على القيثارة (الحيتار) أغنية بعيدة كل البعد عن الدين القويم وتقوى الله تعالى. وفجأة رأى صورة عيسى المسيح متمثلاً أمامه، وهو معلق على الصليب، وكأن الدم يسيل من يديه ورجليه المثقوبة ومن جنبه المطعون. اضطرب الرجل وخفق قلبه بشدة، وطرح القيثارة جانبا ووقف على قدميه، وأخذ ينشد أغنيته المشهورة المعروفة حتى يومنا هذا والتي يقول فيها:

وكيف أنسى حملاً،

قد مات عن ذنبي،

واحتمل التعيير،

والآلام والصلب؟

أذكر حبك الذي،

أظهرت يا ودود،

أذكره ما دمتُ،

في الحياة والوجود.

حدثني صديقي الإيراني إبراهيم غفاري فقال: "لقد ولدت في عائلة مسلمة وتربت في الدار والمدرسة على مبادئ ذلك الدين. ولما بلغت من العمر 15 عاما كنت أحاول أن أعمل بكل فرائض الدين وأطبقها بإخلاص. إلا أن هذه الفرائض لم تُغير ما بقلبي، ولم تمنحني السلام الذي كنت أنشده. كنت أحاول أن أعرف الله تعالى المعرفة الصحيحة. كنت أريد أن أتقرب إليه عز وجل، ولكني لم أشعر بقربه. كانت حياتي الشخصية لا سعادة فيها ولا هناء ولا سلام. كنت دائما أسأل نفسي: 'كيف يمكن للإنسان أن يحيا حياة الفرح في هذه الدنيا؟' وكنت أؤمن أن كل الأديان تقريبا تحتوي على إرشادات قيمة، وأن كل ما يحتاج إليه الإنسان هو دمج هذه الإرشادات معا وتنسيقها بحيث تتناسب مع مصلحته ورغباته الشخصية! ومع كل هذا كنت أنايا كذابا ومخادعا!

"وفي يوم من الأيام حدثني أحد أصدقائي برسالة الإنجيل. قال لي إنه رغم حالتي الرديئة التي وصلت إليها من ارتكاب الذنوب والمعاصي، فإن الله يحبني جدا وقد دبر لي النجاة من الخطيئة بفداء سيدنا عيسى المسيح الذي مات من أجلي. وقال صديقي أيضا إن عيسى هو الوحيد الذي يقدر أن يغير حياتي إلى حياة جديدة، حياة الطهارة والصلاح والحب. وفي نفس ذلك اليوم آمنت بالمسيح الإيمان الحق وأسلمت له نفسي وحياتي. شعرت في داخلي بالحب العميق والسلام الحقيقي والفرح الغامر."

كيف تغير إبراهيم غفاري يا أخي؟ الجواب كما أقرَّ به هو، إن حياته تغيرت بقوة عيسى الإلهية، لا بسبب الفرائض التي كان يعمل بها. واليوم هو إنسان جديد بفضل نعمة الله عليه.

بموت المسيح على الصليب حدث وما زال يحدث يوميا تغيير معجزي في حياة مئات الألوف من الناس، من العصيان إلى الطاعة، ومن الشر إلى الصلاح، ومن الظلام إلى النور، ومن الموت إلى الحياة. عيسى الذي مات مصلوبا ثم قام حيا، هو وحده الذي بقوة فدائه لنا يُجري هذا التغيير المعجزي في حياتنا. نحن اخترناه. نحن نعرف معنى هذا التغيير. لا توجد قوة شيطانية أو دنيوية تقدر أن تقنعني بأن هذا التغيير لم يحدث في حياتي. وليس بإمكان كتاب يطعن في الحقائق التاريخية الثابتة، ولا نظام مهما كان منتشرا وراسخا عند الملايين، أن ينكر حدوث ما سمعناه بآذاننا، ورأيناه بعيوننا، ولمسناه بأيدينا، واختبرناه في قلوبنا وحياتنا. لا شيء يمكن أن ينزع منا السلام والفرح والحياة الجديدة التي حصلنا عليها بموت المسيح وقيامته.

غَيْرُ وَضْعِي

ماذا كان وضعي بالنسبة لله وفي نظره؟ كنت مذنبا خاطئا ومجرما ساقطا. كنت في عداوة معه وبعيدا عنه. ولكنه بقوة الصليب غَيَّرَ وضعي! كيف؟

حكم ببراءتي

الله هو القاضي العادل الصالح، والرحمان الرحيم الذي حكم ببراءتي. ليس لأنني دخلت محكمته ومعني أفضال ومميزات وصالحات تجعله يحكم لي بالبراءة ويعفيني من العقاب. لا! بل لأن المسيح دفع نيابة عني كل ما كان عليّ من دَيْنٍ، ثم أيضا هو محامي الدفاع عني. لذلك أُخْرِجُ من المحكمة ومعني مستند قانوني ببراءتي. إن هذا القاضي الصالح الرحيم وجد السداد الكامل لما هو مطلوب مني فيما عمله المسيح من أجلي على الصليب، فأطلقني حرا.

وهذه البراءة تعني أيضا أنني صرت صالحا في نظر القدير! يا له من شيء عجيب للغاية. أنا صرت صالحا في نظر الله، لأن المسيح فداني!

صالحني معه وقربني إليه

الخطيئة فصلتني عن الله. أبعدتني عنه. جعلتني غريبا عليه. هو خلقتني طيبا، والخطيئة جعلتني شريرا، فأبعدتني عنه! خلقتني طاهرا، فجعلتني الخطيئة فاسدا، فطردتني من محضره! خلقتني لأكون بالقرب منه، لكن الخطيئة أضلّتني وأتاهتني. لما أذنبت انكسرت العلاقة بين الخالق والمخلوق. خلقتني لتكون هناك رابطة شخصية بين الإله الكريم الغني والمخلوق البسيط الفقير المحتاج. وفعلا كان هذا هو الوضع بين الله وآدم. كانت هناك رابطة ومودة مباركة. إنما الخطيئة حطمت هذه العلاقة، وأصبح الإنسان بعيدا عن الله.

لكن بالصليب صالحني المسيح مع القدير عز وجل، وجعلني مقبولا عنده. جعلني صالحا. كنت قد كسرت شرع الله وقانونه، ولكن عيسى أمسك بيدي وأخذني إلى محضر الله تعالى. هذا لأنني آمنت به وبصليبه وقيامته من الموت، وأسلمت له، واتخذته ربا وفاديا وهاديا. الآن هو نصيبي ومعيني ومرشدي وقائدي. إنه بنعمته

الغنية وفضله جعلني أمثل في محضر ملك الملوك ورب الأرباب، الخالد الدائم الله الأحـد الذي لا إله إلا هو، وهناك عند عرشه أسجد بخضوع وخشوع، وأيضاً بثقة وفرح لأنه قبلني!

وبذلك تمت المصالحة بدل العداوة، وتوثقت الرابطة بدل الشقاق. كان ينتظرني العقاب الأبدي، والآن حصلت على السلام والبركة والمكافأة الأبدية. بعدما كنت غريباً وبعيداً عن الله، صرت حبيباً له وعزيزاً عليه. كنت عدواً، مبعداً، منفيّاً، مطروداً، فصرت قريباً!

عند شجرة في جنة عدن، أخطأ آدم لأنه أكل من الثمرة المنوعة. فوقع تحت دَينٍ باهظ لا يقدر أن يسدده، وانقطعت العلاقة الصالحة بينه وبين الله. وعلى خشبة من شجرة خارج مدينة القدس مات المسيح فداء عني. فألغى الدين الذي عليّ، وأصبحت لي علاقة جديدة ورابطة متينة مع الله المحب. لقد قربني إليه فصرت حبيب قلبه. قرأت قصة كتبها شاعر إنجليزي⁶⁷ عن رجل غني له أملاك وقصور راح إلى قرية وتظاهر بأنه رجل فقير ورقيق الحال. وفي القرية خطب فتاة قروية بسيطة فقيرة وأخبرها بأنه سيأخذها بعد أيام قليلة إلى كوخه الصغير ليتزوجها هناك.

وفي اليوم المحدد أخذتهما عربية ليذهبا إلى كوخ الزوج. ولكن لدهشتها حين دخلت العربية من بوابات ضخمة، أخذ العمال ينحنون باحترام لهما. ثم وصلت العربية إلى قصر، فخرج جمهور من الناس والخدم لاستقبالهما. كل هذا وهي غير فاهمة ما يجري. ولما دخلا إلى القصر، قال لها رجلها: "يا حبيبتي، كل هذا هو ملك لي، فهو ملك لك أنت أيضاً!"

هذا هو ما عمله المسيح معنا لما فداننا. لقد رفعنا من الفقر والذل والجهل، والآن هو يعلن لنا غناه وحكمته وبركاته ويقول لكل واحد منا: "يا حبيبي، كل هذا هو ملك

لي، فهو ملك لك أنت أيضا!"

الصليب ضروري لوجود هذه الرابطة بيننا وبين الله. إن كنا نهمل هذه الضحية أو ننكرها، فنحن نفقد حقيقة الله وصفاته كما يعلنها الكتاب الشريف، ليرز لنا إله من نوع آخر لا تهمه الخطيئة، ولا يتصف بالحب، ولا يعنيه مصير الإنسان. في هذه الحالة، ربما يظل عيسى في اعتبارنا كمعلم بارع، ونبي عظيم، وصانع معجزات مقتدر، وليس أكثر من ذلك!

إنما الصليب هو العامل الأوحد الذي يجعل العلاقة بين الله وبيننا هي رابطة عهدٍ عقده الطاهر القدوس معي أنا الإنسان المذنب غير الطاهر، لأنه أحبني لدرجة أنه فداني! وبما أنه فداني، فقد انتقلت من كوني عبداً إلى ابن مفدي. فالرابطة ليست بين سيد وعبد، بل بين أب محب وابنه المحبوب!

معنى قيامة المسيح بالنسبة لي

ماذا تعني قيامة المسيح من الموت بالنسبة لي؟ وما هو تأثيرها في؟

1) قيامة المسيح من الموت هي برهان على ألوهيته وسلطانه

إن قيامة المسيح من الموت تبرهن على أنه هو ابن الله. يقول الوحي الكريم: "لَهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ إِلَى الْحَيَاةِ، لِيَكُونَ رَبُّ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ." ^أ ويقول أيضاً: "هَذِهِ هِيَ الْبُشْرَى الَّتِي وَعَدَ بِهَا (الله) مِنْ قَبْلُ بِوَاسِطَةِ أَنْبِيَائِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ. وَهِيَ عَنِ ابْنِهِ رَبَّنَا عَيْسَى الْمَسِيحِ. فَهُوَ كَانَسَانٍ، وَلَدٌ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، وَلَكِنَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ، تَبَرَّهَنْ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ وَذَلِكَ بِقِيَامَتِهِ مِنَ الْمَوْتِ." ^ب أي بقيامة المسيح من

^أ رو 14: 9

^ب رو 1: 4-2

الموت تبرهن أنه هو الله الذي جاء إلينا كإنسان.

قال عيسى في تعليمه للناس، وأظهر بمعجزاته العظيمة، إنه هو الله جاء لعون البشر. هو الله جاء ليفتقد الناس وينقذهم. صحيح كانت معجزاته دليلاً كبيراً على صدق كلامه وصحة ما قال. لكن لو كان قد بقي في القبر من غير أن يقوم، لكانت معجزاته قد تُسيت. إنما قيامته من الموت هي أقوى دليل لنا ولغيرنا، أنه فعلاً هو الله جاء لإنقاذ البشر. وربما لهذا السبب يذهب الشيطان إلى اليهود ويقول لهم إن قيامة المسيح لم تحدث بل بقي في القبر حتى جاء أتباعه وسرقوه. ويذهب الشيطان أيضاً لغيرهم ويقول إن القيامة لم تحدث لأن الصليب لم يحدث وعيسى لم يموت!

فلو كان الذي مات على الصليب مجرد إنسان كباقي البشر، لكان ذلك الموت مثلاً كريماً لمحبة إنسان للناس، وما كنا ننتظر أن يقوم من الموت. لكن قيامته من الموت تُبين لنا شخصيته، وألوهيته. إنه ليس بشراً عادياً، بل الله جاء كإنسان.

كما أن قيامة المسيح من الموت تُبين أنه هو السيد صاحب السلطان والملك المنقذ. ربما كان البعض يتوقع أن يتدخل الله، أن يرسل القدير جيشاً من الملائكة لينقذوا عيسى وينزلوه عن الصليب. لكن لم يرسل الله ملائكة، ومات المسيح دون أن يتدخل الله لإنقاذه. وظهر أن الموت انتصر. تصور الناس أن الموت هو صاحب اليد العليا هنا. لكن لما قام المسيح في اليوم الثالث، تغير كل شيء. هُزم الموت. هُزمت الخطيئة. الصليب أظهر للناس أن المسيح لم ينقذ نفسه يوم الجمعة وذلك لينقذنا نحن بفدائه. والقيامة أظهرت أن المسيح هو السلطان الأعلى على القبر والموت. عيسى، له الجلال والعظمة، هو صاحب السلطة العليا يوم الجمعة وكذلك يوم الأحد.

قال بطرس لليهود: "عِيسَى هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ صَلَبْتُمُوهُ، جَعَلَهُ اللَّهُ الْمَسِيحَ سَيِّدَ الْكُلِّ." وقال لهم أيضاً: "أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ عِيسَى، أَنْتُمْ صَلَبْتُمُوهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِلَهُ آبَائِنَا أَقَامَهُ

مِنَ الْمَوْتِ، وَرَفَعَهُ إِلَى يَمِينِهِ، لِيَكُونَ هُوَ الْمَلِكُ وَالْمُنْقِذُ، وَبِوَاسِطَتِهِ يُمَكِّنُ لِبَنِي
 شَعْبِنَا أَنْ يَتُوبُوا وَتُغْفَرَ ذُنُوبُهُمْ.^أ إن الملك المنقذ هو المسيح الحي وليس فلسفة ولا
 نظاما ولا قائدا ولا نبيا. المسيح هو السيد وقيامته من الموت تبين هذا. هو صاحب
 القوة والسلطة والسيادة. سيد القوم هو القوي بينهم، هو صاحب السلطان فوقهم.
 فقيامته المسيح تبين لنا قوته وسيادته وسلطانه. هذه الصفات كانت موجودة فيه أثناء
 خدمته وقبل موته، لكنها لم تكن ظاهرة بوضوح للبشر. لكن الآن، بعد قيامته
 من الموت، ظهرت هذه الصفات بكل وضوح. فمثلا قبل موته قال إن له السلطة أن
 يغفر الذنوب.^ب والآن قام من الموت. فهو فعلا له السلطة أن يغفر ويسامح. فالذي قال
 هذا ليس إنسانا عاديا. ليس بشرا ساقطا في المعصية كباقي الناس! بل إنه يتصرف
 كالله، يغفر الذنوب. إنه يتكلم كالله، لأنه هو السيد صاحب النفوذ. هو الملك فوق الكل.
 إن قيامة المسيح هي برهان واضح على سلطانه في السماء وعلى الأرض. فنحن
 اليوم نؤمن بكلامه الذي أعلنه لما قال: "كُلُّ سُلْطَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعْطِيَتْ لِي."^ت
 ولما قال: "أَنَا الْحَيُّ. كُنْتُ مَيِّتًا، لَكِنِّي الْآنَ حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ، وَبِيَدِي مَفَاتِيحُ الْمَوْتِ
 وَعَالَمِ الْأَمْوَاتِ."^ث أي معي السلطة، عندي السلطان فوق الموت وعالم الأموات. إن
 عيسى الذي مات على الصليب هو فعلا الملك قاهر الموت وقاهر الشيطان وقاهر
 الخطيئة. هو فعلا "الله المنقذ." الله الذي ينقذ شعبه من الذنب. فالقيامة ليست إلغاء
 لهزيمة الصليب (فالصليب ليس هزيمة كما قلنا). بل هي إعلان لانتصار الصليب.
 الملك الآن هو صاحب السلطان. ورمز ملكه ليس عرشا من ذهب، بل صليبا من
 خشب!

^أ أع 5: 30-31 وأيضا أف 1: 18-20

^ب مر 2: 1-12

^ت مت 28: 18

^ث رؤ 1: 18

أنبا المسيح أتباعه أنه سيموت وبعد ثلاثة أيام يقوم من الموت. لذلك فإنه بقيامته أثبت صدق كلامه وصدق نبواته. فهو مثلاً قال إنه سيرجع إلينا مرة ثانية، أي أنه سيأتي مرة ثانية من السماء. ونحن نصدق في ذلك وننتظره بفارغ الصبر متأكدين أنه سيأتي لأنه أثبت من قبل أنه صادق في كلامه ووعوده.

(2) بقیامة المسيح یعتبرنا الله صالحین عنده

قیامة المسيح من الموت هي الوسيلة التي بها یعتبرنا الله صالحین. یقول الرسول بولس: "فَإِنَّ اللَّهَ يَعْتَبِرُنَا صَالِحِينَ، نَحْنُ الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ الَّذِي أَقَامَ سَيِّدَنَا عِيسَى مِنَ الْمَوْتِ. لِأَنَّ اللَّهَ قَدَّمَهُ إِلَى الْمَوْتِ بِسَبَبِ ذُنُوبِنَا، وَأَقَامَهُ إِلَى الْحَيَاةِ لِيُعْتَبِرَنَا صَالِحِينَ عِنْدَهُ."^أ أي بموته دفع الدين الذي كان علينا، وبقيامته راح إلى عرش الله ومعه هذا المستند الخطير؛ موته النيابي عنا، وهناك حصل لنا على الحكم بالبراءة. ویقول الإنجيل الشریف أيضا: "كَمَا قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الْمَوْتِ بِقُدْرَةِ الْآبِ وَجَلَالِهِ، نَحْنُ أَيْضًا نَحْيَا حَيَاةً جَدِيدَةً. فَإِنْ كُنَّا قَدْ اتَّحَدْنَا مَعَهُ فِي الْمَوْتِ، أَيُّ مُثْنًا كَمَا مَاتَ هُوَ، فَإِنَّا بِالتَّكْوِيدِ نَتَّحِدُ مَعَهُ فِي الْقِيَامَةِ، أَيُّ نَقُومُ كَمَا قَامَ هُوَ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي كَانَتْ فِينَا صُلِبَتْ مَعَ الْمَسِيحِ، لِكَيْ يَبْطُلَ مَفْعُولُ الْخَطِيئَةِ فِي كَيَانِنَا فَلَا نَبْقَى عَبِيدًا لِلْخَطِيئَةِ."^ب

بقيامة المسيح من الموت، زالت شوكة الخطيئة. یقول داود: "بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَيَا كُلَّ كَيَانِي بَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ. بَارِكِ اللَّهُ يَا نَفْسِي، وَلَا تَنْسِيَ كُلَّ حَسَنَاتِهِ. فَهُوَ يَغْفِرُ كُلَّ ذُنُوبِي، وَيَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِي. يُنْقِذُنِي مِنْ حُفْرَةِ الْمَوْتِ، وَيَتَوَجَّعُنِي بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ."^ت

^أ رو 4: 24-25

^ب رو 6: 4-6

^ت مز 103: 1-4

وقيامة المسيح من الموت هي الختم الذي صدّق به الله تعالى على أنه قَبِلَ فداء عيسى للبشر، قَبِلَ أن يعطينا صالحين عنده على أساس هذا الفداء. في يوم الجمعة قال المسيح وهو على الصليب: "تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ." أ وفي يوم الأحد كَأَن الله القدير يقول من السماء "آمين" وذلك بقيامه المسيح من الموت.

(3) بَقيامة المسيح، نحن الآن لنا شفيعٌ عند الله

ولأن المسيح قام من الموت وهو الآن حي، أصبح أيضا يشفع فينا. يقول الإنجيل الشريف إنه: "قَادِرٌ أَنْ يُنْقِذَ إِلَى التَّامِّ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِوَاسِطَتِهِ، لِأَنَّهُ حَيٌّ دَائِمًا لِيَشْفَعَ فِيهِمْ."^أ ويقول: "مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَخْصِمَ ضِدَّنَا؟ لَا أَحَدًا! لِأَنَّ الْمَسِيحَ عَيْسَى مَاتَ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ قَامَ حَيًّا، وَهُوَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ يَشْفَعُ فِيْنَا."^ب نعم، إنه ليس ميتا بل حيٌّ، فهو يشفع فينا.

الله تعالى يقبل هذه الشفاعة، لأن هذا الشفيع مؤهَّل من كل ناحية للقيام بها. فهو طاهر وكامل وصالح و قدوس وهو الذي أتم فداءنا. يقول يوحنا: "يَا أَوْلَادِي الْأَعْرَاءَ، أَكْتُبْ لَكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تُخْطِئُوا. لَكِنْ إِنْ أَخْطَأَ وَاحِدٌ، فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْأَبِ هُوَ عَيْسَى الْمَسِيحُ الصَّالِحُ."^ج هذا هو الأساس الهام والخطير أن لنا شفيعا صالحا و قدوسا.

ثم يقول الكتاب أيضا إن: "خَبَرْنَا الْأَعْلَى هَذَا قَادِرٌ أَنْ يَفْهَمَ صَعْفَنَا."^د وذلك لأنه عرف واختبر ما نختبره نحن هنا في هذه الحياة. قابل نفس الظروف والمحن والتجارب

^أ يو 19: 30

^ب عب 7: 25

^ت رو 8: 34

^ث 1 يو 2: 1

^ج عب 4: 15

التي نقابلها، فهو يفهم ضعفنا، يتعاطف مع آلامنا، يشاركنا أحزاننا. لاحظ هذه الكلمات بعناية. إن الكتاب لا يقول إنه يتعاطف معنا في ذنوبنا، ولا في معاصينا. بل يفهم ضعفنا. لأن الحقيقة هي أن المسيح لا يتهاون ولا يتسامح مع ذنوبنا، بل يدينها ويحكم عليها. إذن هذا هو شفيعل حين تكون ضعيفا، ومسكينا، وحزينا، ومكتئبا، ومغموما، ومزاجك معكرا. تعال إليه وقل له: "يا سيدي، أنا اليوم مزاجي معكرا، أنا مكتئب، من فضلك ساعدني."

المسيح يشفع فيك. هو فاهم أحوالك وظروفك. إنه عرف معنى الاضطهاد وسوء المعاملة والظلم. هو اختبر كيف يكون الحال عندما يقوم الناس ضده، حتى صديقه القريب. هو يفهم وضعك حين يتهمك الآخرون بأشياء لم ترتكبها ولم تخطر على بالك. أنت تحبهم وهم لا يحتلمونك ولا يطيقونك! أنت تتمنى لهم التقدم والنجاح، وهم يتمنون لك التأخر والفشل! أنت تريد لهم الفلاح، وهم يطعنونك في الظهر! أنت تخدمهم، وهم يعتبرون أن ذلك واجبك! نعم، سيدنا تألم بكل ما نتألم به. شفيعلنا قادر أن يفهم ضعفنا.

قرأت قصة عن ولد أخذ يحتفظ بكل ما يحصل عليه من مصروف يعطيه له والده، وأخيرا ذهب إلى حانوت يبيع الحيوانات الأليفة. وفي نافذة الحانوت أعجبه كلب صغير، فدخل وطلب من التاجر أن يبيعه ذلك الكلب الصغير. ولكن الرجل حاول أن يقنعه أن يشتري كلبا غيره. لكن الولد أصر، وأخيرا قال له الرجل: "لماذا لا تختار كلبا آخر؟ إن هذا الكلب الصغير أعرج لأن رجله أصيبت منذ فترة ولن يمكنه أن يسير بطريقة عادية."

وهنا شمر الولد عن رجله اليمنى وقال للرجل: "أنا أيضا أصيبت رجلي وبترها الطبيب، فأنا أيضا أعرج. ولذلك أنا أعرف كيف أهتم بهذا الكلب الأعرج وأعتني به. أرجوك أن تبيعني إياه!"

عيسى مر فيما تمر فيه، ولذلك هو قادر أن يفهم ضعفك.

في قصة من الأدب الروسي⁶⁸ يتحدث الكاتب عن سائق عربية مات ابنه. كان حزن الأب فائق الوصف. وفي كل مرة كان ينقل الناس في عربته من مكان إلى آخر، كان يحاول أن يخبرهم عن موت ابنه، وعن حزنه الشديد، لعل أحدهم يرثي له ويقول له بعض كلمات التعزية والتشجيع. ولكن للأسف، في كل مرة حاول فيها أن يتحدث عن هذا، كان الراكب مشغولا بالحديث عن مشروعاته ومشغولياته وتجارته وفلاحته ومكاسبه. وأخيرا قرر السائق المسكين أن يتحدث مع حصانه الذي يجر العرب، ليخبره عن حزنه وألم نفسه ووجع قلبه!

هذه قصة تبين قسوة الناس الذين ليس لديهم مكان في وقتهم وبرامجهم ليعزوا نفسا حزينه أو يطيبوا خاطر أب مكوم! ربما أنت تشعر مثل سائق العرب، تشكو ولا واحد يصغي، تئن ولا واحد يسمع. الكل مشغول. لكن عيسى ليس كالناس، إنه يسمعك يا أخي. إنه يصغي لأنينك وصراخك ودعائك. لنا شفيع يفهم ويعزي ويطيب الخاطر.

وكما شجع عيسى تلميذه سمعان بطرس، يشجعك أنت أيضا اليوم ويقول لك: "يَا مُصْطَفَى (أَوْ يَا فَاطِمَةُ أَوْ يَا عَبْدَ الْقَادِرِ)، طَلَبَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَمْتَحِنَكُم كَمَا يُعْرِبِلُ الْفَلَاخُ الْقَمَحَ. لَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِكَ، لِكَيْ لَا يَفْشَلَ إِيمَانُكَ." نعم، هو شفيعك.

4) قيامة المسيح هي العربون أننا سنقوم من الموت

بقيامة المسيح من الموت لنا وعد، لنا عربون أننا نحن أيضا سنقوم من الموت. منذ فجر التاريخ والموت هو عدو الإنسان. نحن لا بد أن نموت. أنا وأنت وكل الناس. لكن لأن المسيح قام من الموت فهذا ضمان لنا أنه سيقمنا نحن أتباعه أيضا من

الموت لنكون معه.

لأن المسيح قام من الموت، فالذين ماتوا مؤمنين بالمسيح سيقومون هم أيضاً. قال الكتاب: "الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ الْمَسِيحَ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهَذَا هُوَ الْعُرْبُونُ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ مَاتُوا سَيَقُومُونَ أَيْضًا." أ هذا هو الضمان أننا نحن أيضاً سنقوم. وقال المسيح نفسه لأتباعه: "لَأَنِّي حَيٌّ فَأَنْتُمْ أَيْضًا سَتَحْيَوْنَ." ^ب

قال شاعر عربي:

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة
أي المعاني بأهل الأرض مقصود
لم تُعطينا العلم أخباراً يجيء بها
نقل ولا كوكب في الأرض مرصود ⁶⁹

والمعنى هو: نحن نفارق الدنيا ولا نعلم لماذا جئنا إليها، ولا إلى أين نحن ذاهبون! هذا هو صوت من لا يعرف معنى الحياة مع المسيح وفي المسيح. والجواب الشافي لجهل هذا الرجل هو أن عيسى قام، وهو يريد لنا أن نحيا منتصرين وبعدها نموت، نقوم كما قام عيسى إلى حياة النعيم.

قال لوثر: "يا موت، يا ملك الأهوال، أنت ظننت أنك قهرت مولانا المسيح لأنك أبقيته في القبر 3 أيام. لكن الحقيقة هي أنه هو الذي قهرك فقام حيا! ولذلك لن تقهرني، لن يمكنك أن تبقيني في القبر، لأنني أنا حي فيه. أنا أحيأ وأتألم من أجل اسمه. قد يُطاردني الناس، وقد يحرموني من الحياة في هذه الدنيا، لكن هذا لا يهمني. إنما المهم هو أنني لن أبقى ميتاً، بل سأحيأ مع مولاي عيسى المسيح لأنني عارف

^أ 1 كور 15: 20

^ب يو 14: 19

^ت يو 14: 19-20

ومؤمن أنه حي.⁷⁰

المسيح قام، فنحن أيضا سنقوم من الموت لنكون معه إلى أبد الأبد. يقول الإنجيل الشريف إنه عندما يرجع عيسى من السماء، فإن أتباعه الذين هم أموات يقومون من الموت، والذين هم أحياء يُخطفون بقوة الله لمقابلة المسيح في الهواء. قال بولس: "نَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّ عِيسَى مَاتَ ثُمَّ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، وَكَذَلِكَ نُؤْمِنُ أَنَّ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِهِ، سَيَقِيمُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتُوا مَعَ عِيسَى. نَحْنُ نُخَيِّرُكُمْ بِالْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَبْقَى أَحْيَاءَ حِينَ يَأْتِي، لَنْ نَسْبِقَ الَّذِينَ مَاتُوا. لِأَنَّ الْهَتَافَ يَدْوِي، وَرُؤَسَى الْمَلَائِكَةِ يُنَادِي، وَبُوقَ اللَّهِ يَضْرِبُ، وَيَأْتِي الْمَسِيحُ نَفْسُهُ مِنَ السَّمَاءِ. فَأَوَّلًا يَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ الَّذِينَ مَاتُوا، ثُمَّ نَحْنُ الَّذِينَ نَبْقَى أَحْيَاءَ نُخْطَفُ مَعَهُمْ فِي السَّحَابِ لِتُقَابِلَ الْمَسِيحَ فِي الْهَوَاءِ، وَبِذَلِكَ نَكُونُ مَعَهُ إِلَى الْأَبَدِ. إِذَنْ سَجَّعُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ".^أ

بغير قيامة المسيح يصير موته مجرد إعدام لشخص ادَّعى أشياء لا تحقق له. لو لم يكن المسيح قد قام من الموت لكان الشر قد انتصر على الخير، والكراهية على الحب، والموت على الحياة! لكن المسيح قام منتصرا فائزا وأعطانا الرجاء، أعظم رجاء في قيامتنا نحن أيضا من الموت. ولأن المسيح قد قام من الموت، نحن الآن نعلم بكل يقين أن الله سيمسح كل دمة من عيوننا. نحن نُعَبِّدُ ونحتفل ونبتهج بموته يوم الجمعة، وأيضا نُعَبِّدُ ونحتفل ونبتهج بقيامته يوم الأحد!

وإن كانت قيامته هي العربون أننا سنقوم من الموت، فهي أيضا العربون على أنه سيتم لك كل وعد وعذك به، ويحقق كل كلمة مشجعة أعطها لك. هل وعدك في كتابه بالحفظ والرعاية والأمان والسلام والفوز والنصر والفرح؟ إذن سوف يحقق لك كل هذا. لماذا أنا متأكد من هذا؟ لأنه قام من الموت.

5) قيامة المسيح تبين أنه هو ديان العالم

يوم الدين لا بد سيأتي. إن قيامة المسيح من الموت تبين أنه هو ديان العالم. يقول الإنجيل الشريف: "إِنَّ اللَّهَ فِي الْمَاضِي غَضَّ النَّظَرَ عَنْ هَذَا الْجَهْلِ، أَمَّا الْآنَ فَهُوَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا. لِأَنَّهُ حَدَّدَ يَوْمًا فِيهِ يُحَاسِبُ الْعَالَمَ بِالْعَدْلِ بِوَاسِطَةِ الرَّجُلِ الَّذِي اخْتَارَهُ. وَبَرَهَنَ لِّجَمِيعِ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ اخْتَارَهُ بِأَنْ أَقَامَهُ مِنَ الْمَوْتِ."^أ

في يوم الدين سيكون سيدنا عيسى إما المحامي الذي يدافع عنك أو القاضي الذي يحكم عليك. والاختيار لك وأنت هنا في هذه الحياة. إن كنت تنتظر لليوم الآخر، تكون الفرصة قد أفلتت من يدك، وضاع كل أمل.

واحد من أتباع المسيح الذين كنت أفخر بمعرفتهم هو الدكتور كريستي ولسن الذي كان يعمل داعية ينادي باسم عيسى في أفغانستان. وهو الآن قد انتهى من مهمته ودعاه ربه إلى جنة النعيم فرحل عن هذه الأرض منذ بضع سنوات. ذات مرة كنا في اجتماع وحدثنا الدكتور ولسن بهذه الواقعة: في عام 1959 طلب الدكتور ولسن من أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة أن يتدخل عند الملك محمد ظاهر شاه ملك أفغانستان ليصرح لأتباع المسيح في تلك البلاد ببناء كنيسة. وفعلا بُنيت الكنيسة في العاصمة كابول. ولكن في عام 1973 طردت السلطات الدكتور ولسن وآخرين غيره من أتباع المسيح وفي 17/7/1973 هدمت الحكومة مبنى الكنيسة في كابول وأزالته تماما! ولكن القدير الذي لا ينعس ولا ينام حكم أيضا بطرد الملك وإزالته من عرشه في نفس تلك الليلة!^ب فقد حدث انقلاب عسكري وضاع الملك منه.

من هو عيسى؟ هو الديان الذي يحكم على أعمالك هنا ثم أيضا في يوم الدين. نعم هو ديان العالم.

^أ أع 17: 30-31

^ب قارن دانيال 5: 30-31

هرب قاتلان من السجن في ظلام الليل واخترقا الحواجز وقفزا من فوق السور وعبرا المزارع حتى وصلا إلى الطريق العمومي، حيث صادفا سيارة. توقف صاحب السيارة، فطلبا منه أن يأخذهما إلى محطة القطار فوافق. ولكن قائد السيارة أدرك بسرعة أنهما هما المجرمان اللذان قتلا أمه! وبدلا من أن يتجه بهما إلى حيث يريدان، قادهما بسرعة إلى قسم الشرطة! ربما الإفلات من السلطة الأرضية أمر صعب، فهل يمكن الإفلات من قضاء الله تعالى ومن اليوم الآخر؟ قالت الملائكة عن عيسى بعدما قام من الموت إنه حي. وقال هو عن نفسه: "أنا حي". وهذه هي الرسالة التي يعلنها القبر الفارغ. عيسى قابل العدو، أي الشيطان، على ساحة القتال وهزمه. لم يمكن للقبر أن يحتويه ويمسكه ويبقيه داخله، فقام منتصرا. وأنت، إن كنت تقبل هذه الرسالة، تحيا وتنتصر أيضا على الشيطان. أما إن كنت ترفض هذه الرسالة فهناك قيامة أخرى يتحدث عنها الإنجيل الشريف فيقول إن غير المؤمنين بعيسى سيقومون أيضا من الموت ويقفون أمام عرش الديان ليحكم عليهم بالهلاك الأبدي لرفضهم المسيح. إذن غير المؤمنين به سيقومون أيضا، لكن لا للحياة، بل ليوم الدين الرهيب المخيف وعذاب الجحيم الأبدي.

ماذا يطلب الله منك في ضوء الصليب والقيامة؟

المسيح مات وقام من أجلك. وأنت الآن تدرك صحة هذا. في صليبه فداؤك، وفي قيامته حياتك. فماذا تعمل الآن؟ عليك واجبات ومسؤوليات، لكي يمكنك أن تعيش له ومعه، وتمجد اسم فاديك وربك من يوم إلى يوم.

1) أن تدرك خطورة المعصية وتطلب من الله المغفرة

يجب أن ندرك أن المعصية شيء خطير. الخطيئة هي إهانة في حق القدير.

الخطيئة تفصل الإنسان وتبعده عن الله. لا تظن أن رفض المسيح أمرٌ هين. لا يتحدث الكتاب الشريف أبداً عن إمكانية النجاة من الذنب ومن الجحيم عن طريق التشبه بحياة المسيح أو تطبيق مبادئه وتعاليمه في حياتنا. بل عن طريق الفداء بدمه. هذه هي الطريقة الوحيدة للنجاة. هذه هي طريقة الله لنحصل على الغفران والحياة. سمعت عن والدين يرفضون نقل الدم لأطفالهم حتى ولو كانوا في خطر، وذلك لأسباب دينية وعقائدية. وفي بعض الحالات تدخلت السلطات وفرضت نقل الدم للطفل، وفي أغلب الحالات أمكن إنقاذ حياة الطفل. لكن الذين يرفضون دم المسيح، سيلاقون الموت الأبدي. لن يكون هناك سلطات تتدخل من أجلهم، ولن يكون هناك شفيع أو وسيط. إن النجاة هي بدم المسيح هنا في هذه الحياة.

كف يا أخي عن التماس الأعذار! يجب أن تدرك أنك أخطأت في حق الله تعالى.

ثم بعد أن تدرك خطورة المعصية، يجب أن تطلب من المسيح الصفح والغفران. أنت أخطأت في حقه هو، فلا أحد غيره يستطيع أن يغفر لك.

اطلب منه أن يغفر لك

ملكة جميلة كان كل همها أن تقضي يومها تترفه وتتنزه في حدائق قصرها، وتنظر إلى المرأة معجبة بجمالها. هاجم بلادها مرضُ الجدري، وأصيبت به، فتركها مشوهة الوجه. فما كان من الملكة إلا أن أمرت بتحطيم كل مرآة موجودة في القصر لكي لا ترى وجهها الذي صار قبيحاً.

مسكينة هذه الملكة! هل كانت تظن أنه بتحطيم المرايا، يتغير حالها؟ صحيح أصبحت لا ترى شكلها القبيح، ولكن كان الآخرون يرونه يوماً بعد يوم. هل أنتِ

مثل هذه الملكة أيتها الفتاة؟ هل تظنين أنه يمكنك أن تخدعي الآخرين لكي لا يروا الحالة التعيسة التي صرتِ عليها؟ هل أنت مثل هذه الملكة أيها الرجل؟ هل تظن أنك تقدر أن تخفي معصيتك وجريمتك والقباحة التي وصلت إليها؟

صدقي يا أخي أن التدين والتقوى والصالحات لا تمنحك مغفرة الذنوب. قرر فريق من الحلاقين في مؤتمريهم السنوي أن يقيموا معرضاً يبين قيمة فن قص الشعر وأهميته. ولزيادة تأثير الفكرة في الناس، وجدوا شاباً منبوذاً مهملاً يعيش بين القاذورات وأكوام الزباله، فأخذوه وقصوا له شعره وحلقوا له لحيته وحمموه ونظفوه. ثم ألبسوه ثياباً جديدة أنيقة، ووضعوه في معرضهم بزهو وافتخار، ليبينوا تفوق فن الحلاقة ومهارة الحلاقين في تغيير شكل الإنسان المنبوذ المهمل، ليصير وقوراً أنيقاً نظيفاً.

ولكن للأسف، لم تمض بضعة أيام بعد انتهاء المعرض، حتى رجع الشاب إلى حياته الأولى، فراه بعض الناس بين أكوام الزباله، بملابسه الجديدة الأنيقة الغالية وقد توسخت، وتشعث شعره، وهو في حالة مزرية من القذارة والتعاسة. إن الحلاقين غيَّروه من الخارج، جعلوا مظهره أنيقاً محترماً من الخارج فقط. لكن طبيعته الداخلية ومشاكله النفسية التي تدفعه للبقاء في هذه الحالة المزرية لم تتغير.

وأنت كذلك يا أخي، مهما حاولت أن تنظف نفسك وتبدو في الخارج بغير ما أنت عليه من الداخل، سترجعُ دائماً إلى أكوام الزباله الأخلاقية، وقاذورات وعفن النفس المريضة البعيدة عن عيسى.

في حديث طال أكثر من ساعة حاول رجل متعلم مهذب أن يثبت لي أنه شخص صالح، وأنه لحسن أخلاقه لا بد أن يمن الله عليه بالنعيم! وأنا متأكد أنني إن سألتك يا صديقي ستقول لي نفس الشيء وأنت طيب وصالح. ولكن دعنا نترك آراءنا في أنفسنا جانباً ونفحص كلمة الله، لنرى ما يقوله الإنجيل الشريف بشأن أخلاقنا وأعمالنا.

ذات مرة جاء رجل من قادة الدين اسمه نقديموس إلى عيسى ليزوره. أكان نقديموس فقيها مهذبا وعالما متبحرا في أصول الدين والعقيدة والشريعة والعبادات. كان بحسب الظاهر أمام الناس شخصا كاملا، لا لوم عليه ولا عيب فيه. لكن من العجيب أنه لما جاء إلى عيسى في هذه الزيارة قال له عيسى: "أنت متدين، حسنا. ولكن تدينك لن ينفعك! أنت تحتاج إلى حياة جديدة. أنت تحتاج أن تولد من جديد!"

لا شك أن هذه العبارات التي نطق بها عيسى هزت هذا الرجل وحيرته وأذهلته، لأنه كان يعتبر نفسه تقيا ومستقيم الخلق وحسن السيرة وطيب السمعة! وأنت أيضا يا أخي، ربما أنت طيب وتقي وتقوم بالفرائض كما يجب، الصلاة والصوم والزكاة، ولكن المهم هو أنك تحتاج إلى حياة روحية، لأنه مهما كان تدينك أنت ميت روحيا. صحيح أنت تتنفس وتأكل وتتكلم وتسمع وتتحرك. لكن هذه حياة بالجسم فقط، والذي يعوزك هو حياة جديدة. أنت ميت بالذنوب والمعاصي وتحتاج أن تولد من جديد.

فلما قال عيسى لنقديموس: "أنت تحتاج أن تولد من جديد"، قال له نقديموس: "كيف يمكن للإنسان أن يولد من جديد؟ هل يدخل بطن أمه ليتم ذلك؟" أجابه عيسى: "أنت لا تفهم يا نقديموس فأني أتحدث عن الولادة الروحية التي تتم بقوة روح الله تعالى في قلب الإنسان."

هذا يعني أن التدين لا يدل على أن قلبك من الداخل طاهر. إن الصلاة والصوم والزكاة لا تعني أن الله تعالى يرضى عنك. إن الحسنات والصالحات التي تقوم بها لا تنقذك من يوم الدين. بل إنك تحتاج أن تسلم نفسك وقلبك إلى عيسى المسيح ليمنحك هذه الولادة الجديدة بروحه القدوس المبارك، فتصير شخصا جديدا، كما

يقول الإنجيل: "إن كان واحد ينتمي للمسيح، فهو خليفة جديدة. زال القديم، وجاء الجديد."^أ

صديقي، ربما أنت من عائلة تتصف بالتدين والتقوى، لكن العائلة لن تنفعل في يوم الدين. أنت تحتاج أن تصفّي حسابك عن نفسك بنفسك، فلن ينفعك غيرك في يوم الحساب. ربما تقول "صحيح، أنا أرى أن عيسى يغفر ذنوبي ويغير شقائي إلى فرح، لكن ماذا سيقول الناس عني، إن أنا تحولت إلى المسيح وأسلمت له؟" أخي، لكي أرد عليك دعني أحكي لك قصة الأمير الهندي الذي هُزِمَ في معركة ضد أمير آخر. ركب الأمير المنتصر فيله وأمر الأمير المهزوم أن يسير حافي القدمين أمامه مع باقي الأسرى! غضب الأمير المهزوم وقال: "ماذا يقول الناس عني حين يرون أميرا مثلي يسير حافي القدمين؟ هذا إهدار لكرامتي ومكانتي!" فقال له المنتصر: "لم تسمع بعد باقي أوامري! إنك لن تسير حافيا وفقط، بل وستحمل أيضا وعاء من اللبن مملوء إلى آخره، فإن انسكب منه ولو نقطة واحدة، ضاعت رأسك!"

حمل الأمير المهزوم وعاء اللبن وسار حافيا وتقدم بحذر شديد حتى انتهى الموكب دون أن تنسكب منه نقطة واحدة! فسأله الأمير المنتصر: "ماذا قال الناس عنك؟" فأجاب: "يا سيدي، لم أنظر إلى مخلوق من الجماهير الكثيرة التي مررنا وسطها. فلم أتجاسر أن أطلع لأن حياتي كانت معلقة في وعاء اللبن!"

أخي لا تفكر في ما يقوله الناس عنك إن أنت أسلمت لعيسى المسيح. إن حياتك الخالدة، إن سعادتك الدائمة معلقة في هذا القرار.

أو ربما تريد أن تقول إنك لا تستطيع أن تترك عقيدتك وعقيدة أجدادك الأقدمين! عجا! هل تسمح لغيرك أن يقرر لك عقيدتك ومصيرك؟ إذن فأين الشجاعة والاستقلال الفكري؟ أين الذكاء الذي منحك الله إياه؟ أين حرية الفكر؟

أنت تحتاج إلى عيسى لأنه هو وحده يغفر لك ويجعلك صالحا بحق في نظر الله. اطرح عنك يا أخي- واطرحي عنك يا أختي- الأسمال البالية والملابس القذرة التي لا تستر، وتعال إلى عيسى الآن وأسلم نفسك له فيُلبسك رداء الصلاح الحق، ويعطيك الحياة الجديدة.

أنت تتفق معي أن الإنسان لا يحتاج أن يغطس كيلومترا بأكمله تحت سطح الماء لكي يموت غرقا. بل إن بضعة سنتيمترات تكفي! وأنت لا تحتاج أن ترتكب الموبقات والكبائر لكي تهلك، بل مجرد رفضك لعيسى يؤدي إلى الهلاك في الجحيم.

عيسى يزيل عنك ذنوبك فيحول يأسك إلى أمل، وفشلك إلى فلاح

هذا العالم مملوء بالفشل. قلوب الناس يحطمها اليأس. قال إشعيا النبي يصف حالة اليأس والفشل التي استولت على الناس في أيامه: "يَبْنِي كُلُّ الْفَرَحَانِينَ، وَيَصْمُتُ طَرَبُ الدُّفِّ، وَيَسْكُتُ صَوْتُ الْمَرْحِينَ، وَيَصْمُتُ عَزْفُ الْعُودِ!"^أ ربما هذه هي حالتك اليوم، ربما هذه صورة واقعية لك، ربما هذه الكلمات تصفك أنت بالذات! زفرات اليأس.. دموع الفشل.. حيثما أذهب أرى علامات اليأس والعناء على وجوه الناس. ربما أنت تبدو في مظهر طيب من الخارج، ربما ترتدي ملابس أنيقة، ربما حصلت على شهادة عالية، أو على عمل محترم، أو تزوجت، أو سافرت في رحلة ممتعة.. ولكن قلبك يشعر بالوحدة والضياع!

أو ربما مررت في اختبار مرير، كموت عزيز حبيب، أو أصابك مرض بلا علاج أو شفاء، أو غدر بك صديق، أو احتال عليك قريب وخانك، مما دفع بك إلى أعماق اليأس والفشل والقنوط.

ذات يوم أخذ صديق لي ابنه الصغير إلى أكبر ميدان في عاصمة بلاده. قال الأب

لابنه: "تعال اليوم نَعُدُّ الأشخاص الذين يضحكون أو يبتسمون في هذا الميدان الكبير الشاسع الذي يعج بالناس." وسار الأب وابنه طويلا وهما يراقبان الناس ويتطلعان هنا وهناك.. كل الوجوه غابسة... لا ابتسام، ولا ضحك... لا فرح ولا مرح... وفجأة قال الولد: "هنا يا أبي.. لقد وجدته، انظر إلى اليمين، فهذا رجل يضحك!" حقا ما أقل ابتسامات الحياة، وما أكثر أحزانها! أتعرف ما السبب في أنك كثيرا ما تمشي وأنت مطرق الرأس؟

كثيرا ما يبدأ الشاب بالفرح والمرح، يتفاعل بالخير والفلاح والسعادة، ويعزم أن يخدم الإنسانية ويخفف آلام البشرية بعلمه وفنه وإمكانياته وطاقاته. ولكن عندما يصل إلى طور الرجولة، يظن أنه يستطيع أن يطوّر آماله لتتمشى مع واقع الحياة. ثم تأتي الشيخوخة فيدرك أن ما كان يرجوه إنما هو أحلام بعيدة المنال.

حتى في بعض أفراح الحياة ومواسمها الطيبة ومناسباتها السعيدة يلاحقنا الفشل. يُحكى في التاريخ القديم أنه بعد موقعة ماراثون بين اليونانيين والفرس، وصل جندي جريح إلى أثينا ليبشر أهلها بانتصار جيوشهم على الفرس. فدخل مجلس الأعيان وهتف: "انتصرونا! انتصرونا! افرحوا!" وما كاد ينتهي من عبارته حتى سقط ميتا. انتصر، لكنه مسكين لم يتمتع بجلاوة النصر.

ربما علّة فشلك ويأسك هو أنك ضائع في صحراء هذه الحياة. وهذا يذكرني بقصة رجل عجوز أعمى كان يتوكأ على عكازه ويسير على حافة حفرة عميقة سحيقة وهو لا يعلم بذلك. وفجأة وقع العكاز من يد الرجل، فانحنى وأخذ يتحسس الأرض لعله يجد العكاز. ولكنه للأسف بينما هو يبحث، خطا خطوة لليسار فهوى في الحفرة وتحطمت عظامه ومات. ربما أنت مثل هذا الرجل الأعمى. ربما في يأسك وأنت تبحث عن العكاز الذي يمكنك أن تستند عليه، تكون على وشك أن تضع رجلك في حفرة سحيقة مميتة. أنت في خطر!

أخي، عيسى يقدر أن ينقذك. هو وحدَه يغير يأسك إلى أمل ويبدل فشلك بالفلاح والنصر. إن كان الحزن يشوه لك جمال الحياة، إن كان اليأس يجعلك متململا متدمرا، إن كنت لا ترى في الحياة غير القنوط والفشل؛ فأنا هنا باسم الله تعالى لأبلغك رسالة الأمل والرجاء والصفح والغفران والنجاح والفلاح، رسالة الحياة المبهجة المشرقة، رسالة النور. لأن عيسى المسيح هو فاديك.

(2) أن تتوب وتؤمن بالمسيح

قال المسيح: "حَانَ الْوَقْتُ، وَأَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَ مَمْلَكَتَهُ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْبَشَرِ".^أ التوبة هي أن أتوقف عن ارتكاب المعاصي وأرجع إلى الله. أشعر بالندم لأني ارتكبت المعصية، وأدرك أنني ضعيف أمام سطوة الذنب، وأني أحتاج إلى رحمة الله القدير، فأقرر أن أغيّر اتجاهي لأهرب من المعصية، وأطلب من الله الصفح. هذه هي التوبة حسب مفهوم إنجيل المسيح. التوبة الحقيقية يجب أن تكون جادة وصادرة من القلب.

هناك البعض الذين يعترفون بأنهم ارتكبوا الخطأ، لكن توبتهم غير صادقة، وبعد فترة من الوقت يرجعون إلى نفس الأعمال والتصرفات التي ظنوا أنهم هجروها. قال ملك مصر لموسى وهارون: "هَذِهِ الْمَرَّةَ أَخْطَأْتُ! اللَّهُ صَالِحٌ، وَأَنَا وَشَعْبِي أَشْرَارٌ. ابْتَهِلَا إِلَى اللَّهِ. كَفَّانَا مِنَ الرَّعْدِ وَالتَّبَرَدِ. سَأُطْلِقُكُمْ فَلَا تَبْقَوْا هُنَا." ^ب لكن لم تكن توبته صادقة، فراجع عما أقر ووعده به. وقال بلعام للملاك: "أَخْطَأْتُ. إِنِّي لَمْ أَعْلَمْ أَنَّكَ وَقِفَ فِي الطَّرِيقِ لِثِقَاوَمَنِي." ^ت لكنه استمر في طريقه وأخيرا هلك. إن

^أ مر 1: 15

^ب خر 9: 27-28

^ت عد 22: 34

كانت التوبة حقيقية وصادقة فلا بد من الكف عن المعصية.

ثم يجب أن تكون التوبة مصحوبة بالإيمان بالمسيح. لقد قال هو نفسه: توبوا وآمنوا بالبشرى. أي آمنوا بالأخبار الطيبة المفرحة. هذه الأخبار السارة هي أن عيسى جاء لفدائنا. نعم، يجب أن تكون التوبة مصحوبة بالإيمان بعيسى. الإيمان بالمسيح يغيّر طبيعتي، ويعطيني القوة لأحيا حياة جديدة. يمكنك أن تغسل خنزيرًا وتنظفه، وترشه بالعطّر، وتضع طوقًا من الذهب حول رقبتة، وتأتي به إلى دارك، لكن حين تطلقه يتحين أول فرصة ليقفز في الوحل والقاذورات، لأن طبيعته لم تتغيّر! إنه لا يزال خنزيرًا. التوبة بغير الإيمان بالمسيح لا تنفع.

تحدث عيسى عن واحدة من أهم نتائج الصليب فقال: "وَأَنَا مَتَى رُفِعْتُ فَوْقَ الْأَرْضِ، أَجْذِبُ إِلَيَّ جَمِيعَ النَّاسِ". وَيُعَلِّقُ الْوَحْيُ الْكَرِيمُ عَلَى هَذَا بِأَنَّ الْمَسِيحَ "بِهَذَا الْكَلَامِ أَشَارَ إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَيَمُوتُ بِهَا".^أ إنه يتحدث هنا عن موته على الصليب. إنه يقول إنه متى رُفِعَ فوق الصليب يجذب الناس إليه. نعم، يجذب الناس إليه عن طريق موته من أجلهم! لا عن طريق العنف والقهر، ولا عن طريق إجبار الناس أن يأتوا إليه، ولا بأن يهددهم ويفرض عليهم الجزية إن لم يأتوا إليه، ولا بأن يغريهم بغنيمة الحرب إن انضموا إليه! بل بمحبته لهم، وتضحيتهم من أجلهم، وموته فداء لهم! بينما كان معلقا على الصليب في عذاب، جذب اللص التائب الذي كان على حافة الهلاك، وأخذته معه إلى الجنة؛ إلى الفردوس! ومنذ ذلك الوقت، وهو يجذب الملايين بحبه وفدائه. إن صليب المسيح يذيب القلوب القاسية، ويرد النفوس الضالة. كما يقول الوحي الكريم في كتاب النبي هوشع: "أَجْذِبُهُمْ بِحَبَالِ اللُّطْفِ وَرَوَابِطِ الْمَحَبَّةِ".^ب أنا لا أحتاج إلى براهين وأدلة لكي أؤمن بالمسيح. أنا أحبه لأنه أحبني أولاً. ونحن حين

^أ يو 12: 32-33

^ب هو 4: 11

نحب شخصا، فإن مئة برهان أو ألف برهان لن تزيد من ولائي له، ومئة اعتراض أو ألف اعتراض لن تشككني أبدا فيه. أنا أحبه وهو يحبني. وهذا هو أساس علاقتنا. أ حين يموت ملك أو رئيس، تُعلنُ السلطات الحداد في البلاد، ويتحدث الناس عن مآثر الفقيه ومكارمه وعن أخلاقه ومحاسنه. ولكن بمضي الوقت يُنسى تدريجيا حتى يضيع تماما من فكر الناس وينتهي تأثيره. أما سيدنا عيسى المسيح فإن قوة جاذبيته هي في موته. وبسبب موته يذكره الناس وسيتذكرونه إلى الأبد. ولذلك فهو اليوم، بعدما قام وانتصر، يقف بذراعين مفتوحتين يرحب بكل من يأتي إليه تائبا راجعا مؤمنا.

رجل غني كان يحب جمع اللوحات الفنية ورسوم المناظر البديعة. كان ابنه الشاب فنانا ولكنه ذهب إلى الحرب للدفاع عن بلاده، وهناك لقي مصرعه. حزن الأب جدا، وبعد شهر من وصول النبأ المحزن، قرع شاب يحمل صندوقا صغيرا على باب دار الأسرة. قدم الشاب نفسه للأب المنكوب وقال: "ابنك أنقذني من موت محقق، وهذا أقل ما يمكن أن أعمله." وقدم الصندوق للأب. كان الصندوق يحوي بعض ما تركه الابن المتوفي وخاصة صورة له مرسومة بيده.

ومرت الأعوام، ومات الأب أيضا. ولأنه لم يكن له ورثة، ونصت وصيته على البيع، قامت السلطات بعمل ذلك. بدأ المزاد بصورة الابن الذي مات في الحرب. وللأسف لم يتقدم أحد لشرائها، فهي لم تكن ذات قيمة كبيرة بالنسبة للناس. ولكن المنادي أصر على بيع الصورة أولاً. وأخيرا تقدم رجل كان عاملا في حدائق صاحب الثروة، ولأنه كان فقيرا دفع مبلغا زهيدا واشترى الصورة.

وهنا نزل المنادي بالمطرقة وأعلن انتهاء المزاد! ولما اعترض الحاضرون، شرح لهم أن وصية الرجل تنص على شرط سري لا نبوح به إلا بعد انتهاء المزاد. هذا الشرط هو

أن من يشتري صورة الابن يحصل على كل الثروة بلا مقابل!
يقول الإنجيل الشريف: "مَنْ لَهُ الْإِبْنُ، لَهُ الْحَيَاةُ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ، لَيْسَتْ لَهُ حَيَاةُ الْخُلُودِ."^أ ويقول أيضا: "مَنْ لَا يُكْرِمُ الْإِبْنَ، لَا يُكْرِمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ."^ب
حين نؤمن بالمسيح نصير خليفة جديدة. أنا حقا صرت إنسانا جديدا لأنني وضعت ثقتي في المسيح، لأنني توكلت عليه وأسلمت نفسي إليه.

نزف رجل فقير وفقد كمية كبيرة من الدم وأصبحت حالته خطيرة. وفي المستشفى أخذوا يبحثون عن كمية من نوع دمه لينقذوا حياته. وتصادف في ذلك اليوم أن أميرا من العائلة المالكة كان يزور المستشفى وعلم عن حالة الرجل الفقير. فطلب من الأطباء أن يختبروا دمه لعله يكون من نفس نوع دم المسكين. وفعلا كان. فتبرع الأمير بكمية من دمه أنقذت حياة الرجل. وفي الصباح جاء الطبيب المكلف ليزور الفقير، ولكنه بدلا من التحية العادية العابرة، انحنى الطبيب للمريض الفقير وقبل يده. اندهش المريض وقال: "سيدي الطبيب، لماذا تعمل هذا معي؟" قال الطبيب: "يا سيدي! إن دم الملوك والأمراء يجري الآن في عروقك!"

حين تُسلم حياتك للمسيح، يجري في عروقك دم ملك الملوك ورب الأرباب، فيغيرك ويجعلك إنسانا جديدا. قرأت أنه في الحروب الصليبية كان من ضمن الأسرى الذين أخذهم صلاح الدين واحد من جنود ريتشارد قلب الأسد. توسل ذلك الجندي إلى صلاح الدين أن يطلقه ليعود إلى بلاده بحجة أن زوجته من محبتها له قد تموت حزنا عليه. سخر صلاح الدين من الجندي وقال له: "بمجرد أن تموت ستنسأك امرأتك وتزوج من رجل آخر." ثم تحداه صلاح الدين وقال: "إن كانت زوجتك تقطع ذراعها وترسلها لي، يبين هذا لي أنها فعلا تحبك فأطلق سراحك!" وفعلا أرسلت المرأة

^أ 1 يو 5: 12

^ب يو 5: 23

ذراعها فأطلق صلاح الدين زوجها فرجع إليها سالماً. "اليد المقطوعة كانت برهان محبة الزوجة لزوجها. واليوم، ليست يد المسيح المقطوعة، بل جسمه المكسور ودمه المسفوك برهان محبة الله لك يا أخي ويا أختي!"

إني أطلب منك أن تؤمن بعيسى. أن تضع ثقتك فيه. الإيمان هو الاتكال على الله. إبراهيم أطاع الله وأخذ ابنه ووضع على منصة القربان ليقدمه ضحية لله تعالى. وهناك أدرك أن الله يريد لنا الحياة لا الموت، والنمو لا الانكماش، والبهجة والفرح لا الكآبة والحزن. إن الله أمين، وفي، مخلص، يمكن الاتكال عليه.

إن رفضت الصليب، لن يمكنك الهروب من غضب الله. لن تهرب من يد القدير. كان رجل يتنزه في حقول بالقرب من داره. كان متخصصاً في علوم النباتات. وفجأة لاحظ زهرة تختلف عن كل ما حولها. اقترب الرجل وفحصها فاستغرب جداً لأن تلك الزهرة عادة لا تنمو في بلاده أبداً، بل موطنها هو أمريكا الجنوبية. لهذا أراد أن يفحصها ويدرسها بعناية أكثر، فذهب إلى دار صاحب الأرض وطرق على الباب وترجاه بأن يسمح له بأن يقتلع النبات بمجملته لدراسته. ولكن صاحب الأرض اضطرب ورفض رجاء الزائر وطلب منه أن يبتعد عن أرضه فوراً.

ولكن في الليل، رجع عالم النباتات ومعه فأس صغيرة وأخذ يحفر الأرض ليستخرج النبات. وكم كان رعبه حين بدأ يشم رائحة كريهة واكتشف أن هناك جثة ميت تحت النبات. انسحب الرجل بسرعة وأبلغ الشرطة. ولما قُبِضَ على صاحب الأرض، اعترف أن أخاه جاء ليزوره من أمريكا الجنوبية، وحدث خلاف بين الاثنين بشأن الميراث، فقتل أخاه الزائر ودفنه في تلك البقعة. وهنا أدرك الجميع أن الأخ الزائر كان يحمل في جيبه بعض بذور ذلك النبات. يبدو أنه كان يريد أن يزرعها هناك. ولما مات نبتت البذور. وأشارت إلى الجريمة. هذه قصة تبين أنه في الحقيقة من الصعب أن يهرب قاتل من يد الشرطة والقضاء والعدل، فكم هو أصعب أن تهرب

أنت من عقاب الله بسبب رفضك فدائه ورحمته. لذلك أشير عليك يا أخي، لا تعاند. لا ترفض حب الله لك. لا ترفض تضحية المسيح من أجلك.

(3) أن تتبع عيسى كتلميذ أمين له

المسيح أنقذك من الخطيئة لتكون تلميذا وتابعا أميناً له. هذا يعني أن تكون دائماً معه. أن تسير معه. أن تكون بالقرب منه، في صحبته، وتتعلم منه. أن تكون في مدرسته كل يوم. أن تتدرب على يديه، وتبث نوره في سلوكك، وتُعبّر حياتك عن حياته. أنت عندما تكون قريباً من عيسى تحصل على القوة الروحية لتحيا الحياة الغالبة المنتصرة.

لكن الحقيقة هي أن اتّباعه ليس بالأمر الهين. قال المسيح لنا: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبَعَنِي، فَيَجِبْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ ذَاتِهِ، وَيَحْمِلَ صَلِيبَهُ وَيَتَّبَعَنِي".^أ

منذ فترة قرأت قصة تخيلها أحد علماء الكتاب⁷¹ وقمت بتحويلها بعض الشيء. هذه القصة هي عن جماعة من الناس تسكن في مبنى ضخم مغلق وليس له أبواب، إنما فيه نوافذ قليلة اكتست بالتراب. فلا يمكن لأحد أن يخرج إلى العالم الخارجي حيث إنه لا توجد أبواب، ولا يمكن لأحد أن يرى العالم الخارجي حيث إن النوافذ اسودت بطبقات سميكة من التراب. كل ما يريده أهل هذا المكان من طعام ولباس موجود داخل المبنى.

وذات يوم تمكن شاب من أن ينقب فتحة كبيرة في أحد حيطان المبنى ويخرج. ولما رجع قص على الآخرين أنه يوجد عالم آخر خارج المبنى وتوجد شمس وسماء وسحب وناس وحقول وزرع وسيارات وقطارات وطائرات! ولكن قادة الجماعة الموجودة في المبنى عاقبوا الشاب عقاباً قاسياً وقالوا للآخرين ألا يصدقوا كلامه،

وقاموا فوراً بسد الفتحة لأن هذا يعرضهم جميعاً لخطر فظيع.

هذا مثل يبين كيف أن البعض منا حُكِمَ عليهم منذ قرون طويلة أن يبقوا مسجونين داخل مبنى ومُنِعَ عنهم (بطريقة معنوية وروحية) أن يروا ويدوقوا ويختبروا ما يقدمه لنا المسيح من حياة روحية جديدة بسمائها وشمسها ونورها وجمالها وطهارتها وانتصاراتها! وكلما تجرأ أحدهم أن يَنْقُبَ الحائط ويخرج، يقع عليه أشد العقاب. ويستمر تحذير الآخرين لكي لا يستمعوا لما يقوله البعض عن وجود حياة جميلة طيبة خارج أسوار ذلك السجن الرهيب. أخي، أنصحك أن تحطم الحائط وتخرج من السجن وتنجو مجلدك، لتتبع المسيح!

يقول التاريخ إن كورش ملك فارس زحف بجيشه على منطقة في الهند وهزم ملكها وأخذه أسيراً هو وزوجته وكل الذين بقوا له. فسأله كورش: بم تفدي نفسك؟ قال الهندي: بكل ما أملك، بمملكتي وكل ما لي. قال كورش: حسناً، اكتب هنا تنازلك عن عرش المملكة لي. ثم سأله كورش أيضاً: وبم تفدي زوجتك؟ فصمت لحظة ثم رفع عينيه وقال بصوت ثابت: أفنديها بحياتي، أموت لأجلها.

فتأثر كورش وقال له: لقد صفحت عنكما، اذهبا في أمان. ولما سئلت زوجة الملك الهندي عما إذا كانت قد رأت عظمة كورش وملابسه وغناه، قالت وهي متأثرة: كلا لم أر شيئاً، لأنني كنت أنظر إلى وجه ذلك الذي قال إنه يفديني بحياته!

أن تتبع عيسى بأمانة وإخلاص يعني أيضاً أنك تخدمه هو وحده، ولا أحد معه. نحن نقول لا إله إلا الله، وهذا إقرار خطير. إن إخلاصنا وولاءنا للمسيح يتضمن عبادته هو وحده. قال سيدنا المسيح: "لَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ أَنْ يَخْدُمَ سَيِّدَيْنِ، لَأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكْرَهُ الْأَوَّلَ وَيُحِبَّ الثَّانِي، أَوْ يَكُونَ مُخْلِصًا لِلأَوَّلِ وَيَحْتَقِرَ الثَّانِي. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ مَعًا."¹

ربما أنت تعرف المسيح. أنت تؤمن بالمسيح. المسيح موجود في حياتك، وذلك بالإيمان. لكن هل يتربع على عرش حياتك ملكا وسلطانا لا ينافسه أحد ولا يشاركه شيء؟ أنت تحتاج أن يملك عيسى على قلبك وحياتك. أن تكون تلميذا للمسيح، هذه هي غاية موته على الصليب، فدانا لينقذنا من الهلاك ثم نحن بدورنا نكون تابعين أمناء له، تلاميذ أوفياء.

(4) أن تتخلي عن ذاتك

لما كان سيدنا عيسى مسافرا إلى القدس سأله أحدهم: "يَا سَيِّدُ، هَلِ الَّذِينَ يَنْجُونَ قَلِيلُونَ؟" فَقَالَ لَهُمْ: "اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ. لِأَنِّي أُوَكِّدُ لَكُمْ أَنَّ كَثِيرِينَ سَيَحَاوِلُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلَا يَفْعَلُونَ. وَبِمَجَرَّدِ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ الدَّارِ وَيُعْلِقَ الْبَابَ، تَجِدُونَ أَنْفُسَكُمْ وَاقِفِينَ فِي الْخَارِجِ تَطْرُقُونَ عَلَى الْبَابِ وَتَقُولُونَ، 'يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا. لَكِنَّهُ يُجِيبُ، 'أَنَا لَا أَعْرِفُكُمْ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ' فَتَقُولُونَ، 'أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا مَعَكَ، وَعَلَّمْتَ فِي شَوَارِعِنَا' لَكِنَّهُ يَقُولُ، 'أَنَا لَا أَعْرِفُكُمْ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ! أَبْعُدُوا عَنِّي كُلَّكُمْ أَيُّهَا الْأَشْرَارُ!'"

كان سؤال الرجل: يا سيد، هل الذين ينجون قليلون؟ وحتى يومنا هذا يدور نفس هذا السؤال في فكر الكثيرين. "هل في النهاية سيكون أتباع المسيح كثيرين أم قليلين؟" ونلاحظ هنا أن جواب السيد على هذا السؤال لا يُشبع حب الاستطلاع ولا الرغبة في معرفة عدد المؤمنين الحقيقيين. إنما جوابه هو: ستكون هناك أعداد كبيرة من الناس الذين يقولون إنهم أتباعي، لكن الخطورة في أنهم غير مستعدين أن يدخلوا من الباب الضيق الذي أنا وضعته للدخول إلى مملكتي. إنه باب ضيق لا يسمح لدخول شخص منتفخ بحب الذات والكبرياء. إنه باب ضيق لا يسمح لدخول شخص

ينوء تحت ثقل أعباء الحياة. هو باب ضيق لا يسمح لدخول شخص انشغل قلبه وعقله بالغنى والمركز.

نحن ننجو من الذنب ومن الهلاك بنظرة إلى المسيح. نؤمن به ونتخذه ملكا على حياتنا، فننجو على الفور. لكننا لا ننجو من قوة تأثير الخطيئة في حياتنا وسطوة محبة هذه الدنيا على قلوبنا، حتى ندخل من هذا الباب الضيق. فهل أنت مستعد الآن؟ أنت تقول إنك آمنت بالمسيح، وهو كتب اسمك في كتاب الحياة، وطوى صفحة جديدة في حياتك. لكن هل أنت مستعد من ناحيتك أن تدخل من الباب الضيق؟ هل أنت مستعد أن تترك وراءك الكبرياء وحب الذات، ومحبة المال وكنوز الدنيا، والتقاليد البالية والدين القديم، وتجاهد في طاعة المسيح والتقرب منه، والتلذذ به وبمعرفته، والتضحية من أجله بالنفس والنفيس والغالي والرخيص؟

يقول المسيح سيدنا ومولانا وفادينا إن كثيرين سيحاولون أن يدخلوا من ذلك الباب ولا يقدرّون، لأنهم غير مستعدين أن يضحوا بهذه الأمور. هؤلاء سيأتون في اليوم الأخير ويطرقون على الباب ويقولون له: "يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا." لكنه يجيب عليهم ويقول إنه لا يعرفهم، ولا يعرف من أين هم! فيقولون: "نحن نعرفك، نحن كنا نقول إننا أتباعك." لكنه يقول لهم: "لكنكم لم تدخلوا من الباب الضيق. كنتم أتباعي شكلا وليس حقيقة. كنتم أتباعي في المظهر، لكن ليس من القلب. أنا لا أعرفكم، ابعدوا عني كلكم أيها الأشرار!"

فهو لا يقول لنا إننا يجب أن نطالب بحقنا، بل أن نتخلي عن ذاتنا. أن نضع الأنانية وحب الذات على جانب. وأن نحب الآخرين وأن نُفَضِّلَهُمْ على أنفسنا. إن القلب البشري يحب العظمة ويميل إلى الكبرياء. لكن عيسى هنا يقول لنا إننا يجب أن نتخلي عن الذات التي تسعى إلى العظمة والمركز العالي. لكن التخلي عن الذات لا يعني أننا لا نفرح ولا نتمتع بالحياة الدنيا. لا! لا! بل العكس صحيح. فالفرح هنا هو

نعمة منه علينا. التمتع بهذه الحياة بركة منه لنا. إن الله لا يريد أن يمنعا أو يحرمنا من مُتعة الحياة، فالكتاب الشريف يقول إن الله تعالى: "يُعْطِينَا كُلَّ شَيْءٍ بِسَخَاءٍ لِّكَيِّنَتَمَتَّعَ".^أ بل إن التخلي عن الذات أو إنكار الذات هو أهم من هذا.

التخلي عن الذات يعني أن نترك قِيَمَنَا القديمة البالية، أن نتخلي عن عواطفنا وتصرفاتنا التي تبعدنا عن الله عز وجل. مثلا: الغضب، الكراهية، الشعور بالمرارة ضد الآخرين لأنهم عارضونا أو أهانونا. فالمسيح هنا يطلب منا أن نغفر ونسامح. ومثال آخر هو الكبرياء. الذات تحب الكبرياء والعجرفة، بينما المسيح يطلب منا أن نتواضع. فهو يطلب منا أن نتخلي عن الذات.

يقول بولس: "لَكِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي كُنْتُ أَعْتَبِرُ أَنَّهَا مُهِمَّةٌ، هِيَ الْآنَ فِي حِسَابِي بِلا قِيَمَةٍ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ. بَلْ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، كُلُّ الْأَشْيَاءِ هِيَ فِي حِسَابِي بِلا قِيَمَةٍ بِالمُقَارَنَةِ مَعَ عَظَمَةِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ عَيْسَى مَوْلَايَ. فَأَنَا مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ فِي حِسَابِي مُجَرَّدُ زِبَالَةٍ، وَذَلِكَ لِكَيِّنَأَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأَنْتَمِي لَهُ، وَيَعْتَبِرَنِي اللَّهُ صَالِحًا بِالإِيمَانِ. لَا صَلاَحِي أَنَا عَلَى أَسَاسِ أَنِّي عَمِلْتُ بِفَرَائِضِ الشَّرِيعَةِ، بَلِ الصَّلَاحُ الَّذِي هُوَ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ. أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ الْمَسِيحَ، وَأَخْتَبِرَ قُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَأُشَارِكُهُ فِي آلامِهِ، وَأُصْبِحَ مِثْلَهُ فِي مَوْتِهِ، لِكَيِّنَأَقُومَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ".^ب

إنها مضیعة أن نهتم بأنفسنا ونهمل الله. إنه تبذیر خطر أن نقضي الحياة في طلب الراحة وننسى الله. يجب أن ندرك أن أهم شيء في الحياة هو عمل مشیئة الله لا مشیئتنا نحن، هو إرضاء القدير لا إرضاء رغباتنا وشهواتنا، هو السير مع المسيح مهما كلفنا هذا من مشقة وألم واضطهاد وفقر وعذاب. لا الراحة ولا تصفيق الجماهير ولا

^أ 1 تم 6: 17

^ب في 3: 11-7

الأمان المادي والمالي في هذه الدنيا، لا شيء من هذه يمنحنا الطمأنينة والأمان الحق. إذن لنطلب لا ما يرضينا نحن، بل ما يرضي الله.

مغنية أوبرا شهيرة كان دخلها من عملها يفوق دخل كثيرين من الأثرياء. ولكنها فجأة أعلنت أنها ستعتزل الغناء، وفعلاً توقفت. ذات مرة رآها أحدهم جالسة بهدوء تقرأ كتاب الله وتتأمل روعة غروب الشمس، فسألها: "لماذا اعتزلت المسرح وأنت في ريعان الشباب؟" كان ردها أن عملها كان يجرمها من التعمق في معرفة كلام الله والتمتع بروعة خلقه الله. قرّرت أن تتخلى عن المركز والمال والشهرة في سبيل أن تتقرب لله تعالى. اعتبرت أن المركز والمال والشهرة كلها بلا قيمة من أجل المسيح، كلها بلا قيمة بالمقارنة مع عظمة معرفة المسيح. اعتبرت كل هذا زبالة لكي تربح المسيح!

(5) أن تحمل صليبك

حدّث مولانا وفادينا عيسى المسيح أتباعه عن صليبين. صليبه هو، وصليبههم هم! لقد أظهر لهم أنه سيموت على صليب، ثم طالبهم هم أيضاً بأن يحملوا الصليب ويتبعوه! وبإلها من صدمة عنيفة لهم. ليس فقط أنه هو سيُصلب ويموت، بل أنهم أيضاً لا بد أن يحملوا الصليب!

قلنا من قبل إن الشخص المحكوم عليه بالصلب كان مطالباً بأن يحمل صليبه إلى مكان الإعدام. هذا للإمعان في إذلاله واحتقاره. كان حمل الصليب فضيحة وعارا وعيبا. كان تجربة قاسية للمشاعر الإنسانية. كان إضافة صعبة وزيادة رهيبية فوق العقاب نفسه. حمل عيسى الصليب وسار به. والمعنى الذي يقصده عيسى هنا هو أن يتحمل تلميذه كل المصاعب والمتاعب التي تأتي بسبب الإيمان بالمسيح وبسبب إتباعه بأمانة. كل ما يُعتبر عارا ومهانة في نظر الناس، يصبح عين الشرف والفخر والمجد بالنسبة لنا.

هو لا يضع الصليب على كتفي، بل يدعوني لآخذه أنا بنفسي وأحملة أنا بنفسي، دون ضغط أو قهر. هو يدعوني وأنا حر الاختيار. يدعوني لأنه يعلم أن في ذلك كل الخير لي.^أ

نحن لا ندخل مملكة المسيح جالسين على فراش وثير، لا. بل بمجرد دخولنا يبدأ تدريبنا في حرب ساخنة مع إبليس عدونا اللدود. وكل خطوة نتقدمها، هي معركة نكسبها بالعرق والدم. وكل معركة نكسبها ينبغي أن تكون لمجد قائد قواتنا الروحية، الذي بذل دمه الثمين في أخطر معركة على الصليب. ولذلك نحن نقابل الألم والمتاعب والضيق في الحياة.

حمل الصليب هنا يعنى قبول الاضطهاد والألم والعذاب وحتى الموت نفسه في سبيل الإيمان بالمسيح. إذن نحن هنا ننادي بالفادي المصلوب، وبأتباع له أيضا مصلوبين! قال بولس: "أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي لَا وَلَنْ أَفْتَحَرَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِصَلِيبِ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ صُلِبَ الْعَالَمُ بِالنَّسَبَةِ لِي، وَأَنَا صُلِبْتُ بِالنَّسَبَةِ لِلْعَالَمِ."^ب لا يمكن أن نتبع المسيح من غير صليب!

تحدث عن هذا رجل شجاع من أتباع المسيح فقال: "النعمة مجانية ولكنها ليست رخيصة. النعمة الرخيصة هي بلا صليب، هي بلا عيسى المسيح الذي صار بشرا. النعمة غالية وليست رخيصة. إنها تكلف الناس حياتهم. إنها كلفت ابن الله حياته، وما كلف الله أغلى ما عنده ليس رخيصة على الإطلاق!"⁷² وفيما بعد ضحى هذا الرجل بحياته من أجل المسيح.

إن الصليب يُفسر لي معنى آلاي. أنا أتألم لأني إنسان، لكن سيدي تألم من أجلي، ولذلك لا يوجد ألم يُصيبني إلا ويحاول المسيح بواسطته وفيه أن يأتي ليقابلني

^أ 1 كور 9: 19

^ب غل 6: 14

ويُساعِدني. فإن سمحْتُ له، وفتحت الباب لصاحب الجلالة، وتجاوبت مع رغبته، يملأني سلام الله الذي يفوق كل فهم البشر، ويحرس قلبي وعقلي. أ في ذلك الوقت أفهم أن الخسارة التي أصابتني، والألم الذي كاد أن يسحقني، إنما من مُكوّنات بشريتي، ودليل على أن تدريبي للعرش في تقدّم. ومتى فهمت، أشعر بذراعيّ عيسى تلفني وتحيطني!

إن حَمَلَ الصليب، ومعاناة الألم والاضطهاد من أجله وفي سبيله، هو جزء من حياتنا الروحية. هو جزء من تدريبنا الروحي. هو جزء من نمونا في الحياة معه ومن أجله. قال بولس: "وَدَائِمًا نَحْمِلُ فِي جِسْمِنَا مَوْتَ عِيسَى بِذَلِكَ تَظْهَرُ حَيَاتُهُ أَيْضًا فِي جِسْمِنَا".^ب وهذا يعني: نحن دائما نتوقع لأنفسنا الموت الذي ماته عيسى. وأيضا نحمل في جسامنا علامات الضرب والجلد والتعذيب من أجل إيماننا بعيسى. الصليب الذي حمله عيسى ومات عليه كان للتكفير عن ذنوبنا. أمّا الصليب الذي يحمله المؤمن بالمسيح، فهو لنشر حق المسيح.

إن كنت تريد أن تخلو الحياة لك من المشاكل والمتاعب، فأنت في خطر أن تخلو حياتك من المعجزات. المشاكل والأعواز والمتاعب والآلام تقودنا إلى محضر الله لنتضرع إليه، إلى عرش المسيح ليعمل المعجزة ويتدخل في أمورنا ويسد أعوازنا ويخفف آلامنا. الحياة المنتصرة تعني الحياة التي خاضت المعركة. لا بد أن نخوض المعركة لكي نحصل على النصر. لا نصر بلا معركة. احمل الصليب بشجاعة يا أخي. إن كنت تحمله وتثابر، يملكك إلى نهاية الطريق، إلى السماء، إلى الجنة. لا تظن أن الحياة مع المسيح تعني راحة مستمرة ونزهة، وفرحا دائما، ونجاحا ماليا وماديا، وحياة خالية من المتاعب فيها تُحلُّ كل المشاكل بسهولة! ليست هذه هي صورة الحياة التي رسمها لنا

^أ في 4: 7

^ب 2 كور 4: 10

المسيح لما قال: "سَتَعَاثُونَ الصِّيقَ فِي الْعَالَمِ، لَكِنَّ ثُقُومًا أَنَا غَلَبْتُ الْعَالَمَ".^أ
قال رجل تقي: "صليب المسيح هو أسهل حمل أحمله. هو لي جناح طائر أو شراع
قارب يدفعني إلى الأمام ويحملني إلى بر الأمان."⁷³ لذلك حين تأتي المحنة أقول: "يا
رب، أنا ضعيف أمام هذا المحنة، ولكني عالم أنك لا ترسل شيئاً لا أقدر أن أحتمله."⁷⁴
لذلك ساعدني لأحتمل بصبر وأنجح في هذا الامتحان. ليت هذا يعود بالمجد والجلال
لاسمك القدوس المبارك، وبالبركة والتقوية لعبدك ولإخوتي شركائي في خدمة المسيح."
إذن لم يطلب المسيح منا أن نحمل سيفاً بل صليبا! قطعاً هو لا يعني أن أحمل
صليبا من خشب على كتفي، ولا صليبا من الذهب على صدري! إنه لا يقصد ذلك
أبداً! بل المقصود بالصليب هنا هو التجارب والمحن التي تُعَلِّمُني أن أصبح مثله، هو
الاختبارات التي تُعَلِّمُني التواضع والوداعة، وتسبب لي أن أخجل من نفسي، وتؤلم في
الطبيعة الدنيوية. يجب أن أحتمل الألم بصبر. إن لم أَعْبُرْ في المحن والصعوبات، فلن
أعرف معنى الحياة الحقيقية. لو لم يكن ملتون أعمى، ما كان قد كتب شعره العظيم
وقال: "يا رب، جعلت رؤيتي معتمة، لكي أراك أنت، أنت وحدك!" فمن محنة العمى،
رأى ملتون القدير تعالى ببصيرته الروحية وبقلبه المشرق المضيء!

(6) أن تُبَلِّغَ الرسالة

قبل صعوده إلى السماء، أوصانا سيدنا وقال: "إِذْهَبُوا إِلَى كُلِّ الْعَالَمِ، وَانْشُرُوا
الْبَشَرَى لِكُلِّ النَّاسِ... إِذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا كُلَّ الشُّعُوبِ، وَغَطَّسُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ
وَالرُّوحِ الْقُدُّوسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ."^ب هذه هي دعوته لنا
نحن أتباعه لنبلغ البشرى لكل الناس وندعوهم ليتصالحوا مع الله بالمسيح. هذا واجب

^أ يو 16: 33

^ب مر 16: 15؛ مت 28: 19-20

على كل مؤمن بالمسيح. إن كانت مشكلة الناس اليوم هي الذنب والمعصية، فإن الحل الوحيد هو فداء المسيح. ولهذا يقول بولس إن الحاجة ملحة إلى وجود من يخبر صاحب المشكلة عن ذلك الحل المضمون والعلاج الناجح فيسأل: "كَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِلَّا إِذَا سَمِعُوا عَنْهُ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ عَنْهُ إِلَّا إِذَا جَاءَ وَاحِدٌ وَبَشَّرَهُمْ؟" أ إذن هنا دعوة خطيرة لنا تأتي من عرش الله: "مَنْ أُرْسِلُ؟ مَنْ يَكُونُ رَسُولًا لَنَا؟" ب أنا وأنت، كل واحد فينا مسئول أن يبلغ هذه الرسالة ويقود الناس برفق وشفقة إلى هذا الصليب الذي يحررهم ويبعث فيهم الحياة والأمل. دعائي لله من أجلك هو أن يمكنك أن تقول مع بولس: "حَيَاتِي لَا تَهْمُنِي، بَلِ الْمَهْمُ هُوَ أَنَّ أَقُومَ بِمِهْمَتِي وَأَتَمَّ الْعَمَلَ الَّذِي كَلَّفَنِي بِهِ سَيِّدُنَا عِيسَى، وَهُوَ أَنْ أَخْبِرَ بِبَشَارَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ." ت

لاحظ هنا أن الوحي الكريم لا يقول: "ما على الرسول إلا البلاغ." 75 بل يقول إن واجبنا هو: "نُحَاوِلْ أَنْ نُفْنِعَ الْآخَرِينَ." ث إنه استأمننا على مهمة خطيرة ويتوقع منا أن نقوم بها خير قيام، كما يقول الكتاب: "وَكَلَّفَنَا بِمِهْمَةٍ أَنْ نُصَالِحَ الْآخَرِينَ مَعَهُ. أَقْصِدْ أَنَّ اللَّهَ صَالِحَ الْعَالَمِ مَعَهُ بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ، وَلَمْ يَحْسِبْ أَخْطَاءَهُمْ ضِدَّهُمْ، ثُمَّ اسْتَأْمَنَّا نَحْنُ عَلَى الرَّسَالَةِ الَّتِي بِهَا نُصَالِحُهُمْ مَعَهُ." ج

(7) أن تكون على استعدادٍ لأن تضحي بالكل من أجله

قال عيسى لأتباعه: "كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتَخَلَّى عَنْ كُلِّ مَا عِنْدَهُ، لَا يَقْدِرُ أَنْ

أ رو 10: 14

ب إش 6: 8

ت أع 20: 24

ث 2 كور 5: 11

ج 2 كور 5: 18-19

يَكُونُ تَلْمِيزِي." إن الفرق بينك وبين أي واحد آخر يتبع المسيح بطريقة سطحية شكلية، يجب أن يكون في استعدادك أن تضحي بالكل في سبيله، حتى بحياتك نفسها، لأنه ضحى بنفسه في سبيلك ولفدائك. أنا كتابع للمسيح لست في طريقي إلى الغنى والثروة، بل في طريقي لأحيا الحياة التي يريد لها هو لي. لست في طريقي إلى العظمة والشهرة والقوة، بل في طريقي لأكون خادما للآخرين من أجله وضعيفا ومجهولا بل ومضطهدا ومرفوضا ومطرودا في سبيله. قد تأتي الشهرة. قد تأتي المكانة العالية. قد يمن الله عليّ بهذه، لكنها ليست هدفي في الحياة. بل هدفي هو أن أحياء له، أن أحمده وأعظمه وأرفع اسمه القدوس المبارك. لقد أشرق النور في قلبي، وغيرَ الله مجرى حياتي، وأنقذني من يأس وعذاب وضياح. لذلك فإني قد جعلت هدف حياتي هو أن أحمدا اسم عيسى وأكون معترفا بجميله وصنيعه معي، وبالتالي أن أقدم هذه الحياة الجديدة وهذا الأمل والنور إلى كل من يقبل النصيح والإرشاد والهداية.

كنت أتحادث مع صديق عن الماضي وأيام زمان. كنا ندرس الصيدلة في الجامعة معا، وتخرجنا في نفس الوقت، وعملنا في هذه المهنة بعض الوقت في نفس المدينة. وتطرق الحديث إلى كيف أني تركت مهنة الصيدلة بسبب دعوة الله لي لأعمل في خدمته لأبشر المسلمين بغنى نعمة المسيح.

ثم قال لي صديقي: "أنت ضحيت بالكثير، حين تركت مهنة الصيدلة إلى هذه الخدمة." وهنا اعترضت بشدة. قلت: "لا توجد تضحية تماثل تضحية المسيح على الصليب من أجلي! أنا تركت عملا وصيدلية ومركزا، أما هو فبذل دمه، ضحى بحياته من أجلي. مات على الصليب ليفديني."

قال صديقي: "لم يكن هذا من أجلك أنت وحدك. لقد مات المسيح من أجل كل الناس." قلت: "صحيح. مات من أجل الكل، لكن لو لم يكن في الدنيا كلها إلا

خاطئ واحد هو أنا، لكن المسيح قد مات من أجلي أنا وحدي! إن تضحية المسيح هي قمة كل حب وبذل." ومن هنا يطالبنا أن نكون على استعداد لأن نضحي بأغلى ما عندنا.

في زمن النبي دانيال، صنع الملك نبوخذنصر تمثالا من ذهب، وأمر الناس من كل الشعوب التي تحت أمره، ومن كل الملل واللغات أن يعبدوا التمثال ومن لا يعبد التمثال يُحرق حيا بلا رحمة ولا شفقة. ولكن رفض شدرخ وميشخ وعبدنغو أن يعبدوا غير الله القدير الواحد خالق السماء والأرض. سمع الملك بهذا فغضب جدا وأمر بإحضار هؤلاء الرجال الثلاثة قدامه. أراد الملك أن يعطيهم فرصة أخرى لكي يعبدوا التمثال. ولكن أجابه شدرخ وميشخ وعبدنغو بشجاعة وقالوا: "يَا بُؤْخَذَنْصَرُ، نَحْنُ لَا نَحْتَاجُ أَنْ تَرَدَّ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ. اللَّهُ الَّذِي نَعْبُدُهُ قَادِرٌ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ أُنُونِ النَّارِ الْمُشْتَعِلَةِ، وَأَنْ يُنْقِذَنَا مِنْ يَدِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ! وَحَتَّى إِنْ لَمْ يُنْقِذْنَا، إَعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّنا لَنْ نَعْبُدَ آلِهَتَكَ، وَلَنْ نَسْجُدَ لِتَمَثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ."^أ

فغضب الملك جدا من هذا التحدي وأمر بأن يُحْمَى أتون النار 7 أضعاف فوق المعتاد. وأمر البعض من أقوى الرجال في جيشه أن يربطوا الرجال الثلاثة ويرموهم في النار. فربطوهم ورموهم بما عليهم من ملابس. وبما أن النار كانت شديدة جدا، قتل اللهب الرجال الذين رموا شدرخ وميشخ وعبدنغو.^ب

ومضت بعض اللحظات وجاء الملك ليتفرج على النار ولكنه فوجئ بأن وجد في النار أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وكأنهم يتنزهون وما بهم ضرر! فانزعج الملك من هذا وهتف وقال: "يَا شَدْرُخُ وَمِيشُخُ وَعَبْدَنْغُو، يَا عَبِيدَ اللَّهِ الْعَلِيِّ، أَخْرُجُوا وَتَعَالَوْا!" فَخَرَجَ شَدْرُخُ وَمِيشُخُ وَعَبْدَنْغُو مِنْ وَسْطِ النَّارِ. فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُمْ

^أ دا 3: 16-18

^ب دا 3: 22

وُكَلَاءُ الْمَلِكِ وَكِبَارُ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَقَادَةُ الْجَيْشِ وَمُسْتَشَارُو الْمَلِكِ، وَرَأَوْا أَنَّ النَّارَ لَمْ تَضُرَّ أَجْسَامَهُمْ. فَلَمْ تَحْتَرِقْ وَلَا شَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ ثِيَابُهُمْ، وَلَا حَتَّى فِيهِمْ رَاحَةُ النَّارِ! فَقَالَ نُبُوخذَنْصَرُ: "تَبَارَكَ إِلَهُ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنْغُو الَّذِي أَرْسَلَ مَلَائِكَةً وَأَنْقَذَ عِبِيدَهُ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَخَالَفُوا أَمْرَ الْمَلِكِ، وَبَدَّلُوا حَيَاتَهُمْ لِكَيْ لَا يَعْبُدُوا أَوْ يَسْجُدُوا لِإِلَهِ غَيْرِ إِلَهُهِمْ. لِذَلِكَ أَمَرْتُ أَنْ أَيْ وَاحِدٍ مِنْ أَيْ أُمَّةٍ أَوْ لُغَةٍ يَقُولُ شَيْئًا ضِدَّ إِلَهُ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنْغُو، أَمْرُفُهُ إِرْبًا وَأَجْعَلَ دَارَهُ مَرْبَلَةً. لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ إِلَهُ آخَرُ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّيَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ." أ^ا كَانَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ أَوْفِيَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى فَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَبَدَّلُوا حَيَاتَهُمْ لِكَيْ لَا يَعْبُدُوا إِلَهًا غَيْرَهُ، فَأَرْسَلَ مَلَائِكَةً لِيَنْقِذَهُمْ. وَكَانَ هَذَا الْمَلَكُ هُوَ الرَّجُلُ الرَّابِعُ الَّذِي رَأَى الْمَلِكَ فِي أَتُونِ النَّارِ.

قال المسيح أيضا: "مَنْ كَانَتْ حَيَاتُهُ عَزِيزَةً عَلَيْهِ يَفْقِدُهَا، وَمَنْ يُضَيِّقُ بِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَرْجُحُهَا وَتَكُونُ لَهُ حَيَاةُ الْخُلُودِ." ب^ب فِي كُلِّ حَقَبَاتِ التَّارِيخِ اسْتَشْهَدَ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعِيسَى لِأَنَّهُمْ فَضَّلُوا أَنْ يَثْبُتُوا عَلَى اعْتِرَافِهِمْ بِالْمَسِيحِ وَإِعْلَانِهِمُ الْوَلَاءَ لَهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْكُرُوهُ. فِي عَامِ 155 مِيلَادِيَّةٍ حُكِمَ عَلَى بُولِيكَارِبَ بِالْمَوْتِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ بِالْمَسِيحِ. طَلَبَ مِنْهُ الْحَاكِمُ الرُّومَانِي أَنْ يَتَرَجَعَ عَنْ إِيمَانِهِ، وَلَكِنْ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ الشَّهْمُ أَجَابَ: "خَدَمْتُ عِيسَى 86 سَنَةً وَلَمْ يَخْذِلْنِي، وَلَا تَخْلِي عَنِّي، وَلَا مَرَّةً وَاحِدَةً طَوِيلَ هَذِهِ السَّنِينَ، فَكَيْفَ تَرِيدُنِي أَنْ أَكْفُرَ بِمَلِكِي وَمَنْقِذِي وَرَبِّي الَّذِي فَدَانِي وَأَنْكُرَهُ؟" وَهَذَا هَدَدُ الْحَاكِمِ بِإِلْقَائِهِ فِي حَفْرَةٍ فِيهَا أَسْوَدُ جَائِعَةٌ، فَقَالَ بُولِيكَارِبَ: "هَاتِ الْأَسْوَدَ!" ثُمَّ هَدَدَهُ الْحَاكِمُ بِأَنَّهُ سَيَحْرِقُهُ حَيًّا، فَقَالَ الرَّجُلُ: "أَنْتُمْ تَهْدِدُونَنِي بِالنَّارِ الَّتِي تَحْرِقُنِي وَتُعَذِّبُنِي لِحِظَاتٍ قَلِيلَةً، وَلَكِنْ كَيْفَ تَهْرَبُونَ أَنْتُمْ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ الَّتِي تَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ لِأَنَّكُمْ لَا تَوْمِنُونَ بِالْمَسِيحِ؟"

أ^ا دا 3: 26-29

ب^ب يو 12: 25

وأخيرا قرر الحاكم أن يحرقوه حيا في النار. وقبل أن يلفظ بوليكارب أنفاسه الأخيرة قال: "يا أبي الحنون... أشكرك لأنك جعلتني مستحقا لهذا اليوم وهذه الساعة. إني الآن أنال نصيبي وامتيازي لأكون من الشهداء الأمناء لك، الذين تشرفوا باتباع سيدنا عيسى المسيح بأمانة ووفاء. إني أشكرك يا أبي."

وفي 7 مارس سنة 202 ميلادية قامت حكومة الرومان في مدينة قرطاج (في تونس الحالية) بإعدام زوجة شابة حامل في شهرها الثامن اسمها فيليستي. رفضت هذه الفتاة أن تنكر المسيح. ومع كل التهديد والوعيد، وقفت ثابتة في إيمانها بالفادي المحب. وبينما كانت في السجن قبل إعدامها جاءها المخاض لتلد. فكانت في ألم شديد. وهنا قال لها حراس السجن: "إن كنت تصرخين الآن بسبب الولادة، فماذا تعملين حين نرميك للوحوش المفترسة؟" وهنا ردت بكلمتها الشهيرة: "الآن أنا نفسي أتألم، ولكن حين ترموني إلى الوحوش، سيكون فيّ واحد يتألم نيابة عني، لأني وقتها أتألم من أجله!"

لم يكن موت المسيح مأساة بل نصرا، ولذلك فإن موت المؤمن به هو أيضا نصر لا مأساة. فكرة الموت كمأساة هي فكرة بعيدة كل البعد عن الحق الكتابي. فالكتاب يقول إنه عند الموت تعود روح المؤمن إلى خالقها لتنعم في الجنة، في محضره المبارك الجليل. المسيح لا يعرف الهرب من الموت، بل كما قابل الموت من أجلنا، يتوقع منا نحن أتباعه أيضا أن نقابل الموت من أجله. إنما المأساة هي في البيئة التي نعيش فيها اليوم. إنها تحاول أن تؤجل الموت بكل الطرق المتاحة للعلوم الطبية المتقدمة حتى ولو كان المريض حيا بالاسم وميتا بالفعل لأنه لا يتكلم ولا يتحرك ولا يدرك ما حوله! نحن لا نخاف من الموت. قال النبي داود: "حَتَّىٰ إِن سِرْتُ فِي وَادِي الْمَوْتِ الْمُظْلِمِ، لَا أَخَافُ الْأَذَىٰ لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِيَ. عَصَاكَ وَعُكَّاؤُكَ يُعَزِّيَانِي."^أ الشخص الذي لا يخاف الموت

هو أقوى الناس؛ هو الذي يسير في الطريق حاملا نعشه؛ حاملا صليبه!
قال أحد أولياء الله: "انظر داخل قلبك، تجد أنك تعطي نفسك لله ولكن في حدود لا تريد أن تتجاوزها! أي أنك تسلم نفسك له، ولكن بمقدار معين فقط! وهذا يعني أنك تحرم نفسك من بركات غير عادية. أنت تطوف بالقرب من اختبارات جديدة لكنها مكلفة، ولذلك تتظاهر بأنك لا تراها لئلا يوبخك ضميرك! وكلما تراجع عن تسليم أمر ما له، وكلما ترددت في ذلك، كلما زاد اليقين أنك يجب أن تُخضعه له. فلو كنت حقا غير مقيّد به، فلماذا كل هذا المجهود لتقنع نفسك أنك حر منه؟"⁷⁶

منذ سنين عديدة آمن بالمسيح رجل إيراني مسلم اسمه ميرزا إبراهيم. فقبضت عليه السلطات ووضعت في سجن في مدينة تبريز. كان ولي العهد الإيراني في ذلك الوقت يعيش في تبريز، فاستدعى ميرزا إبراهيم من السجن. قال ولي العهد: "يا ميرزا إبراهيم، لقد بلغتني قصتك، ومع أنني أعتبرك غبيا ومتهورا لأن تترك الإسلام، لكني أجد فيك الشجاعة في نفس الوقت! فالآن أنا مستعد أن أطلق سراحك من السجن إن كنت تقوم بفرض الصلاة أمامي كما كنت تعمل وأنت مسلم."

وفي الحال أخرج ميرزا من جيبه نسخة من الإنجيل الشريف وقال: "يا صاحب السمو الملكي، أنا عارف أن عندك السلطة عليّ للحياة أو الموت. ولكن هنا في إنجيل المسيح الكريم، وجدت الحياة الحق، وعرفت عيسى المسيح منقذي من الذنب. لذلك، يا سيدي، ليس هناك ما يمكن أن عمله لتحرمي من الحياة الحق. أما بشأن قيامي بفرض الصلاة الإسلامية، فأنا لا أستطيع أن أقوم بذلك لأنني لست مسلما!"

وهنا أخذوا ميرزا وأرجعوه مرة أخرى إلى السجن، وبعد أيام قليلة شنقوه وأعدموه.

في سنة 1546 قبض أعوان الحكومة في اسكتلندا على جورج وزهارت واتهموه بأنه ينادي بعقائد ضد الكنيسة. لكن الحقيقة كانت أن نور المسيح أشرق في قلب

وزهارت، فمنحه الله نعمة الغفران والحياة الجديدة، فكان يقرأ كتاب الله ويدرسه بعمق ويطبّقه في حياته، وينادي للآخرين بهذه الحياة الجديدة. ولكن هذا لم يُعجب قادة الكنيسة في ذلك الوقت، فاتهموه بالهرطقة والكفر وحاكموه محاكمة جائزة ظالمة وحكموا عليه بالموت حرقاً بالنار. ولما كانت النار تلتهمه، اقترب منه الرجل الذي كلفوه بإشعال النار فيه، وركع الرجل بالقرب من وزهارت وقال له: "من فضلك سامحني." فطلب منه وزهارت أن يُقرب خده منه، وهنا قَبَّله جورج على خده وقال له: "لقد سامحتك، وهذه القبلة هي دليل ذلك. والآن، قم بواجبك!"⁷⁷

في يوم عيد الميلاد سنة 1628 قررت اليابان إعدام مايكل نكشيما⁷⁸ لأنه تحول إلى دين المسيح. وبينما كانوا يعذبونه ويصبون الماء المغلي على رأسه وجسمه قال ذلك الشهيد البطل: "مَزَقُونِي إربا، وانزعوا روحي من جسми، ولكنكم لن تقدروا أن تجعلوا فيني ينطق بإنكار سيدي المسيح!" وهنا مات الياباني شهيدا في سبيل سيده وفاديه.

صليب المسيح هو مثال لنا. نحن كمؤمنين ببعيسى لا بد أن نتألم في الحياة. يقول الإنجيل الشريف: "إِنَّ الْمَسِيحَ تَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِكُمْ وَتَرَكَ لَكُمْ مِثَالاً لِكَيْ تَقْتَدُوا بِهِ." إن المسيح تألم على الصليب. لا بد أن الله تعالى حزن حزنا شديدا وهو يرى وحيدة حبيبه معلقا على الصليب. كيف يكون شعورك إن رأيت ابنك الوحيد البريء الحلو الطيب الذي تحبه وحوله جماعة من الرعاع يصفعونه على خده ويصقون في وجهه ويضربونه بعضا على رأسه ويجلدونه ثم يصلبونه؟ هذا تماما ما حدث مع مولانا تعالى.

أرسل ملك رسالة إلى أمير يحكم بلادا قريبة وطلب منه أن يستسلم ويخضع له. فما كان من الأمير إلا أن نادى أحد جنوده وقال له: "اغرز سيفك في قلبك." وفي الحال غرز الجندي سيفه في صدره ووقع ميتا. ثم قال الأمير للجندي آخر: "اقفز من

هنا وألق نفسك في النهر." وبلا تردد قفز الجندي في النهر وغرق. ثم التفت الأمير إلى رسول الملك المعادي وقال له: "اذهب وقل لسيدك إن عندي مئاة الجنود من هذا النوع الذي رأيته، ولن يمكن له أن ينتصر علينا."

ولكن الملك المعادي لم يهمله هذا الكلام واستمر يقترب بجيشه. وقابله ذلك الأمير ومعه جنوده الشجعان، وأمكنه أن ينتصر عليه.

يطلب منا المسيح أن نضحي بكل شيء. نعم، يجب أن نضحي من أجل سيدنا وملكننا الذي ضحى بنفسه من أجلنا.

كان الملك آرثر يعين الحراس في قصره من الجنود الذين أصيبوا بجراح في الحروب ضد الأعداء. هؤلاء فقط كانوا، في نظر الملك، يستحقون أن يكونوا حراس الملك. فكما ضحوا من أجل الوطن، كان يتوقع منهم أن يكونوا مخلصين وأولياء له وعلى أتم الاستعداد أن يفدوه بدمائهم. الأبطال من هذا النوع فقط كانوا يستحقون هذا الامتياز.

تذكّر أن الخادم ليس أفضل أو أعلى من سيده، إن كان سيدنا قد تألم فنحن أيضاً لا بد أن تكون الآلام من نصيبنا. بعدما تخرج محمد شرديل خان من الجامعة، آمن بالمسيح وأخذ يقرأ كلامه ويدرسه ويعمل به. وبينما هو يتقدم في إيمانه بالمسيح، اكتشف أنه يجب أن يغطس في الماء أمام شهود إعلانا منه أنه يتبع عيسى المسيح. فما كان منه إلا أن رجع إلى بلده وهناك تعرف على جماعة من أتباع المسيح وطلب من قائدهم أن يغطسه في الماء في محضر أهل بلده وأمام عيونهم! ولكن بعدما تغطس الشاب، ثار أبوه جدا وضربه وطرده من داره وقال له: "أنت لست ابني حتى ترجع إلى الإسلام." صرخ محمد شرديل في أهل البلدة الذين تجمعوا وقال: "أنا ابن هذه البلدة. ولن أتركها. إن أردتم، فاقتلوني. ولكنني لن أترك بلدي." وسار إلى البئر وجلس هناك وهو في ألم شديد بسبب ضرب أبيه له. وبعد ثلاثة أيام وهو هناك وقد اشتد عليه

الجوع جدا، جاءت إليه أمه سرا ومعها وجبة طيبة. وبعد بضعة أيام جاء أبوه إلى البئر وجره إلى الدار وأخذ يضربه بعنف ويشتمه، ثم حبسه في غرفة في الدار. وفي الصباح أحضر له إمام الجامع وبعض علماء الدين لكي يُرجعوه إلى الإسلام. ولكنه رفض. وبعد عدة أسابيع، انكسرت إرادة أبيه، وأدرك أن ابنه لن يرجع عن إيمانه بالمسيح، فأخرجه من حبسه وقال له: "أنت ابني. أنا لا أقدر أن أغَيِّرَ هذا، ولم أقدر أن أثنيك عن اتباع المسيح." أخذه أبوه ووجد له عملا محترما طيبا بشهادته الجامعية في مصنع بالقرب منهم. لقد ربح محمد شرديل المعركة. لقد انتصر. لاقى اضطهادا عنيفا وخطر بحياته. رفض أن يهرب. أصر أنه ينتمي للبلدة التي نشأ فيها والتي فيها أهله.

لا يمكنك أن تهدد بالموت شخصا يؤمن بالمسيح. هذا تهديد فارغ، لأن المؤمن بالمسيح يجب ألا يخاف الموت. فالموت ينقله إلى محضر سيده وفاديه وإلهه. فهل ينفع أن تهدد شخصا بالراحة والفرح والسرور والبهجة؟ أنا لا أخاف من الموت من أجل المسيح. هو فاديّ وقد مات من أجلي، فكيف أبجل بجيأتي عليه؟

أمر السيد المسيح يوحنا أن يبعث برسالة إلى قائد جماعة المؤمنين في إزمير لكي يعزيهم ويُشددهم ويُشجعهم في وسط الاضطهاد والضيق. قال مولانا عيسى المسيح في رسالته إنه يعلم تماما ما تقاسيه تلك الجماعة من الضيق. ثم قال لقائدهم: "لَا تَخَفْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُكَ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ سَيُلْقِي بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السَّجْنِ لِيَمْتَحِنَكُمْ، وَتُقَاسُونَ الاضْطِهَادَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ. فَكُنْ أَمِينًا حَتَّى الْمَوْتِ، وَأَنَا أُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ. يَا مَنْ لَكُمْ آذَانٌ، اسْمَعُوا مَا يَقُولُهُ رُوحُ اللَّهِ لِحِمَاةِ الْمُؤْمِنِينَ! مَنْ يَغْلِبُ، لَا يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي."^أ

يطلب المسيح منا أن نكون أمناء له؛ أن نكون أوفياء له حتى ولو أدى ذلك بنا إلى الموت. يقول: "كن أَمِينًا حتى الموت." ويقول الوحي:

"يَجِبُ أَنْ نُرَكِّزَ أَنْظَارَنَا عَلَى عَيْسَى مَصْدَرٍ وَهَدَفٍ إِيْمَانِنَا. فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ الْفَرَجِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ وَلَمْ يَهْمَهُ عَارُهُ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ. تَأَمَّلُوا فِيهِ، هُوَ الَّذِي احْتَمَلَ هَذِهِ الْعَدَاوَةَ مِنَ الْأَشْرَارِ، لِكَيْ لَا تَفْشَلُوا وَلَا تَيْأَسُوا."^أ

يجب أن نركز أنظارنا.. تأملوا فيه: يتكلم الوحي هنا لا عن أنظار جسمية، أي عيوننا التي نرى بها الأشياء التي أمامنا، بل عيوننا الروحية التي نرى بها الأمور الروحية. تأمل فيه، لتحصل على الشجاعة في وقت الاضطهاد، وعلى الصبر والاحتمال في وقت الألم لكي لا تفشل ولا تياس. إنه يعطيك الشجاعة والقوة في كل موقف تقابله. تأمل في آلامه. تأمل العذاب الذي كان فيه. تأمل فيه لا لمجرد الإعجاب به وبشجاعته، مع أن هذا من حقك، بل ليكون هو مولاك وربك وفاديك ومنقذك، وأيضاً تأمل فيه ليكون مثالك فتقتدي به وتمثل بسلوكه.

إنه من أجل الفرح الذي ينتظره احتمل الصليب. هذا هو فرح انتصاره في معركة الفداء، وفرح إتمامه الفداء العظيم، والفرح الذي هو مكافأة له من أجل تضحيته وآلامه من أجلنا، وفرح رجوعه إلى السماء التي تركها لَمَّا صار بشراً.

يرمز الصليب إلى المحبة والتضحية. إن عيسى أحبك لذلك ضحى بنفسه من أجلك. وأنت تحمل صليبك لأنك تحبه. هو يقول إنه لا بد من التضحية من أجله. في حياتنا معه لا بد أن نضحي من أجله.

فمن يحمل الصليب ويتبع عيسى في هذه الحياة، يكون مصيره النعيم في الآخرة. ومن يرفض أن يحمل الصليب ويتبع عيسى في هذه الحياة، يكون مصيره الهلاك في الآخرة. قال عيسى: "لَأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْقِذَ حَيَاتَهُ يَفْقِدُهَا، أَمَّا مَنْ فَقَدَ حَيَاتَهُ فِي سَبِيلِي فَأِنَّهُ يَجِدُهَا. لِأَنَّهُ مَاذَا يَسْتَفِيدُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ، لَكِنَّهُ ضَيَعَ نَفْسُهُ؟ أَوْ مَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَدَّمَ الْإِنْسَانُ فِدْيَةً عَنْ نَفْسِهِ؟ لِأَنَّ الَّذِي صَارَ بَشَرًا سَبَاتِي مَعَ مَلَائِكَتِهِ

فِي جَلَالِ أَبِيهِ، وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ.^أ

نعم، هذه دعوة المسيح الخطيرة لنا، أن نحبه أكثر من أعز عزيز على الأرض. قال عيسى أيضا: "مَنْ أَحَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ لَا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي."^ب البعض منا يحاولون أن يتبعوا المسيح من على بُعد! إنهم يريدون أن يتبعوه لأنهم معجبون به وبجبه العجيب وبتعاليمه السامية، لكنهم ليسوا على استعداد لأن يضحوا بمركزهم أو مالههم أو علاقاتهم أو حياتهم في سبيله.

قال بولس: "أَنَا مُسْتَعِدٌّ لَا أَنْ أُقَيِّدَ فَقَطْ، بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا... مِنْ أَجْلِ اسْمِ سَيِّدِنَا عَيْسَى."^ت هل نحن على استعداد لأن نُضْطَهَد ونُعَذَّب ونموت من أجل المسيح؟ أنا لا أَسْتَحِقُّ أَنْ أَعِيشَ إِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَعِدٍّ أَنْ أَمُوتَ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ! نحن نبذل أنفسنا من أجل من بذل نفسه من أجلنا. لا حياة إلا بالموت! لا عرش إلا عن طريق الصليب. قلنا من قبل إنه جاء بعض الأجانب إلى فيليب وطلبوا منه أن يروا المسيح. كان جواب المسيح على هذا الطلب هو: "إِنْ كَانَتْ حَبَّةُ الْقَمْحِ لَا تَقَعُ فِي الْأَرْضِ وَتَمُوتُ، فَإِنَّهَا تَبْقَى حَبَّةً وَاحِدَةً، أَمَّا إِنْ مَاتَتْ فَإِنَّهَا تُنْبِغُ حَبًّا كَثِيرًا. مَنْ كَانَتْ حَيَاتُهُ عَزِيزَةً عَلَيْهِ يَفْقِدُهَا، وَمَنْ يُضَيِّعُ بِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَرْبِحُهَا وَتَكُونُ لَهُ حَيَاةُ الْخُلُودِ."^ث يقول بعض المفسرين والمؤرخين إن هؤلاء الأجانب كانوا موفدين من قِبَلِ أحد الملوك.⁷⁹ كان ذلك الملك قد سمع عن الاضطهاد العنيف الذي كان المسيح يواجهه من اليهود، والخطر العظيم المهدد بحياته، فأرسل ذلك الملك الطيب وفدا يعرض على سيدنا عيسى أن

^أ مت 16: 25-27

^ب مت 10: 37-38

^ت أع 13: 21

^ث يو 12: 24-25

يقيم في مملكته ويعيش هناك مكرما وحرا ينادي بتعاليمه كما يشاء. كان رد المسيح معناه. "لا، شكرا! يجب أن أموت لكي يحيا الآخرون. إهانتي ستجلب الكرامة والحرية للآخرين، وموتي سيجلب الحياة للآخرين!"

قال يوحنا فم الذهب: "ألا إن الموت لأجل المسيح لأعز عندي وأمجد من ملك الدنيا من أقاصيها إلى أقاصيها".^أ

إن عدد المؤمنين بعبسى الذين ضحوا بحياتهم من أجله خلال القرن الأخير من تاريخ المسيحية هو أكثر من مجمل عدد الذين استشهدوا في سبيله خلال القرون التسعة عشر السابقة! إنه دعانا لنبدل الحياة من أجله.

وقال بولس أيضا: "صِرْنَا مَنظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ مَعًا. نَحْنُ أَغْيَاءٌ فِي سَبِيلِ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ عُقْلَاءُ بِإِنْتِمَائِكُمْ لِلْمَسِيحِ. نَحْنُ ضِعَفَاءُ، وَأَنْتُمْ أَقْوِيَاءُ. أَنْتُمْ مُكْرَمُونَ، وَنَحْنُ مُحْتَقَرُونَ. لِحَدِّ الْآنَ، نَحْنُ نُعَانِي الْجُوعَ وَالْعَطَشَ وَالْعُرْيَ وَالضَّرْبَ وَالتَّشَرُّدَ. نَتَعَبُ وَنَشْتَغِلُ بِأَيْدِينَا لِتَحْصُلَ عَلَى مَعِيشَتِنَا. نُسْتَمُ قُنْبَارِكُ. نُضْطَهُدُ فَنَحْتَمِلُ. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَتَنْتَكَّمُ بِلُطْفٍ. لِحَدِّ الْيَوْمِ، نَحْنُ مِثْلُ حُثَالَةِ الْمُجْتَمَعِ، وَمِثْلُ زِبَالَةِ الْعَالَمِ."^ب

عانت جماعات المؤمنين بالمسيح في الصين المرَّ والعذاب والاضطهاد على مدى سنين طويلة. هناك أغنية قوية يرنمها المؤمنون في الصين عنوانها "شهداء في سبيل المسيح" تقول كلماتها:

منذ الوقت الذي فيه وُلدت أمة المسيح

يوم الخميس

وأتباع ربنا يُضحون بأنفسهم بمحض إرادتهم

^أ رج رؤ 12: 11

^ب 1 كور 4: 9-13

مات عشرات الآلاف لكي تنمو الدعوة بالإنجيل
هؤلاء حصلوا على إكليل الحياة

ليتني أكون شهيدا من أجل ربنا
ليتني أكون شهيدا من أجل ربنا
أنا راغب في الموت المجيد من أجل ربنا

هؤلاء الرسل الذين أحبوا المسيح حتى النهاية
تبعوه على طريق الآلام
يوحنا: نُفي إلى جزيرة بطمس المنعزلة
اصطفان: رجمه جمهور غاضب حتى مات

متى: طعنه الغوغاء في (بلاد) فارس ومات
مرقس: فسخت الخيول رجله بعيدا عن بعضهما ومات
لوقا: الطبيب الحبيب شنقوه بوحشية
بطرس وفيليب وسمعان: صُلب كل منهم على صليب

برتلمي: سلخ الوثنيون جلده وهو حي
توما: فسخت الخيول رجله بعيدا عن بعضهما في الهند ومات
يعقوب أخو يوحنا: قطع الملك هيرودس رأسه
يعقوب الصغير: قطعوه إلى نصفين بمنشار حاد

يعقوب أخو المسيح: رجموه حتى مات
يهودا: ربطوه إلى عامود ورموه بالسهم
متياس: قطعوا رأسه في القدس
بولس: مات شهيدا في عصر نيرون⁸⁰

أنا أرغب في حمل الصليب والسير إلى الأمام
لأتبع الرسل في طريق التضحية
حتى يمكن لعشرات الآلاف من النفوس الغالية أن تنجو
أنا أرغب في ترك الكل
أنا أرغب في أن أكون شهيدا من أجل المسيح

لاقى بولس الاضطهاد العنيف لأنه كان من أتباع المسيح. قال: "تَعَبْتُ...
وَسَجَنْتُ... وَجَلَدْتُ... وَتَعَرَّضْتُ لِلْمَوْتِ... خَمْسَ مَرَّاتٍ جَلَدَنِي الْيَهُودُ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ تِسْعًا
وَتَلَاثِينَ جَلْدَةً. ضُرَبْتُ بِالْعِصِيِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رُجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ مَرَّةً. تَحَطَّمتْ بِي السَّفِينَةُ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَضَيْتُ يَوْمًا كَامِلًا، بِنَهَارِهِ وَلَيْلِهِ، فِي عَرْضِ الْبَحْرِ. فِي أَسْفَارٍ عَدِيدَةٍ،
وَأَجَهْتُ مَخَاطِرَ مِنْ أَنْهَارٍ وَمَخَاطِرَ مِنْ لُصُوصٍ، مَخَاطِرَ مِنْ يَهُودٍ وَمَخَاطِرَ مِنْ غَيْرِ يَهُودٍ،
مَخَاطِرَ فِي الْمُدُنِ وَمَخَاطِرَ فِي الْقَفَارِ، مَخَاطِرَ فِي الْبَحْرِ وَمَخَاطِرَ مِنْ إِخْوَةٍ كَذِبَةٍ. فِي تَعَبٍ
وَمَشَقَّةٍ، وَفِي سَهَرٍ بِلَا نَوْمٍ. قَاسَيْتُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَقِلَّةِ التَّغْذِيَةِ وَمِنَ الْبُرْدِ وَمِنَ
قِلَّةِ الْمَلَابِسِ... اللَّهُ... يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَكْذِبُ. حَاصِمُ دِمَشْقَ الَّذِي يَعْمَلُ تَحْتَ سُلْطَةِ
الْمَلِكِ الْحَارِثِ، أَمَرَ بِحِرَاسَةِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ لِكَيْ يَفْبِضَ عَلَيَّ. لَكِنَّ الْإِخْوَةَ وَضَعُونِي فِي
قَفَّةٍ، وَأَنْزَلُونِي مِنْ نَافِذَةٍ فِي السُّورِ، وَهَرَبْتُ مِنْهُ."^أ

كما يقول هذا الرسول الشجاع إنه يحمل في جسمه علامات الضرب والجلد والتعذيب من أجل إيمانه بعتسى، كما أنه كان دائما يتوقع لنفسه الموت من أجل المسيح: "نَحْنُ نُوَاجِهُ الصُّعُوبَاتِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، لَكِنَّا لَا نَنْهَارُ. نَحْتَارُ فِي مَشَاكِلِنَا، لَكِنَّا لَا نَيَأْسُ. يَضْطْهِدُنَا النَّاسُ، لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَنْسَانَا. يَضْرِبُونَنَا، لَكِنَّا لَا تَتَحَطَّمُ. وَدَائِمًا نَحْمِلُ فِي جِسْمِنَا مَوْتَ عَيْسَى. بِذَلِكَ تَظْهَرُ حَيَاتُهُ أَيْضًا فِي جِسْمِنَا. لِأَنَّا نَحْنُ أَحْيَاءُ لَكِنَّا نَتَعَرَّضُ لِلْمَوْتِ دَائِمًا مِنْ أَجْلِ عَيْسَى، لِغِي تَظْهَرُ حَيَاةُ عَيْسَى أَيْضًا فِي جِسْمِنَا الْفَانِي."^أ

ومرة أخرى نستشهد بالرسول بولس الذي قال في خطابه الوداعي لشيخ جماعة المؤمنين في أفاسس: "الآن أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى الْقُدُسِ بِدَافِعٍ مِنَ الرُّوحِ. وَلَا أَعْلَمُ مَاذَا يَنْتَظِرُنِي هُنَاكَ. إِنَّمَا أَعْلَمُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُّوسَ يُعْلِنُ لِي فِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَنَّ السَّلَاسِلَ وَالْمَصَاعِبَ تَنْتَظِرُنِي. لَكِنَّ حَيَاتِي لَا تَهْمُنِي، بَلِ الْمُهْمُ هُوَ أَنَّ أَقُومَ بِمُهْمَتِي وَأَتَمِّمَ الْعَمَلَ الَّذِي كَلَّفَنِي بِهِ سَيِّدُنَا عَيْسَى، وَهُوَ أَنَّ أُخِيرَ بِيَشَارَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ."^ب

هذا نبل التضحية. الصليب الذي نَحْمِلُهُ ليس بؤسا وشقاء وتعاسة، بل سبب فرح حتى في المصاعب، وسبب أمل ورجاء حتى في أصعب الظروف. إن سيدنا عيسى الذي ضحى بنفسه من أجلنا يستحق أن نضحي نحن بكل شيء، حتى بحياتنا أنفسها، من أجله.

منذ فترة قُدِّمَ الشيخ مهدي ديباج إلى المحاكمة في إيران بتهمة أنه ارتد عن دينه وصار من أتباع سيدنا عيسى المسيح. ولما وقف يدافع عن نفسه قال:

بسم الله القدوس الذي هو حياتنا. إني بتواضع أعترف بالجميل لقاضي السماء والأرض الذي أعطاني هذه الفرصة الثمينة، وبانكسار أضع أُملي في ربي لينقذني من

^أ 2كور 4: 11-8

^ب أع 20: 22-24

هذه المحكمة حسب وعوده. كما أطلب من أعضاء المحكمة الموقرين أن يستمعوا بصبر لدفاعي، وباحترام لاسم الله تعالى.

إني مؤمن بعيسى. أنا ارتكبت الخطيئة والاثم، ثم آمنت أن سيدنا عيسى المسيح مات من أجلي على الصليب وقام منتصرا على الموت، وجعلني صالحا قدام الله تعالى. الإله الحق بَيَّن كل هذا لنا في كتابه الحق. نحن البشر ارتكبنا الذنب، وعيسى بموته على الصليب دفع الثمن عنا. أخذ العقاب مكاننا. وردا على هذا الصنيع العظيم الذي عمله معي، طلب مني الوفاء والإخلاص، وأن أنكر نفسي وأتبعه ولا أخاف البشر حتى إن قتلوني. إنما أتوكل على الله خالق الحياة الذي أشفق عليّ والذي يحمي المؤمنين به ويكافئهم خير الجزاء.

إن التهمة الموجهة لي اليوم هي الكفر. إنما الله تعالى العالم بما في قلوبنا يؤكد لنا أننا نحن أتباع عيسى لسنا من الكافرين ولا الضالين الهالكين، بل نؤمن به بحق وأن نجاتنا من الهلاك مضمونة فيه. حسب شريعتكم الكافر هو من لا يؤمن بالله والأنبياء واليوم الآخر. وأنا ومع كل أتباع عيسى الحقيقيين، نؤمن بكل هذه.

قلتم في بنود الاتهام إني تركت ديني وتحولت إلى دين آخر. لا، أيها السادة، أنا على مدى سنين عديدة لم يكن لي دين! إنما بعد بحث ودراسة، قبلت دعوة الله عز وجل لي أن أؤمن بربنا عيسى المسيح لأحصل على حياة الخلود في النعيم. الناس يختارون دينهم. إنما المؤمن بعيسى، عيسى هو الذي يختاره! فهو قال: "هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي: أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحَبَبْتُكُمْ. لَا تُوْجَدُ مَحَبَّةٌ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُضَيَّحَ الْوَاحِدُ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ أَحِبَّائِهِ. إِنْ عَمِلْتُمْ بِوَصَايَايَ فَأَنْتُمْ أَحِبَّائِي. أَنَا لَا أَدْعُوَكُمْ عَمِيدًا بَعْدَ الْآنَ، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْرِفُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ. إِنَّمَا دَعَوْتُكُمْ أَحِبَّائِي، لِأَنِّي عَرَفْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي. أَنْتُمْ لَمْ تَخْتَارُونِي، أَنَا الَّذِي اخْتَرْتُكُمْ وَعَيَّنْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتُشِيرُوا ثَمَرًا يَدُومَ، فَيُعْطِيَكُمْ الْآبُ كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ بِاسْمِي. فَهَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي لَكُمْ: أَحِبُّوا

بَعْضُكُمْ بَعْضًا.^أ

وقلتم في بنود الاتهام إني مسلم منذ ولدت. ولكن كلام الله المعصوم يقول إن عيسى اختارني قبل أن أولد لأكون من أتباعه والمؤمنين به! الله الدائم الباقي يرى النهاية من البداية^ب، وهو الذي اختارني لأنتمي له. وهو يعرف القلوب، فيعرف منذ الأزل من هم الذين سيؤمنون به، ومن هم الذين يبيعون إيمانهم وحياة الخلود في النعيم بأمور هذه الحياة الزائلة! لذلك فإني أُفَضِّلُ أن يكون كل العالم ضدي والقدير تعالى معي، أن يدعوني الناس كافرا والقدير تعالى يرضى عني. فهو العزيز القوي الذي يرفع من يشاء ويذل من يشاء.^ت

فإن كان الله معي، فمن يقدر أن يفصلني عنه؟ أنا في أمان في حمى القدير. وملجأى هو عرش رحمته. أنا "عَارِفٌ مَنْ آمَنْتُ بِهِ، وَمُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ لِي وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ".^ث إنه سيحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم الذي يُحْضِرُنِي فيه إلى مملكته الأبديّة حيث يُنْذِرُ الصالحون وحيث لا يوجد شر ولا كافرون.

وقلتم أيضا في بنود الاتهام: "ارجع". عجباً! كيف أترك ذراعي محبة الله؟ ولمن أرجع؟ هل يصح أن أسمع كلام الناس وأخون ربي؟ مضت الآن خمس وأربعون سنة وأنا أتبع عيسى وأخدمه. خمس وأربعون سنة وأنا أسير مع رب المعجزات، وهو يظللني برحمته وحنانه يوما بعد يوم. إني مدين له بحبه الأبوي ورعايته. إن حب عيسى يملأ كياني. إن كل جسدي ينبض بدفع حبه. الله القدير هو حقا كرامتي وشرفي، هو حامي والمدافع عني، وقد قبلني وأغدق عليّ الكثير من بركاته ومعجزاته.

وهذا الألم الذي أعانيه، والسجن الذي أنا فيه، والعذاب الذي ألاقيه، كل هذه

^أ يو 15: 12-17

^ب إش 42: 9؛ 46: 8-10

^ت 2 صم 7: 1؛ 51-52

^ث 2 تم 1: 12

إنما هي براهين صادقة أنه رضي عني وقبلني. فالكتاب الشريف يقول إن الذي يحبه الله يؤديه. إنه يفعل ذلك لِيُعِدَّنَا لجنّة النعيم. هو رب دانيال الذي حفظ النبي في حفرة الأسود، فلم تضره الوحوش الكاسرة رغم جوعها. وهو الذي حفظني في السجن تسع سنين الآن، وقد حوّل خلالها كل ضرر إلى منفعة، وكل عذاب إلى ربح. لدرجة أن قلبي مملوء بل ويفيض بالفرح والعرفان بالجميل له! وهو رب أيوب الذي يختبر صبري واحتمالي وولائي له. فهو خلال هذه السنين التسع حررتني من كل مسئولياتي لأكون في حماه وأقضي الساعات في دراسة كلامه والدعاء له، وأنا متعطش لأعرفه وأحبه وأطيعه أكثر من كل وقت مضى. ففي السجن أعطاني أثمن فرصة لأتعمق في معرفته. وبها من بركات عظيمة غنية ثمينة مجيدة، تلك التي يَدَّخِرُها الله تعالى لمن يتبعون عيسى بأمانة.

ثم اعترضتم أيضا لأنّي أدعو الناس ليؤمنوا بعيسى. ولكن لو رأيْتُ أعمى يسير بجوار حفرة، ألا أنذره؟ إن كنت لا أحدّره، يسقط! وأين إنسانيّتي في هذه الحالة؟ إن واجبي هو أن أنذر الناس وأحدّهم من الهلاك في الجحيم بعيدا عن عيسى. باب رحمة الله مفتوح على مصراعيه والناس لا يرونه، فكيف أسكت؟ عيسى قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ، أَنَا هُوَ الْحَقُّ، أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ."^أ وقال الإنجيل الشريف عنه: "لا نَجَاةَ بِغَيْرِهِ، لِأَنَّهُ لَا يُوَجَدُ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ اسْمٌ آخَرُ أُعْطِيَ لِلنَّاسِ نَتَالَ بِهِ النَّجَاةَ."^ب

لهذا فالحياة بالنسبة لي هي فرصة ثمينة لخدمته، والموت هو وسيلة عظيمة لأكون معه! فأنا راض تمام الرضى أن أكون في السجن إكراما لاسم عيسى، وكذلك أنا مستعد تمام الاستعداد أن أضحي بحياتي من أجل ربي. ليت القدير يظللکم جميعا برحمته وبركته وشفائه، الآن وإلى الأبد، آمين.

من أين جاءت هذه الشجاعة لمهدي ديباج؟ كيف أمكنه أن يأتي من زنازة في السجن ويقف أمام القضاة والمحامين والشهود والمراقبين ليتحدث بهذه الجرأة والكفاءة والعلم؟ الجواب هو: الروح القدس. نعم، الروح القدس هو الذي يمنح أتباع المسيح الشجاعة والثبات حتى في أصعب المواقف.

وبعد 10 سنين وهو محبوس في السجن، قال أحد الحراس لمهدي ديباج: "لو جاء سيدنا عيسى إليك في السجن وقال لك إن نبيا جاء بعده وأنتك يجب أن تتبع ذلك النبي، فماذا تقول لعيسى؟" قال مهدي: "أرني نفسي عند قدي سيدي المسيح وأتوسل إليه وأقول، 'يمكنك أن تقتلني، يمكنك أن تشنقني، يمكنك أن تلقي بي في الجحيم، ولكن من فضلك لا ترسلني لأحد غيرك!'"

هذا هو البطل الشجاع الذي لا يخاف سيف الحاكم مهما كان ظالما. هذا هو الرجل الذي ضحى بحياته واستشهد في سبيل المسيح، والذي من أشهر كلماته الماثورة أنه قال: "إنها مضیعة أن يموت المؤمن بالمسيح موتا طبيعيا." أي إن كنا نموت بلا استشهاد، فنحن نضيع فرصة كبيرة. أما إن كنا نضحي بحياتنا من أجل المسيح ونستشهد من أجله فهذا ربح عظيم.

كن مستعدًا يا أخي لمواجهة المصاعب. أنت تعرف قصة يوسف التي وردت في التوراة. رفض أن يرتكب الفحشاء، فماذا كانت نتيجة موقفه الشجاع؟ ماذا حدث لذلك الشاب الطاهر؟ وضعوه في السجن. يا له من اضطهاد مؤلم لشاب برئ. ربما يواجهك الاضطهاد يا أخي. قد يضطهدك زملاؤك لأنك شريف وأمين. قد يسعى إليك أهلك ويضطهدونك ويعادونك لأنك تتبع الحق. قد يتبرأ منك أصدقاؤك لأنك تحب عيسى. لكن الله الذي ساعد يوسف وهو في السجن، سوف يمد لك يد المعونة وأنت في الظروف الصعبة. إن تمسكت به وحافظت على إيمانك بعيسى، سوف يعطيك القوة والبركة حتى تخرج من المصاعب فائزًا غالبًا وقويًا.

يجب أن نفهم أن سيدنا عيسى ما زال يتألم اليوم. إنه يتألم مع كل مؤمن به يعاني الاضطهاد أو الحزن أو المرض أو السجن بسبب الولاء لسيدته وفاديه ومولاه وربيه. إن المسيح يتألم مع كل شخص من أي دين أو جنس أو عرق موجود اليوم في سجن أو في حبس بسبب إيمانه بعيسى. كل واحد من أتباع عيسى يُقبض عليه ويُستجوب ويُضرب ويُضطهد ويُحتقر ويُعذب، عيسى أيضا يتألم معه. هل أنت حزين اليوم لأنك فقدت حبيباً أو قريباً، عيسى أيضا يتألم معك. إنه عارف وفاهم الظروف التي تمر بها يا أخي. إنه فاهم وضعك وآلامك يا أختي. إن روح الله القدوس يذكركم اليوم أن عيسى أيضا تألم ويتألم. إنه سار قبلك في الطريق التي تسير فيها الآن. إنه مر بالظروف التي تمر بها الآن. ربما وصلت إلى حالة صعبة، ربما أغلقت كل الأبواب في وجهك ولست تدري ماذا تعمل. عيسى يعلم ذلك، وهو سيفتح الباب لك. يقول الإنجيل الشريف: "هَنِيئًا لِمَنْ يَصِيرُ عَلَى الْمِحْنَةِ، لِأَنَّهُ بَعْدَ مَا يَنْجُحُ يَنَالُ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الَّذِينَ يُجِبُّونَهُ."^أ لذلك كانت رغبة بولس أن ينجح في امتحان الألم فقال: "أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ الْمَسِيحَ، وَأَخْتَبِرَ قُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَأُشَارِكُهُ فِي آلامِهِ، وَأُصْبِحَ مِثْلَهُ فِي مَوْتِهِ."^ب

نحن في حرب روحية ضد الشيطان وقوات الظلام. إن الجندي الذي يحارب لا يهتم براحته. نحن في معركة حربية. نحن نتوقع أن نقابل الألم والمصاعب.

ختام

من دواعي الشرف لنا أن نقول مع بولس: "أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي لَا وَلَنْ أَفْتَخِرَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِصَلِيبِ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ صُلِبَ الْعَالَمُ بِالنَّسَبَةِ لِي، وَأَنَا صُلِبْتُ بِالنَّسَبَةِ لِلْعَالَمِ."^أ

نعم، أنا أفتخر بصليب المسيح لأنه عن طريقه كسر سيدي القيود التي كانت تكبلني، وحطم السلاسل التي كانت تربطني إلى عادات مُشينة وتصرفات مهينة وآثام وخطايا، وحكم ببراءتي، وأطلقني حراً من السجن الذي كنت فيه. أنا اليوم حر طليق، أنا اليوم حي لأن المسيح مات مكاني!

وحين أقول إنني أفتخر بصليب المسيح، لا أقصد الخشبة التي مات عليها المسيح مولانا، ولا أعني أنني ألبس صليبا من الذهب أو الفضة وأتباهى به. ولا نعني صليبا ماديا مصنوعا من خشب أو حجارة أو أي مادة أخرى يضعه الناس فوق كنيسة أو مبنى. إنما بصليب المسيح نعني حقيقة موت المسيح على الصليب ثم قيامته حيا منتصرا في اليوم الثالث. كما يقول الإنجيل: "إن رسالة الصليب... بالنسبة لنا... هي قوة الله."^ب نحن نتكلم عن رسالة، عن حقيقة، لا عن رمز أو صورة.

قالت لي فتاة مسلمة اسمها فضيلة: "إنني حين أرى البنات يلبسن الصليب، أتمنى لو كنت مسيحية مثلهن لألبس أنا أيضا صليبا يتدلى من عنقي!" أنا لا أقصد هذا النوع من التباهي بالصليب. بل الرسالة نفسها، كون عيسى مات وقام من أجلي، بهذا أنا أفتخر، وعلى هذا أحمد الله لحبه وتنازله وتضحيته من أجلي أنا المسكين.

إن موت المسيح على الصليب هو القوة التي تحررني من مفعول الشر وسلطان الشر الذي يقهرني ويذلني ويجعلني أعمل ما لا أرغب فيه، وأرتكب ما لا أحب،

^أ أغل 6: 14

^ب 1 كور 1: 18

وأفعل ما أندم عليه فيما بعد!

ومع ذلك فإننا حين نرى صليبا فوق مبنى أو مرسوما في مكان ما أو معلقا حول عنق شخص، فإن هذا يجب أن يذكرنا بما عمله المسيح من أجلنا. الرمز هو مُذَكِّرٌ بمعروف المسيح، بتضحية المسيح. يوجد بالقرب من دارنا، فوق جبل⁸¹، صليب كبير ينير في الليل بنور ساطع يراه الناس من على بعد عدة كيلومترات. حين أقترّب من الدار وأراه، أشعر بفرح عميق في قلبي لأنني أتذكر ما عمله سيدي ومولاي وربي عيسى المسيح من أجلي. أنا مذنّب وهو ضحى بنفسه ليحصل لي على الغفران. ولهذا يقول عنه كتاب الله الكريم: "يَشْهَدُ لَهُ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ بِوَاسِطَةِ اسْمِهِ".^أ

إذن: "لا تحرمي من صليب المسيح وإلا أصير محروما! لأنه لو لم يكن هو قد سدّد لعدالة الله حقها، لكنت أنا مطالبا بالسداد. ولو لم يكن هو قد نال الغضب الإلهي على الصليب، لكنت أنا نلتة إلى الأبد. إذن لا تحرمي من هذا السلام الذي لا مثيل له!"⁸²

أشرت باختصار من قبل إلى موضوع ظهور موسى وإلياس على الجبل لما كان هناك عيسى وثلاثة من أتباعه. لا شك كانت لحظات مثيرة، فيا ترى ماذا كان موضوع حديثهم معا؟ كان يمكن أن يدور الحديث حول قوة الكلمة الذي صار بشرا، فإن موسى ارتبطت حياته بالكلمة التي أعلنها الله في وصايا وشرائع وأحكام. نعم، هنا الكلمة الذي صار بشرا.

أو كان يمكن أن يدور الحديث عن الطريقة التي بها تحدى إلياس الحكام والرؤساء الذين ابتعدوا عن طريق الله، وقادة الدين الذين نزلوا إلى قاع الوثنية، وكيف أن عيسى نفسه تحدى هذه الفئات أيضا.

لكن، لا! بل دار الحديث عن موضوع أخطر وأهم من كل هذا، تكلم النبيان معه عن رحيله. عن صليبه. عن فدائه. في هذا الفداء نجاة موسى وإلياس وملايين غيرهما. في هذا الصليب حياة لموسى وإلياس وملايين معهما. موت المسيح على الصليب لفداء البشر كان هو الموضوع الذي يملأ فكر السماء والخلود، كان كل شيء آخر ثانوياً وفرعياً. هذا هو أساس رجاء البشر، هذا هو أملهم الوحيد.

سمعت قصة عن امرأة كانت تعمل في مستشفى. كانت مسئوليتها هي تنظيف غرف المرضى بالمكنسة الكهربائية. وكانت تعمل بنشاط وأمانة يوماً بعد يوم، وشهراً بعد آخر. ولكن بدأ يحدث أمر غريب في تلك المستشفى. كان على تلك المرأة أن تنظف غرفة العناية المركزة كل يوم جمعة صباحاً. فكانت كعادتها في تنظيف الغرف الأخرى تبحث عن مكان في الحائط لتوصل المكنسة للتيار الكهربائي (مقبس، كُبس)، ولكنها لا تجد مكاناً فارغاً، فتسحب أي سلك موصل حتى تنتهي من التنظيف ثم ترجعه كما كان. بدأت السلطات تلاحظ أن كل يوم جمعة صباحاً يموت أحد المرضى في غرفة العناية المركزة. وبالبحث وجدوا أن السبب هو أن تلك المرأة كانت تسحب السلك الموصل إلى جهاز التنفس!

كانت عاملة التنظيف تعمل بأمانة، وكانت مجتهدة ونشيطة في عملها. ولكنها كانت تسبب موت الناس. لم تكن تعلم أنها لكي تكنس الغرفة وتنظفها، كانت تفصل إمداد الحياة عن المرضى وتقتلهم!

ربما أنت مثل تلك المرأة ولكن بمعنى آخر. ربما أنت مجتهد ونشط في القيام بواجبات الدين، ولكنك للأسف تسبب الهلاك لنفسك ولغيرك. لماذا؟ لأنك لا تريد أن تعرف أو أن تقبل حقيقة فداء المسيح. أنت تمنع عن الآخرين إمداد الحياة الحقيقية، حياة الخلود، وأنت لا تدري!

اقترَب من الصليب، تقرب من الله. أو ابتعد عن الصليب، تعرف معنى الضياع

والفراغ واليأس.

أُصيبَت بنت فقيرة بمرض خطير في رجلها سَبَّب لها آلاما شديدة. سمعت البنت وأمها عن جراح مشهور متخصص في علاج ذلك المرض وكان يذهب إليه الناس من مختلف أنحاء البلاد. قالت البنت: "آه يا أمي، لو كان لدينا المبلغ المطلوب للذهاب إلى ذلك الطبيب، لكنت أرتاح من هذا الألم الشديد." تأسفت الأم لأنه ليس في إمكانها تدبير المال الكافي لتغطية تكاليف الفحص والجراحة المطلوبة عند ذلك الطبيب الكبير.

وذات مساء، بعد عناء يوم طويل في العمل، خرج ذلك الجراح ليتمشى ويتريض قليلا، ولكن فجأة هبت عاصفة وبدأ المطر ينزل بشدة. فطرق الطبيب على أول دار قابلها في طريقه ليستتر تحت سقفها من المطر الشديد. ومن عجب الصدف أن تلك كانت دار الأم الفقيرة وبنتها. قال الرجل من خارج الباب: "أرجو أن تسمحوا لي بأن أتخذ من سقفكم سترا، حتى يخف المطر الشديد!" ولكن لكونه غريبا، رفضت الأم أن تفتح له وقالت: "نحن لا نعرفك، ومنزلنا صغير. اذهب إلى منزل آخر."

وفي اليوم التالي نشرت الصحف هذه القصة تحت عنوان: عائلة ترفض استضافة أشهر جراح أثناء المطر! ولما علمت البنت بهذا الخبر، صارت تبكي وتقول: "آه يا أمي، كنت في أشد الحاجة إليه، وجاء إلينا، وقرع على بابنا، ولكننا رفضناه! يا تعاسي!" أخى، إن عيسى واقف الآن على باب قلبك. إنه يقول: "أَنَا هُنَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَطْرُقُ." فهل تفتح له باب قلبك؟ هل تسمح له بالدخول؟ أم تعمل مثل تلك الأم، وتقول له: "إذهب إلى مكان آخر؟" أخاف عليك أن ترفضه وتُضَيِّع الفرصة، فيكون مصيرك التعاسة.

ملحق 1

رموز أسماء كتب الوحي

| | | | |
|-----|--|------|---|
| 1أخ | أخبار الأيام الأول | عد | العدد |
| 2أخ | أخبار الأيام الثاني | عز | عزرا |
| إر | إرميا | عو | عوبديا |
| إس | إستير | غل | الرسالة من بولس إلى المؤمنين في غلاطية |
| إش | إشعيا | فل | الرسالة من بولس إلى فلumon |
| أع | أعمال الرسل | في | الرسالة من بولس إلى المؤمنين في فيلبي |
| أف | الرسالة من بولس إلى المؤمنين في أفاسس | قض | القضاة |
| أم | الأمثال | كو | الرسالة من بولس إلى المؤمنين في كولوسي |
| أي | أيوب | 1كور | الرسالة الأولى من بولس إلى المؤمنين في كورنتوس |
| 1بط | الرسالة الأولى من بطرس | 2كور | الرسالة الثانية من بولس إلى المؤمنين في كورنتوس |
| 2بط | الرسالة الثانية من بطرس | لو | لوقا |
| تث | التثنية | مت | متى |
| 1تس | الرسالة الأولى من بولس إلى المؤمنين في تسالونكي | مر | مرقس |
| 2تس | الرسالة الثانية من بولس إلى المؤمنين في تسالونكي | مرا | مراثي إرميا |
| تك | التكوين | مز | المزامير |
| 1تم | الرسالة الأولى من بولس إلى تيموتاوس | 1مل | الملوك الأول |
| 2تم | الرسالة الثانية من بولس إلى تيموتاوس | 2مل | الملوك الثاني |
| تي | الرسالة من بولس إلى تيتوس | ملا | ملاخي |
| جا | الجامعة | مي | ميخا |
| حب | حبقوق | نا | ناحوم |
| حج | حجي | نح | نحميا |
| حز | حزقيال | نش | نشيد الأناشيد |
| خر | الخروج | هو | هوشع |
| دا | دانيال | لا | اللاويين |
| را | راعوث | يش | يشوع |
| رو | الرسالة من بولس إلى المؤمنين في روما | يع | الرسالة من يعقوب |
| رؤ | الرؤيا | يه | الرسالة من يهوذا |
| زك | زكريا | 1يو | الرسالة الأولى من يوحنا |
| صف | صفنيا | 2يو | الرسالة الثانية من يوحنا |
| 1صم | صموئيل الأول | 3يو | الرسالة الثالثة من يوحنا |
| 2صم | صموئيل الثاني | يو | يوحنا |
| عا | عاموس | يون | يونس |
| عب | الرسالة إلى العبرانين | يؤ | يوئيل |

ملحق 2

محاولات قتل المسيح⁸³

يذكر الكتاب عدة مؤامرات ومحاولات لقتل المسيح:

1. لما كان صبيًا حاول هيرودس قتله.^أ
2. حاول أهل الناصرة أن يطرحوه من فوق الجبل ليقتلوه لأنه نادى بأن الله يهتم بالشعوب الأخرى (غير اليهود).^ب
3. تأمر رجال الدين أن يقتلوه لأنه شفى صاحب اليد المشلولة في يوم السبت.^ج
4. حين طرد التجار من بيت الله أخذ رؤساء الأحرار والفقهاء يبحثون عن طريقة ليقتلوه.^د
5. قبل عيد الفصح والفطير بيومين كان رؤساء الأحرار والفقهاء يفكرون في حيلة ليقبضوا على عيسى ويقتلوه.^{هـ}
6. كان أهل منطقة يهوذا يريدون أن يقتلوه.^و
7. قرر قادة اليهود أن يقتلوه لأنه شفى الرجل الكسيع في يوم السبت ولأنه ساوى نفسه بالله.^ز
8. تناولوا حجارة ليرجموه لأنه قال: "قبل أن يكون إبراهيم، أنا هو".^ح
9. تناولوا حجارة ليرجموه لأنه قال: "أنا والأب واحد".^ط
10. قرر قادة اليهود أن يقتلوه لأنه أقام لعازر من الموت، وانتهى هذا فعلا بقتله.^ي
11. في أثناء محاكمته قام رؤساء الأحرار والشيوخ بتحريض الشعب لكي يطالبوا بقتل عيسى.^ك
12. صرخ رؤساء الأحرار والحرس إلى بيلاطس ليصلبه، وقالوا إنه حسب شريعتهم يجب أن يموت.^ل

^أ مت 2: 16

^ب لو 4: 28-29

^ج مت 12: 9-14؛ مر 3: 1-6؛ لو 6: 6-11

^د مر 11: 18؛ لو 19: 47

^{هـ} مر 14: 1؛ لو 22: 2

^و يو 1: 7 ق 20: 25

^ز يو 5: 16-18

^ح يو 8: 58-59

^ط يو 10: 31

^ي يو 11: 53

^ك مت 27: 20

^ل يو 19: 7

ملحق 3

تسلسل أحداث أسبوع الصلب ثم القبر والقيامة

| الأحد | السبت | الجمعة | الخميس | الأربع | الغداة | الاثنين | الأحد | السبت |
|---|----------|--|--|---|--|------------------------------|--------------------------------------|---------------------------------------|
| 18 نيسان (الثا) انتهى السبت) مر 1: 16 | 17 نيسان | 16 نيسان (في) الصباح) مر 1: 15 | 15 نيسان (بعد يومين) مر 1: 14 | 14 نيسان | 13 نيسان (في اليوم التالي) مر 20: 11 | 12 نيسان (في الغد) مر 12: 11 | 11 نيسان (في اليوم التالي) مر 12: 12 | 10 نيسان (6 أيام قبل الفصح) مر 12: 11 |
| قام من الموت مت 28: 1؛ 7-1: 16؛ 8-1: 20؛ 18-1 | في القبر | صدر الحكم بهليله ثم عذبوه مت 26: 66؛ 16: 19؛ 42-38: 19 | أرسل بطرس ويوحنا لإعداد عشاء الفصح لو 22: 13-7 | مرة أخرى رأى التلاميذ شجرة الزيتون وقد ذبلت 20-14: 11 مر 19: 21 | لحن شجرة الزيتون ورأى التلاميذ أن الشجرة ذبلت في الحال مت 19: 21 | القدس تستقبله 21: 11-1 | وليمة في بيت عثيا يو 8-1: 12 | وليمة في بيت عثيا يو 8-1: 12 |
| | | صلبوه يو 18: 19 | العشاء الأخير مر 12: 14 | يقفهم قادة اليهود بشأن سلطته وسلطة يحيى مر 32-27: 11 | طرد الباعين من بيت الله مر 11: 18-15 | يكنى على القدس لو 41: 19 | وليمة في بيت عثيا يو 8-1: 12 | |
| | | دفنوه يو 19: 42-38 | جسدياً في مر 14: 32 القبر عليه وبيده عاكسته مر 52-48: 14 | العظة من على جبل الزيتون مر 1: 13 | سبحه الأطفال مت 16-14: 21 | | يقتنرو يو 11-9: 12 | |

ملحق 4

كلمات المسيح على الصليب

| | | | | | | | | |
|---|--|--|---|---|---|---------------------------------------|-----------------------------|---------|
| حوالي الساعة 3 عصرا | | | | بين الساعة 12 ظ والساعة 3 عصرا | بين الساعة 9 ص والساعة 12 ظ | | | |
| الكلمات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة | | | | لا توجد كلمات | الكلمات الأولى والثانية والثالثة | | | |
| السابعة | السادسة | الخامسة | الرابعة | | الثالثة | الثانية | الأولى | الكلمة |
| لو 23: 46 | يو 19: 30 | يو 19: 28 | مت 27: 46 | | يو 19: 27-25 | لو 23: 43 | لو 23: 34 | الشاهد |
| لله | للكل | للناس | لله | | لأمه ويوحنا | للص | لله | لمن؟ |
| روحي وديعه في يديك | تم كل شيء | أنا عطشان | لماذا تركنتي؟ | | يا أمي، هذا ابنك يا يوحنا، هذه أمك | معي في الجنة | اغفر لهم | مضمونها |
| قناعة المسيح بالمهمة التي أتمها | نجاح المهمة التي من أجلها الله صار بشرا | الشنن الباهظ للفداء لأن صانع الأمطار والأنهار والمحيطات عطش | فظاعة الخطيئة لأنها فصلت الإنسان عن الله | | حبه لأهله | حبه لمن أذنبوا في حق الآخرين | حبه لمن أذنبوا في حقه | تظهر |

ملحق 5

شعر وقصائد وأغاني

من قصيدة للشيخ الصفي العالم ابن العسال

المجد لله القديم الأزلي ذاك الذي ليس له من أول
 فهو الإله الواحد الجليل ليس له في الخلق من مثيل
 وإنما صفاته الذاتية ثلاث لازمة أصلية
 ثلاث قامت بهن الذات وجوده والنطق والحياة
 منزّه عن سائر الأضداد وما له في الخلق من أنداد
 هيهات أن يحده الزمان كلا ولا يحصره المكان
 فالأب والابن كلاهما معا بذلك الروح المعزي اجتماعا
 بدون أن يزيد شيء في العدد سبحانه فقل هو الله الصمد
 سر به التثليث والتوحيد حارت به الأحرار والعبيد
 لكنه عند ذوي العقول يحظى بأفضل القبول
 فمن تراه منكرا ذا المعتقد وقال: مهلا كيف تثليث الأحد؟
 قل: هذا حق ليس فيه خلل واضرب له بالشمس ذياك المثل
 جرم ونور مع حرور زائدة ثلاثة والكل شمس واحدة
 متحد جميعها اتحادا بلا انفصال يقبل التعداد

من قصيدة للشيخ محمد بن محمد بن منصور الأزهري⁸⁵

يا سيدي الفادي إليك حنيني ولرؤيتي إياك كل أنيني
 قد ساقني لحماك حُسنُ يقيني في حبك الوافي جميعَ ديوني
 بدم جرى فوق الصليب ثمين
 يا سيدَ الأسيادِ بل يا سيدي لك ما حييت تديني وتعبدني
 حُببتي في ذي الحياة تزهدي بل أنت قانوني بذاك ومرشدي
 حتى أروحُ إليك أو تأتيني
 صبحَ الجمال على جبينك لائِحُ وشذا الرضا من روض قلبك فائِحُ
 فلذا أنا بالروح نحوك سائِحُ طورا أنا فرحٌ وطورا نائِحُ
 قصدي اللقا يا منيتي لاقيني
 يا أيها المحيي الرفاتِ وفادي البشرِ الخطاةِ بنفسه يا ذا الحمْلِ
 يا منتهى نفسي ويا كلَّ الأملِ بل يا رجا قلبي ونورَ العينِ بلُ
 يا جسمي بل يا روحي بل يا ديني
 إن الطريقَ إليك صعبُ المسلكِ لكني لسواك لست بمشتكِ
 أَكْثَرُ بَعْظَمٍ تحيّرِي وتلبُكي لو لم تلاقي سياحتي بمحركِ
 هو روحُك القدوسُ كي يهديني
 يا أيها الروحُ العزيزُ رأيَتي وحدي أسبحُ إلى السما فصحبَني
 حتى إذا ضلتُ خطاي هديَتي أو إن جنتُ بضيقٍ شجعتني
 ما لم أصل يا روح لا تُرخيني
 هاتِ الأحاديثَ التي تنفي الكدرَ عن سيدي المحبوبِ ما دام السفرُ
 علل فؤادي كل يومٍ في خبرٍ عنه في شوقٍ إليه قد استعُرُ
 فلعلها من حُرقتي تطفيني
 إن السعادةَ حُظُّ سُبُحِ السما يا حُسنَ يومٍ وصولهم ذاكَ الحمي
 يلقاهم جندُ السما مُرتَمًا والمسيحُ مسرورٌ بهم مُتبَسِّمًا

ويقول أهلا بالألى تيعوني

حملوا الصليب وما استحووا بي بين البشر بل ما ابتغوا حظا سوى اسمي المحترق

فليجلسوا حولي على عرش الظفر وليلبسوا تيجان مجد قد بهر

وليشبعوا من نعمة يميني

فإذا رأي الناس في الحال التي قد عشت فيها ههنا يا فدوتي

من دون ميل للوراء وتلقّت حكموا علي بأني ذو جنة

يا حبذا بك يا سيدي جُئوني

أنت العزيز لدي في كل الوري حتى على عيني أراك مصورا

ومتي حديثك يا مَنى قلبي جرى من روح ذكر الحب أغدو مسكرا

فتفيض في سيل الدموع جفوني

قلبي الذي كان بالأصل منجسا بدم المسيح على الصليب تقدس

فعلى الصليب رجاء قلبي أسس وبه أطل على المدى متفرسا

فيه تفرس شاكر ممنون

أنت الحنون، ارث لحالة غربتي واشفق على صغفي وُحزِن كُربتي

عظفا! فلا يخفأك مَن علي يا سيدي إني مريض محبتي

فالى الحبيب تكrema ودّيني

يا سائحا نحو السماء تشددا أنت الحبيب فلا تخف شر العدى

إن انتصارك بالصليب مؤكدا بل إني أعددت عندي للمدى

لك منزلا في غاية التزين

وها أنا آت سريعا بغتة إياك أن تنسى محيئي لحظة

بل فانتظره دقيقة فديقة حتى تنال مع العريس وليمة

هياتها لجميع من حَبُوني

شعر جورج ماثسون

يا أيها الحب الذي من بابه لا أبرح
لأن نفسي في سوى مرعاه ليست تسرح
وفيه تستريح
إليك أرجع حياتي التي وهبت لي
فتستقي من بحرك الطامي وفيه تمتلي
من نعمة المسيح

يا أيها النور الذي ضياؤه يتقد
خذ مشعلي فإنه ذاويكاد يمحط
من شدة الوهن
قلبي يرد قبسا من شمسك استعاره
لكي يضيء نورك الباهي السنا نهاره
على مدى الزمن

في ظلمة الأحزان يا سرور عني تسأل
ولك قلبي بابه منفتح لا يُقفل
فادخله يا يسوع (عيسى)
قوس السحاب من خلال المُنْزَنِ عيني تبصرُ (المزن: الغيوم)
ووعده الصادق في إنجازه أنتظر
صُبحا بلا دموع

وأنت، أنت أيها الصليب رأسي ترفع
وفي حياتي كلها ما لي سواك مفزعُ (مفزع: ملجأ)
في الضيق والكمد
ومجد هذا العالم الباطل أُلقي في الثرى (الثرى: التراب)
مستبدلا به نعيما في السماء مزهرا
يبقى إلى الأبد

ملحق 6

المسلم والصليب⁸⁶

يقول الكتاب الشريف إن الإنسان خاطئ ومذنب ويستحق العقاب والهلاك الأبدي. ويقول أيضا إن عيسى حمل على الصليب ذنوب كل الناس. ثم يؤكد أن الله يقدم للناس غفرانا ويقبلهم في رحمته عن طريق موت عيسى المسيح.

لكن المسلم يرفض هذا كله. أولا، لأنه لا يستطيع أن يدرك خطورة شر الإنسان. وثانيا، لأنه لا يقدر أن يفهم كيف أن ضحية إنسان واحد يمكن أن تكفّر عن خطايا كل الناس. وثالثا، يصر المسلم على أن الله أنقذ المسيح ونجّاه من الموت المخزي على الصليب.

ومن الواضح أن هذه الاعتراضات تستحق أن نوليها اهتماما ودراسة. ولهذا سأبدأ باستكشاف السياق التاريخي للإنكار الإسلامي لصلب المسيح والعوامل الفكرية والفقهية التي تسبب هذا الإنكار. وبعد ذلك سأقدّم ردّي على الرفض الإسلامي للصليب، مبينا لماذا كانت ضحية عيسى المسيح وموته أمرا ممكنا وضروريا في نفس الوقت. وأخيرا سأختم بتحديد المعنى الحقيقي للصلب.

لقد استأنك الله على رسالة النجاة لتقدمها للآخرين بمحبة وحكمة وصبر، رسالة الفداء عن طريق صليب عيسى المسيح. وهذه أمانة لا تقدر بثمن. ولذلك فإن هدفي هنا هو أن أساعدك لكي تكون أكثر فاعلية في مساعدة المسلم ليفهم هذه الحقائق المجيدة ويقبلها.

إنكار الصليب

يقول القرآن عن صلب المسيح: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ".⁸⁷ وبسبب هذه الآية، يرفض المسلمون منذ فجر الإسلام، فكرة أن عيسى صُلب ومات. لكن هذا الرفض خلق للمسلم مشكلة عويصة. كيف يقول المسيحيون إن سيدهم ومسيحهم صُلب ومات، ثم يأتي المسلمون بعد ذلك بـ 600 سنة ليقولوا إن المسيح لم يُصلب ولم يمت!

وهذا هو السبب أن المفسرين المسلمين جاءوا بعدد من الأفكار والتفسيرات والتأويلات في محاولات لحل هذا الخلاف. ولكن الأغلبية العظمى منهم تنكر بإصرار أن عيسى صلب أو مات، بناء على هذه الآية.

جذور إنكار الصليب

يبدو أن معظم مفسري القرآن متفقون على أن شخصا آخر صُلب بدلا من عيسى. غير أنهم اختلفوا كثيرا حول هوية هذا البديل المزعوم. اقترح بعضهم أنه يهوذا القريوتي، وآخرون سمعان القيرواني، وآخرون يقولون إنه شخص اسمه سرجيوس، وآخرون واحد اسمه تيتانوس، وآخرون رجل اسمه آشيو، وغيرهم يقولون إن اسمه فالتايانوس، وهلم جرا.

وتنسجم نظرية البديل هذه مع منطق القرآن والفكر الإسلامي العام الذي يزعم أن الله العادل لا يمكن أن يسمح لهذا النبي الصالح بأن يصلب، ولا يمكن أن يموت على صليب، لأن الصليب علامة ضعف وجبن. إنما يتوقع المسلم أن يهزم عيسى أعداءه أو على الأقل يتمكن من الهرب منهم، كما هرب محمد مثلا.

من أين جاء المسلم بهذه الفكرة؟ إن كان كل من اليهود والمسيحيين قد أكدوا عبر التاريخ أن عيسى مات على الصليب، فكيف يمكن لمحمد أن يقول عكس

ذلك؟

يَظهر أن بعض الهرطقات، والأفكار الضالة، والتعاليم غير السليمة، شَقَّت طريقها إلى تلك المنطقة من العالم التي كان محمد فيها. وقد نادى عدد منها بمسيح غير مصلوب وربما كانت هذه مصدرا لموقف القرآن من الصليب. وفي ما يلي قائمة قصيرة ببعض هذه التعاليم الزائفة التي كانت رائجة قبل ظهور محمد:

(1) بدعة "لا ألم": وتقول إنه لم يكن ممكنا أن يتألم عيسى لأن الألم يحدث دائما نتيجة لارتكاب الذنب، بينما كان عيسى نبيا صالحا مرسلا من الله. لذلك لما جاءوا ليقبضوا عليه ويصلبوه، أخذ عيسى شكل سمعان القيرواني وأخذ سمعان القيرواني شكل عيسى. وبذلك فإن اليهود في واقع الأمر صلبوا شبيه المسيح لا المسيح نفسه، أمّا المسيح فكان ينظر إلى أعدائه ويهزأ بهم من غير أن يروه.⁸⁸

(2) بدعة "الشبح": وتقول إن عيسى لم يكن إلا روحا أو شبحا أو سراپا. وما نسمعه عنه في ما يتعلق بأنشطته كإنسان، من ولادة ونمو إلى مرحلة الرجولة، ومن تناول الطعام والشراب، ومن التعب والنوم والموت، وما إلى ذلك، هو مجرد أوهام أو تصورات. وهنا يجب أن نلاحظ أن القرآن يستخدم نفس هذا التعبير للإشارة إلى موت المسيح (شبه لهم، تخيلوا، تصوروا).⁸⁹

(3) بدعة "نزول الإلهي على البشري": وتقول إنه لما جاء عيسى إلى يحيى ليغطسه، نزل المسيح الإلهي على عيسى البشري في شكل حمامة. وأجرى بصفته المسيح الإلهي معجزات وأعلن الأب الذي كان غير معروف. لكن عند الصلب، طار أو ارتفع المسيح الروحي بعيدا، ومات عيسى البشري ثم قام ثانية.⁹⁰

(4) بدعة "ابن الأرملة": وتقول لم يكن عيسى هو الذي مات، وإنما ابن امرأة أرملة.⁹¹

(5) بدعة "التلميذ المصلوب": وتقول لم يكن عيسى هو الذي صُلب، وإنما أحد أتباعه. لقد احتقر عيسى اليهود، وتغلَّب على الآلام التي أرادوا أن ينزلوها به، ثم صعد إلى الأب.⁹²

من المحتمل جداً أن هرطقات كهذه أثَّرت في تفكير محمد فيما يتعلق بصلب المسيح. نحن نعرف من التاريخ أنه ظهرت أفكار دينية متصارعة في شبه الجزيرة العربية، وقرب حوران، وفي مقاطعة الأنباط. كانت هذه المناطق تُشكل شبكة طبيعية للطرق التجارية التي ربطت سوريا ومصر وبلاد فارس. فصارت ملجأ لمجموعات اعتبرتها المسيحية خارجة عن العقيدة السليمة، ومع ذلك انتشرت إلى جانب الإيمان المسيحي الحق. نعم، كانت هناك بدع كثيرة جعلت بعض الكُتَّاب المسيحيين في ذلك العصر يقولون إن المنطقة امتلأت بالأفكار التي فيها شطط! لذلك من المعقول أن نظن أن هذه البدع لها دخل كبير في فكرة القرآن عن الصليب.

أسباب إنكار الصليب

يوجد سببان رئيسيان لهذا الإنكار. أولاً، يُنكر المسلمون الصلب بناء على نص القرآن وتفسيره. ثانياً، ينكرونه بناء على معنى الصليب.

أولاً، الإنكار بناء على نص القرآن وتفسيره

ذكرنا من قبل الآية القرآنية التي تقول إن عيسى لم يُقتل ولم يُصلب، ولكننا نورد هنا هذه الآية في نصها المطول بعض الشيء: "فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرَهُمْ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا".⁹³

حين ندرس ما تقوله كتب التفسير المختلفة بشأن هذه الآيات، نجد أنفسنا أمام غموض وتشويش وتناقض. تفسّر الأغلبية العظمى من المسلمين هذا النص كإنكار مطلق لصلب عيسى أو موته، وتفسّره أقلية صغيرة جدا لتعني أنه صُلب بالفعل. وسأخصّ بإيجاز آراء الأغلبية والأقلية.

رأي الأغلبية

لم يُصلب عيسى. وينقسم الذين يتبنّون هذا الرأي إلى جماعتين مختلفتين. الأولى تزعم أن شخصا آخر صُلب بدلا من عيسى. وأنا أُسمّي هذا التفسير "نظرية البديل". والجماعة الثانية تدّعي أنه ما من أحد صُلب، وأن كل هذا كان من نسج الخيال والتصوّر. وأنا أُسمّي هذا التفسير "نظرية التوهّم".

نظرية البديل. يقول دعاة هذه النظرية إنه على الرغم من أن اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى، إلا أنهم في واقع الأمر لم يقتلوه. فقد خبّأه الله بشكل معجزي وصُلب شخص آخر مكانه. ويقول بعض المفسرين إن الأمر اختلط على الذين ذهبوا للقبض على عيسى في الظلام. ومن خلال معجزة، ألقي الله شبه عيسى على شخص آخر. ثم قُبض على ذلك الشخص وصُلب بدلا من عيسى الذي هرب. وبهذه الطريقة ظنّ اليهود أنهم تخلّصوا من عيسى. لكن ما حدث في واقع الأمر هو أن شخصا بديلا قُتل. وبذلك بدا لليهود أنهم صلبوه.

نظرية التوهّم. يرى أصحاب هذا الرأي أنه ما من أحد قُتل. وهم يشيرون إلى أن القرآن لا يذكر صراحة ولا تضمينا وجود شبیه. ومن هنا فإنه لم يُلقَ شبه عيسى على أحد. بل إن ما حدث هو أنه شُبّه لهم أو ظهر لهم، أي جعلهم الله يتوهمون أو يتصوّرّون أن عيسى صُلب. أي في الواقع لم يُصلب أحد، وبذلك يكون ادّعاء اليهود بأنهم قتلوا عيسى هو ادّعاء كاذب. أي كان الأمر كلّ مجرد وهم.

وعلى الرغم من اختلاف هاتين النظريتين أو الرأيين، إلا أن النتيجة التي يتوصلان إليها واحدة، ألا وهي أن عيسى لم يُصلب وأن الزعم اليهودي بقتل المسيح غير صحيح.

رأي الأقلية

يؤمن المذهب الأحمدى بأن عيسى صُلب، لكنه لم يمت. ويُعتبر مذهب الأحمدية بدعة وهرطقة لدى المسلمين، وهو محَرّم في بعض البلاد الإسلامية. وعلى الرغم من أن له نشاطا كبيرا في مجال السعي إلى جذب الآخرين إليه، إلا أنه يؤلف أقلّية صغيرة جدّا من تعداد المسلمين الإجمالي. يقول أتباع هذا المذهب إن عيسى صُلب بالفعل، لكنه كان ما يزال حيا عندما أنزل من على الصليب. ثم أنعشت الأطياب الموجودة في القبر، فقام وسافر إلى كشمير في الهند، حيث تزوج وأنجب أبناء ومات شيخا.

من كل هذا يتضح أن آيات الصلب في القرآن تخلق مشاكل عويصة للمفسّرين المسلمين، وقليلون يقبلون حقيقة أن عيسى مات بالفعل على الصليب. خُذ على سبيل المثال المفكر محمود أيوب من جامعة تورنتو. هذا المفكر يقترب جدا من التعليم الإنجيلي بتصريحه الشجاع الذي يقول: "لا ينكر القرآن موت المسيح. لكنه يتحدّى البشر الذين أوهموا أنفسهم في حماقتهم أنهم قادرون على القضاء على الكلمة الإلهي، عيسى المسيح رسول الله.

ويجب أن نلاحظ هنا أن القرآن يؤكّد موت المسيح عدة مرّات في سياقات مختلفة".⁹⁴

ومع ذلك، فإن مسلمين قليلين جدا مستعدون أن يتبنوا هذا النوع من التفكير. فالأغلبية مقتنعة بأن القرآن يُنكر الصليب. وبذلك يجدون أن كتابهم يُناقض حقيقة تاريخية رئيسية يشهد على صحتها أشخاص مسيحيون، وأشخاص غير مسيحيين، أقارب عيسى وأصدقاؤه المقربون، أتباعه ومنتقدوه. وفي مواجهة هذه المعضلة، لا يحاول إلا عدد قليل جدا منهم أن يجد طريقة للتوفيق بين الموقف القرآني والتاريخ!

ثانيا، الإنكار بناء على معنى الصليب

لقد تحدثنا بإسهاب عن معنى الصليب. هذا يجعل المسلم يرفضه رفضا كليا. وكما رأينا من قبل، فإن المسلم ليس وحده في هذا. لقد أوضحنا أن الصليب هو إعدادُ شخصٍ مجرم، فهل كان عيسى مجرما؟ قطعاً لا! ثم إن الصليب هو أداة للخزي والاحتقار، فهل كان عيسى يستحق العار والخزي؟ قطعاً لا! ثم إن أهم معنى للصليب هو أنه فداء للبشر المذنبين، فهل يحتاج البشر إلى من يفيدهم ويكفر عن ذنوبهم، وجواب الإسلام على هذا السؤال هو قطعاً لا!

الرد على إنكار الصليب

سنغطي في هذا القسم موضوعين حيويين كرد على الإنكار الإسلامي للصليب. أولاً، سنلخص بشكل موجز الأدلة التي تثبت موت عيسى على الصليب. ثانياً، سنقدم إعادة تفسير للنص القرآني الذي يتناول مسألة الصلب بناء على مبادئ اللغة العربية ومبادئ تفسير القرآن.

الأدلة التي تثبت أن عيسى صُلب ومات

يتحدث الكتاب الشريف عن الصليب بلغة قوية تصويرية حية بداية من كتب الأولين وإلى نهاية الإنجيل. غير أن المسلمين لا يقبلون الكتاب الشريف باعتباره إعلان الله النهائي للإنسان. ولهذا ساقَدَم في هذا القسم شهادات من خارج الكتاب الشريف، في مجال التاريخ والخبرة والمنطق. وهي تؤيد قصة الكتاب.

شهادة التاريخ

يوجد شهود مهمون يؤكدون لنا أن عيسى تألم وصلب ومات. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

تاسيتوس. عاش هذا المؤرخ ما بين 55-120 م. وقد وُصف بأنه أعظم مؤرخ لروما القديمة. وقد انتقد المسيحية بقسوة. ويصف في سجلاته التاريخية موت عيسى المخزي كما يلي: "عانى المسيح العقوبة القصوى أثناء حكم طيباريوس على يدي واحد من وكلائنا، هو بيلاطس البنطي".⁹⁵

يوسيفوس. عاش هذا المؤرخ اليهودي ما بين 37-97 م. وتحدّث باختصار عن المسيح في كتابه "آثار اليهود". يقول:

"في ذلك الوقت كان هنالك رجل حكيم اسمه عيسى. وكان سلوكه صالحا وكان معروفا بالفضيلة. وصار أشخاص كثيرون من بين اليهود والأمم الأخرى أتباعا له. وحكم عليه بيلاطس بأن يُصلب ويموت. ثم قال أتباعه أنه ظهر لهم حيا بعد ثلاثة أيام من صلبه. وبناء على ذلك، ربما كان هو المسيح المنتظر".⁹⁶

التلمود. كلمة تلمود تعني الشريعة الشفوية. فالتلمود اليهودي هو شرح ما يتعلق بشريعة موسى وعادات بني إسرائيل وأخلاقهم وتاريخهم. وهو يعتبر المصدر الثاني للتشريع بعد شريعة موسى. يقول التلمود عن موت عيسى:

"في ليلة الفصح عُلق عيسى. ولمدة أربعين يوما قبل تنفيذ حكم الموت، ذهب شخصٌ ينادي: 'سَيُرْجَمُ لأنه مارس السحر وأغوى بني إسرائيل ليرتدوا عن الله. إن كان واحد عنده ما يدافع به عن هذا الشخص، فليتقدم ويدافع عنه.' لكن بما أن شيئا لم يقدّم للدفاع عنه عُلق في ليلة الفصح!"⁹⁷

لوسيان. عاش ما بين 120-180 م. كان لوسيان خطيبا بليغا وساخرا. وغالبا ما انتقد المسيحيين الذين، على حد قوله: "يعبدون رجلا حتى هذا اليوم، ذلك الشخص البارز الذي أدخل شعائرهم الجديدة وصُلب بسبب ذلك."⁹⁸

مارا بار سيرايبون. كان سيرايبون هذا سجيناً سوريا كتب رسالة إلى ابنه يوصيه فيها أن ينتبه ويتمثل بالمعلمين الحكماء. ورسالته محفوظة في المتحف البريطاني وتعود إلى القرن الثاني الميلادي. وفي ما يلي مقطع من رسالته: "ما الذي ربحه اليهود من قيامهم بإعدام ملكهم الحكيم؟ إذ قُضي على مملكتهم بعد ذلك. فانتقم الرب له منهم بعدل.... وقد عاش وفق التعليم الذي كان يقدمه."⁹⁹

من هذا نرى أن هناك مصادر قديمة عديدة غير الكتاب الشريف تتحدث عن آلام السيد المسيح وموته مصلوبا. وبالإضافة إلى وجود هؤلاء الشهود الذين لهم وزنهم واعتبارهم، فإنه يوجد غياب مذهل لأي شهادة تناقض شهاداتهم. ويوجد عامل تاريخي آخر مهم هنا. لقد أكدت أمة المسيح منذ بدايتها بكل وضوح أن مسؤولية صلب المسيح وقتله تقع على قادة الدين اليهود والحكام الرومان. فإذا لم يكن هؤلاء المتهمون قد ارتكبوا هذه الجريمة وصلبوه وقتلوه، فلماذا لم يقوموا هم أو خلفاؤهم من بعدهم بنفي ما كانت أمة المسيح تنادي به وتذيعه؟ وحقيقة الأمر هي أنه لا يوجد سطر دفاعي واحد أو حتى كلمة دفاعية واحدة في أي موضع في أية كتابة دينية أو مادة تاريخية لتنفي التهمة عن هؤلاء القادة الدينيين والعسكريين.

شهادة الحياة المتغيرة

هجر كل التلاميذ عيسى عندما ألقى اليهود القبض عليه.^أ وفي إثر صلبه، اختبأوا خلف أبواب مغلقة من الخوف.^ب لكن ذلك لم يدم طويلا! فسرعان ما انطلقوا إلى الشوارع والأسواق يجاهرون وينادون بشجاعة وجراءة بموته وقيامته. وقد سُمع صدى إعلاناتهم القوية في فلسطين والعالم المعروف كله.^ت ما الذي يفسّر هذا التغيّر الجذري في موقفهم، من الخوف والاختباء والصمت، إلى الجسارة والانطلاق والمجاهرة؟ سبق أن ذكرنا أن أتباع الأحمديّة يزعمون أن عيسى لم يمت، لكنه تمكن من أن يهرب إلى كشمير، حيث عاش مغمورا حتى سن الشيخوخة. فهل هذا الهروب في خزي وعار هو الذي غيّر التلاميذ؟ هل يُعقل أن هذا التغيّر في حياتهم نتج عن إيمانهم بشخص خائف طريد؟ لا يمكن أن يكون هذا سبب ما حدث في حياتهم.

فما الذي يفسّر إذا التغيّر الذي حدث في حياتهم؟ عندما يأتي أشخاص في تعاستهم وخوفهم وإحساسهم بالذنب واليأس - كما حدث ويحدث أيضا على مدى الألفي سنة من تاريخ المسيحية - ويكرّسون أنفسهم للفادي المصلوب والمُقام، وينزاح عن صدرهم عبء الخطيئة والعار والذنب ليحل محله السلام والرجاء، ماذا يكون السبب؟ لا بدّ أن السبب هو قوّة الكفّارة التي تحرّر، قوة الصليب التي تمنح السلام والفرح. وكيف وماذا ومن غيرّ جون نيوتن من سكّير شتّام وتاجر عبيد إلى واعظ وشاعر وقديس محترم؟ إنه عيسى المسيح لا غيره. ومن جيل إلى جيل تشهد حياة الملايين المتغيّرة من المؤمنين بالمسيح بقوة النجاة باسمه.

^أ مت 26: 56

^ب يو 20: 19

^ت أع 17: 6

مهندس إيراني غني، ملأ اليأس قلبه، كانت رغبته الملحة هي أن يموت وتنتهي حياته. ذات ليلة قبل أن ينام، رتّب فراشه في مواجهة مكة لعله يحصل على أمنيته ويموت. وفي نصف الليل سمع حركة في غرفة النوم، وفجأة أضاء نور. فرح الرجل وسأل: "من هنا؟" قال الزائر: "أنا المسيح عيسى، لماذا تريد أن تموت يا ابني؟ لماذا أنت يائس من الحياة؟ تعال إليّ وآمن بي، أعطيك الأمل والرجاء والفرح." آمن الرجل بالمسيح في الحال، وأخذ يرقص! وهنا قامت زوجته من النوم ووجدته على هذه الحال يرقص! إن المسيح أعطاه معنى جديدا للحياة. غيّر قلبه، أزال يأسه، أفرج كربه، ومنحه السلام والأمان والرجاء.

ما الذي غيّر الشيخ الدكتور مصطفى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في الأزهر؟ هذا الرجل صاحب العلم الواسع، والمركز العالي، والذي ينتمي إلى أسرة مرموقة من كبار المسلمين، أصبح يائسا تعيسا وهرب عنه النوم. لكنه حين قرر أن يدرس الإنجيل بعقلية متفتحة، وقلب متعطش، وجد السلام والراحة والفداء، والحياة التي لها معنى.¹⁰⁰

قبضت السلطات على السعودي محمد أمين لأنه كان يتداول في المخدرات. رموه في السجن وهناك دبر الله القدير من أعطاه دروس "الصراط المستقيم"¹⁰¹ فأمن الرجل بالمسيح وتغيرت حياته. فكتب لي خطابا قال فيه:

سيدي الشيخ،

عشت مسلما طول عمري. ولكن منذ عام قُبض عليّ بسبب الاتجار في المخدرات. وفي السجن دبر لي الخالق الرحيم أن يأتي لزيارتي واحد من أتباع سيدنا عيسى المسيح، وأعطاني دروس الصراط المستقيم. وبسبب هذه الدروس قررت أن أُسلم نفسي وحياتي إلى سيدي وفاديّ عيسى. والآن أنا أيضا من أتباعه. صحيح، أنا وحيد هنا في هذه الزنزانة، وليس من يزورني في وحدتي غير عيسى المسيح الذي هو

معي ويعزيني دائما.

أرجوك أن ترسل لي المزيد من المطبوعات والكتب التي تعرفني أكثر بالحياة مع المسيح وتشجعني في مسيرتي في هذه الدنيا. إني أرغب في معرفة المسيح عن قرب وبعمق. في الحقيقة أنا أرجو أن أصير داعية له بمجرد خروجي من السجن. وشكرا.
محمد أمين

ما الذي غيّر المهندس الإيراني ومحمد أمين، وناهد متولي التي كانت مديرة مدرسة ثانوية في القاهرة، ويوسف نادرخاني الإيراني، والمؤيد أحمد المستعين بالله الأمير العباسي، ووليد شعيبات عضو منظمة التحرير الفلسطينية (السابق)، وإرجون كانر التركي، ومئات الآلاف غيرهم؟ إنها قوة صليب المسيح! إنها قوة فداء المسيح!

شهادة المنطق

لنفرض أن المسيح لم يُصلب، كما يقول المسلم، فما الذي جعل التلاميذ يخترعون مثل هذه القصة؟ إنهم كانوا يعرفون جيدا أن شريعة موسى تقول إن كل من يُعدم على خشبة ملعون من الله. لم يسمح هذا الحكم المطلق بأي استثناءات. بل مهما كانت هوية الضحية، ومهما كان سبب تعليقه، فهو ملعون. كان الموت على الصليب عارا وخزيا، هزيمة قاتلة، ووصمة عار شنيعة!

ولذلك فإن الإيمان بمسيح مصلوب بالنسبة لتلاميذ عيسى، هو تناقض مزعج. فما الذي أجبرهم أن يخترعوا هذه الفكرة؟ بل إن الواقع هو أنهم أثناء حياة المسيح، رفضوا أن يصدّقوا أن عيسى سيموت على الصليب، ولم يقدروا أن يفهموه عندما قال إنه سيفعل ذلك! إذن من الواضح أنه كان عليهم أن يتغلّبوا على عقبات كثيرة لكي

يقبلوا ويذيعوا الأمور التي حدثت بالفعل لسيدهم. إن كرامتهم كبشر عاديين، تأبى عليهم أن يخترعوا هذه القصة!

يشير أحد علماء الكتاب إلى وجود رسمين بالكاريكاتير ضد المسيحية في فجر تاريخها يعبران عن استهزاء الناس بفكرة صلب المسيح، بل وبالمسيح المصلوب نفسه. في الرسم الأول صورة شخص له رأس حمار. أمّا الثاني، فكان شخصا لسانه ممدود خارج فمه يجر صليبا ثقيلا.¹⁰² هذا تحقير مؤلم! هذه سخرية وإهانة فظيعة! فلو أراد تلاميذ المسيح أن يخترعوا قصّة حول بطلهم، هل كانوا على درجة من الحماقة تجعلهم يخلقون قصة تجلب لهم عارا فظيعا وألما لا نهاية له؟ لو لم يكن المسيح قد مات، هل كان تلاميذه إلى هذا الحد أغبياء وحمقى ليقولوا إن سيدهم الذي زعم أنه ابن الله مات على صليب ورفض أن يساعد نفسه في أعظم أوقات احتياجه؟

أضف إلى ذلك أنه لما بدأت المسيحية تنتشر، كان المؤمنون الأوائل يدركون تمام الإدراك ما يعنيه الصليب. وهذا هو السبب في أن المؤمنين في كورنتوس حاولوا أن يتهرّبوا من غباء هذه الرسالة، لكي يبعدوا عن أنفسهم المهانة التي تجلبها عليهم هذه الدعوة. لقد حاولوا أن يتخصصوا في أمور عالية مثل الإعلانات السماوية والخبرات الرائعة والأسرار الروحية العميقة وما شابه ذلك. ظنوا أن هذا أكثر جاذبيّة وقبولاّ لأنه هو نهج المتعلمين والحكماء! لكن بولس لم يكن ليقبل شيئا من ذلك. فقد عرف معنى حَمْل الصليب واتباع السيد. ولذلك أوضح للمؤمنين في كورنتوس أن الحياة الجديدة في المسيح نتجت بسبب قوة الصليب - ذلك الصليب الذي كان مشكلة كبيرة لليهود (لأنه لم يكن لائقا بالمسيح) وغباء بالنسبة لغيرهم (لأنه لم يكن ضروريا). ويلاحظ عالم الكتاب الذي أشرنا إليه أعلاه أن تعبير "المسيح المصلوب" يحمل تناقضا للجميع، من يهود ويونانيين ورومانيين وغيرهم. فكان أمرا مُهينا أن تطلب من أحد أن يصدّق مثل هذه الفكرة الحمقاء.¹⁰³

غير أن الصلب الفاضح الشائن صار عماد إيمان المسيحية، وركيزة انتشارها! وصار المصلوب موضوع إعجابنا وافتخارنا، بل وعبادتنا! فكيف يفسّر المرء هذا، لو لم يكن المسيح قد مات فعلا؟

ومن جهة أخرى، لو أن شخصا آخر مات مكان المسيح، أو لو كان الأمر كله مجرد وهم، لرحّب تلاميذ عيسى كثيرا بهذه الأخبار الرائعة. كانوا سيطيرون ابتهاجا وفرحا حين يعرفون أن سيّدهم لم يتعرّض للمهانة والإذلال والتحقير ولعنة الصليب! فمن وجهة نظر بشرية، يُعتبر هذا انتصارا على أعدائه ويبرهن على عظمته.

يقول بطرس إن عيسى لم يظهر بعد قيامته إلا لجماعة مختارة من أتباعه، وليس لكل الناس^أ. والسؤال هنا هو: لماذا لم يظهر لكل الذين عرفوه وسمعوه يعلم ورأوه يجري المعجزات؟ لماذا لم يظهر نفسه إلا لعدد صغير نسبيا من الناس؟ ولو أن عيسى لم يُصلب، كما يدّعي المسلم، لكان منطقيا أن يُري نفسه حيّا للجميع لكي يفنّد "كذبة" الصلب. والجواب هو، لو ظهر لأيّ واحد من غير أتباعه المؤمنين به، ربما كانوا يُصعقون! وبذلك يكونون مُجبرين أن يؤمنوا به. لكن هل هذه طريقة الله في التعامل معنا؟ هل يُبهرنا بقوته لنؤمن به؟ لا! بل يعطينا حرية الإرادة، لنؤمن أو لا نؤمن. إنه يريد أن يأتي إليه الناس بمحض إرادتهم، لا إجبارا بسبب قدرته الإلهية.

مات عيسى بالفعل على الصليب. لم يختَر طريق العالم، وإنما إرادة أبيه. وبصفته الابن المطيع لله، جاء لكي يكون قربانا وضحية عن ذنوب العالم. لم يمت كشخص مقهور مغلوب لا حول له ولا قوة. كان بمقدوره إن أراد أن يأمر جنود السماء من الملائكة بأن يأتوا لمساعدته^ب. وكان يستطيع أن يهرب من أعدائه كما سبق أن فعل^ت. لكنه لم يفعل. إنه جاء لهذا القصد، ليبذل نفسه عن البشرية الساقطة. ولا

^أ أع 10: 38-41

^ب مت 26: 53

^ت لو 4: 30

يوجد منطق في اختراع قصة عن صلبه لو لم تكن قد حدثت حقًا.

تفسير آخر لآية الصلب

هناك مشاكل خطيرة مرتبطة بالتفسير الإسلامية التقليدية لهذه الآية القرآنية. إن الموقف الإسلامي الرئيسي من مسألة الصلب مستمد من أوائل المفسرين المسلمين. فهم يقولون إن الآية التي نحن بصددّها لا تعني أنه شُبّه للناس أن عيسى صُلب، أي أنه بدا وكأنه يُصلب، لكن الله جعل شخصا آخر يبدو مثل عيسى فُصلب. (يمثّل الزمخشري هذه المدرسة الفكرية). وهذه هي "نظرية البديل" التي ناقشناها من قبل. وقال آخرون إنه لم يمت أحد، وإنما كان الأمر كله وهما. ولهذا فإنّ زعم اليهود أنهم قتلوا عيسى زعم كاذب. وناقشنا هذا الرأي وأسميناه "نظرية الوهم" أو التوهّم (ويمثّل البيضاوي هذه المدرسة الفكرية).

وجاء مفسّرون آخرون أيضا ليعبّروا عن رأيهم. لنفترض أن شُبّه شخص ما أُلقي على شخص آخر (نظرية البديل). أو لنفترض أنه هُبّي للناس أن أشياء كانت تحدث في حين أنها لم تكن تحدث في واقع الأمر (نظرية التوهّم)، فما هي تضمينات هذا الأمر؟ قال هؤلاء المفسّرون إن هذا يعني أننا لا نستطيع التأكد من أي شيء نتعامل معه، بما في ذلك الأمور التي نراها ونلمسها. فعلى سبيل المثال، كيف لي أن أعرف أن زوجتي هي فعلا الشخص الذي أتصوّره؟ ربما كانت في واقع الأمر شخصا آخر. وفضلا عن ذلك، إذا كان مثل هذا الأمر ممكنا، لتطرق الشك إلى كل الشهود التاريخيين. فكيف يمكنني أن أحكم على أي كتاب إن كان صادقا أو كاذبا، إن كان مقدسا أو دنيويا، يدّعي أنه يسرد وقائع تاريخية؟ ألا يمكن أن يكون كل ما هو مذكور فيه تشويشا وخطا للهويّات والمعلومات؟ (يمثّل الرازي هذه المدرسة الفكرية).

وإسهابا في النقطة السابقة، يمكنني أن أطرح هنا أسئلة أخرى. إذا كان

الصلب مجرد وهم، فلماذا لا تكون الأحداث الأخرى، المهمة منها وغير المهمة على حد سواء، مجرد أوهام أيضا؟ فهل كان هنالك فعلا شخص اسمه عيسى، أم أنه كان مجرد سراب؟ وإذا كان قد تمّ إنقاذ عيسى بتدخل إلهي، فماذا عن التلاميذ؟ كان عيسى قد طلب منهم أن يحملوا صليبهم ويتبعوه. فهل كان هنالك شبيه في كل حالة لعب دور البديل للمؤمن المسيحي في الطريق إلى صليبه؟ وإن لم يكن الأمر كذلك. فماذا عن آلاف الصلبان حيث تمّ تعليق أتباع عيسى من زمن نيرون فصاعدا؟ ألا تدل على عدم اهتمام الله الذي لم ينقذ أتباع عيسى بنفس الطريقة التي أنقذ بها سيدهم؟

ويوجد عيب خطير آخر في نظرية البديل. فهي تزعم أن السبب في عدم موت عيسى هو أن الله عادل ولن يسمح للنبي الصالح بأن يموت من أجل ذنوب لم يرتكبها. لكن إذا كان الله لم يسمح بموت عيسى، فلماذا يجعل الله شخصا آخر يعاني ويموت ظلما، حتى لو كان هذا بقصد إنقاذ المسيح؟ لا شك أن هذا يشير إلى تناقض في طبيعة الله الأخلاقية وقصده. هذا الحل غير المعقول يجعل العدالة الإلهية تبدو وكأنها مهزلة. هذه الفكرة المنقّرة تجعل الشخص يشك في قيم الله الأخلاقية، وحاشا لله من كل هذا. فهو العادل الحكيم، والسلطان العظيم.

يدرك بعض علماء المسلمين أن ما يقوله القرآن عن الصليب إنما هو مبتور! ويدافعون عن هذا بأن القرآن لا يقول إن عيسى لم يُقتل، ولا يقول إن عيسى لم يُصلب. إنما كل ما يقوله هو إن اليهود لم يقتلوه أو يصلبوه. وبعبارة أخرى، إن ما يُنكره القرآن هو أن يكون اليهود هم الذين صلبوا أو قتلوا عيسى. أي إن هؤلاء العلماء لا ينكرون أن المسيح مات على الصليب!

يبين التفسير الحرفي للرواية التاريخية أن وجهة النظر هذه مشروعة. فقد طالب اليهود بصلب عيسى، لكن الذي قام فعلا بعملية الصلب هم الجنود الرومان. وقد

تنبأ عيسى نفسه بأن موته سيكون على أيدي الأجانب، إذ لم يكن اليهود سادة أنفسهم في وقت موت عيسى. فقد كانوا تحت السلطة السياسية لروما. وبدون موافقة تلك السلطة، ما كان ممكناً لعيسى أن يُصلب. وفضلاً عن هذا، لم يكن الصلب وسيلة إعدام يهودية. إذ كان اليهود يستخدمون الرجم، وسبق لهم أن هددوا عيسى به أثناء خدمته، واستخدموه بالفعل فيما بعد لقتل اصطفان.^ب

موضوع المسؤولية

من كان المسئول عن صلب المسيح؟ للجواب على هذا السؤال، يشير البعض بإصبع الاتهام إلى اليهود. ويشير آخرون إلى النظام السياسي والديني. أما الكتاب الشريف، فيقول إن اليهود والرومان هم الذين صلبوا عيسى. كما يقول أيضاً إنه سُلِم إلى قادة اليهود "حَسَبَ خِطَّةِ اللَّهِ الْمُرْسُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ".^ت

من المحتمل جداً في رأيي أن النص القرآني حول الصلب يقول إن الله هو الذي كان يعمل، كما يقول القرآن في مواضع أخرى، أي أن الله، لا اليهود، هو الذي أصدر الحكم وأجرى الأحداث بإرادته وفق مشيئته وقصده ومن خلال سيادته.

خذ مثلاً النص القرآني: "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى".¹⁰⁴ يشير النص إلى معركة بدر التي كانت فيها قوَّات أهل قريش تفوق كثيراً جيش محمد من حيث العدد. فرمى محمد حفنة من الغبار على العدو عند بدء المعركة، كأنه يصيبهم بالعمى بشكل رمزي استعداداً لهزيمتهم. وعلى الرغم من أن الأفضلية كانت لقريش، إلا أنها انهزمت. ولهذا يمكن تفسير النص القرآني المذكور

^أ لو 18: 32

^ب يو 8: 59؛ 10: 31-33؛ 11: 8؛ أع 7: 54-60

^ت أع 2: 23

على النحو التالي: "لم تكونوا أنتم الذين قتلتموهم، بل الله هو الذي قتلهم عنكم. ولم تكن أنت يا محمد من رمى التراب. بل الله هو الذي رمى التراب عنك." ماذا لو طَبَّقنا نفس هذا المبدأ التفسيري على آية سورة النساء¹⁰⁵ ففي تلك الحالة، يمكن أن نفهم الآية على النحو التالي: "وقولهم (قول اليهود) إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ. غير أن اليهود لم يكونوا هم الذين كانوا يسيرون الأحداث في الجلجثة. بل الله. فما قتلوه وما صلبوه، ولكن شَبَّه لهم. فالله هو الذي أعدَّ لهذا الغرض عينه. إذ أرسله لكي يموت."

ليس أمرا سهلا حل موضوع المسؤولية. فكما هو الحال في أسرار التجسّد، كان العاملان الإلهي والبشري موجودين. وفي الصليب رفض الجنس البشري خالقهم. غير أن اللاهوتيين يمكن أن يتفقوا على أن الصلب بدأ بمبادرة من الله، كما تنص التفسيرات السابقة.^أ

نصوص قرآنية أخرى

بالإضافة إلى الآية التي ذكرناها من سورة النساء، توجد 3 تصريحات قرآنية أخرى تتحدث عن موت عيسى. وهي تدعم تاريخية الصلب.

"وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ فَمَاذَا تَقُولُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا. ¹⁰⁶

"وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ (أي على التلاميذ والاتباع) شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ." ¹⁰⁷

"وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا." ¹⁰⁸

لاحظ أن مرتين في هذه الآيات يرد موت عيسى أولا، ثم بعد ذلك صعوده أو

قيامته. فإن كان المسلمون يؤمنون أن المسيح صعد حيًّا إلى السماء، فهذا يعني أنه لا بد مات.

إنَّ رَفُضَ المسلمين للصليب وموت المسيح على أساس أن الله العادل لا يسمح لنبي صالح كعيسى أن يموت على أيدي أعدائه، هو رَفُضٌ غير معقول، لأن به يُناقض المسلمون أنفسهم وكتابهم. كيف؟ لأن القرآن يُصرِّح أن بعض الأنبياء قُتلوا بالفعل. هاك مثالان: "فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق."¹⁰⁹ "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون."¹¹⁰

وفضلا عن ذلك، فإن عدة كُتَّاب مسلمين قدماء مثل المغازي وابن إسحاق بالإضافة إلى كُتَّاب حديثين مثل بكثال وآخرين يُصرِّحون أن النبي محمدا مات بسبب سم وُضع له في الطعام.¹¹¹ فإذا أثير اعتراض حول مسألة "الظلم" في قضية صلب المسيح، فلماذا لا تثار نفس المسألة في قتل الأنبياء الآخرين وتسميم محمد؟

ختام المقال: ما يقوله الله عن الصليب

لكي أُبيِّن مدى قوة الشهادة على صلب المسيح، استقيثُ هنا في هذا الملحق أدلة من القرآن وتفسيره، ومن التاريخ والفكر، ومن الخبرة والمنطق. تشكَّل هذه كُلُّها ردودا على الإنكار الإسلامي. وفي نفس الوقت، امتنعت عن استخدام أدلة من الكتاب الشريف بسبب رفض المسلمين له.

غير أنه ما من حديث يكون مكتملا، وما من قرار يكون حاسما، إلا بعد أن يقول كتاب الله كلمته. يتكلم الله في كتابه، وينبغي علينا أن نساعد المسلم في سماع ما يقوله حول الصليب لعل الله يفتح قلبه ليسمع ويقبل. ولذلك أوردت مبكرا في هذا الكتاب ما يقوله الله عن الصليب بإسهاب وتفصيل يجب أن يُقنع أقسى معاندا!

ولهذا لن أكرر ما قلته، إنما أشير باختصار إلى بعض الحقائق.

فمثلاً يقول الكتاب عن الفادي الكريم إنه: "لَهُ طَيِّبَةُ اللَّهِ، لَكِنَّهُ... تَوَاضَعَ جِدًّا، وَأَطَاعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْمَوْتِ، لِذَرَجَةِ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ." أ عانى عيسى على الصليب أحط أنواع الإذلال وأدنى أنواع المهانة. يواجهنا في الجلجثة سر عميق، لأن صليب عيسى أعلى وأعمق من أن تستوعبه عقول البشر أو أن يعبر عنه بكلمات. ليس الصليب مستحيلاً أو غير ضروري. بل هو جوهري في أهميته لمجيء عيسى المسيح ولإرساله. بل الصليب هو هدف مجيئه إلى الأرض. في مواجهة بين عيسى وروح شرير، قال الروح الشرير: "أَجِئْتُ لِتَهْلِكُنَا؟" ^ب يُلَخِّصُ هذا السؤال القصد من خدمة المسيح، ألا وهو تحطيم إبليس ومملكته. هذا هو السبب الذي دفع عيسى إلى المجيء إلى الأرض، كما قال. وعلى الصليب جرت أعظم معركة، وتم إحراز أعظم نصر. هل نعكس الوضع؟ تعالوا نقول إن عيسى لم يفعل ما يقوله الإنجيل الشريف. تعالوا نقول إنه تجنّب المُهِمَّةَ أو الإرسالية التي جاء من أجلها. وإنه لعن أعداءه ومعذّبيه. وإنه بقي في القبر. لو حدث هذا لكان هزيمة حقاً! يقول الإسلام إن الله لم يسمح بأن يتألم عيسى، إنما تدخّل القدير تعالى وأنقذه من تلك الآلام. ثم يقول الإسلام إن الناس تصوروا أو تخيلوا أن عيسى صُلب، لأن الله لا يمكن أن يرضى بعذابه وموته!

لكن هذا الاعتراض يعنى عن رؤية قوة محبة الله العجيبة، وعن فهم أن ما بدا كهزيمة في عيون العالم، كان نصراً لله. فعلى صليب الجلجثة حملت محبة الله العبد الهائل لخطيئة الإنسان وكسرت قوّتها إلى الأبد. فلا يوجد أي عار أو خزي في الصليب. يقول بولس: "أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي لَا وَلَنْ أَفْتَخِرَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِصَلِيبِ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ،

^أ في 2: 6، 8

^ب مر 1: 21-27

الَّذِي بِهِ صُلِبَ الْعَالَمُ بِالنَّسْبَةِ لِي، وَأَنَا صُلِبْتُ بِالنَّسْبَةِ لِلْعَالَمِ.^أ فالصليب هو أقصى تعبير عن محبة الله الباذلة للنفس.

"حدث الصليب على الأرض لأنه متأصل في السماء. فإن الله صالح العالم معه بواسطة المسيح.^ب ولم يأت أحد لإنقاذ عيسى هنا، ليس لأن الله يفتقر إلى القوة أو الإرادة، وإنما لأن قلبه عامر بالمحبة."¹¹²

يخشى المسلم أن ينسب الهزيمة إلى عيسى. لكن الصليب لا يعني الهزيمة، بل النصر. لأنه يعني هزيمة قوَّات الظلمة، لا هزيمة عيسى. قضى الله بسقوط إبليس، وتم تنفيذ هذا الحكم في الصليب. فقد وجَّه الصليب إلى الشيطان وأتباعه ضربة قاضية لن يتعافوا منها أبداً. وكما كان الصليب ذروة عمل المسيح من أجل البشر، كذلك كان ذروة انتصاره على قوات الشر، كما يقول الكتاب: "وَبِالصَّليبِ انْتَصَرَ الْمَسِيحُ عَلَى الْحُكَّامِ وَالْقَادَةِ الَّذِينَ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَنَزَعَ عَنْهُمْ سِلَاحَهُمْ وَسَاقَهُمْ أَذِلَّةً فِي مَوَكيهِ الظَّالِمِينَ."^ت والنتيجة التي لا مفر منها: يعني الصليب الكرامة، لا الخزي، والنصر، لا الهزيمة!

يُمثِّل الصليب تهديداً لأولئك الذين يريدون أن يعيشوا من أجل أنفسهم. ويهزأ البعض بالصليب، أمَّا نحن أتباع المسيح الحقيقيين، فنفتخر به. ينطوي الصليب على تناقض ظاهري. فهو دليل على الضعف والتعاسة، ورمز للهزيمة واليأس، وصورة للعقاب والموت. لكن عندما يرتبط باسم المسيح، فإنه يصبح مجداً وفوزاً وبركة!

لا يمكن إنكار الصليب. فلا رحمة حقيقية صادقة بعيداً عن الصليب، ولا يوجد عدل بمعزل عن الصليب. انزع الصليب من هنا، تصبح الأرض جزءاً من

^أ أغل 6: 14

^ب 2 كور 5: 19

^ت كو 2: 15

الجحيم. انزع الصليب، يصير الإنسان إلى الأبد بلا إيمان وبلا رجاء وبلا محبة.
 "لَأَنَّ رِسَالَةَ الصَّلِيبِ بِالنَّسْبَةِ لِلْهَالِكِينَ هِيَ عَبَاءٌ، أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لَنَا نَحْنُ النَّاجِينَ فَهِيَ
 قُوَّةُ اللَّهِ."^أ لقد ائتمنا الله على هذه الرسالة. لهذا دعونا نشرحها بوضوح للجميع.
 ونعلّمها بصبر، ونبشر بها بسلطان.

ملحق 7

دعاء

اللَّهُمَّ أيها الحي القدير، يا من تعرف أسرار قلبي وفكري، أيها الطاهر القدوس، اغفر لي ذنبي، وأزل عني وزري، وامح إثمي. ساعدني لأضع نفسي وقلبي في يدي مولاي وسيدي وفادئ عيسى المسيح.

"اللَّهُمَّ وجه أفكاري وآمالي ورغباتي نحو السماء ونحو الأمور السمائية. علمني أن أحترق الدنيا. علمني أن أتوب عن ذنوبي توبة حقيقية. أعطني رغبة مقدسة في أن أصلح أموري بقوة روحك. ساعدني لأنقذ بأمانة مقاصدك الإلهية فيّ. اجعل فهمي غنيا بكنز الحق الإلهي. ساعدني لأعرف مشيئتك. وأنت الذي تعمل فيّ لتجعلني راغبا وقادرا أن أعمل مشيئتك الصالحة. علمني أن أطيع كل وصاياك، وأن أؤمن بكل الوحي المبارك الكامل، وأعطني نصيبا من وعودك الغنية الثمينة."¹¹³

يا مولاي المسيح، يا صاحب الجلالة ملك العالمين، أنت تواضعت وتنازلت لتفدينا وتنقذنا من الشر والمعصية. حمدا لك وشكرا كثيرا. أعبدك من قلبي لأنك مستحق كل العبادة والسجود. أنت وحدك السيد. أنت وحدك الإله الحق. أنت الغني. أنت القدير.

أنت الرحمان الرحيم. أنت خلقت كل الناس، لذلك تحبهم جميعا ولا تكره منهم أحدا. حتى البعيدون عنك، الذين لا يطيعونك، أنت تحبهم. أنت تريد أن يأتوا إليك، ويتوبوا ويتغيروا وينالوا الحياة الجديدة بقوتك يا عيسى. أبتهل إليك أن تجذب الذين لا يعرفونك ليؤمنوا بك وبأنك صلبت ومّت وقمت لعدائنا جميعا. ليّن قلوبهم، افتح عقولهم، نور أفهامهم، امح جهلهم. أحضرهم إلى دار الأب ليعبدوك بالروح والحق. وكما دخلت القدس كملك تحفّ بك الجماهير وتهتف بجلالك، أتضرع إليك

أن تدخل مدننا وعواصمنا اليوم، وتدخل قلوب الآلاف والملايين من الناس الذين عذبهم الخطيئة واستعبدتهم المعصية. امنح القلوب المتألمة سلامك، والضامير المعذبة حريتك، والأجسام المحطمة شفاءك. ليت الجماهير الغفيرة تتوجك ملكاً أبدياً على قلوبهم. امنحهم أن يختبروا رحمتك وحنانك وشفقتك ورقة قلبك ولمسة يدك. دعائي أن تهتف الجماهير في عواصمنا من نواكشوط والرباط والدار البيضاء والجزائر وتونس وطرابلس وبنغازي والقاهرة والاسكندرية إلى الخرطوم وعمان والرياض ومكة ومقديشو وبيروت ودمشق والقدس وغزة ودبي وأبو ظبي وبغداد وصنعاء والمنامة والدوحة والكويت ومسقط بأصوات تهز الجبال: "الْجَلَالُ لَا بِنِ دَاوُدَ! تَبَارَكَ الْآتِي بِاسْمِ اللَّهِ... حَمْلُ الْفِدَاءِ الَّذِي دُبِحَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَنَالَ الْقُوَّةَ وَالثَّرْوَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْجَلَالَ وَالْحَمْدَ".^أ

سيدي وفادئٍ وحببي المسيح، ساعدني بقوة صليبك لكي لا أسمح لصعوبة أو شتيمة أو ضيق أو ألم أو اضطهاد أو عذاب أن يُثني عزمي. ولا لشيء بأن يؤخر تقدمي في خدمتك. ساعدني لأحتمل كل هذا بصبر، وأضع كل هذا عند قدميك يا سيدي، وأنت قادر أن تُطيب نفسي وتعزي قلبي وتملأ حياتي بحضورك وسلامك. آمين يا رب العالمين.

مذكرات

- 1 خر 34: 6؛ مز 86: 15؛ 103: 8؛ لو 1: 78؛ يع 5: 11.
- 2 <http://www.abideinchrist.com/selah/jan24.html>
- 3 الدكتور القس إبراهيم سعيد.
- 4 أمثلة أخرى لصور ورموز عن الصليب: سلم يعقوب (تك 28: 12): جاء المسيح ليحقق حلم يعقوب عن سلم تربط الأرض بالسماء. حمل الفصح (خر 12: 3-17، 22-23) حمل واحد لكل عائلة، بلا عيب، ابن سنة، يذبح ويرش دمه على الباب، لكي يعبر الملاك المهلك من غير أن يهلك الابن البكر أو أي واحد من أهل الدار. الشجرة التي حولت الماء المر إلى ماء عذب في مارة (خر 15: 23-25)، الصليب يحول الحياة التي صارت مرة بسبب المعصية إلى حياة حلوة عذبة مع المسيح. قرايين العهد اللاوي (لا 2، 3 الخ): توجد إشارات عديدة هنا إلى المسيح وتضحيته بنفسه لفدائنا. أمثال المسيح: مثل قتل ابن صاحب الكرم، مثل الأب الغفور، الخ..
- 5 راجع أيضا حديث موسى والياس عن موت المسيح (لو 9: 31؛ مز 22) الخ.
- 6 هؤلاء الأولاد يأتون بعد موته! بعدما قدم نفسه ضحية للتكفير عن ذنوبنا، ومات من أجلنا، يرانا تأتي إليه لنتبعه ونكون له، تلاميذه وأولاده وأتباعه.
- 7 سنتحدث عن هذا بالتفصيل فيما بعد.
- 8 راجع أيضا: يو 1: 36؛ يو 19: 36؛ 1 بط 18-21؛ رؤ 5: 21؛ 1كور 5: 7؛ 1بط 19: 1.
- 9 راجع أيضا: مز 22: 16؛ دا 9: 26؛ زك 12: 10؛ مت 16: 21-23؛ 18: 11؛ مر 10: 45؛ لو 2: 34-35؛ 9: 31؛ يو 3: 14-16؛ يو 10: 11؛ يو 12: 24؛ أع 3: 18؛ 13: 27-29؛ 1بط 10: 11.
- 10 لاحظ مثلا هذه المناسبات الأخرى التي فيها تحدث عن ذلك مع تلاميذه وأيضا لغيرهم: إشارته إلى يونس (كما ابتلع الحوت النبي يونس وبعد 3 أيام لفظه إلى البر، سيموت عيسى ويقوم بعد 3 أيام، متى 12: 40) وأنه سيتألم كثيرا ويُقتل (مت 16: 21؛ 17: 12؛ مر 8: 31؛ 9: 12؛ 10: 33-34؛ لوقا 9: 22؛ 17: 25) وأنه سيصلب (مت 20: 18-19؛ 26: 2؛ مر 10: 33-34؛ لوقا 18: 31-33) وأنه سيبدل نفسه فدية (مت 20: 28؛ 22: 17؛ 23: 20؛ 28، مر 10: 45) الخ...
- 11 عبر بولس أيضا عن حزنه وحسرتة على بني إسرائيل لرفضهم عيسى (رو 9: 1-5).
- 12 كانت منصة القربان في بيت الله مجرد رمز لأمر أخطر وأهم. الصليب هو الحقيقة!
- 13 هناك قصة في التاريخ تقول إن هؤلاء كانوا سفارة أرسلها أبيقاريوس الخامس ملك الرها ليقول لعيسى إنه سمع عن معجزاته وعن اضطهاد اليهود له، ولذلك فهو يعرض عليه ملجأ آمينا في مملكته، ولكن المسيح رفض هذا العرض، وقال إن حبة القمح لا بد أن تموت لكي تأتي بثمر. Frederic Farrar, *The Life of Christ*, p. 335.
- 14 بتصرف عن Ron Wallace, *The Atoning Death of Christ*, p. 28.
- 15 اسمه أورلاندو سكوت من شيكاغو بالولايات المتحدة.

16 بتصرف، في الأصل: The God who has the whole world in His hands has grace for the whole world in His heart, Lewis Smedes

17 الإنجيل في آية، ترجمة واصف عبد الملك، ص 12، 13. انظر الشعر بأكمله في ملحق 5.

18 سيرة يسوع المسيح، الدكتور جورج فورد، بيروت، 1943 ص 436.

19 2صم 7: 22، 22: 32، 1أخ 17: 20، مز 18: 31، إش 45: 14، مر 12: 32، 1كور 8: 4، 1تم 2: 5، يع 2: 19.

20 زرت الحمامات الرومانية في عدة مدن أثرية مثل أفاسس وغيرها. كان الأغنياء يذهبون إلى الحمام مرتين في الأسبوع، والأقل مقدرة مرة أو مرتين في الشهر.

21 ذات مرة تحدثت من هذه الآيات إلى جماعة من المؤمنين بالمسيح، وبعدها كرستنا وقتاً من اجتماعنا للصلاة. ولكن كم كانت دهشتي حين اتجه المصلون في دعائهم إلى طلبات وأدعية مختلفة. قليلون فقط هم الذين أدركوا أهمية ما قلته في تلك الليلة، وطلبوا من المسيح في دعائهم أن يساعدهم ليسلكوا في الحياة بطهارة ونقاء وصلاح.

22 بتصرف عن Henri Nouwen

23 آيات أخرى عن التواضع: أَنْتَ تُنْقِذُ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَتُخَفِّضُ الْمُتَكَبِّرِينَ. (2صم 22: 28)، فَإِنَّ تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِي يُدْعَى بِاسْمِي، وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ سُلُوكِهِمْ، فَإِنِّي أَسْتَعِ وَأَنَا فِي السَّمَاءِ، وَأَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، وَأَشْفِي أَرْصَهُمْ. (2أخ 7: 14)، فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الضِّيقُ، طَلَبَ الْمُؤَلَى إِلَهُهُ، وَتَوَاضَعَ جَدًّا أَمَامَ رَبِّ آبَائِهِ، وَصَلَّى إِلَيْهِ. فَاسْتَجَابَ لَهُ وَسَمِعَ تَضَرُّعَهُ وَرَدَّهُ إِلَى الْقُدُّوسِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ. فَعَلِمَ مَنْسَى أَنَّ الْمُؤَلَى هُوَ اللَّهُ. (2أخ 33: 12-13)، يَرْفَعُ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَيُقِيمُ الْحَزَائِنَ إِلَى الْأَمَانِ. (أي 11: 5)، إِنَّ اللَّهَ يُدِلُّ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَيَضْرِبُ الْمُتَوَاضِعِينَ. (أي 22: 29)، أَنْتَ تُنْقِذُ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَتُخَفِّضُ الْمُتَكَبِّرِينَ. (مز 18: 27)، الْمُؤَلَى عَالٍ لِكَيْتَهُ يَهْتَمُّ بِالْمُتَوَاضِعِينَ. (مز 138: 6)، يَسْخَرُ مِنَ السَّاحِرِينَ، وَيُنْعِمُ عَلَى الْمُتَوَاضِعِينَ. (أم 3: 34)، مَتَى دُعِيتَ، إِذْهَبْ وَاجْلِسْ فِي أَقْلٍ الْأَمَّاكِنِ أَهْمِيَّةٍ. فَمَتَى جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ، يَقُولُ لَكَ، 'يَا غَزِيْرِي، ارْتَفِعْ إِلَى مَكَانٍ أَحْسَنَ' فَتُكْرِمُ قُدَّامَ كُلِّ الصُّبُوفِ الْمُتَوَجُّدِينَ مَعَكَ. (لو 14: 10)

24 يزعم البعض أن هذا المعين هو نبي جاء بعد المسيح. وما أقطع هذا الخطأ! لذلك أود هنا أن أتصدى لهذا الزعم بأن أقول:

1. يقول المسيح إنَّ المعين هو روح، وليس بشراً. (يو 14: 16، 17، 26: 15، 26: 16، 7). فهل ذلك النبي كان روحاً وليس بشراً؟

2. هذا المعين يرسله الأب باسم عيسى، ويعلمنا كل شيء، ويُذَكِّرنا بكلام المسيح (يو 14: 26). فهل ذلك النبي جاء باسم

عيسى، وعلمنا كلام عيسى وذكرنا بكلام عيسى؟

3. هذا الروح يبقى مع أتباع المسيح إلى الأبد (يو 14: 16). فهل هذا ينطبق على ذلك النبي؟

4. هذا الروح سيكون في أتباع المسيح (يو 14: 17). فهل هناك بشر يمكنه أن يكون موجوداً في إنسان آخر؟

5. هذا الروح لا يمكن للعالم أن يراه (يو 14: 17). فهل هذا ينطبق على أي بشر جاء إلى العالم ولم يره الناس؟

6. طلب المسيح من أتباعه ألا يغادروا مدينة القدس بل يبقوا فيها حتى يتم الوعد ويأتي لهم هذا الروح (أع 1: 4). فهل هذا

النبي جاء لأتباع عيسى قبل ما غادروا القدس؟

7. لم يكن عمل هذا المعين هو أن يجمع جيوشاً ويحقق انتصارات بأسلحة أرضية، وإنما أن يبيِّت أهل العالم على خطيئتهم

التي جوهرها هو عدم الإيمان بالمسيح (يو 16: 9).

8. قال عيسى إنَّ هذا المعين سيمجده ويتحدث نيابة عنه (يو 14: 15-16)، فهل ذلك النبي مجد المسيح وتحدث نيابة عنه؟

- 25 جزء من البلدة التي نشأت فيها اسمه "المعصرة" لأنها كانت معصرة لقصب السكر.
- 26 محاكمة المسيح أمام مجلس الدين وردت في مت 26: 57-66؛ مر 14: 53-64؛ لو 22: 66-71؛ يو 18: 24، 28.
- 27 لكي تفهم عمق وأهمية العلاقة بين جواب المسيح وكلام دانيال، راجع مقالة "الذي صار بشرا" في الكتاب الشريف طبعة الدارس.
- 28 Flavius Josephus, *Jewish Wars*, 85: 1: 4: 18
- 29 ويا له من فارق عظيم بين هذه المصالحة والمصالحة التي يتحدث عنها بولس (أف 2: 14-18).
- 30 قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي يتحدث عن صليب المسيح:
- ثم ألبستني من الحزن ثوبا
وبشوك الجبال توجت رأسي
أرى المجد معصوب الجبين مجدلا
على حسك الآلام يغمره الدم
- وقال الشاعر المصري أحمد شوقي:
- عيسى، سبيلك رحمة ومحبة
في العالمين، وعصمة، وسلام
ما كنت سفاك الدماء، ولا امرأ
هانّ الضعاف عليه والأيتام
يا حامل الآلام عن هذا الوري
كثرت عليه باسمك الآلام
- 31 رؤ 5: 9-14.
- 32 ربما من باب الاحترام والتبجيل للسيد، ولا واحد من كتاب البشائر ذكر أن عيسى سقط أو وقع تحت حمل الصليب.
- 33 Flavius Josephus, *Jewish Wars*, 6: 245-246
- 34 في مناسبات سابقة سمع المسيح مثل هذا التحدي «أنقذ نفسك» ولو بكلمات تختلف عن هذه. فمثلا لما مات لعازر ووصل الخبر إلى المسيح بينما كان مع أتباعه في بيرية، طلب أتباعه أن لا يذهب إلى بيت عنيا وبذلك ينقذ نفسه من مؤامرات اليهود هناك. وذات مرة جاءت عائلة عيسى إليه في كفر ناحوم وطلبوا منه أن يرجع إلى الناصرة لينقذ نفسه.
- 35 اقتباس يوسف درة الحداد، تاريخ المسيحية، جزء 2، لوقا وأعمال الرسل، ص 632
- 36 John Calvin
- 37 سيرة يسوع المسيح. الدكتور جورج فورد، بيروت، 1943 ص 492.

John A. Broadus, *Commentary on Matthew*, p. 576

قد يعترض البعض على أن كمية المروالعود كبيرة بطريقة غير معقولة، ولكن الرد على هذا هو: ربما جزء كبير من هذه الكمية استعمل كسرير من الأطباق تحت جسم الميت كما حدث في 2 أخ 16: 14.

المروالعود. رج خر 30: 23؛ مز 45: 8؛ أم 7: 17؛ نش 1: 13؛ 4: 14؛ مت 2: 11؛ يو 19: 39.

في اليوم الثالث قدم الله لإبراهيم الكيش الذي ضحى به بدلا عن ابنه (تك 22: 4). وفي اليوم الثالث قاد يشوع شعبه إلى الأرض المباركة، وحقق الله وعده القديم لهم (يش 9: 17). وكان النبي يونس في بطن الحوت 3 أيام و 3 ليال (يون 1: 17) ثم قذفه الحوت إلى البر. راجع أيضا مل 2: 20؛ 5: 6؛ 2.

في كتاب "أين الجثة" تخيل الكاتب خطا باسطه قيافا يوم القيامة وبعثه إلى نسيه حنا. قال قيافا: "بئس الخبر يا حنا! لقد اختفت جثة عيسى من قبره! لا أدري كيف حدث هذا، كما لا يمكنني أن أفصره، ولأن أفهمه! اليوم ذهبت بنفسي إلى القبر لأتحقق من الأمر، فوجدت كل شيء كما قال الحراس... كنت أظن أن هذا الرجل قد انتهى وأصبح نسيا منسيا..." لكن، لا! لا يا قيافا! كيف ينتهي المسيح وهو مبدع الكون؟ كيف يصبح نسيا منسيا وهو الفادي الكريم؟ كيف ننساه وهو الغالب المنتصر الذي قهر الموت والقبر؟ كيف نتحاشاه وهو الديان القدير الذي سيقف الكل أمام عرشه؟ بعض هذه النقاط مستقاة من عظة لبهجت واصف عبد الملك.

Maximilian Kolbe was a Polish priest who died in Auschwitz, on August 14, 1941. When a prisoner escaped from the camp, the Nazis selected 10 others to be killed by starvation in reprisal for the escape. One of the 10 selected to die, Franciszek Gajowniczek, began to cry: "My wife! My children! I will never see them again!" At this, Father Kolbe stepped forward and asked to die in his place – his request was granted. As the ten condemned men were led off to the death Block of Building 13, Father Kolbe supported a fellow prisoner who could hardly walk. No one would emerge alive – Father Kolbe was the last to die. (<http://www.fatherkolbe.com/ac-cessed Dec 8, 2009>)

Flavius Josephus, *Jewish Wars*, 1:11:15

Marcus Tullius Cicero, (106–43 B.C.) *Against Verres* 2. 64. 165

Marcus Tullius Cicero, (106–43 B.C.) *Against Verres* 5. 16. 467

Colin Brown, *That You May Believe*, p. 38 ت 13: 1-5 وراجع

سورة هود 11: 113

Aeschyles

Ron Wallace, *The Atoning Death of Christ*, p. 118

Gott wird mir verzeihen. Es ist ihr handwerk (G). Dieu me pardonnera. C'est son metier (F). God will forgive me. It's his job (E). (Heinrich Heine 1797 – 1856)

قصة باراباس.

سوسنة وسلي وفي الأصل:

Sin is “Whatever weakens your reasoning, impairs the tenderness of your conscience, obscures your sense of God or takes away your relish for spiritual things; in short, if anything increases the authority and power of the flesh over the Spirit, then that to you becomes sin, however good it is in itself.” (Susanna Wesley, as quoted by Ravi Zacharias in *The Grand Weaver*, p. 118, cited in *Topical Encyclopedia of Living Quotations*)

عواقب الخطيئة:

1. تسبب لمرتكبها الضرر في الدنيا والهلاك في الآخرة (أم 5: 8-11؛ 6: 33؛ 7: 62-72، جا 9: 11؛ 9: 8؛ 43؛ رؤ 21: 02-51).

2. تجلب العار على الشعوب (أم 41: 43).

3. تجعل الإنسان يحتقر الله وكلامه واسمه (عد 41: 11، 32؛ 1 صم 21: 9-01؛ مل 1: 6).

4. تجعلنا أعداء لله (رو 5: 01؛ يع 4: 4).

5. تُحزن الله (تك 6: 6؛ مز 87: 04؛ إش 36: 01).

6. تغيظ الله (مز 601: 92؛ 1 مل 61: 33).

7. تُتعب الله (إش 34: 42).

في قصة الرجل الصبي والعقرب، نحن نمتدح الرجل ونشبه ما عمله بما عمله المسيح معنا من تضحية ومعروف. أما في قصة الرجل والشعبان، فنحن نُحذِر من التعاطف مع الخطيئة. في الأولى ابن الله الطاهر يضحى من أجلنا. في الثانية الإنسان الضعيف تهلكه الخطيئة.

للكتاب الشهير ولیم شكسبير William Shakespeare, *Macbeth*,

الخليفة أبو بكر <http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=0458dcfe7e00dd76>

ربما الملك شارل الخامس ملك أسبانيا.

أو سيسرو 106-43 ق.م.

322-384 ق.م.

للكتاب الفرنسي مارسيل بانويل Marcel Pagnol, *Fanny*,

Dr Charles Berry, liberal scholar, went to see the dying woman. “There, I leaped onto my mother’s knees, and to my cradle faith and I told her of the cross and the Christ who forgives our sins.”

في الأوردية: گلشن استر.

من مقالة بعنوان: حرية المسلم، في مجلة: نور الحق السنة 2 - العدد 4 - صفحة 4.

رج رو 6: 8-6، غل 2: 19-20؛ 5: 24؛ 6: 14؛ 2: 20؛ 3: 3.

Alfred, Lord Tennyson, *The Lord of Burleigh*

رواية البؤس للكاتب المسرحي أنطون تشيخوف *Misery* Anton Chekhov

هو أبو العلاء المعري (363-449 هـ) عن “رباعيات عمر الحيام” د. عبد المنعم الحفني ص 192. كما قال عمر

الحيام الشاعر الفارسي: “أليس من الغريب أن الألوף المؤلفة من الذين سبقونا ودخلوا من باب الموت المظلم، لم

يرجع منهم ولا واحد ليخبرنا عن الطريق الذي إن كنا نريد أن نكتشفه، لا بد أن نعبه”

بتصرف عن الإنجليزية، في الأصل:

Martin Luther, addressing death as the King of Terrors said, “thou didst devour the Lord Christ, but wert obliged to give Him back, and wert devoured of Him. So thou must leave me undevoured because I abide in Him, and live and suffer for His name’s sake. Men may hunt me out of the world — that I care not for — but I shall not on that account abide in death. I shall live with my Lord Christ, since I know and believe that He liveth!” (Jamieson, Fausset, Brown, *Commentary on the New Testament*, V. 1, p. 626.)

Karl Barth

اللاهوتي الألماني ديترك بونهفر، بتصرف: ثمن التلمذة.

Cheap grace is grace without the cross, grace without the living, incarnate Jesus Christ. Costly grace is the gospel. It costs people their lives. It cost the life of God’s Son and nothing can be cheap to us which is costly to God. (Dietrich Bonhoeffer, *The Cost of Discipleship*, 1935)

Samuel Rutherford, *Selected Letters*. صموئيل رذرفورد

كو 1: 11؛ 2 تم 2: 3

سورة المائدة 98

بتصرف عن فرانسوا فينلون، وفي الإنجليزية:

If we look carefully within ourselves, we shall find that there are certain limits beyond which we refuse to go in offering ourselves to God. We hover around these reservations, making believe not to see them, for fear of self-reproach. The more we shrink from giving up any such reserved point, the more certain it is that it needs to be given up. If we were not fast bound by it, we should not make so many efforts to persuade ourselves that we are free. (François Fénelon)

Rev. Charles Rogers, *Life of George Wishart*, 1876, p. 24

Michael Nakashima

راجع مذكرة رقم 31.

الرجل السماوي. قصة الأخ يون الصيني. لوجوس 2003 ص 74-75. كما أحب أن ألفت نظر القارئ إلى أنه توجد عدة مصادر أخرى تعرفنا عن الطريقة التي استشهد بها رسل سيدنا. فمثلاً هناك قصة أخرى غير المذكورة هنا تقول إن برتلي مات مصلوباً، وأخرى تقول إنهم سلخوا جلده ثم بعد ذلك صلبوه أو قطعوا رأسه!

Rognac, France في قرية في جنوب فرنسا

The Works of John Owen, x, p. 284

عن الكتاب الشريف: طبعة الدارس، مذكرة في مت 2: 16.

أستعمل الجداول لأساعد القارئ الجاد أن يتصور في ذهنه سير أحداث الصليب ويستوعبها ويتذكرها بأكثر سهولة.

هو محمد بن محمد بن منصور من سوهاج في صعيد مصر (1871-1918) وكان إماماً وخطيباً في جوامع مدينته، ثم آمن بالمسيح وصار خادماً له، وأخذ ينادي برسالة المسيح بجراءة وشجاعة في كل أنحاء مصر.

هذا الفصل مقتبس من كتاب بالإنجليزية للمؤلف عنوانه "خروج الإسلام إلى حرية المسيح"

Islamic Exodus into the Freedom of Christ

سورة النساء 4: 156

باسيليدس Basilides

الدوسيتية Docetism

كيرنثوس Cerinthus

ماني Manichaeism

كاربوكراتس Carpocrates

سورة النساء 4: 155-158

- Mahmoud M. Ayoub. "Toward an Islamic Christology, II: The Death of Jesus, Reality or Delusion?" *The Muslim World* 70, no. 2. April 1980, p. 106. 94
- Cornelius P Flavius Josephus (A.D. 37-97). *The Antiquities of the Jews*. 18.3.3.. 95
- Tacitus (A.D. 55-120). *The Annals*. 15.44. 96
- Flavius Josephus (A.D. 37-97). *The Antiquities of the Jews*. 18.3.3. 97
- I. Epstein, trans. *The Babylonian Talmud*. Sanhedrin 43a. London: Soncino Press, 1935, p. 281. 98
- Gary R. Habermas. *Ancient Evidence for the Life of Jesus*. Nashville: Thomas Nelson, 1977, p. 100. 99
- Habermas. *Ibid.*, p.100. 100
- كتاب "ضد التيار" المركز الدولي الأكاديمي، 1997. 101
- يمكن الحصول على هذه الدروس مجاناً من هذا الموقع: www.SharifBible.com 102
- Martin Hengel. *Crucifixion in the Ancient World and the Folly of the Message of the Cross*. Philadelphia: Fortress Press, 1977, pp. 19-20. 103
- Ibid.*, 1977, p.10 بتصرف 104
- سورة الأنفال 8: 17 105
- سورة النساء 4: 157 106
- سورة آل عمران 3: 54-55 107
- سورة المائدة 5: 117 108
- سورة مريم 19: 33 109
- سورة النساء 4: 154 110
- سورة البقرة 2: 86 111
- Mohammed Marmaduke Pickthall, *The Meaning of the Glorious Koran*, 1961, p. 23. 112
- Kenneth Cragg. *Operation Reach*. The Near Eastern Christian Council Study Program in Islam, September and October, 1959, p. 11. 113
- الجزء الموجود بين الأقواس من إرميا تيلور 1613-1667. 113